

حرب صفين

نظرة تحليلة جديدة

نجم الدين الطبسي



مصدر الفهرسة	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم التصنيف LC	DS97 .T33 2021
المؤلف الشخصي	الطبسي، نجم الدين، ١٣٥٥ للهجرة- مؤلف
العنوان	حرب صفين : نظرة تحليلة جديدة
بيان المسؤولية	نجم الدين الطبسي
بيانات الطبع	الطبعة الاولى
بيانات النشر	كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الدينية، شعبة البحوث والدراسات، ٢٠٢١ / ١٤٤٢ للهجرة
الوصف المادي	٤٣٥ صفحة ؛ ٢٤ سم
سلسلة النشر	(العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٩٣٠)
سلسلة النشر	(قسم الشؤون الدينية، شعبة البحوث والدراسات ؛)
تبصرة ببليوجرافية	(يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ٤١٣-٤٢٤
موضوع شخصي	علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – سياسته وحكمه
موضوع شخصي	علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – حروب
موضوع شخصي	معاوية بن أبي سفيان، خليفة أموي، ٢٠ قبل الهجرة-٦٠ للهجرة – شبهات
مصطلح موضوعي	التاريخ الإسلامي - عصر صدر الإسلام، ٦١٠-٦٦١
مصطلح موضوعي	حرب صفين، ٣٧ للهجرة – تاريخ
مصطلح موضوعي	الفتن والملاحم (الاسلام) – دراسة وتحليل
اسم هيئة اضافي	العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، قسم الشؤون الدينية، شعبة البحوث والدراسات. جهة مصدرة

تمت الفهرسة قبل النشر في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن علي عليه السلام رجلا من الرجال.. بل كتاب الله الناطق والرسالة الالهية المجسدة، كما أنبأ عن هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأشار في مواضع شتى وروايات أكثر من أن تحصى وأثبت من ان يطعن في صحتها..

لقد أراد النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم أن يترك عليا عليه السلام للناس من بعده علما هاديا يقيهم مغبة الفتنة والاختلاف. سواء اجتمعوا على محبته وولايته ، كما هو المطلوب منهم، فيهديهم الى الطريق القويم ويحملهم على المحجة البيضاء. أو عصوا أمر الله فيه بأنه الخليفة والوصي والامام مفترض الطاعة، كما حدث. ولم تقتصر رغبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلك على الجيل الاسلامي الذي عاصر الرسالة وأحداث الفتنة التي تمت أبان انقلاب السقيفة وانحراف الخلافة، بل للاجيال البشرية كافة. فالحق في قوله صلى الله عليه وآله وسلم (علي مع الحق والحق مع علي) يتجاوز في معناه أحقية الامام علي عليه السلام في الخلافة الى الحق المحض المطلق الذي هو كائن ما كانت الحياة في صراعها الازلي بين الخير والشر، وكما قال صلى الله عليه وآله وسلم (علي خير البشر)...

لهذا حظيت الاحاطة بتراث علي عليه السلام وتاريخه المجيد .. فكرا وسيرة، بأهمية قصوى، حيث يبقى ذلك التراث مشعلا ينير طريق الانسانية ويبيّن له مواضع الخير والفلاح. ومن سيرته وتاريخه الثر، تطالعنا ملحمة صفين التي دارت بينه عليه السلام وبين معاوية كنقطة مفصلية هامة، تتجاوز حدود الحدث التاريخي الذي عادة مايعنى به المؤرخون وكتاب السير، الى البعد المعنوي المتعلق بصراع الحق والباطل وما يجب ان يكون من فاصل واضح بينهما. سيما أننا مازلنا ـ حتى يومنا هذا ـ نعاني من جهات مغرضة حملت على عاتقها مهمة الدفاع عن الامويين. فراحوا يصورون الخلاف بين علي عليه السلام ومعاوية بصور شتى لاحظ لها في اية مقوم منطقي أو فكري رصين. وأن كليهما في جانب واحد من الحق.. تدليسا وخيانة للحقيقة.. كل هذا لانهم بحاجة الى تبييض صورة النموذج الاموي وشرعنة سياسته المنحرفة .. بعد ان اتخذوا من تلك السياسة منهجا لتقويم سلطانهم وإقامة دولتهم الحديثة.

وكما عودت شعبة البحوث والدراسات القارئ الكريم على مده بكل ما هو ثرّ ومؤثر من المؤلفات الاسلامية، فإنها تعمد اليوم الى المشاركة الفعالة في إطلاع الجمهور المسلم على تلك الملحمة الهامة ببعديها التاريخي والفكري.. من خلال السفر القيم الذي نهض بمهمة تأليفه علم من اعلام البحث العلمي المعاصر سماحة الشيخ الطبسي والمعنوّن **(صفين)**

وإن مما يدفعنا الى القول بثقة بالغة في أن الكتاب قد غطى الملحمة ببعديها التاريخي والفكري، هو ما سيجده القارئ من جهد علمي فذ في تناول مفردات الحدث التاريخي متنا وسندا.. وما يبرع به المؤلف في تناول الاشكالات والمداخلات النقدية والفكرية، حتى ليغدو المؤلَف سجلا قيما في تخليد حدث صفين وبيان حقائقه التاريخية بأدق صورة ورسالة فكرية حفظت لصراع علي عليه السلام مع معاوية جانبه الرسالي العميق..

نسال الله تعالى ان يجعل عمله هذا في ميزان حسناته وان يحفظ وجوده ذخراً للامة انه هو السميع العليم.

شعبة البحوث والدراسات

قسم الشؤون الدينية في العتبة الحسينية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنقذنا من شفا جرف الهلكات بمتابعة أمثل الأديان، وأرشدنا إلى سبيل ارتقاء مدارج أعلى الغرفات باقتفاء أفضل الإنس والجان، وأوضح محجتنا في ظلم الشبه والجهالة بإضاءة مصابيح آيات القران، وأفصح حجتنا في مهاوي الشكوك الفاسدة والأوهام الكاسدة ببيان أهل العصمة وتبيان مهابط التنزيل والفرقان صلى الله عليه وعليهم وعلى الأصحاب المرضيين صلاة تبلغنا إلى منتهى الرضوان وتسكننا منازل القدس وبحابيح الجنان.

من أهم الحوادث التي شهدها حكم أمير المؤمنين عليه السلام معركة صفين التي أثقلت عاتق الدولة الإسلامية بجسيم الحوادث و التكاليف، وكبدتها بأفدح الخسائر. وفيها استشهد عدد كبير من خيرة البشر وأشرف أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وأظهر العدو نواياه الباطلة فجاهر بمعاداة الإسلام والدولة الإسلامية بقيادة أمير المؤمنين عليه السلام إلى إحياء سنن الجاهلية وأفكارها النخرة ملبساً إياها ثوب الإسلام الظاهري.

يقول رشيد رضا، وهو من مفسري العامة، عن إنجازات الأُمويين وما قدموه من خدمات جليلة للاسلام: "**قال أحد كبار علماء الألمان في الأستانة لبعض المسلمين وفيهم أحد شرفاء مكة: إنه ينبغي لنا أن نقيم تمثالاً من الذهب لمعاوية بن أبي سفيان في ميدان كذا من عاصمتنا برلين. قيل له** (سأله أحد المسلمين كان حاضراً المجلس)**: لماذا؟ قال: لأنه هو الذي حول نظام الحكم الإسلامي عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية الغلب ولولا ذلك لعمّ الإسلام العالم كله ولكنا نحن الألمان وسائر شعوب أُوربا عرباً مسلمين**"[(١)].

---

(١) **تفسير المنار**، ج١١، ص٢٢٢، ذيل تفسير الآيات الأُول من سورة يونس، المقصد الرابع من مقاصد القران الإصلاح الاجتماعي الإنساني والسياسي الذي يتحقق بالوحدات الثمان.

نعم، هؤلاء هم القاسطون الذين ألحقوا بالإسلام وبشخص أمير المؤمنين عليه السلام وجميع المسلمين بل وجميع البشر ظلماً لا يُدفع إلى يوم القيامة، ومنعوا وصول الحق إلى الأُمم، وفسروا الإسلام على هواهم، واستغلوا التعاليم الإسلامية لتبرير تصرفاتهم المخالفة للشرع.

لا تخفى سيرة الشجرة الملعونة السوداء والفتن التي أثارها الأُمويون في تاريخ الإسلام على أحد. فما انفكوا يوقدون نيران الحرب على رسول صلى الله عليه وآله وسلم ويتحالفون مع المشركين ويتضامنون مع يهود بني قريظة ضد الإسلام ويمارسون شتى السياسات الشيطانية حتى جاء فتح مكة فتواروا خلف أقنعة النفاق.

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أُسندت بعض المناصب الحكومية في عهدي الخليفتين الأول والثاني إلى بني أُمية، الأمر الذي أنعش آمالهم في التسلط على المجتمع الإسلامي. وارتفعت وتيرة هذا التوجه في خلافة عثمان حيث استحوذ الأُمويون على الكثير من المناصب الحكومية استغلوها في توجيه الكثير من الطعنات إلى هيكل الإسلام. فتم إيذاء شخصيات إسلامية بارزة وإبعادها أمثال عمار وأبي ذر. وبتدبير من الشجرة الفاسدة نفسها تم تمهيد الأرضية لقتل الخليفة الثالث وتنفيذ القتل فيه واتخاذه وسيلة لبسط سلطتهم على الدولة بذريعة الاقتصاص من قتلته.

لقد نشر الأُمويون، في عهد أمير المؤمنين عليه السلام، الفوضى وانعدام الأمن في ربوع البلاد الإسلامية وهيّأوا أهل الشام للتمرد والعصيان. فاندلعت حرب صفين بدعوى المطالبة بدم عثمان وإظهار أمير المؤمنين عليه السلام بمظهر القاتل، فقُتل خيرة أصحابه عليه السلام وفيهم صحابة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتابعون. وكان من بين الشهداء عمار بن ياسر الذي عرّفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه مؤشر اتباع الحق وختم بالتأييد على تمسكه، الذي لا ينفصم، بالحق. أما الأُمويون فقد بلغ بهم الإجرام اللاإنساني درجة أن ختم الله على قلوبهم السود بالظلم والعدوان ومجانبة الحق.

لم يصمد القاسطون أمام بأس أنصار أمير المؤمنين عليه السلام الشديد فتلقوا ضربات قاصمة منهم. فلجأوا إلى فتنة رفع المصاحف على الرماح فافتتن بها من فتن من ضعاف الإيمان من المحاربين في جيش الإمام عليه السلام، وهكذا قلبوا الأُمور لصالحهم. لقد نجحوا، من خلال بث الفرقة والانقسام في

المعسكر العراقي، أن يدفعوا عن أنفسهم الهزيمة ليتهيأوا لجولة جديدة من التآمر الدموي. وبذلك أصابوا الأُمة الإسلامية بطعنات لازالت تئن من وقعها حتى اليوم. وليست بوكوحرام وداعش وجبهة النصرة وباقي التنظيمات المتطرفة التي ترتكب أفظع الجرائم بحق المسلمين باسم الإسلام إلاّ امتداداً لبقايا أحزاب الخندق. ومما يؤسف له أن التاريخ وكتابته كانا خلال تلك الفترة في قبضة الأُمويين وأنصارهم، فلم يألوا جهداً في تحريف الحقائق وتصويرها بالشكل الذي يناسبهم. فسعوا إما إلى تصوير الفريقين بالمحقّ أو تصويرهما بالمبطلين وتحميل حكم أمير المؤمنين عليه السلام وزر المجازر التي وقعت، وإطلاق أكاذيب بحق الإمام علي عليه السلام تدّعي أنه عبّر عن أسفه وندمه على وقوع تلك الحرب وأنه دعا لقتلى جيش الشام، محاولةً منهم لمحو حقائق تلك المرحلة من أجل تغييبها عن الأجيال اللاحقة لكي لا تتوصل إلى رؤوس الفتنة الحقيقيين.

وهذا الكتاب، علاوة على الاستفادة من أبحاث مختلف الباحثين، يلقي نظرة تحليلة جديدة على هذه الواقعة سعياً من مؤلفه إلى تبيان حقائقها وإزالة الإبهام الذي يكتنفها.

الكتب المؤلفة حول صفين:

١ـ صفين، تأليف أبان بن تغلب وهو من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.

٢ـ صفين، لإبراهيم بن محمد بن سعيد (م٢٨٣هـ)

٣ـ صفين، لإبراهيم بن ديزيل الهمداني الذي أخذ منه نصر بن مزاحم بعض منقولاته

٤ـ صفين، لجابر بن يزيد الجعفي (م١٢٨هـ)

٥ـ صفين، لأبي أحمد الجلودي

٦ـ صفين، للشيخ عبدالله الحميري

٧ـ صفين، لأبي مخنف

٨ـ صفين، لمحمد بن زكريا (م٢٩٨هـ). له كتابان "صفين الصغير" و"صفين الكبير".

٩ـ صفين، لمحمد بن عمر الواقدي (م٢٠٧هـ)

١٠ـ صفين، لابن أبي الجهم القابوسي

١١ـ صفين، لهشام بن محمد السائب الكلبي (م٢٠٥هـ)

١٢ـ صفين، لنصر بن مزاحم المنقري، وهو أقدم كتاب وصل عن حرب صفين ألفه بعنوان "وقعة صفين" وترجم إلى الفارسية. وبالرغم من أن نسبة ملحوظة من وثائق حرب صفين تعود إلى نصر بن مزاحم، فإن كتب التاريخ الأُخرى تورد تقارير تستند إلى وثائق سابقة للمنقري تكشف عن زوايا من هذه الموقعة غابت عنه. في كتابه "وقعة صفين" ينقل المنقري عن الرواة ويكاد يخلو كتابه من آرائه الشخصية. كما أن الترجمة الفارسية لهذا الكتاب تفتقر إلى الانسيابية ويبدو أنه لابد من إعادة ترجمة الكتاب مع تنقيته من الزوائد.

هذا وقد تناولت مؤلفات حديثة موضوع حرب صفين الذي حظي باهتمام العديد من المؤلفين وقد صدرت بعض الكتب لهم، منها:

١ـ "الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام" للعلامة السيد جعفر مرتضى العاملي وهو موسوعة من ٥٣ جزءاً باللغة العربية تتناول بالتفصيل والتحليل حياة أمير المؤمنين عليه السلام ولاشك أنه من أقوى المؤلفات التاريخية التي تتناول الإمام علياً عليه السلام. وقد خصص العاملي نحواً من عشرة أجزاء من كتابه هذا لهذا الموضوع واجتهد في قبول النصوص الواردة فيه أو ردها مسلطاً الضوء على الزوايا المبهمة منه. ويكتسب الكتاب أهمية خاصة وامتيازاً من جهة سعته وشموليته للمصادر وأُسلوبه التحليلي والنقدي حتى لا يكاد يستغني عنه باحث في التاريخ. وبالرغم من القيمة العلمية العالية للكتاب فإنه يبدو أن مؤلفه أغفل بعض النصوص ولم يلتفت إليها.

٢ـ "موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة" وهو كتاب قيّم آخر يتناول الحوادث التي وقعت في حياة الإمام علي عليه السلام، يقع في ١٢ جزءاً قام بتأليفه جماعة من الباحثين بإشراف حجة الإسلام والمسلمين ري شهري. يعتبر الكتاب دائرة معارف عن حياة أمير المؤمنين وقد تمت ترجمته

إلى الفارسية. ويتطرق إلى مختلف أبعاد حياة الإمام عليه السلام ويشتمل على مختلف النصوص وقد خصص جزء واحد تقريباً لحرب صفين. من أبرز مزايا الكتاب طريقة تبويبه وتوزيع مواضيعه. إلاّ أنه نظراً إلى أن الكتاب استهدف بالدرجة الأُولى جمع النصوص المتصلة بمواضيعه فإنه يتسم بضعف في الجانب التحليلي والتقييمي للمنعطفات التاريخية، فضلاً عن عدم احتوائه لجميع النصوص المتعلقة.

٣ـ "موسوعة الإمام علي عليه السلام" وهو سلسلة من ١٠ أجزاء تم تأليفها باللغة الفارسية بإشراف حجة الإسلام والمسلمين علي أكبر رشاد. يتناول الكتاب شخصية أمير المؤمنين عليه السلام من مختلف أبعادها ويخصص نحو ٢٠٠ صفحة لحرب صفين.

٤ـ "نور الولاية" تأليف آية الله جعفر سبحاني يتناول حياة أمير المؤمنين بالتحليل، وتشغل حرب صفين مساحة كبيرة منه.

٥ـ "موسوعة التاريخ الإسلامي" للعلاّمة محمد هادي يوسفي الغروي. يتبع المؤلف في هذا الكتاب منهج نقل التقارير التاريخية بأُسلوب واضح بعيد عن التقارير غير الواقعية والأغراض الشخصية بالاستناد إلى المصادر عالية الاعتبار، من مدرسة أهل البيت خاصة. يسرد الكتاب وقائع الحرب بنظام وترتيب. ويمتاز بمناقشة التقارير وتحليلها عبر مقاطعتها مع التقارير الأُخرى وترجيح بعض النصوص، والتنويه بالنصوص المحرفة في المصادر الأُخرى، والإشارة إلى مصادر الروايات المختلفة، وترجمة العبارات المستغلقة في الروايات والتقارير، ونقل أسانيد المنقولات، والتعريف بالمنازل ومواقع حدوث المعارك وشرح دلالات الأمثال.

٦ـ "موسوعة سيرة أهل البيت" للمرحوم العلاّمة باقر شريف القرشي.

هذا الكتاب الواقع في أربعين جزءاً يعتبر دورة كاملة لسير المعصومين الأربعة عشر. يخصص المؤلف خمسة أجزاء منه لسيرة الإمام علي عليه السلام. يستعرض المرحوم القرشي التقارير التاريخية الخاصة بحرب صفين بدون إضافة أية تحاليل أو تصورات شخصية إليها ويمر عليها باختصار. ويتضح من عدد الصفحات التي خصصها المؤلف لحرب صفين أن غايته كانت تقتصر على المرور السريع على حروب الإمام عليه السلام دون التعرض للروايات والتقارير المتعلقة بها بالنقد والتحليل والمناقشة.

٧ـ خدعة الرماح: كتبه غلامرضا آبروي وتم طبعه بواسطة "بوستان كتاب" سنة ١٣٩٧ش. ويتناول الخدع التي مارسها جيش معاوية في معركة صفين.

٨ـ "الجغرافيا التاريخية لمسير الإمام علي عليه السلام في (به) صفين" لأحمد خامه يار الذي قامت دار "مشعر" بنشره عام ١٣٩٤ش ويتناول التعريف بالمسار الذي سار عليه جيش أمير المؤمنين عليه السلام من الكوفة إلى صفين.

الرسائل والأطاريح المؤلفة حول صفين:

١ـ "أسباب الحروب الداخلية في عهد الامام علي وجذورها عليه السلام" لمحمد علي مقدم، رسالة ماجستير، جامعة خوارزمي، ١٣٩٧ش.

٢ـ "تحليل (أو: بحث) فقهي لحروب الجمل وصفين والنهروان من وجهة نظر الفريقين" للسيد محمد صادق، أُطروحة دكتوراه، جامعة المصطفى العالمية، ١٣٩٦ش.

٣ـ "الاصطفافات السياسية من حرب صفين حتى وفاة معاوية بن أبي سفيان، منصورة آذرشب، رسالة ماجستير، جامعة سيستان وبلوشستان، ١٣٩٦ش.

٤ـ "القيم الأخلاقية للإمام علي عليه السلام في الحرب "، محمد عبدالرضا كشكول جبار الأسدي، رسالة ماجستير، جامعة المصطفى العالمية، ١٣٩٦ش.

٥ـ "دراسة ايارات الناكثين والقاسطين استناداً إلى نهج البلاغة"، أمين الله جعفري، أُطروحة دكتوراه، جامعة آية الله حائري، ميبد، ١٣٩٦ش.

٦ـ "واقعه صفين، أسباب، واقعيات، نتايج در كلام وسيره أمير المؤمنين علي عليه السلام"، السيد تنوير حسين نقوي، رسالة ماجستير، جامعة المصطفى العالمية، ١٣٩٦ش.

٧ـ " بحث تداعيات حرب صفين على حكم الإمام علي عليه السلام"، عبدالرضا حاتميان، رسالة ماجستير، جامعة آزاد إسلامى، فرع طهران الأوسط، ١٣٩٣ش.

٨ـ "أسس العمليات النفسية في السيرة العلوية وأساليبها، مع التركيز على حروب (أو: معارك) صفين ، جمل ونهروان"، حسين همازاده أبيانه، جامعة إمام صادق، ١٣٩١ش.

٩ـ " تحليل الحروب الداخلية للمسلمين في القرن الهجري الأول ومناقشتها "، حسين عطاران، رسالة ماجستير، جامعة آزاد إسلامى، فرع طهران الأوسط، ١٣٩١ش.

١٠ـ "أسباب حرب صفين وخلفياتها وتداعياتها. نبي الله باقري زادگنجي ، رسالة ماجستير، جامعة "تربيت معلم" طهران، ١٣٨٤ش.

المقالات المكتوبة حول صفين:

١ـ " بحث في مسير الإمام علي عليه السلام إلى صفين وموقع حرب صفين، أحمد خامه يار ، "پژوهش نامه علوى"، ١٣٩٠ش، العدد الأول.

٢ـ " صفين من زاوية ثلاثة مصادر تاريخية "، علي ناظميان فرد، مجلة "كتاب ماه تاريخ وجغرافيا"، ١٣٧٩ش، العدد ٤١.

٣ـ "تاريخ حرب صفين ؛ نهاية عهد وبداية مرحلة"، حسن زين، مجلة العرفان، ١٤٠٧هـ، العدد ٧٥.

٤ـ " دروس فقهية من حرب الجمل، صفين ونهروان"، محمد مهدي الآصفي، مجلة فقه أهل البيت، سنة ١٣٨٠ش، العدد ٢٨.

٥ـ "نهاية حرب صفين"، السيد أحمد خاتمي، مجلة "پاسدار اسلام"، السنة ١٣٨٠ش، العدد ٢٣٥.

٦ـ " في مسير صفين"، السيد أحمد خاتمي، مجلة "پاسدار اسلام"، السنة ١٣٧٩ش، العدد ٢٢٤.

٧ـ " دور قادة جيش أميرالمؤمنين عليه السلام في مصير معركة (أو: حرب) صفين: مقارنة حالات ومواقف: مالك اشتر واشعث بن قيس"، مجلة "تاريخ اسلام"، شتاء ١٣٩٥ش، العدد ٦٨.

٨ـ "مُوقدا نار صفين"، السيد أحمد خاتمي، مجلة "پاسدار اسلام"، خرداد ١٣٧٩ش، العدد ٢٢٩.

٩ـ "دور عمار في حرب صفين"، حوراء سادات موسوي، "مجله نامه جامعه"، العدد ٨٩.

١٠ـ "دزر المرأة في الميدان السياسي لصفين"، معصومة ريعان، مجلة "بانوان شيعه"، شتاء ١٣٨٤ش وربيع ١٣٨٥ش، الأعداد ٦ و٧.

١١ـ "الفتنة في صفين"، طيبة فلاح زاده، مجلة "فقه وحقوق"، صيف ١٣٧٧ش، العدد١٠

١٢ـ "شبهات القاسطين في فتنة صفين"، محمدرضا أحمدي ندوشن، مجلة "معرفت"، مهر ١٣٨١ش، العدد ٥٨.

١٣ـ " صفين في سرد ابن أبي الحديد للتاريخ، علي ناظميان فرد، مجلة "تاريخ نگرى وتاريخ نگارى" (الرؤية التاريخية وكتابة التاريخ)، ربيع وصيف سنة ١٣٩٤ شمسية، العدد ١٥.

١٤ـ "ستراتيجية أميرالمؤمنين عليه السلام في مواجهة المعارضين في حرب صفين"، علي خلجي والسيد قاسم ميرخليلي، مجلة "معرفت"، آبان ١٣٩٥ش، العدد٢٢٧.

اما هذا الكتاب فهو محصلة الدروس التي اُلقيت عبر سنوات في قم المقدسة في مدرسة آية الله گلپايگانى تحت عنوان "بحوث خارج الكلام"، التي سعينا من خلالها إلى بيان الحقائق وكشف المسكوت عنه وتحليل القضايا وإزالة الغموض الذي يكتنف بعض جوانب حرب صفين. ولعل من شأن مطالعة متأنية لمحتويات الكتاب أن تسلح القارئ بقراءة جديدة للتاريخ لاسيما الحوادث والوقائع التي شهدتها حرب صفين، وأن تزوده بمعرفة دقيقة بالجذور والدوافع والدروس والعبر المتعلقة بها.

في الختام، لا يفوتني أن أتقدم بوافر الشكر لولدنا العزيز حجة الإسلام حضرة الموقر مجيد شاهوردي وهو من فضلاء دروسنا خارج الفقه والاُصول، وخارج الكلام، ودروس اُسلوب التحقيق. وهو والحمد لله من الباحثين وأصحاب القلم والفكر النيّر والسعي الحثيث. وقد بذل جهداً كبيراً في تعزيز هذا الكتاب بالتحقيق والبحث في المصادر والتنظيم والتدوين. ولا يفوتني أيضاً أن أشكر

المحقق الفاضل جناب الموقر الشيخ حسن بلقان آبادي الذي راجع محتويات الكتاب بدقة متناهية ورفده بالتدقيق والتصحيح العلمي، وأن أدعو الله لهما بدوام التوفيق.

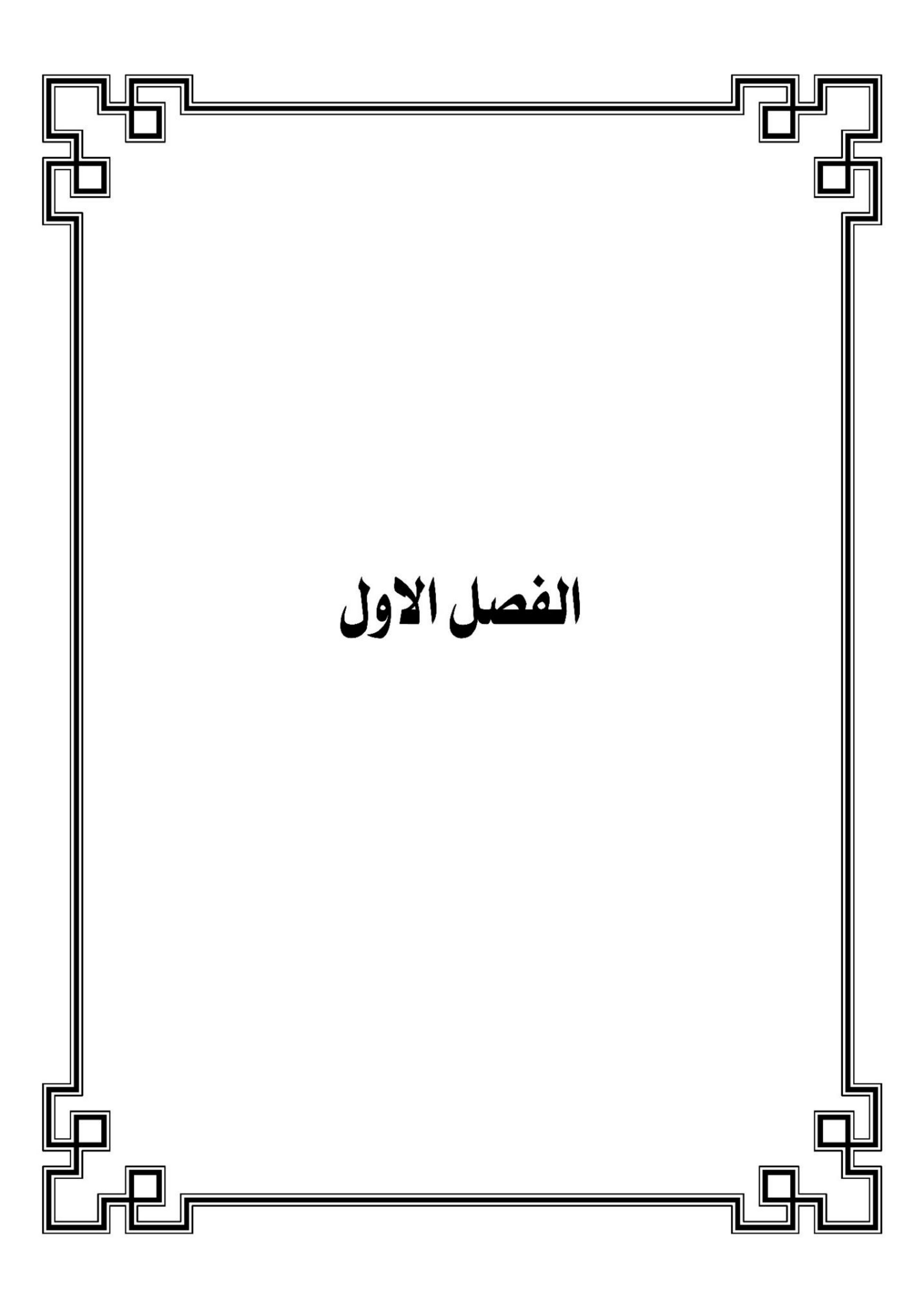
أسأل الله أن يتقبل من العبد الفقير هذا الجهد العلمي المتواضع وينزله منزلة الرضا من نبيه الأكرم ﷺ وأهل بيت العصمة والطهارة، وأن يبعث بثوابه إلى روح والدي المرحوم آية الله العظمى الحاج الشيخ محمدرضا الطبسي، إنه سميع مجيب.

نجم الدين الطبسي رضي الله عنه

قم المقدسة/ ذكرى ولادة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام ومطلع عشرية الكرامة

الأول من ذي القعدة ١٤٤٠هالموافق ١٣٩٨/٤/١٣ش

مؤسسة ولاء الصديقة



الفصل الاول

بداية حكم امير المؤمنين عليه السلام وصراع عزل معاوية

في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٣٥ هجرية لقي عثمان بن عفان مصرعه مقتولاً بأيدي المسلمين وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله خاصة، نتيجةً لأسباب كثيرة منها ممارسة الظلم والفساد والتمييز من قبله ومن قبل عمّاله، وإسناد المناصب الحيوية إلى الأقرباء والمقربين، وإهمال مطاليب الناس في تغيير عمّال الولايات، وتعيين المجرمين في مناصب الدولة، والإسراف في تبذير المال العام على الهدايا والهبات لأقربائه من بني أُمية بغير حساب، والقسوة على المعارضين.

بعد مقتل عثمان، أقبل الناس من أطراف البلاد الإسلامية على أمير المؤمنين عليه السلام واختاروه خليفة للمسلمين بإلحاح وإصرار. وكانت تلك الواقعة الوحيدة في التاريخ الإسلامي التي اختار فيها المسلمون خليفتهم بحريّة. وقد بلغت كثرة المتجمهرين لمبايعة علي عليه السلام ما وصفها الإمام بقوله: **ثم تداككتم عليّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى انقطعت النعل وسقطت الرداء ووطئ الضعيف وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير وهدج إليها الكبير وتحامل نحوها العليل وحسرت إليها الكعاب**[1].

تلك البيعة التي تمت برضا الجميع كانت تنبئ بأن المجتمع الذي تعرض إلى التفكك والانقسام في حكم عثمان سيستعيد وحدته في ظل حكم علي عليه السلام وستزول المشاكل التي كان يواجهها الواحدة تلو الأخرى. غير أن أصحاب المال والسلطة الذين لم يرق لهم عدل أمير المؤمنين عليه السلام اختلقوا ذرائع لإيقاد نار الفرقة مرة أُخرى بين الناس.

من أهم الإجراءات التي اتخذها أمير المؤمنين عليه السلام بعد توليه الحكم أنه قام بعزل أغلب المسؤولين الفاسدين الذين كان نصبهم عثمان. وكان من بينهم معاوية الذي كان قد تولى حكم

---

(١) **نهج البلاغة**: الخطبة ٢٢٩.

الشام من جانب عثمان فتم عزله. فما كان من بعض الانتهازيين أمثال المغيرة بن شعبة[١] إلّا أن وقفوا موقفاً معارضاً لسياسة أمير المؤمنين عليه السلام ونهوه عن عزل معاوية. فذهب المغيرة إلى الإمام عليه السلام وأصر عليه بالعدول عن موقفه. فطلب منه في البداية الإبقاء على جميع الولاة المعينين من النظام السابق في مناصبهم قائلاً له: **(إني لا أُريد بك إلاّ خيراً وأرجو منك أن لا تعزل عمال عثمان. أبق عليهم في مناصبهم حتى إذا بايعوك واستتب لك الأمر فاعزل من شئت منهم وأثبت من شئت).**

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إني لا أتسامح في أُمور ديني ولا أعمل بالمكر والحيلة في تنصيب العمال وعزلهم ثم أعاد المغيرة الكرّة في اليوم التالي ليكشف عن نواياه بشكل واضح وشفاف هذه المرّة فقال: اعزل من شئت أما معاوية فأثبته في منصبه فهو رجل قوي جريء وأهل الشام يطيعونه.

ثم تفتق خياله عن عذر شرعي للإبقاء على معاوية فقال: إن معاوية نصبه عمر ولا ينبغي عزله.

فردّ عليه الإمام قائلاً: والله لن أُمهل معاوية يومين يتسلط فيها على الناس ويحكمهم، بعد المغيرة عرض ابن عباس[٢] المقترح نفسه على أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: **أما أول ما أشار به المغيرة عليك**

---

(١) كان المغيرة بن شعبة ممن شارك في الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام مع عمر بن الخطاب وأزلامه. **تفسير العياشي**، ج٢، ص٦٦، ذيل الآية ٦١ من سورة الأنفال ؛ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، ج٢٨، ص٢٢٧، الحديث١٤ ؛ **كتاب سليم بن قيس**، ج٢، ص٥٨٧، الحديث الرابع. حسب شهادة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام فإن المغيرة بن شعبة ضرب فاطمة عليها السلام. **الاحتجاج على أهل اللجاج**، ج١، ص٤١٣، احتجاج الحسن بن علي بن أبي طالب على جماعة من المنكرين لفضله. وحين تولى عمر بن الخطاب الحكم كافأ المغيرة بأن أسند إليه حكم البصرة. ثم لما وقعت جريمة الزنا من المغيرة في البصرة لم يقم عليه الحد وعزله من البصرة وأسند إليه ولاية الكوفة. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ج١٨، ص٣٠٨، ترجمة المغيرة، الرقم ٦٧٢٦. ولما آل الحكم إلى الإمام علي عليه السلام لم يبايعه المغيرة بن شعبة. **تاريخ الطبري**، ج٢، ص٦٩٨، السنة ٣٥، ذكر الخبر عن البيعة. ولم يحضر حرب الجمل ولا صفين، وبعد التحكيم التحق بمعاوية. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ج١٨، ص١٠٨، ترجمة المغيرة، رقم ٦٧٢٦. بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، عيّن معاوية المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ج١٨، ص١٠٨، ترجمة المغيرة، رقم ٦٧٢٦.

(٢) ولد عبد الله بن عباس ابن عم النبي صلى الله عليه وآله قبل الهجرة بثلاث سنوات في شعب أبي طالب وكان ملازماً للنبي صلى الله عليه وآله. ويحتل منزلة رفيعة لدى أهل السنة لكثرة رواياته في الصحيحين وباقي الكتب الروائية، وله يد طولى في تفسير القرآن. وقد قال النبي صلى الله عليه وآله فيه: لكل شيء فارس وفارس التفسير عبد الله بن عباس. ودعا له النبي صلى الله عليه وآله بالقول: اللّهُمَّ فقّهه في الدين وعلمه تأويل

فقد نصحك وأما الآخر فقد غشك وأنا أُشير عليك أن تُثبت معاوية فإن بايع لك فعليّ أن أقلعه من منزله[1].

القرآن. **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص٣٣٢، ترجمة عبد الله بن عباس، الرقم ٥١. وكان عبد الله بن عباس من خاصة أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام وتلاميذه ومحبيه وكان من جلالة القدر بما لا يخفى شهرة. **خلاصة الأقوال في معرفة الرجال**، ص١٩٠، الرقم ٥٦٨. ومحبة ابن عباس لأهل بيت النبي معروفة في حوادث التاريخ. رأى مدرك بن [ابن أو أبي] زياد ابن عباس وهو يمسك الركاب للإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام فقال له مستنكرا: أتمسك لهما الركاب وأنت في هذا السن؟ فقال ابن عباس: أتعرف منزلة هذين أيها الأحمق؟ إنهما ابنا رسول الله. أوليست نعمة من أنعم الله علي أن يوفقني لخدمتهما وإمساك ركابهما؟ **مناقب آل أبي طالب**، ج٣، ص٤٠٠، فصل في مكارم أخلاقهما عليهما السلام. ولقد أدى طول بكائه على أميرالمؤمنين عليه السلام والحسنين عليهما السلام إلى أن يفقد بصره. وكان بعد أن فقد بصره ينشد قائلاً [ما معناه]: لئن أخذ الله مني نورعيني فقد جعل نور أهل البيت في قلبي وعلى لساني. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٣، ص١٢١، وفاة عبد الله بن عباس. وكان عبد الله بن عباس من الذين حضروا مع أميرالمؤمنين عليه السلام جميع حروبه في الجمل وصفين والنهروان وكان أحد قادة عسكره عليه السلام في الحروب وواليه في مدينة البصرة. **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٣، ص٢٩١، ترجمة عبد الله بن عباس، الرقم ٣٠٣٧. لقد دفعت منزلة ابن عباس الرفيعة أعداء أهل البيت إلى اللجوء إلى الكذب والاختلاق لإلصاق تهمة سرقة أموال البصرة واختلاسها به. في حين كان لكثير من كبار علماء الشيعة أمثال السيد المرتضى موقف من هذه الاتهامات حيث عدّوها كذباً عليه وافتراءً. **الأمالي**، ج١، ص١٢٣، المجلس الثاني عشر. بعد استشهاد أميرالمؤمنين عليه السلام بايع عبد الله بن عباس الإمام الحسن عليه السلام. **الفتوح**، ج٤، ص٢٨٥، ذكر كتاب عبد الله بن عباس من البصرة إلى الحسن بن علي عليهما السلام. يقول ابن الأثير وابن حجر: عاد جماعة من شيوخ وكبراء الطائف عبد الله بن عباس في مرضه الذي توفي منه فجرى حديث بينهم فقال ابن عباس لأحدهم وهو في ساعات= =حياته الأخيرة: خذ بيدي واذهب بي إلى فناء الدار. ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللّهُمَّ إني أتقرب إليك بمحمد صلى الله عليه وآله، اللّهُمَّ إني أتقرب إليك بعلي بن أبي طالب عليه السلام. فمازال يقول ذلك ويعيده حتى سقط على الأرض ومات. **كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر**، ص٢٢، ما جاء عن عبد الله بن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله. مات ابن عباس عن نحو سبعين عاماً. **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٣، ص٢٩٤، ترجمة عبد الله بن عباس، الرقم ٣٠٣٧.

(١) "قال ابن عباس: أتيت علياً بعد قتل عثمان عند عودي من مكة فوجدت المغيرة بن شعبة مستخلياً به، فخرج من عنده، فقلت له: ما قال لك هذا؟ فقال: قال لي قبل مرّته هذه: إن لك حق الطاعة والنصيحة وأنت بقية الناس وإن الرأي اليوم تحرز به ما في غد وإن الضياع اليوم يضيّع به ما في غد، أقرر معاوية وابن عامر وعمال عثمان على أعمالهم حتى تأتيك بيعتهم ويسكن الناس، ثم اعزل من شئت، فأبيت عليه ذلك وقلت: لا أُداهن في ديني ولا أُعطي الدنية في أمري. قال: فإن كنت أبيت عليّ فانزع من شئت واترك معاوية، فإن في معاوية جرأة وهو في أهل الشام يستمع منه ولك حجة في إثباته، كان عمر بن= =الخطّاب قد ولاّه الشام. فقلت: لا والله لا أستعمل معاوية يومين ... فقلت له: أمّا أول ..... من منزله". **الكامل في التاريخ**، ج٢،

أما نصيحة المغيرة فلاشك في سوء نيته فيها، أما نصيحة ابن عباس فلنا عليها الملاحظات التالية:

الملاحظة الأُولى: أن ابن عباس لم يكن يعرف معاوية وأهدافه حق المعرفة. في حين أن هناك الكثير من القرائن والشواهد على أن معاوية منذ حكم عثمان وفي فترة محاصرته من قبل معارضيه كان يخطط للاستحواذ على حكم المسلمين ولم يكن قانعاً بحكم الشام. وكان ذلك جلياً من خلال خذلانه لعثمان كما يشير بعض الكتّاب ومنهم البلاذري إذ يفسر عدم نجدته له بأنه كان يرغب في أن يُقتل عثمان ليتخذ مقتله منصة للانطلاق نحو الحكم[1] لهذا نعتقد بأنه حتى لو أن أمير المؤمنين عليه السلام كان أقرّ حكم معاوية على الشام فإن معاوية ما كان مع هذا ليكف عن التآمر والدس، فقد كان يخطط لتحقيق هدف أكبر ولم يكن ليهدأ له بال قبل أن يحققه.

الملاحظة الثانية: اقتراح ابن عباس يتعارض تماماً مع الطريقة الحقة التي كان ينتهجها أمير المؤمنين عليه السلام التي جعلت الناس يلتفون حوله لأن الإبقاء على معاوية يعني الإقرار بكل ما قام به منافياً للإسلام في زمن الخلفاء. والحال أن الإمام عليه السلام كان يعمل من أجل الحق ولا يختار إلاّ طريقة الحق في سبيل أهدافه المقدسة.

ص٣٠٦، حوادث سنة ٣٥ هجرية، ذكر بيعة أميرالمؤمنين عليه السلام؛ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٢، ص٣٩٢، المغيرة بن شعبة ينصح علياً ثم يرجع.

(١) "روى البلاذري قال: لما أرسل عثمان إلى معاوية يستمده بعث يزيد بن أبي أسد القسري جد خالد بن عبد الله بن يزيد أمير العراق وقال له: إذا أتيت ذاخشب فاقم بها ولا تتجاوزها ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فإنني أنا الشاهد وأنت الغائب. قال: فأقام بذي خشب حتى قتل عثمان فاستقدمه حينئذٍ معاوية فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان ارسل معه وإنما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه". **شرح نهج البلاغة**، ج١٦، ص١٥٤، ذيل الكتاب السابع والثلاثين، من كتاب له عليه السلام إلى معاوية.

نهاية حرب الجمل وفتنة الجزيرة[١]

بعد أن وضعت حرب الجمل أوزارها ورجع أمير المؤمنين عليه السلام من البصرة إلى الكوفة، وصلته أخبار من منطقة الجزيرة تفيد بأن أهالي تلك المنطقة عثمانيو الهوى وقد بايعوا معاوية بن أبي سفيان. فبعث أمير المؤمنين جيشاً بقيادة مالك الأشتر. فاستعد الضحاك بن قيس الفهري[٢]، وكان حاكماً عليها من قبل معاوية، لمواجهة مالك الأشتر بأن بعث بجيش لمقابلته. فوقعت معركة بين الجيشين انتهت بانتصار جيش مالك الأشتر رغم التعزيزات التي دفع بها معاوية إلى الضحاك أكثر من مرة، وسيطر مالك الأشتر على الجزيرة.

بعد حوادث الجزيرة خطب أمير المؤمنين عليه السلام في الناس فبيّن لهم فتنة معاوية وقال: **أيها الناس! إن الله تبارك وتعالى هو خالق الخلق ولن يرضى من أحد من خلقه إلاّ بالحق ولن يزال أمرنا هذا متمسكاً ولم يشتم آخرنا أولنا، فإذا فعلوا ذلك فقد هلكوا وأهلكوا. ألا وإني مخبركم أن معاوية بن**

---

(١) منطقة بين دجلة والفرات. **معجم ما استعجم**، ج٢، ص٢٥.

(٢) الضحاك بن قيس الفهري من أهل الحجاز ولد قبل ارتحال رسول الله صلى الله عليه وآله بست سنوات تقريباً. حضر فتح الشام ودمشق في عهد عمر بن الخطاب ثم سكن الشام حتى وفاته. حضر صفين إلى جانب معاوية وحارب خليفة المسلمين الإمام علياً عليه السلام وكان من أصحاب معاوية المقربين ومن قادة جيشه. سيطر الضحاك على دمشق بعد وفاة يزيد ودعا الناس في البداية إلى مبايعة عبد الله بن الزبير، ولكنه ما لبث أن دعا لنفسه. قتل حوالي سنة ٦٤هـ في مواجهة وقعت بينه وبين مروان بن الحكم عرفت بيوم "مرج راهط". **تهذيب التهذيب**، ج٤، ص٣٩٤، ترجمة الضحاك بن قيس، الرقم ٧٩١. تولى الضحاك بن قيس قيادة قلب جيش معاوية في حرب صفين. **مناقب آل أبي طالب**، ج٣، ص١٦٩، فصل في حرب صفين. على أن ابن الأثير الجزري يعتقد أن الضحاك بن قيس كان في حرب صفين القائد العام لقوات معاوية. **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص٣٧١، حوادث سنة ٣٧ هجرية. ويقول محمد بن جرير الطبري وابن أبي الحديد: كان الإمام علي عليه السلام في قنوت صلاة الفجر والمغرب يلعن معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة وأباالأعور والضحاك بن قيس وبسر بن أرطاة وحبيب بن مسلمة وأباموسى الأشعري وعبدالرحمن بن خالد ومروان بن الحكم. وكان هؤلاء يلعنون علياً عليه السلام في صلواتهم. **تاريخ الطبري**، ج٣، ص١١٣، حوادث سنة ٣٧ هجرية، اجتماع الحكمين في دومة الجندل ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٤، ص٧٩، ذيل الخطبة ٥٤، فصل في ذكر المنحرفين عن علي عليه السلام.

أبي سفيان قد جهز أهل الشام وزعم لهم أني أنا الذي قتلت عثمان بن عفان وقد حارب عاملي ويوشك أنه سينازعني حقي ويدفعني عنه بجموع أهل الشام. ألا وإني قد عزمت على الكتاب إليه، فماذا عندكم من رأي؟ قال: فضج المسلمون من كل ناحية فقالوا: يا أمير المؤمنين! افعل في ذلك ما أحببت وأمرنا بأمرك، فأمرك فينا سمعاً وطاعة، وما طاعتك فينا إلاّ كطاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم[1].

(١) "فقام في الناس بالكوفة خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس!... إلاّ كطاعة النبي" **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٠٠، وقعة أهل الجزيرة مع الأشتر قبل وقعة صفين.

إرسال أول سفير إلى الشام

كان أمير المؤمنين عليه السلام منذ بداية حكمه عازماً على عزل معاوية، غير أن حرب الجمل أجبرته على تأجيل تنفيذ عزله. وبعد انتهاء فتنة الجزيرة وقطع أيدي مثيريها كتب الإمام إلى معاوية: **بسم الله الرحمن الرحيم (من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر. أما بعد! فإن بيعتي لزمتك وأنا بالمدينة وأنت بالشام وذلك أنه بايعني القوم الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان، فليس للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وأما عثمان فقد كان أمره مشكلاً على الناس، المخبر عنه كالأعمى والسامع كالأصم وقد عابه قوم فلم يقبلوه، وأحبه قوم فلم ينصروه، وكذبوا الشاهد واتهموا الغائب، وقد بايعني الناس بيعة عامة، من رغب عنها مرق، ومن تأخر عنها محق. فاقبل العافية واعمل على حسب ما كتبت به، والسلام).**

قال ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الحجاج بن عمرو بن غزية الأنصاري[1] ووجهه إلى الشام إلى معاوية. فلما ورد كتابه على معاوية فقرأه ورفع رأسه إلى الرسول وقال: **أظنك ممن قتل عثمان بن عفان!** فقال الأنصاري: **وأنا أظنك يا معاوية ممن استنصره عثمان فلم ينصره ولكن خذله وقعد عنه** قال فغضب معاوية من ذلك وقال: **ارجع إذن إلى صاحبك بغير جواب فإن رسولي في أثرك إن شاء الله تعالى**[2].

هذا الكتاب وتلك المحادثة التي جرت بين معاوية والحجاج، لنا عليها الملاحظات التالية:

---

(١) الحجاج بن غزية الأنصاري من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام، حضر صفين. بلغ من الوفاء للإمام علي عليه السلام أنه كان يحرض الجنود ويصعّد حماسهم أثناء القتال قائلاً: أتريدون أن تقولوا لربكم يوم القيامة **ربنا إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا؟** انصروا أميرالمؤمنين عليه السلام كما نصرتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبل. **قاموس الرجال**، ج٣، ص١١٧، ترجمة الحجاج بن غزية، الرقم ١٧٨٦.

(٢) **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٠١، ذكر كتاب علي عليه السلام إلى معاوية.

الأُولى: خاطب أمير المؤمنين عليه السلام معاوية بالخطاب الذي يُلزمه لإثبات مشروعية خلافته بقوله: **بايعني القوم الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان.** فإذا كان لبيعة الناس مشروعية فإن بيعتي كانت أكمل وأشمل من بيعة الخلفاء الذين سبقوني فلا حجة للمخالفين عليّ.

الثانية: إن بعض أقرباء عثمان أمثال معاوية كانوا راضين بقتله فلم ينصروه ولم يتصدوا للثائرين عليه فلا يحق لهم المطالبة بدم الخليفة بعد قتله ؛ فلو كانوا صادقين في دعواهم لكانوا نصروه في حياته.

الثالثة: كان استنجاد عثمان بمعاوية وخذلان معاوية له من الوضوح والانتشار على ألسن الناس بحيث عيّر به الحجاجُ معاويةَ وسخر منه لادعائه حق المطالبة بدم عثمان.

إرسال معاوية ممثلاً له إلى الكوفة

بعد أن امتنع معاوية عن الرد على كتاب أمير المؤمنين عليه السلام، أمر بضم عدد من العرائض التحريرية إلى بعضها وجعلها طوماراً واحداً طويلاً لا يحتوي إلاّ على البسملة وعبارة "**من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب**". ثم دفع الطومار إلى رجل من عبس كان معروفاً بين الناس بجودة الخطابة. دخل العبسي على أمير المؤمنين عليه السلام وسلّم عليه ثم التفت إلى الناس قبل أن يسلمه الطومار وقال لهم: أيها الناس! هل فيكم رجل من عبس؟ قالوا: نعم. قال: فاسمعوا ما أقول. لقد رأيت في الشام خمسين ألف رجل لما رأوا قميص عثمان تخضبت محاسنهم بدموعهم وحملوا القميص على الرماح وأقسموا على أن لا يغمدوا سيوفهم إلاّ أن يقتلوا قتلة عثمان أو يُقتلوا. إن الآباء يوصون الأبناء بأخذ الثار لعثمان. والبدو هاجروا إلى المدن، والأُمهات يلقنّ أولادهن المطالبة بدم عثمان فيكبرون على ذلك. لقد كان الناس قبل قتل عثمان يلعنون الشيطان، والآن يلعنون قاتليه.

فسأل أمير المؤمنين عليه السلام مبعوث معاوية: فمن يتهم أهل الشام بدم عثمان؟ فقال: أهل الشام جميعاً يتهمونك أنت بقتله.

فقام رجل من عبس اسمه صلة بن زفر فقال له: لست رسولاً جيداً من أهل الشام. أتخيف المهاجرين والأنصار من الباكين على قميص عثمان؟ فلا ذلك القميص قميص يوسف ولا البكاء بكاء يعقوب. فلئن أصبحوا يبكونه في الشام اليوم فقد خذلوه في الحجاز بالأمس.

بعد هذا الحوار قام الناس وهمّوا بقتل رسول معاوية، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اتركوه فهو رسول. فأخذ الناس الكتاب منه وأعطوه لأمير المؤمنين عليه السلام ففتحه ووجد أن معاوية بعث إليه بكتاب خال فأدرك أنه يريد الحرب ولا يرضى بغير الحرب.

عندما لاحظ مبعوث معاوية نبل أمير المؤمنين عليه السلام وورعه أدرك أنه على حق فقال له: **يا أمير المؤمنين! والله لقد أقبلت وأنا أشد الناس عليك حنقاً لما أخبرني عنك أهل الشام وقد والله أبصرت**

الآن ما فيه أهل الشام من الضلال وما أنت فيه من الهدى ولا والله ما كنت بالذي أُفارقك أبداً ولا أموت إلاّ تحت ركابك. ثم إنه كتب إلى معاوية أبياتاً:

كدت أهل العراق بالبلد الشام ... شفاهاً وكان كيدي ضعيفا

قال فلما انتهى شعره إلى معاوية ونظر إليه عجب لذلك ثم أقبل على من بحضرته وقال: **قاتله الله! لقد قال وأبلغ ويله، إنما بعثناه رسولاً فصار علينا محرّضاً**(١).

نتيجة تمهيد معاوية الأجواء للحرب بإرسال كتاب فارغ ورسائل تهديد على يد العبسي، أدرك الناس أنه لا يريد إلاّ الحرب. وأصبح واضحاً أن الانتهازيين الذين طالبوا بالإبقاء على معاوية لم يفهموا حقيقة نواياه الشريرة وأهدافه الدنيوية وتخطيطه للاستيلاء على الخلافة. من هنا فلم يكن

---

(١) "ثم إنه انتخب رجلاً من بني عبس له لسان طلق ومنطق ذلق وشعر لا يبالي ما قال وما يخرج من فيه، ثم دعا بطومارين فوصل أحدهما إلى الآخر فكتب في الطومارين: بسم الله الرحمن الرحيم لا أقل ولا أكثر. ثم طواهما وختمهما وعنونهما ودفعهما إلى العبسي وأرسله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام. فخرج العبسي إلى الكوفة حتى دخل على علي عليه السلام وعنده وجوه المهاجرين والأنصار، فسلّم ثم التفت يميناً وشمالاً فقال: ههنا أحد من بني عبس أو من أبناء قيس عيلان؟ فقيل له: نعم، هات ما عندك! فقال العبسي: عندي والله من الخبر أني قد تركت بالشام خمسين ألف شيخ خاضبين لحاهم بدموع أعينهم على قميص عثمان وإنهم قد عاهدوا الله عزّ وجلّ أنهم لا يشيمون سيوفهم في أغمادهم أبداً حتى يقتلوا من قتل عثمان، يوصي به الميت الحي، ويرثه الحي عن الميت، حتى والله لقد شبّ عليه الصغير وهاجر عليه الأعرابي، نعم والله وحتى أن الناس قد كانوا يقولون: تعس الشيطان! والآن فهم يقولون: تعس قاتل عثمان بن عفان! قال: فقال له علي: ويحك يا أخا بني عبس! فيريدون بذلك ماذا؟ فقال العبسي: يريدون والله خيط رقبتك! فقال له علي عليه السلام : تربت يداك وجدب فوك! قال: ثم وثب إليه رجل يقال له صلة بن زفر العبسي وهو صاحب حذيفة بن اليمان فقال له: بئس الوافد أنت يا أخي لأهل الشام وبئس العون لمعاوية! أتخوف المهاجرين والأنصار ببكاء الرجال على قميص عثمان؟ فوالله ما قميص عثمان بقميص يوسف ولا بكاؤهم عليه كبكاء يعقوب. ولئن بكوا عليه بالشام فقد خذلوه بالحجاز. وأما قتالهم أميرالمؤمنين علياً فإن الله عزّ وجلّ يصنع في ذلك ما يحب ويرضى. قال: وهمّ الناس بالعبسي وقاموا إليه بالسيوف، فقال علي عليه السلام: دعوه فإنه رسول ولكن خذوا منه الكتاب. قال: فأُخذ الكتاب= =من يده ودفع إلى علي، فلما فضه لم ير فيه شيئاً أكثر من "بسم الله الرحمن الرحيم" قال: فعلم أن معاوية يحاربه وأنه لن يجيبه إلى شيء، فقال: لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، حسبي الله ونعم الوكيل. فأنشأ قيس بن سعد بن عبادة وهو يرتجز ويقول شعراً. قال: ثم إن العبسي رسول معاوية قام إلى علي عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين عليه السلام! والله لقد أقبلت... محرضاً". **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٠٤، خبر الوليد بن عقبة بن أبي معيط وسبب عداوته مع علي بن أبي طال عليه السلام.

قرار أمير المؤمنين عليه السلام بعزل معاوية موافقاً للشرع فحسب، بل كان مؤشراً على تشخيصه الدقيق لنواياه وأهدافه.

النقطة الأخرى المهمة في هذا السياق هي أنه بالرغم من ضخامة الإعلام المعادي لأمير المؤمنين عليه السلام الذي قام به معاوية في الشام فإن معاملة الإمام عليه السلام لرسول معاوية أفشلت كل تلك الشبهات وحولته إلى رجل على استعداد للتضحية بنفسه من أجل الإمام.

رسائل الإمام علي عليه السلام إلى بعض الولاة

بعد هذه الحوادث كتب أمير المؤمنين عليه السلام رسالة إلى عدد من الولاة منهم الأشعث بن قيس[١] والي آذربايجان وجرير بن عبدالله البجلي حاكم همدان أعلن فيها عزلهما ونيته الحرب على معاوية وأمرهما بتجهيز جيش وإرساله إلى الكوفة. وكان موقف جرير من رسالة أمير المؤمنين عليه السلام مختلفاً عن موقف الأشعث. فعندما استلم الرسالة جمع الناس في مسجد المدينة وخطب فيهم مادحاً أمير المؤمنين فقال: **أيها الناس! هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو المأمون على الدين والدنيا وقد كان من أمره وأمر عدوه ما حمد الله عليه وقد بايعه المهاجرون والأنصار وأنتم التابعون**

---

(١) الأشعث بن قيس الكندي ولد في كندة في الجاهلية وكان رئيسا مطاعا في قبيلته ومن صحابة النبي صلى الله عليه وآله. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج١، ص٢٢٠، ترجمة الأشعث بن قيس، الرقم ١٣٥. للأشعث في تاريخ الإسلام شخصية متلونة وداكنة فقد ارتد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فعفا عنه أبوبكر وزوجه أخته. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ج٢، ص٢٨٨، ترجمة الأشعث بن قيس، الرقم ٥٢٥ ؛ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ج٢، ص٢٨٧، ترجمة أشعث بن قيس، الرقم ٥٢٥. كان الأشعث في زمن عثمان واليا على آذربايجان وكان عثمان يهبه كل سنة مئة ألف درهم من خراجها. **الغارات**، ج١، ص٣٦٥، خبر بني ناجية ؛ وقعة صفين، ص٢٠، مبايعة جرير لعلي عليه السلام. وبالرغم من أنه كان في جيش الإمام علي عليه السلام إلا أنه كان من الذين يعترضون على قراراته ويعملون على تأزيم أوضاع الجيش بحيث تنسب إليه جميع جذور الخلافات في جيش أميرالمؤمنين عليه السلام، ولولاه لما وقعت حرب النهروان. **شرح نهج البلاغة**، ج٢، ص٢٧٩، ذيل الخطبة ٣٦، أخبار الخوارج. وفي مقارنة طريفة يشبهه ابن أبي الحديد المعتزلي بعبد الله بن أبي ويقول: كان منافقا بين أصحاب علي كما كان عبد الله بن أبي في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وكان كلاهما رأس النفاق في زمانه. نفسه، ص٢٩٧. في إحدى خطب أميرالمؤمنين عليه السلام اعترض الأشعث بن قيس عليه فوبخه بشدة وقال عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين. أيها الكذاب بن الكذاب أيها المنافق بن الكافر والله لقد وقعت في الأسر وأنت كافر مرة وأنت مسلم مرة ولم تشفع لك أموالك ولا منزلتك. **نهج البلاغة**، الخطبة ١٩. يقول ابن شهرآشوب إن الأشعث بن قيس أعان ابن ملجم ووردان في قتل الإمام علي عليه السلام وأشار إلى ابن ملجم أن يُسرع في تنفيذ الجريمة. **مناقب آل أبي طالب**، ج٣، ص٣١٢، في مقتله عليه السلام. كانت ابنة الأشعث بن قيس زوجاً للإمام الحسن عليه السلام وهي التي قتلته بالسم. أما ابنه محمد بن الأشعث فكان المسؤول عن القبض على مسلم بن عقيل بعد أن أعطاه الأمان الكاذب ثم لم يف به. مات الأشعث في سنة ٤٠ هجرية بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام بأربعين يوماً تقريباً. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج١، ص٢٢١، ترجمة الأشعث بن قيس، الرقم ١٣٥ ؛ **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج١، ص٢٥١، ترجمة الأشعث بن قيس، الرقم ١٨٥ ؛ **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**، ج٢، ص٥٧، إرسال ابن زياد الرجال للقبض على مسلم.

بإحسان ولو جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين لكان أحق الناس بهذا الأمر لمصاهرته وقرابته وخدمته وشجاعته وهجرته، غير أن البقاء في الجماعة والعناء في الفرقة وعلي حاملكم على الحق ما استقمتم، فإن ملتم أقام ميلكم. فهاتوا ما عندكم من الرأي! فقال الناس: سمعنا وأطعنا وبايعنا أمير المؤمنين علياً عليه السلام[١].

أما الأشعث بن قيس، فرغم أنه لما قرأ كتاب أمير المؤمنين عليه السلام توجه إلى المسجد وأعلن أن بيعة علي واجبة، إلاّ أن ما فعله كان نفاقاً من أجل أن يجد وسيلة للهرب واللجوء إلى معاوية. لذا، قال لجماعة من أقربائه بعد أن فرغ من خطبته: **إن كتاب علي جاءني وقد أوحشني وهو آخذي بمال آذربايجان وأنا لاحق بمعاوية.فقال القوم: الموت خيرٌ لك من ذلك، أتدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنباً لأهل الشام**[٢]؟

أخيراً دخل جرير بن عبدالله البجلي والأشعث بن قيس الكوفة مع جندهما. في تلك الفترة كان رؤساء القبائل قد وفدوا على الإمام علي عليه السلام، وكان بينهم الأحنف بن قيس أخو الأشعث بن قيس. فجاء الإمامَ عليه السلام وقال له: **يا أمير المؤمنين! إنه إن تك سعد لم تنصرك يوم الجمل فإنها لم تنصر عليك، وقد عجبوا أمس ممن نصرك وعجبوا اليوم ممن خذلك، لأنهم شكوا في طلحة والزبير ولم يشكوا في معاوية. وعشيرتنا بالبصرة، فلو بعثتنا إليهم فقدموا إلينا فقاتلنا بهم العدو وانتصفنا بهم وأدركوا اليوم ما فاتهم أمس**[٣].

---

(١) "فوثب جرير وأخذ كتاب علي في يده، ثم خرج إلى الناس فنادى فيهم فاجتمعوا، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس!... أميرالمؤمنين علياً [عليه السلام]". **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٠٩، ذكر كتاب علي إلى جرير بن عبد الله البجلي ؛ **وقعة صفين**، ص١٦، كتبه إلى العمال.

(٢) "فقام الأشعث بن قيس خطيباً فقال: أيها الناس! إن عثمان رحمه الله ولاّني آذربايجان وهلك وهي في يدي وقد بايع الناس علياً وطاعتنا له لازمة وقد كان من أمره وأمر عدوه ما قد بلغكم وهو المأمون على ما غاب عنا وعنكم من ذلك. قال: وذكروا أن الأشعث رجع إلى منزله، فدعا أهل ثقته من أصحابه، فقال لهم: إن كتاب علي جاءني.............. لأهل الشام". **وقعة صفين**، ص٢١، كتابه عليه السلام إلى عماله ؛ **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥١٢، كتاب علي [عليه السلام] إلى الأشعث بن قيس.

(٣) "فتكلم الأحنف فقال: يا أميرالمؤمنين.. أمس". **وقعة صفين**، ص٢٤، وفود القوم على علي عليه السلام.

ثم بعث إليهم بكتاب بإذن أمير المؤمنين عليه السلام يحثهم فيه إلى المجيء إلى الكوفة؛ وهكذا دخلت قبيلة بني سعد أيضاً الكوفة[١].

إثر توافد القبائل المختلفة، لبست الكوفة ثوباً حربياً وتهيأ كل شيء لمواجهة معاوية. غير أن أمير المؤمنين عليه السلام قرر إرسال سفير آخر إلى الشام إتماماً للحجة عليهم عسى أن يمنع ذلك وقوع الحرب.

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٥.

إرسال السفير الثاني إلى الشام

كان بين جرير بن عبدالله البجلي [١] ومعاوية صداقة سابقة وكان على علاقة قرابة مع جماعة من أهل الشام. لذا اقترح أن يكون هو حامل رسالة الإمام عليه السلام إلى معاوية[٢].

فوافق الإمام عليه السلام على مقترحه ولكن مالكاً الأشتر ارتاب في أمره إذ كان يحسب هواه مع بني أُمية. ولم يكن ارتياب مالك الأشتر بدون أساس، حيث يقول ابن الجوزي إنه لما عزله أمير المؤمنين عليه السلام عن ولاية همدان حقد عليه[٣].

ولكنّ مصلحة كان يعلمها علي عليه السلام ـ سنبينها لاحقاً ـ جعلته يرسله سفيراً إلى الشام. ولما وصل جرير إلى الشام توجه إلى معاوية فقال له: **أما بعد يا معاوية! فإنه قد اجتمع لابن عمك أهل الحرمين وأهل المصرين وأهل الحجاز وأهل اليمن وأهل مصر وأهل العروض وعمان وأهل البحرين واليمامة،**

---

(١) كان جرير بن عبد الله البجلي رئيس قبيلة بجيلة. يقول أنه أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله بأربعين يوماً. وهناك اختلاف حول سنة وفاته، بين ٥١ و٥٤ للهجرة. يقول عنه ابن أبي الحديد: كان جرير والأشعث يبغضان أميرالمؤمنين عليه السلام ويعاديانه وكان الإمام عليه السلام قد هدم دار جرير. كما يقول إسماعيل بن جرير: هدم علي عليه السلام دارنا مرتين. وللنبي تنبؤ طريف عن إسلامه يبين سوء عاقبته. ينقل الحارث بن الحصين أن النبي صلى الله عليه وآله أعطاه زوجاً من أحذيته وقال له: احفظ هذا فإذا ضيعته ضاع دينك. ففقد فردة من الحذاء في حرب الجمل وفقد الأُخرى عندما بعث به أميرالمؤمنين عليه السلام إلى الشام. وعندما عاد من الشام ترك أميرالمؤمنين عليه السلام ولم يحضر صفين. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج١، ص٣٠٨، ترجمة جرير بن عبد الله البجلي، الرقم ٣٢٦ ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٣، ص١١٧، ذيل الخطبة ٤٣، نسب جرير وبعض أخباره، وج٤، ص٧٤، ذيل الخطبة ٥٧، فصل في ذكر المنحرفين عن علي عليه السلام.

(٢) "أراد علي أن يبعث إلى معاوية رسولاً فقال له جرير: ابعثني إلى معاوية، فإنه لم يزل لي مستنصحاً ووداً، فآتيه فأدعوه على أن يسلم لك هذا الأمر ويجامعك على الحق، على أن يكون أميراً من أُمرائك وعاملاً من عمّالك ما عمل بطاعة الله واتبع ما في كتاب الله وأدعو أهل الشام إلى طاعتك وولايتك وجلّهم قومي وأهل بلادي وقد رجوت أن لا يعصوني". نفسه، ص٢٧.

(٣) "وكان كما قال الأشتر، لأنّ جريراً كان ممن يضمر الغش لعلي عليه السلام وسببه أنه لما قتل عثمان كان جرير والياً على همدان، فعزله علي عليه السلام عنها، فأثر في قلبه". **تذكرة الخواص**، ج١، ص٣٩٧، الباب الثالث، حديث بعض وقعاته بصفين.

فلم يبق إلاّ أهل هذه الحصون التي أنت فيها، لو سال عليها سيل من أوديتها غرق وقد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مبايعة هذا الرجل(١).

بعد أن قال جرير هذا سلّم معاوية كتاب أمير المؤمنين عليه السلام الذي كتب فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن صخر. أما بعد يا معاوية! فقد علمت أن الشورى للمهاجرين والأنصار دون غيرهم، فإذا اجتمعوا على رجل فسموه إماماً كان لله عزّ وجلّ رضا، فإن خرج من أمرهم خارج ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين. وقد علمت بما كان بالبصرة مما لا يخفى عليك، فجاهدتهم حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون. وبعد فإني أراك قد أكثرت في قتل عثمان، فادخل فيما دخل فيه المسلمون من بيعتي، ثم حاكم القوم إليّ أحملهم وإياك على كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وأما التي تريدها فإنها خدعة صبي عن اللبن. ولعمري لئن نظرت بعقلك لعلمت أني أبرأ الناس من دم عثمان! وقد علمت أنك من أبناء الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة وقد وجهت إليك بجرير بن عبدالله البجلي وهو من أهل الإيمان والهجرة. وأحب الأشياء إليّ فيك العافية إلاّ أن تتعرض للبلاء، فإن تعرضت قابلتك واستعنت الله عليك ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم)(٢).

إن هذا الكتاب يكشف لنا أن الإمام عليه السلام خاطب، مرة أُخرى، معاوية وفق الأدبيات والقناعات التي يحملها وأثبت له أحقيته بالخلافة بالمنطق الذي يرتضيه. نحن نعتقد أن الإمام منصوب من الله ولا دور للناس في منح حكمه الشرعية أو سلبها منه، ولكنه يطرح موضوع الشورى وانحصارها في المهاجرين والأنصار إلزاماً لمعاوية بما يلزم به نفسه من اعتقاد لم يألُ الإمام

---

(١) "فانطلق جرير حتى أتى الشام ونزل بمعاوية، فدخل عليه فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد! ... هذا الرجل". **وقعة صفين**، ص٢٨، نزول جرير على معاوية.

(٢) **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥١٥، ذكر كتاب علي [عليه السلام] إلى معاوية.

علي عليه السلام جهداً في درء الفتنة والمواجهات داخل المجتمع. لذا تفيد الشواهد التاريخية بأنه أمضى سبعة عشر شهراً يكاتب فيها معاوية وعمرو بن العاص ويتلقى منهم الرسائل[١].

ولهذا السبب نفسه أيضاً بعث بجرير بن عبدالله إلى الشام عسى أن يأخذ بيعة أهلها بالطرق السلمية.

---

(١) "أن علياً قدم من البصرة مستهل رجب الكوفة وأقام بها سبعة عشر شهراً يجري الكتب فيما بينه وبين معاوية وعمرو بن العاص". **وقعة صفين**، ص٨٠، مدة المكاتبة بين علي ومعاوية وعمرو ؛ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ج٣، ص٥٣٩، حوادث سنة ٣٧ هجرية.

خطبة جرير في الناس

بعد أن سلّم الكتاب إلى معاوية، ومن أجل أن يقنع الناس بمبايعة أمير المؤمنين عليه السلام، ذهب جرير في صبيحة اليوم التالي إلى المسجد الأعظم وخاطب الناس بحضور معاوية وقال: **أيها الناس! إن هذا الدين لا يحتمل الفتن، وإن الناس قد بايعوا علياً عليه السلام غير واتر ولا موتور. وقد كانت البصرة أمس ملحمة لم يسمع بمثلها. وقد بايعنا علي بن أبي طالب عليه السلام على ما بايعه المهاجرون والأنصار. ولو ملكنا أُمورنا لم نختر للخلافة أحداً سواه. فاتق الله يا معاوية واحذر في نفسك، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. فادخل فيما دخل فيه الناس. فإن قلت بأن عثمان بن عفان استعملني ولم يعزلني، فإن الأمر لو جاز كما قلت لم يقم لله دين وكان لكل امرئ ما في يديه. ولكن قد جعل الله تبارك وتعالى للآخر من الولاء مثل حق الأول**[1].

من الحجج التي احتج بها معاوية ليبرر بها مخالفته لأمير المؤمنين عليه السلام تعيينه من قبل عمر وعثمان حاكماً على الشام، لذا فلا حق لعلي عليه السلام أن يخالف سيرة الخلفاء. وكانت حجة واهية أدحضها جرير بسهولة. فلكل خليفة، كما للخلفاء السابقين له، الحق في عزل الولاة وتعيينهم.

---

(١) "فلما أصبح جرير أقبل إلى المسجد الأعظم فاجتمع إليه الناس وحضر معاوية، فجعل جرير يعظهم ويدعوهم إلى بيعة علي عليه السلام ثم قال: أيها الناس!.... حق الأول". **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥١٨، ذكر كتاب علي عليه السلام إلى معاوية.

خطبة معاوية في المسجد

بعد جرير، ارتقى معاوية المنبر فخطب قائلاً: **الحمد لله الذي جعل الدعائم للإسلام أركاناً والشرائع للإيمان برهاناً، يتوقد قبسه في الأرض المقدسة التي جعلها الله محل الأنبياء والصالحين من عباده، فأحلها أهل الشام ورضيهم لها ورضيها لهم، لما سبق من مكنون علمه من طاعتهم ومناصحتهم خلفاءه والقوام بأمره والذابين عن دينه وحرماته. ثم جعلهم لهذه الأُمة نظاماً وفي سبيل الخيرات أعلاماً، يردع الله بهم الناكثين ويجمع بهم اُلفة المؤمنين. والله نستعين على ما تشعب من أمر المسلمين بعد الالتئام وتباعد بعد القرب اللّهُمَّ انصرنا على أقوام يوقظون نائمنا ويخيفون آمننا ويريدون هراقة دمائنا وإخافة سبيلنا. وقد يعلم الله أنا لم نرد بهم عقاباً ولا نهتك لهم حجاباً ولا نوطئهم زلقاً غير أن الله الحميد كسانا من الكرامة ثوباً لن ننزعه طوعاً ما جاوب الصدى وسقط الندى وعرف الهدى. حملهم على خلافنا البغي والحسد، فالله نستعين عليهم. أيها الناس! قد علمتم أني خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأني خليفة عثمان بن عفان عليكم، وأني لم أُقم رجلاً منكم على خزاية قط، وأني ولي عثمان وقد قتل مظلوما والله يقول (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً) وأنا اُحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان.**

فقام أهل الشام بأجمعهم فأجابوا إلى الطلب بدم عثمان وبايعوه على ذلك وأوثقوا له على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم أو يدركوا بثأره أو يفني الله أرواحهم[١].

ولنا على خطبة معاوية الملاحظات التالية:

الأُولى: من أساليب معاوية في خداع أهل الشام أن جهازه الإعلامي يكرر دائماً روايات موضوعة في تمجيد منطقة الشام[١] واعتبارها وأهلها مقدسين وجعلها قطباً مقابلاً لمكة والمدينة لصرف أنظار

---

(١) **وقعة صفين**، ص٣١، نزول جرير على معاوية ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٣، ص٧٧، ذيل الخطبة ٤٣، دعوة علي معاوية إلى البيعة والطاعة وردّ معاوية.

الناس عن مهبط الوحي ومكان مولد النبي ﷺ. وفي خطبته هذه اتبع معاوية الأُسلوب ذاته فسمّى الشام بالأرض المقدسة ونعت أهلها بأنهم مثال الطيبات والمحاسن.

الثانية: عمل معاوية، طول فترة حكمه للشام والبلاد الإسلامية، على تبرير أفعاله بنظرية الجبر. فكان يلقي في أذهان الناس أن كل ما يحدث هو بإرادة الله ورضاه، وأنه لا يملك شيئاً حيال ذلك. لذا فلا حق لأحد في الاعتراض على طريقته في إدارة الأُمور واتبع هذا الأُسلوب أيضاً في إثبات شرعية تمسكه بالحكم فوصف إمارته على الشام بالثوب الذي ألبسه إياه الله، بحيث لا يحق له هو نفسه أن يخلعه عن نفسه. إذن، فعزل أمير المؤمنين عليه السلام له مخالف لإرادة الله ومشيئته. وهكذا خدع الناس بأُسلوبه الماكر وأعدّهم لمواجهة الإمام عليه السلام.

الثالثة: ادّعى معاوية أن السبب الوحيد الذي من أجله عزله أمير المؤمنين عليه السلام هو الحسد وحب الرئاسة، وحاول أن يلبس القضية ثوباً شخصياً.

الرابعة: من أسباب قوة بني اُمية أن الخلفاء أسندوا إليهم الحكم وأطلقوا لهم الحرية لعمل ما يشاؤون. لذا يعتبر معاوية أن شرعية حكمه للشام متأتية من تولية عمر وعثمان له ويعتبر عزل أمير المؤمنين عليه السلام له فاقداً للوجه الشرعي.

الخامسة: نظراً إلى أن معاوية لم يكن يجد مقومات مواجهة أمير المؤمنين عليه السلام مهيأة، فإنه لم يوجه الاتهام إليه بقتل عثمان واكتفى بأن أعلن نفسه ولي دم القتيل. الجزء الأول من **تاريخ دمشق** يعرض مثالاً لهذا النوع من الروايات.

كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص

خلال فترة إقامته في الشام، حاول جرير أكثر من مرة إقناع معاوية بمبايعة الإمام علي عليه السلام؛ ولكنه كان في كل مرة يتهرب من الإجابة الصريحة ويقول له بأنه يطلب منه أمراً صعباً لا يريد التسرع فيه. ذلك من أجل كسب الوقت لتوفير الاستعدادات الكافية لمواجهة أمير المؤمنين عليه السلام ولم تكن المواجهة سهلة بحيث يستطيع أن يتدبرها بمفرده. لذا أرسل كتاباً خاصاً إلى عمرو بن العاص الذي كان يسكن فلسطين حينئذ يطلب منه المساعدة، وأرسل إليه كتاباً آخر يرغبه بالتوجه إلى الشام، جاء فيه: **أما بعد، فإنه قد كان من أمر علي وطلحة والزبير وعائشة ما قد بلغك. فقد سقط إلينا مروان في رافضة أهل البصرة وقدم عليَ جرير بن عبدالله في بيعة علي وحبست نفسي عليك حتى تأتيني. فأقدم على بركة الله تعالى**[1].

الكتاب يفيض بمكر معاوية وخداعه. فبالرغم من أنه كان قد عزم على مواجهة أمير المؤمنين عليه السلام واتخذ قراره النهائي في ذلك، إلاّ أنه يتظاهر بأنه لا يقرر شيئاً ولا يفعله إلاّ بالتشاور مع عمرو بن العاص وبعد موافقته.

---

(١) **وقعة صفين**، ص٣٤، استشارة عمرو ولديه ؛ **الإمامة والسياسة**، ج١، ص٨٦، مشورة معاوية أهل ثقته، كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص، ما سأل معاوية من علي من الإقرار بالشام ومصر ؛ **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٢٠، ذكر كتاب علي عليه السلام إلى معاوية.

كما أرسل معاوية كتاباً مشابها إلى شرحبيل بن السمط[١] و فيه أيضا تظاهر بالتصاغر وإكبار مخاطبه[٢] لكي يجتذبه إلى جانبه تمهيداً لتشكيل جبهة قوية ضد عسكر العراق.

---

(١) هناك اختلاف حول كون شرحبيل صحابياً. فقد شارك في معركة القادسية وهو الذي فتح مدينة حمص و كان والياً عليها من قبل معاوية نحو عشرين سنة. وهناك اختلاف في زمن وفاته بين سنة ٤٠ و٤٢ هجرية. وفي زمن عمر بن الخطاب كان حاكماً على المدائن فترة من الزمن. ولكنه عاد الى الشام بناءً على طلب أبيه الذي ما كان يطيق فراقه فأصبح والياً للشام عشرين سنة. **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، ج٦، ص١١٢، السنة ٣٦ هجرية، شرحبيل بن السمط ؛ **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج٣، ص٢٦٦، ترجمة شرحبيل بن السمط، الرقم ٣٨٨٩ ؛ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ج٨، ص٣٠٨، ترجمة شرحبيل بن السمط، الرقم٢٦٩٩ ؛ **تاريخ دمشق الكبير**، ج٢٤، ص٣٩٢، ترجمة شرحبيل بن السمط، الرقم ٢٨١٠.

(٢) "فإننا نريد أن نستشيرك في أمرنا وقد حبسنا عليك أنفسنا وعلى مشورتك". **الفتوح**، ج١، ص٥٣٠، ذكر كتاب آخر من علي بن أبي طالب عليه السلام إلى جرير بن عبد الله.

حالة عمرو بن العاص بعد قتل عثمان

حمل عمرو بن العاص في قلبه كرهاً لعثمان إثر عزله عن ولاية مصر فصار يؤلب الناس عليه. وعندما حاصر الناس عثمان، وكان عمرو بن العاص حاقداً عليه، فخرج من المدينة مع ولديه فذهبوا إلى فلسطين ليتابع تطورات الأحداث من هناك. وكما فعل معاوية، كان يراقب الأوضاع لينتهز أول فرصة سانحة. ولما سمع بمقتل عثمان قال: **أنا أبوعبدالله يكون حرب من حك فيها قرحة نكأها**[١].

وقال مبيناً موقفه ممن يخلف عثمان: **إن يله طلحة فهو فتى العرب سيباً وإن يله ابن أبي طالب** عليه السلام **فلا أراه إلاّ سيستنظف الحق وهو أكره من يليه**[٢].

الملاحظة المهمة في كلام عمرو بن العاص هي أنه على الرغم من معرفته بحقانية أمير المؤمنين عليه السلام فإنه وقف بوجهه بسبب تعارض تلك الحقانية مع مطامعه الدنيوية. لذا، غضب لما سمع بمبايعة الناس لعلي عليه السلام وأخذ يتربص به ويتطلع لظهور قطب معارض له. وطار فرحاً لما سمع بتمرد معاوية على الدولة المركزية ومطالبته بدم عثمان ورجّحه على علي عليه السلام حتى أنه بعد أن عزم على الوقوف إلى جانب معاوية، قال لأبنائه: **أما علي فلا خير عنده وهو رجل يدل بسابقته وهو غير مشركي في شيء من أمره**[٣].

---

(١) "قال عمرو: أنا أبوعبد الله... نكأها". **تاريخ الطبري**، ج٣، ص٦٩، حوادث سنة ٣٦ هجرية، ذكر خبر عمرو بن العاص ومبايعته معاوية.

(٢) **تاريخ الطبري**، ج٣، ص٦٩، حوادث سنة ٣٦ هجرية، ذكر خبر عمرو بن العاص ومبايعته معاوية.

(٣) "فقال له قائل: إن معاوية بالشام لا يريد يبايع لعلي [عليه السلام] فلو قارنت معاوية. فكان معاوية أحب إليه من علي بن أبي طالب [عليه السلام]. وقيل له: إن معاوية يعظم شأن قتل عثمان بن عفان ويحرض على الطلب بدمه، فقال عمرو: ادعوا لي محمداً وعبد الله. فدعيا له، فقال: قد كان ما قد بلغكما من قتل عثمان وبيعة الناس لعلي وما يرصد معاوية من مخالفة علي. وقال: ما تريان، أما علي.. أمره". **تاريخ الطبري**، ج٣، ص٦٩، حوادث سنة ٣٦ هجرية، ذكر خبر عمرو بن العاص ومبايعته معاوية.

تشاور عمرو بن العاص مع أبنائه

قبل توجهه إلى الشام، أطلع عمرو بن العاص ابنيه على كتاب معاوية وطلب رأيهما. فقال له عبدالله وكان معارضاً للذهاب: **أرى أن نبي الله ﷺ قبض وهو عنك راض والخليفتان من بعده وقتل عثمان وأنت عنه غائب. فقر في منزلك فلست مجعولاً خليفة ولا تريد أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة أُوشك أن تهلك فتشقى فيها.**

على أن مراجعة أقوال النبي ﷺ تبين أن كلام عبدالله لا نصيب له من الحقيقة، وأن الرسول ﷺ لم يكن غير راض عن أبيه فحسب، بل لعنه أكثر من مرة على أفعاله الدنيئة. حيث يروى أن عمرو بن العاص كان ذات مرة يشرب الخمر مع الوليد بن عقبة وينشدان شعراً في هجاء شهداء أُحد، فسمعهما النبي ﷺ فغضب وقال: **اللّهُمَّ العنهما وأركسهما في الفتنة ركساً ودعّهما إلى النار دعّا**[١].

وروي أيضاً أن الإمام الحسن عليه السلام قال لعمرو بن العاص وكان معاوية حاضراً: **إنك هجوت رسول الله ﷺ بسبعين بيتاً من الشعر، فقال رسول الله ﷺ: اللّهُمَّ إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي، اللّهُمَّ العنه بكل حرف ألف لعنة**[٢].

وقال محمد: أرى أنك شيخ قريش وصاحب أمرها وإن تصم هذا الأمر وأنت فيه خامل تصاغر أمرك. فالحق بجماعة أهل الشام فكن يداً من أياديها واطلب بدم عثمان، فإنك قد استنمت فيه إلى بني أُمية.

---

(١) "قال رسول الله ﷺ لما مرّ بعمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبي معيط وهما في حائط يشربان ويغنيان بهذا البيت في حمزة بن عبدالمطلب حين قتل:

كم من حواري تلوح عظامه   وراء الحرب عند ان يجر فيقبرا (هكذا: م)

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: الله.. دعّا". **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، ج٢٠، ص٧٦، الباب١٢: غزوة أُحد وغزوة حمراء الأسد.

(٢) **شرح نهج البلاغة**، ج٦، ص٢٩١، ذيل الخطبة ٨٢، مفاخرة بين الحسن بن علي [عليه السلام] ورجالات من قريش.

فقال عمرو بعد أن سمع مقالتي ولديه المتضادتين: **أما أنت يا عبدالله فأمرتني بما هو خير لي في ديني. وأما أنت يا محمد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي**[١].

---

(١) **وقعة صفين**، ص٣٤، استشارة عمرو ولديه ؛ **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص٣٥٨، حوادث سنة ٣٦ هجرية.

نصيحة وردان غلام عمرو بن العاص

متأثراً برأيي ابنيه المتضاربين، تملك عمروَ بن العاص ترديد شديد بشأن الذهاب إلى الشام. وفي اليوم التالي استدعى غلامه وردان وكان يأمره بأوامر متعارضة. فيأمره بتجهيز عدة السفر، ثم ما يلبث أن يأمره بإنزالها.

تعجب وردان من اضطراب عمرو بن العاص فقال له: **لقد خلطت أباعبدالله، فإن شئت أخبرتك بما في نفسك.** قال (عمرو): **هات!** قال (وردان): **اعترضت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت: علي معه آخرة بلا دنيا ومعاوية معه دنيا بلا آخرة وليس في الدنيا عوض من الآخرة، فلست تدري أيهما تختار.** قال (عمرو): **لله درك ما أخطأت مما في نفسي شيئاً، فما الرأي يا وردان؟** قال (وردان): **الرأي أن تقيم في منزلك، فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغن عنك**[١].

قال (عمرو): **الآن وقد شهرتني العرب بمسيري إلى معاوية، ارحل يا وردان.** ثم أنشد عمرو وهو يسير: **فاخترت من طمعي دنيا على بصر .... وما معي بالذي أختار برهان**[٢].

---

(١) "فلما أصبح دعا وردان مولاه فقال له: أرحل يا وردان. ثم قال: حط يا وردان، فحط ورحل ثلاث مرات. فقال وردان: لقد خلطت... أرحل يا وردان". **تاريخ اليعقوبي،** ج٢، ص١٨٥، خلافة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب [عليه السلام] ؛ **وقعة صفين،** ص٣٦، حديث عمرو مع وردان ؛ **شرح نهج البلاغة،** ج٢، ص٦٣، أمر عمرو بن العاص ؛ **الإمامة والسياسة،** ج١، ص٩٦، استشارة عمرو بن العاص ابنيه ومواليه.

(٢) **وقعة صفين،** ص٣٦، حديث عمرو مع وردان ؛ **شرح نهج البلاغة،** ج٢، ص٦٣، أمر عمرو بن العاص.

دخوله على معاوية وعدم اعتنائه به

ثم توجه إلى الشام لينضم إلى بؤرة النفاق. وبالرغم من أن ذهاب عمرو بن العاص إلى الشام جاء استجابة لطلب معاوية، كما تقدم، فإن بعض النصوص التاريخية تفيد بأنه لما دخل عمرو الشام، لم يعتن معاوية به. فغضب عمرو وقال لمعاوية: **والله لعجب لك أني أرفدك بما أرفدك وأنت معرض عني! أما والله إن قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة إن في النفس من ذلك ما فيها حيث تقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته، ولكنّا إنما أردنا هذه الدنيا.**

عند ذاك أدرك معاوية أن عمرو بن العاص يوافقه المبدأ والموقف فالتفت إليه وشمله بلطفه[1]. وهكذا التحق عمرو بن العاص بمعاوية لكي يقدم ما في وسعه في مواجهة أمير المؤمنين عليه السلام مدفوعاً بأطماعه الدنيوية من أجل الحصول على المنصب. ولاشك في أنه لو لم يقتل عثمان لفتش هذان عن ذريعة أُخرى للتخلص من العدل العلوي. وشاهدنا على ذلك أن عمرو بن العاص واجه عائشة ذات يوم فقال لها: وددت أنك قتلت في حرب الجمل. فقالت له: لماذا لا أبا لك؟ فقال عمرو بن العاص: لكان مصيرك الجنة حسب التقدير الإلهي ولكنّا اتخذنا موتك ذريعة كبرى لتقويض جبهة علي[2].

---

(١) "ثم خرج ومعه ابناه حتى قدم على معاوية فوجد أهل الشام يحضون معاوية على الطلب بدم عثمان، وقال عمرو: أنتم على الحق اطلبوا بدم الخليفة المظلوم، ومعاوية لا يلتفت إليه. فقال لعمرو ابناه: ألا ترى معاوية لا يلتفت إليك؟ فانصرف إلى غيره. فدخل عمرو على معاوية فقال له: والله لعجب لك.. فصالحه معاوية وعطف عليه". **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص٣٥٨، حوادث سنة ٣٦ هجرية.

(٢) "قال لعائشة: لوددت أنك قتلت يوم الجمل. قالت: ولم لا أبا لك؟ قال: كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة ونجعلك أكبر التشنيع على علي بن أبي طالب". **شرح نهج البلاغة**، ج٦، ص٣٢٢، ذيل الخطبة ٨٣، نبذ من كلام عمرو بن العاص.

الاستشارة الأُولى لعمرو بن العاص

تزامن مع وصول عمرو بن العاص إلى الشام وقوع ثلاث حوادث شغلت معاوية ؛ فطرحها عليه جميعاً يطلب رأيه في كيفية مواجهتها.

الحادثة الأُولى: قيام محمد بن أبي حذيفة(١) بكسر باب سجن مصر والهروب منه مع مجموعة من السجناء.

الحادثة الثانية: تهيؤ قيصر الروم للهجوم بجيشه على الشام.

الحادثة الثالثة: وصول الإمام علي عليه السلام إلى الكوفة بعد انتصاره في حرب الجمل وتخطيطه للهجوم على الشام.

فقال عمرو بن العاص: **كل ذلك عظيم، أما محمد بن أبي حذيفة فتبعث إليه بالخيل، فإما أن يُقتل وإما أن يهرب، ولن يضرك هربه. وأما ملك الروم فتهدي إليه الهدايا من أواني الذهب والفضة وغير ذلك من أنواع الهدايا من طرائف الشام وتسأله الموادعة، فإنه يجيبك إلى ذلك . وأما علي بن أبي طالب فلا والله لا تخالفه ولا تقاتله.** قال معاوية: **ما قد قطع الرحم وفتن الأُمة وشق العصا وقتل الخليفة وعصى ربه وقتل ونقض ما كان في عنقه من بيعة أمير المؤمنين عثمان بن عفان.** فقال عمرو: **مهلاً يا معاوية! فإن علياً أوحد الناس في الفضائل وليس لك مثل هجرته ولا سابقته ولا صهارته ولا قرابته ولا قدمته ولا شجاعته، وإن له في الحرب حظاً سنياً ليس لأحد مثله، وإن له جداً وحداً وحظوة في العرب وبلاءً من الله ورسوله حسناً جميلاً.** فقال معاوية: **صدقت يا أباعبد**

---

(١) عدّ الشيخ الطوسي محمد بن أبي حذيفة من أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام. وكان حذيفة ابن أُخت معاوية ولكنه لم يكن يشبه خاله في شيء بل كان، فوق ذلك، يعاديه ويناصر أميرالمؤمنين عليه السلام. سجنه معاوية مدة من الزمن ثم أمر من حوله بجلبه من السجن ليعلن الندم عما سلف منه وينال من علي عليه السلام ليطلق سراحه. ولما أُحضر محمد عند معاوية، تكلم في قتل عثمان ثم التفت إلى معاوية فقال: لم يتغير خلقك ولم تتبدل طباعك منذ عرفتك في الجاهلية وبعد أن أسلمت ولم يزدك الإسلام شيئاً ولازلت باقياً على كفرك... لن أترك حب علي [عليه السلام] ما دمت حياً ولن أكف عن عداوتك. **رجال الكشي**، ص١٤٤، الحديث ١٢٦.

الله! هو كذلك ولكنّا نقاتله على ما في أيدينا ونلزمه دم عثمان بن عفان. فضحك عمرو من ذلك ثم قال: **واعجباه لهذا الكلام الذي أسمعه منك يا معاوية! إنه قد يجب عليّ وعليك أن لا نذكر شيئاً من أمر عثمان. أما أنت فخذلته حين استغاث بك وهو محصور بالمدينة فلم تنصره. وأما أنا فإني تركته عياناً وذهبت إلى فلسطين**[1].

عمرو بن العاص، الذي كان يعلم جيداً أن معاوية دعاه إلى الشام ليعينه على مواجهة أمير المؤمنين عليه السلام وأنه بمسيس الحاجة إليه، تظاهر في البداية بأنه مخالف للحرب لكي يفرض شروط تسليمه حكم مصر. وهذا الذي جعله يسهب في تعداد فضائل الإمام علي عليه السلام ويؤكد على أنه خصم قوي وأن مواجهته تتطلب استثماراً ضخماً على معاوية أن يتحمله إذا كان يريد المواجهة، وأن يستجيب لطلباته.

كما أن عمرو بن العاص سبق له، في كلام أكثر أهمية، أن ذكر فضائل لأمير المؤمنين عليه السلام لا ينتقص من أهميتها نية قائلها في ابتزاز معاوية، وذلك لأنها صادرة من عدو.

تفيد بعض المصادر التاريخية بأنه لما بعث معاوية بكتابه إلى عمرو بن العاص يطلب فيه مساعدته، ردّ عليه عمرو بن العاص بكتاب ذكر فيه نقاطاً مهمة تتعلق بفضائل الإمام علي عليه السلام. يروي سبط بن الجوزي الكتاب بهذا النص: **أما بعد فإني قرأت كتابك وفهمته، فأمّا ما دعوتني إليه من خلع ربقة الإسلام من عنقي والتهور معك في الضلالة وإعانتي إياك على الباطل واختراط السيف في وجه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه ووارثه وقاضي دينه ومنجز وعده وصهره على ابنته سيدة نساء العالمين وأبو السبطين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة. وأما قولك أنك خليفة عثمان، فقد عزلت بموته وزالت خلافتك. أما قولك إن أمير المؤمنين عليه السلام أشلى الصحابة على قتل عثمان فهو كذب وزور وغواية. ويحك يا معاوية! أما علمت أن أباالحسن**

---

(١) "قال: وسار عمرو حتى قدم على معاوية، فقرّبه وأدناه ورفع مجلسه، ثم قال: يا أباعبد الله! إنه قد طرقتنا من هذه الليلة أخبار ليس منها ورد ولا صدر. فقال عمرو: وما ذلك يا معاوية؟ فقال معاوية: أما أحد الأخبار فإن محمد بن أبي حذيفة كسر سجن مصر فخرج منه وخرج معه أصحابه وقد علمت أنه من آفات الدين، والخبر الثاني أن قيصر ملك الروم قد زحف بخيله ورجله ليغلب على الشام، والخبر الثالث أن علي بن أبي طالب نزل الكوفة فتهيأ للمسير إلى ما قبلنا، فهات ما عندك! فقال عمرو: كل ذلك عظيم... وذهبت إلى فلسطين". **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٢٣، ذكر كتاب علي [عليه السلام] إلى معاوية.

بذل نفسه لله تعالى وبات على فراش رسول الله ﷺ وقال فيه: "من كنت مولاه فعلي مولاه"؟ فكتابك لا يخدع ذا عقل وذا دين[1].

من النقاط التي ذكّر بها عمرو بن العاص معاوية أن معاوية ليس له من الماضي المشرّف ما يؤهله لمواجهة أمير المؤمنين عليه السلام. على أن كلام عمرو بن العاص هذا، وإن كان حقيقة واقعة، إلاّ أنه لا يمثل إلاّ جزءاً يسيراً من الحقيقة ؛ لأن معاوية لم يكن جديراً بالمقارنة بما هو أدنى شأناً من أمير المؤمنين عليه السلام بكثير. وهذا ما تكشف عنه مراجعة سيرته التي منها:

(١) "فكتب إليه عمرو: أما بعد... وذا دين" **تذكرة الخواص**، ج١، ص٤٠٤، الباب الثالث: خلافة أميرالمؤمنين [عليه السلام]، حديث بعض وقعاته مع معاوية بصفين.

سيرة معاوية وشخصيته

ولد معاوية بن أبي سفيان في مكة قبل البعثة النبوية بخمس سنوات[١] وعند ولادته ادّعى أُبوته أربعة أشخاص قال كلٌّ منهم أنه ابنه[٢].

وقد أشار زياد بن أبيه إلى هذه النقطة في جواب رسالة معاوية حيث قال: إن كنت ابن سمية فاعلم أنك ابن الجماعة [٣].

هناك ترديد قوي في انتساب معاوية إلى أبي سفيان، لأن رجلاً اسمه مسافر بن عمرو كان مغرماً بهند فواقعها. فلما شاع الخبر، هرب مسافر بن عمرو إلى الحيرة. فدعا عتبة أبو هند أباسفيان ووعده بمال كثير على أن يتزوج بهند ستراً لفضيحتها. فوافق أبوسفيان، وبعد زواجه بها بثلاثة أشهر، وُلد معاوية[٤]. كانت هند من النساء الفاحشات وكانت مشهورة بالفاحشة[٥]. وكانت بالإضافة إلى

---

(١) **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج٦، ص١٢٠، ترجمة معاوية بن أبي سفيان، الرقم ٨٠٨٧.

(٢) **تذكرة الخواص**، ج٢، ص٣٢، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ؛ **ربيع الأبرار**، ج٤، ص٢٧٥، باب القرابات والأنساب، الرقم ٩٩.

(٣) **شرح نهج البلاغة** ، ج١٦، ص١٨٣، ذيل الرسالة رقم ٤٤، نسب زياد بن أبيه وذكر بعض أخباره وكتبه وخطبه.

(٤) "أن مسافر بن عمرو بن أُمية بن عبدشمس كان ذا جمال وسخاء، عشق هنداً وجامعها سفاحاً، فاشتهر ذلك في قريش وحملت هند. فلما ظهر السفاح هرب مسافر من أبيها عتبة إلى الحيرة وكان فيها سلطان العرب عمرو بن هند. وطلب عتبة أباسفيان ووعده بمال كثير وزوجه ابنته هند. فوضعت بعد ثلاثة أشهر معاوية. ثم ورد أبوسفيان على عمرو بن هند أمير العرب فسأله مسافر عن حال هند فقال: إني تزوجتها. فمرض ومات". **نهج الحق وكشف الصدق**، ص٣١٢، نماذج أُخرى من نسب معاوية وأنسابه وهم الشجرة الملعونة ؛ **بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، ج٣٣، ص١٩٨، الباب السابع عشر: باب ما ورد في معاوية وعمرو بن العاص.

(٥) "كانت هند تذكر في مكة بفجور وعهر". **شرح نهج البلاغة**، ج١، ص٣٣٦، ذيل الخطبة ٢٤، نسب معاوية وبعض أخباره.

فجورها وعهرها قاسية القلب وحشية، وهذا ما ظهر منها جلياً في معركة أُحد. فبعد استشهاد حمزة سيد الشهداء عمدت إليه انتقاماً فبقرت بطنه سواستخرجت كبده وشوته وأكلته [١].

لقد مثّلت هند بأجساد الشهداء في معركة أُحد فقطعت آذانهم وأُنوفهم وشفاههم وصنعت منها قلادة وخلخالاً وضعتهما في رقبتها وساقها، وكافأت وحشي قاتل حمزة بأن أهدته عقودها وأقراطها هي وجواريها[٢].

أسلم معاوية يوم فتح مكة[٣] ولكن إسلامه كان إسلام نفاق ظاهرياً ولم يسلم حقيقة أبداً. يقول ابن أبي الحديد في دينه: **قد طعن كثير من أصحابنا في دين معاوية ولم يقتصروا على تفسيقه وقالوا عنها** (هكذا: م) **إنه كان ملحداً الاستيعاب في معرفة الأصحاب،** ج٤، ص٤٧٤، ترجمة هند بنت عتبة، الرقم ٣٥٤٨.

لا يعتقد بالنبوة [٤].

وقد قال للمغيرة بن شعبة مرة أنه لن يقر له قرار حتى يدفن اسم النبي وذكره [٥].

لقد بلغ عداؤه لأهل بيت النبي ﷺ أن كان يتمنى أن لا يبقى من بني هاشم أحد حياً [٦].

---

(١) "فزرقه وحشي الحبشي فقتله وأخذ كبده فأتى بها هند بنت عتبة فمضغتها ثم لفظتها، وجاءت فمثلت به واتخذت مما قطعت منه مسكين ومعضدتين وخدمتين. وأعطت وحشياً حلياً كان عليها من ورق وجزع ظفار، وظفار جبل باليمن يؤتى منه بهذه الحجارة، وأعطته خواتيم ورق كانت في أصابيع رجلها". **أنساب الأشراف،** ج١، ص٣٩٣، غزوة أُحد.

(٢) **أُسد الغابة في معرفة الصحابة،** ج٥، ص٢٠١، ترجمة معاوية بن أبي سفيان، الرقم ٤٩٨٤.

(٣) "... ونقلوا عنه في فلتات كلامه وسقطات ألفاظه ما يدل على ذلك". **شرح نهج البلاغة،** ج٥، ص١٢٩، شرح الخطبة ٦٠، أخبار متفرقة عن أحوال معاوية.

(٤) **شرح نهج البلاغة،** ج٣، ص١٢٩ و١٣١، ذيل الخطبة ٦٠، أخبار متفرقة عن معاوية.

(٥) "منها قوله عليه السلام: لودّ معاوية أنه ما بقي من بني هاشم نافخ ضرمة". **شرح نهج البلاغة،** ج١٩، ص١٢٩، نبذ من غريب كلام الإمام علي عليه السلام وشرحه لابن قتيبة.

(٦) **شرح نهج البلاغة،** ج٤، ص٧٣، ذيل الخطبة ٥٦، فصل في ذكر الأحاديث الموضوعة في ذمّ علي عليه السلام.

وكان عداؤه لأمير المؤمنين عليه السلام مضاعفاً ؛ فقد هلك الكثير من أقربائه على يد علي عليه السلام في مختلف المعارك. فكان يلاحق كل من يروي شيئاً من فضائل الإمام ويعاقبه بقسوة[١].

وبلغ بغضه وبغض أنصاره لعلي عليه السلام أن كانوا يتمنون أن يمحى اسمه تماماً وأن لا يسمي أحدٌ مولوداً له باسمه ؛ فكان بنواُمية يقتلون كل من يتسمى باسمه. وحين سمّى رباح ابنه علياً قال لأزلام بني اُمية: إن اسمه "عُلَيّ"[٢].

قال قوم لمعاوية: **يا أمير المؤمنين إنك قد بلغت ما أمّلت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل**! فقال: **لا والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير ولا يذكر له ذاكر فضلاً**[٣].

وقتل معاوية كثيراً من الشيعة لحبهم لعلي عليه السلام، وفعل عمّاله مثل ما فعل[٤].

ولم يكن يعادي الدين والشريعة في قرارة نفسه فحسب، بل كان يجاهر بعدواته. فحين حدث جدال بين عبدالرحمن بن خالد ونصر بن الحجاج على ابن ادّعى كل واحد منهما أنه له، حكم معاوية بالولد لعبدالرحمن بن خالد وفق حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاعترض نصر بن الحجاج على حكم معاوية وقال له: فلم لم تحكم بالحكم نفسه في قضية زياد ابن أبيه؟ فقال معاوية: "**ذاك حكم معاوية وهذا حكم رسول الله**"[٥].

---

(١) "كانت بنو اُمية إذا سمعوا بمولود اسمه علي قتلوه، فبلغ ذلك رباحاً فقال: هو عُلَيّ وكان يغضب من علي ويحرج من سماه به". **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ج١٣، ص٢٦٦، ترجمة علي بن رباح، الرقم ٤٦٥١.

(٢) "روى أبوعثمان أيضاً أن قوماً من بني اُمية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين!... ذاكر فضلاً". **شرح نهج البلاغة**، ج٤، ص٥٧، ذيل الخطبة ٥٦، فصل في ما ورد من سب معاوية وحزبه لعلي.

(٣) "دعا بسر بن أرطاة وكان قاسي القلب فظاً سفاكاً للدماء لا رأفة عنده ولا رحمة، فأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكة حتى ينتهي إلى اليمن، وقال له: لا تنزل على بلد أهله على طاعة علي إلاّ بسطت عليهم لسانك حتى يروا أنهم لا نجاة لهم وأنك محيط بهم. ثم اكفف عنهم وادعهم إلى البيعة لي. فمن أبى فاقتله واقتل شيعة علي حيث كانوا". **شرح نهج البلاغة**، ج٢، ص٦، ذيل الخطبة ٢٥، بعث معاوية بسر بن أرطاة إلى الحجاز واليمن.

(٤) **العقد الفريد**، ج٦، ص١٣٣، كتاب المرجانة الثانية في النساء وصفاتهن.

(٥) **مسند أحمد بن حنبل**، ج٥، ص٣٤٧، حديث بريدة الأسلمي.

يقول عبدالله بن بريدة: نزلت مع أبي ضيوفاً على معاوية. بعد تناول الغداء شرب معاوية خمراً ودعانا إلى الشرب، فقال له أبي: لم أشربها بعد أن حرّمها رسول الله ﷺ[١].

أُرسل عبدالرحمن بن سهل إلى الشام في عهد عثمان للمشاركة في الحرب. فمرّت أمامه قافلة محمّلة بالخمر، فغضب عبدالرحمن بن سهل فعمد إلى قراب الخمر فبقرها بسهم. فبلغ الخبر معاوية فقال: دعوا عبدالرحمن بن سهل فقد هرم وذهب عقله[٢].

لقد بلغ عداء معاوية للدين والشرع أن كان يأتي بالأصنام إلى الشام. يقول أبووائل: كنت مع مسروق في منطقة السلسلة فمرت بنا سفن محمّلة بالأصنام والتماثيل النحاسية. فسألنا عن البضاعة فقيل: الأصنام والتماثيل بعث بها معاوية إلى أرض السند والهند تباع له فقال مسروق: **لو أعلم أنهم يقتلونني لغرّقتها ولكني أخاف أن يعذبوني ثم يفتنوني. والله ما أدري أي الرجلين معاوية، أرجلٌ قد يئس من الآخرة فهو يتمتع من الدنيا أم رجلٌ زُيّن له سوء عمله**[٣]؟

---

(١) **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٣، ص٤٥٤، الرقم ٣٣٢٨.

(٢) "عن أبي وائل قال: كنت مع مسروق بالسلسلة فمرّت به سفائن فيها أصنام من صفر تماثيل الرجال، فسألهم عنها فقالوا: بعث بها معاوية... سوء عمله". **أنساب الأشراف**، ج٥، ص١٣٧، معاوية بن أبي سفيان.

(٣) "أن رسول الله ﷺ قال لمعاوية: لتتخذن... عظيم". **شرح نهج البلاغة**، ج٤، ص٧٩، شرح الخطبة ٥٦، فصل في ذكر المنحرفين عن علي [عليه السلام].

وكان النبي ﷺ قد تنبّأ بمثل تلك الأيام وقال لمعاوية في حياته: **لتتخذن يا معاوية البدعة سنة، والقبح حسناً، أكلك كثير وظلمك عظيم**[١] وكان لبس الذهب والحرير[٢] وأكل الربا [٣] وغيرها من بين مخالفات معاوية الصريحة للشرع المقدس.

ولقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يعرف حقيقة شخصية معاوية وماضيه. فبعد تراخي جنده في حرب صفين واستسلامهم لفتنة التحكيم أشار عليه السلام بصراحة إلى كفر معاوية وأصحابه فقال: **عباد الله! امضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم فإن معاوية وعمرواً وابن أبي معيط وحبيباً وابن أبي سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن. أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالاً ثم رجالاً، فكانوا شر أطفال وشر رجال** [٤].

---

(١) "قال: وفد المقدام بن معد يكرب وعمرو بن الأسود ورجل من بني أسد من أهل قنسرين إلى معاوية بن أبي سفيان، فقال معاوية للمقدام: أعلمت أن الحسن بن علي توفي؟ فرجع المقدام. فقال له رجل: أتراها مصيبة؟ قال له: ولم لا أراها مصيبة وقد وضعه رسول الله ﷺ في حجره فقال: هذا مني وحسين من علي!؟ فقال الأسدي: جمرة أطفأها الله عزّ وجلّ. قال: فقال المقدام: أما أنا فلا أبرح اليوم حتى أغيظك وأُسمعك ما تكره. ثم قال: يا معاوية! إن أنا صدقت فصدقني وإن أنا كذبت فكذبني. قال: أفعل. قال: فأنشدك بالله هل تعلم أن رسول الله ﷺ نهى عن لبس الذهب؟ قال: نعم. قال: فأنشدك بالله، هل سمعت رسول الله [ﷺ] ينهى عن لبس الحرير؟ قال: نعم. قال: فأنشدك بالله، هل تعلم أن رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] نهى عن لبس جلود السباع والركوب عليها؟ قال: نعم. قال: فوالله لقد رأيت هذا كله في بيتك يا معاوية". **سنن أبي داود**، ج٤، ص٦٨، كتاب اللباس، باب في جلود النمور، الحديث ٤١٣١.

(٢) "أن معاوية بن أبي سفيان باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها، فقال له أبوالدرداء: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا إلاّ مثلاً بمثل. فقال له معاوية: ما أرى بمثل هذا بأساً. فقال أبوالدرداء: من يعذرني من معاوية؟ أنا أُخبره عن رسول الله ﷺ ويخبرني عن رأيه". **الموطأ**، ج٢، ص٦٣٤، كتاب البيوع، الحديث ٣٣.

(٣) "قال لهم علي: عباد الله!... وشر رجال". **الكامل في التاريخ**، ج٣، ص٣٨٦، حوادث سنة ٣٦ هجرية، رفع المصاحف والدعوة إلى الحكومة.

(٤) "عن حبيب بن أبي ثابت قال: لما كان قتال صفين قال رجل لعمار: يا أبااليقظان! ألم يقل رسول الله ﷺ قاتلوا الناس حتى يسلموا، فإذا أسلموا عصموا مني دماءهم وأموالهم؟ قال: بلى ولكن والله ما أسلموا... عليه أعواناً". **وقعة صفين**، ص٢١٥، القول في إيمان أهل الشام.

أما عمار بن ياسر، الذي قال عنه رسول الله ﷺ أنه مع الحق دائماً ولا يقول إلاّ الحق، فحين نال منه أحد جنود معاوية في حرب صفين، قال له: والله ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر حتى وجدوا عليه أعواناً[١].

كذلك، يستند ابن أبي الحديد على أحاديث نبوية في الحكم على معاوية بالكفر. يقول: **قد كان معه من الصحابة قوم كثيرون سمعوا من رسول الله ﷺ يلعن معاوية بعد إسلامه ويقول: إنه منافق كافر وإنه من أهل النار، والأخبار في ذلك مشهورة[٢].**

ويقول ابن أبي الحديد أيضاً: **وقد طعن كثير من أصحابنا في دين معاوية ولم يقتصروا على تفسيقه وقالوا عنه إنه كان ملحداً لا يعتقد النبوة، ونقلوا عنه في فلتات كلامه وسقطات ألفاظه ما يدل على ذلك**[٣] كان معاوية ذا قدرة عجيبة في تضليل الناس وخداع الرأي العام وقد تمكن من تحريف أفكار الكثير من الشاميين وشراء دينهم ويقول عنه أمير المؤمنين عليه السلام: **إن معاوية كالشيطان الرجيم يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله[٤].**

وكان النبي ﷺ يعرف معاوية حق المعرفة ويعلم أن المجتمع سيأخذ مساراً انحرافياً في المستقبل بحيث يرتقي أمثال معاوية منابر الوعظ. لذا قال: **إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على المنبر فاضربوا عنقه**[٥].

---

(١) **شرح نهج البلاغة**، ج١٨، ص٦٥، ذيل الخطبة ٧٣.

(٢) **شرح نهج البلاغة**، ج٥، ص١٢٩، ذيل الخطبة ٦٠، أخبار متفرقة عن معاوية.

(٣) **شرح نهج البلاغة**، ج١٦، ص١٨٢، ذيل الخطبة ٤٤، نسب زياد بن أبيه وذكر بعض أخباره وكتبه وخطبه.

(٤) "عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم... عنقه". **أنساب الأشراف**، ج٥، ص١٣٧، معاوية بن أبي سفيان.

(٥) **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٥، ص٢٠٢، ترجمة معاوية بن أبي سفيان، الرقم ٤٩٨٤.

عُين معاوية حاكماً على الشام في عهد الخليفة الثاني بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان،[١] فسلك فيها سلوك الملوك والسلاطين[٢] استمر حكمه للشام أربعين سنة عشرين سنة منها كان والياً وعشرين سنة خليفة[٣].

لقد لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم معاويةَ أكثر من مرة. منها لما بعث في طلبه أكثر من مرة وكان يأكل فلم يعتن بطلب النبي ﷺ فلعنه النبي وقال: **لا أشبع الله بطنه**[٤] فكان يأكل فلا يشبع[٥] حتى أن ابن كثير ذكر أنه كان يأكل في اليوم سبع مرات يجلب له فيها صنوف الطعام واللحوم والفواكه فكان يأكل ثم يقول: **ما شبعت ولكن كلّت أسناني**[٦].

ورأى النبي ﷺ أباسفيان يوماً راكباً دابة ومعاوية يقودها ويزيد بن أبي سفيان يسوقها فقال: **لعن الله الراكب والقائد والسائق**[٧].

وفي رواية أُخرى ينقلها عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال عن عاقبة معاوية بصراحة إن معاوية يموت كافراً. وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: **كنت عند النبي ﷺ فقال: يطلع عليكم من هذا الفجّ رجل يموت على غير ملتي.** قال: **وكنت تركت أبي قد وضع له وضوء، فكنت كحابس البول مخافة أن يجيء.** قال: **فطلع معاوية، فقال النبي ﷺ هو هذا**[٨].

---

(١) **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص١٣٤، ترجمة معاوية بن أبي سفيان، الرقم ٢٥.

(٢) **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٥، ص٢٠٣، ترجمة معاوية بن أبي سفيان، الرقم ٤٩٨٤.

(٣) **أُسد الغابة فيمعرفة الصحابة**، ج٥، ص٢٠٢، ترجمة معاوية بن أبي سفيان، الرقم ٤٩٨٤.

(٤) **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص١٢٣، ترجمة معاوية بن أبي سفيان، الرقم ٢٥.

(٥) **البداية والنهاية**، ج٨، ص١٢٣، حوادث سنة ٦٠ هجرية، ترجمة معاوية.

(٦) "ومما ورد من ذلك في السنة ورواه ثقات الأُمة قول رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] فيه وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقوده ويزيد يسوقه: لعن الله الراكب والقائد والسائق". **شرح نهج البلاغة**، ج١٥، ص١٧٥، ذيل الخطبة ٢٧، كتاب المعتضد بالله.

(٧) **أنساب الأشراف**، ج٥، ص١٣٤، معاوية بن أبي سفيان.

(٨) "عن ابن عباس قال: سمع النبي... دعّا". **مجمع الزوائد**، ج٨، ص١٢١، باب ما جاء في الشعر والشعراء ؛ **مصنف بن أبي شيبة**، ج٨، ص٦٩٥، ما ذكر في عثمان، الحديث ٦٧ ؛ **المعجم الكبير**، ج١١، ص٣٢، الحديث ١٠٩٧٠ ؛ **سير أعلام النبلاء**، ج٦، ص١٣١، ترجمة يزيد بن أبي زياد، الرقم ٤١.

أما أشد لعنات النبي لمعاوية فهي التي لعنه بها حين سمعه يغني مع عمرو بن العاص استهزاءً بشهداء أُحد. يقول ابن عباس: **سمع النبي ﷺ صوت رجلين وهما يتغنيان وهما يقولان: لا يزال حواري نزول عظامه** (هكذا: م) **روى الحرب عنه أن تجن ويقبرا**

فسأل عنهما فقيل له: معاوية وعمرو بن أبي (هكذا: م) **العاص، فقال: اللّٰهُمَّ أركسهما في الفتنة ركساً ودعّهما إلى النار دعّا**[1].

أوقد معاوية نيران حروب عديدة على أمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام بذرائع مختلفة وتسبب في قتل الآلاف من الناس ومن صحابة النبي ﷺ. وكان دافعه من وراء إيقاد تلك النيران الحربية إشباع شغفه بالسلطان والحكم. فبعد أن عقد الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام واطمأن على وجود السلطة بيده، صرّح بغايته الحقيقية من الحكم فقال: **والله إني ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك. وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون**[2].

إن ملف عهد معاوية مليء بجرائم قتل المسلمين ونهب أموالهم. فقد قُتل الإمام الحسن عليه السلام على يد زوجته جعدة بتشجيع من معاوية وبالسم الذي أرسله إليها[3] كما قُتل حجر بن عدي[4] وعمرو بن الحمق[5] وهما من كبار صحابة رسول الله ﷺ وأصحاب الإمام علي عليه السلام بأمر معاوية. مات معاوية سنة ٨٠ هجرية عن ٨٧ سنة[6].

---

(١) "عن سعيد بن سويد، قال: صلى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة، ثم خطبنا فقال: والله إني.. وأنتم كارهون". **مصنف بن أبي شيبة**، ج٧، ص٢٥١، كتاب الأُمراء، ما ذكر من حديث الأُمراء والدخول عليهم، الحديث ٢٣.

(٢) **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ج٤، ص٣٩٣، ترجمة معاوية بن أبي سفيان، الرقم ١٢٣٠ ؛ **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص٢٧٤، ترجمة معاوية بن أبي سفيان، الرقم ٤٧ ؛ **تاريخ دمشق الكبير**، ج١٤، ص١٠٦، ترجمة معاوية بن أبي سفيان، الرقم ١٥٥٨.

(٣) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج١، ص٣٩١، ترجمة معاوية بن أبي سفيان، الرقم ٥٠٥.

(٤) **تاريخ الطبري**، ج٣، ص١٢٧، حوادث سنة ٣٨ هجرية.

(٥) **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٥، ص٢٠٣، ترجمة معاوية بن أبي سفيان، الرقم ٤٩٨٤ ؛ **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج٦، ص١٢٢، ترجمة معاوية بن أبي سفيان، الرقم ٨٠٨٧.

(٦) **شرح نهج البلاغة**، ج١٦، ص١٦٠، ذيل الخطبة ٣٩.

يقول ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: **فأما قوله (يعني علياً عليه السلام) في معاوية: "ظاهرٌ غيُّه"، فلا ريب في ظهور ضلاله وبغيه، وكل باغ غاو. أما "مهتوك ستره" فإنه كان كثير الهزل والخلاعة صاحب جلساء وسمّار. ومعاوية لم يتوقر ولم يلزم قانون الرياسة إلاّ منذ خرج على أمير المؤمنين واحتاج إلى الناموس والسكينة. وإلاّ فقد كان في أيام عثمان شديد التهتك موسوماً بكل قبيح. وكان في أيام عمر يستر نفسه قليلاً خوفاً منه. إلاّ أنه كان يلبس الحرير والديباج ويشرب في آنية الذهب والفضة ويركب البغلات ذوات السروج المحلاة بها وعليها جلال الديباج والوشي وكان حينئذ شاباً وعنده نزق الصبا وأثر الشبيبة وسكر السلطان. ونقل الناس عنه في كتب السيرة أنه كان يشرب الخمر في أيام عثمان في الشام وأما بعد وفاة أمير المؤمنين واستقرار الأمر له فقد اختلف فيه، فقيل: إنه شرب الخمر في ستر، وقيل: إنه لم يشربه. ولا خلاف في أنه سمع الغناء وطرب عليه.**

بهذا الماضي المخزي وهذه السيرة المشينة، واعتماداً على الثقة التي أولاها إياه الخلفاء، حكم معاوية الشام على مدى عشرين سنة كانت كافية لتنامي قدرته لدرجة أن يواجه أمير المؤمنين عليه السلام بكل ما يحمله من سابقة وشجاعة، ويتسبب في مقتل أشرف الناس، ثم يستولي على حكم البلاد الإسلامية بأسرها عشرين سنة أُخرى، ويعمل على تحريف الحقائق الإسلامية ويترك موروثاً مشؤوماً للأجيال القادمة. ولو لم يمنحه الخلفاء السلطة لما وقعت مثل تلك الحوادث الكارثية في العالم الإسلامي.

شرط حكم مصر

تفيد بعض المصادر الأُخرى أن معاوية بعد أن سمع كلام عمرو بن العاص قال له: **يا أباعبدالله! إني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى ربه وقتل الخليفة وأظهر الفتنة وفرّق الجماعة وقطع الرحم.** قال عمرو: **إلى من؟** قال: **إلى جهاد علي.** فقال عمرو: **والله يا معاوية ما أنت وعلي بعكمي بعير، ما لك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا جهاده ولا فقهه وعلمه. والله إن له مع ذلك حداً وجداً وحظاً وحظوة وبلاءً من الله حسناً. فما تجعل لي إن شايعتك على حربه، وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟** قال: **حكمك.** قال: **مصر طعمة.** فتلكأ معاوية ثم وافقه على طلبه[1].

يوضح الجاحظ سبب اهتمام عمرو بن العاص بمصر وشغفه بحكمها بقوله: **كانت مصر في نفس عمرو بن العاص لأنه هو الذي فتحها في سنة تسع عشرة من الهجرة في خلافة عمر. فكان لعظمها في نفسه وجلالتها في صدره وما قد عرفه من أموالها وسعة الدنيا لا يستعظم أن يجعلها ثمناً من دينه. وهذا معنى قوله:** وإني بذا الممنوع (عليك) **قدماً لمولع**[2].

وكان معاوية يعرف قيمة مصر حق معرفتها، حتى قال لعمرو بن العاص مرة: **يا أباعبدالله! أما تعلم أن مصر مثل العراق**[3]؟ لذلك لم يُجب عمرو بن العاص لطلبه إلاّ بعد تلكؤ ومحاولات للتملص منه. يقول بعض المؤرخين: **قال له معاوية: يا أباعبدالله! إني أكره أن يتحدث العرب عنك أنك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا. قال** (عمرو)**: دعني عنك. قال معاوية: إني لو شئت أن أُمنيك وأخدعك لفعلت. قال عمرو: لا لعمر الله، ما مثلي يُخدع. لأنا أكيس من ذلك. قال له معاوية: أُدن مني برأسك أُسارك! فدنا منه عمرو يساره، فعضّ معاوية أُذنه وقال: هذه خدعة، هل ترى في بيتك أحداً غيري وغيرك؟** (فلماذا أهمس في أُذنك)[4]؟

---

(١) **وقعة صفين،** ص٣٧ و٣٨، مسير عمرو إلى معاوية وحديثه معه.

(٢) **شرح نهج البلاغة،** ج٢، ص٦٦، ذيل الخطبة ٢٦، أمر عمرو بن العاص.

(٣) نفسه.

(٤) "قال نصر: وفي حديث غير عمر قال: قال له معاوية... وغيرك؟". **وقعة صفين،** ص٣٨، مسير عمرو إلى معاوية وحديثه معه ؛ **الأخبار الطوال،** ص٢٢٩، حديث عمرو مع معاوية ؛ **الفتوح،** المجلد الأول، ص٥٢٣، ذكر كتاب علي [عليه السلام] إلى معاوية.

يروي ابن أبي الحديد ملاحظة هامة حول عبارة "**دعني عنك**" عن أُستاذه أبي القاسم البلخي. يقول ابن أبي الحديد: **قال شيخنا أبوالقاسم البلخي: قول عمرو له "دعني عنك" كناية عن الإلحاد، بل تصريح به ؛ أي: دع هذا الكلام، لا أصل له، فإن اعتقاد الآخرة أنها لا تباع بعرض الدنيا من الخرافات. وقال** (أبو القاسم البلخي) ﵀: **ومازال عمرو بن العاص ملحداً ما تردد قط في الإلحاد والزندقة، وكان معاوية مثله**[1].

مهما يكن من أمر فقد تملص معاوية في ذلك المجلس من إعطاء مصر لعمرو بن العاص بسبب أهميتها البالغة لديه. ولكنه تشاور في اليوم التالي مع أخيه عتبة بن أبي سفيان حول الموضوع. وكان عتبة يدرك أن انتصار معاوية على جيش العراق يتوقف على تعاون عمرو بن العاص معه، فقال له: **أعطه ما سألك!** (واشتر بذلك ذمته وحزه إلى صفك). بعد ذلك بأيام، وافق معاوية على إعطاء مصر لعمرو[2].

---

(١) "قلت: قال شيخنا... مثله". **شرح نهج البلاغة**، ج٢، ص٦٥، ذيل الخطبة ٢٦، أمر عمرو بن العاص.

(٢) "قال: فلما أصبح معاوية أقبل إليه أخوه عتبة فقال: أخبرني عنك! ألا ترضى أن يأخذ عمرو بن العاص مصر وقد عزم أن يبيعك خيط رقبته؟ أعطه ما سألك! فإنك في وقتك هذا لا مصر في يدك ولا غيرها. ثم أنشأ في ذلك يقول شعراً. قال: فلما سمع معاوية شعر أخيه عتبة بعث إلى عمرو فدعاه وأعطاه مصر". **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٢٤، ذكر كتاب علي [عليه السلام] إلى معاوية.

حكم عمرو بن العاص مصر

نشب خلاف بين معاوية وعمرو بن العاص حول حكم مصر بعد انتهاء حرب صفين. أما معاوية فكان يستعظم تسليم مصر لعمرو بن العاص بكل ثرواتها الهائلة. وأما عمرو بن العاص فكان يرى أن معاوية لم يكن ليكسب الحرب لولا تدبيره وأن حصوله على مصر أجرٌ استحقه على ذلك. بل كان يتوقع أن يهبه معاوية جزءاً من الشام علاوة على مصر. وهكذا نشب نزاع بين الرجلين أدى إلى القطيعة بينهما. ولكن معاوية بن حديج توسط بينهما فتصالحا، فوهب معاوية مصر لعمرو بن العاص سبع سنين ابتداءً من سنة ٣٩ هجرية. ولكن عمرو بن العاص مات بعد ثلاث سنوات تقريبا[١].

لم يضيع عمرو بن العاص وقتاً في انتهاز الفرصة التي انتظرها طويلاً فعمل على حلب ثروات مصر واستطاع أن يكدس ثروة طائلة في فترة حكمه القصيرة. حتى قال الذهبي أنه، بعد موته **خلّف أموالاً كثيرة وعبيداً وعقاراً، يقال: خلّف من الذهب** (في هذه المدة الوجيزة) **سبعين رقبة جمل مملوءة ذهباً**[٢] غير أن أمواله الطائلة وثروته الكبيرة لم تورثه إلاّ الحسرة والغم، حتى طلب في أواخر أيامه أن توزن فوزنت فكانت ٥٢ مدّاً[٣] فلما رأى كثرتها قال وهو مهموم: **يا ليته كان بعراً**[٤] لأنه كان يعلم أنها لن تجديه نفعاً وأنه تاركٌ الدنيا حاملاً أوزاراً ثقالاً.

---

(١) "لما صار الأمر في يد معاوية استكثر مصر طعمة لعمرو ما عاش ورأى عمرو أن الأمر كله قد صلح به وبتدبيره وظن أن معاوية سيزيده الشام، فلم يفعل، فتنكر له عمرو، فاختلفا وتغالظا، فأصلح بينهما معاوية بن حديج، وكتب بينهما كتاب بأن لعمرو ولاية مصر سبع سنين وأشهد عليهما شهوداً وسار عمرو إلى مصر سنة تسع وثلاثين، فمكث نحو ثلاث سنين ومات". **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص٧٣، ترجمة عمرو بن العاص، الرقم ١٥.

(٢) **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص٧٧، ترجمة عمرو بن العاص، الرقم ١٥.

(٣) المدّ يعادل ٧٥٠ غراماً. وبهذا يكون وزن المسكوكات التي كان يملكها ٣٩ كيلوغراماً!

(٤) "لما احتضر عمرو بن العاص قال: كيلوا مالي، فكالوه، فوجدوه اثنين وخمسين مدّاً، فقال: من يأخذه بما فيه؟ ياليته كان بعراً". **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص٧٤، ترجمة عمرو بن العاص، الرقم ١٥.

مخادعات معاوية وعمرو بن العاص

لما كان كلٌّ من معاوية وعمرو بن العاص يعرف أحدهما الآخر ولا يثق به فقد دوّنا ما اتفقا عليه على ورق ووقّعا عليه. ولكن الطريف في هذا الاتفاق أن كلاً منهما أضاف بنداً يخدع فيه الطرف الآخر. أما القيد الذي أضافه معاوية فكان ـ أن الاتفاق نافذ ما لم يتضمن شرطاً يناقض طاعة معاوية ـ أي أن على عمرو بن العاص أن يطيع معاوية بلا قيد أو شرط وكتب عمرو بن العاص تحت العقد أنه نافذ ما لم يتضمن طاعة تناقض الشرط ؛ أي أنني مطيع لك ما لم تنقض شرطاً من شروط[1].

يقول ابن أبي الحديد في سبب كتابة هذين الشرطين: ... **أن معاوية قال للكاتب: اكتب "على أن لا ينقض شرط طاعة" يريد أخذ إقرار عمرو له أنه قد بايعه على الطاعة بيعة مطلقة غير مشروطة بشيء. وهذه مكايدة له ؛ لأنه لو كتب ذلك لكان لمعاوية أن يرجع في إعطائه مصر ولم يكن لعمرو أن يرجع عن طاعته ويحتج عليه برجوعه عن إعطائه مصر، لأن مقتضى المشارطة المذكورة أن طاعة معاوية واجبة عليه مطلقاً سواءً أكانت مصر مسلمة إليه أم لا. فلما انتبه عمرو إلى هذه المكيدة منع الكاتب من أن يكتب ذلك، وقال: بل اكتب "على أن لا تنقض طاعة شرطاً" يريد أخذ إقرار معاوية له بأنه إذا كان أطاعه لا تنقض طاعته إياه ما شارطه عليه من تسليم مصر إليه وهذا أيضاً مكايدة من عمرو لمعاوية ومنع له من أن يغدر بما أعطاه من مصر**[2].

هذا العقد يبين أنه كم كان كل واحد من هذين الرجلين، اللذين طالما كانا معاً، متوجساً من كيد صاحبه ويعرف قرارة نفسه ولا يثق به.

نصيحة ابن عمه

---

(١) "فأعطاه مصر، ولما كتب معاوية لعمرو بمصر كتب في أسفل الكتاب: ولا ينقض شرطٌ طاعةً. وكتب عمرو: ولا تنقض طاعة شرطاً". **الإمامة والسياسة**، ج١، ص٩٧، قدوم عمرو على معاوية.

(٢) "قلت: قد ذكر هذا اللفظ "على أن لا تنقض طاعة شرطاً" فكايد كل منهما صاحبه... وتفسيره أن معاوية.. من مصر". **شرح نهج البلاغة**، ج٢، ص٦٧، ذيل الخطبة ٢٦، أمر عمرو بن العاص.

نصيحة ابن أخيه (هكذا، وفي الهامش ابن عمه: م) **عمرو بن العاص** عاد عمرو بن العاص إلى بيته مسروراً بعد أن اطمأن باله من جهة حكم مصر. فجاءه ابن عمه (هكذا: م) وكان رجلاً عاقلاً بعيد النظر، وقد علم بالاتفاق المبرم بينه وبين معاوية، وقال له: **ألا تخبرني يا عمرو بأي رأي تعيش في قريش، أعطيت دينك ومنيت دنيا غيرك؟ أترى أهل مصر، وهم قتلة عثمان، يدفعونها إلى معاوية وعليٌّ حي، وتراها إن صارت إلى معاوية لا يأخذها بالحرف الذي قدمه في الكتاب؟ فقال عمرو: يا ابن الأخ! إن الأمر لله دون علي ومعاوية. فقال عمرو: يا ابن أخي! لو كنت مع علي وسعني بيتي، ولكني الآن مع معاوية.** فقال له الفتى (ابن عمه): **إنك إن لم ترد معاوية لم يردك، ولكنك تريد دنياه وهو يريد دينك.**

وبلغ معاوية قول الفتى فطلبه فهرب فلحق بعلي عليه السلام[1].

من مجمل أقوال عمرو بن العاص ومواقفه نستنتج أنه لم يكن له مثقال ذرة من دين وإيمان، وأنه لم يكن سوى محب للسلطان شغوف بالدنيا لا يتورع أن يشتريها بدينه.

ومن نهي ابنه وغلامه وابن أخيه له عن الالتحاق بمعاوية، وكذلك شرود ذهنه في هذا الأمر أحياناً، نفهم أن حقانية الإمام علي عليه السلام وشرعية دولته كانتا من الوضوح بحيث أنه كان يعتبر مخالفته بيعاً لدينه بدنيا غيره. ولكنه في الوقت نفسه، كان مع ذلك، مخادعاً لدرجة أن يقلب هذه الحقيقة رأساً على عقب بين الناس. ولم يكن لأحد سواه إمكانية إنقاذ معاوية من مأزق الهزيمة في معركة صفين وتحويله إلى نجاح.

---

(١) "كان مع عمرو ابن عم له فتى شاب وكان داهياً حليماً. فلما جاء عمرو بالكتاب مسروراً عجب الفتى وقال: ألا تخبرني.. فلحق بعلي". **وقعة صفين**، ص٤١، عمرو وابن عمه ؛ **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٢٤، ذكر كتاب علي [عليه السلام] إلى معاوية.

سبب تعاون معاوية مع عمرو بن العاص

لم يكن من السهل أمام الرأي العام معارضة رجل له سوابق لامعة وكثيرة في الإسلام. وليت راية المعارضة كان يحملها رجل كفؤ لا رجل، ليس فقط لا يملك مؤهلات أن يكون كفؤاً لصاحب الحق فحسب بل إن عار ماضيه لا ينفك يلاحقه وصدى "أنتم الطلقاء" لا زال يتردد على ألسنة الناس بحقه.

كان معاوية وعمرو بن العاص سيواجهان رجلاً قال فيه النبي ﷺ"**ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين**" وقال فيه "**أنت مني بمنزلة هارون من موسى**" وقال "**عليٌ مع الحق والحق مع علي**" وقال "**أنا مدينة العلم وعليٌ بابها**" وآلاف الأمثلة التي تطرق الأسماع وتتغلغل في العقول.

ولم يكن معاوية ليدعو عمرو بن العاص ولا ليعطيه مصر بكل سعتها وغناها ولا ليتخذه وزيراً مستشاراً له إلاّ ليتمكن من الانتصار على الإمام علي عليه السلام والتفوق عليه وعلى جيشه.

التشاور الثاني بين عمرو بن العاص ومعاوية

بعد أن سلّم معاوية كتاب ولاية مصر لعمرو بن العاص واشترى بذلك ذمته بالكامل، عقد معه اجتماعاً تشاورياً ثانياً. كان موضوع الاجتماع كيفية مواجهة جرير بن عبدالله. فقال عمرو بن العاص لمعاوية: **... رأس أهل الشام اليوم شرحبيل بن السمط الكندي وهو عدو لجرير، فأرسل إليه** (ابعث له كتاباً في حمص) **وعبّ له رجالاً من ثقاتك يشهدون بأن علياً قتل عثمان. وليكن الشهود أهل الرضا فإنها كلمة جامعة. فإن علقت الشهادة بقلبه لا يخرجها شيء أبداً.** (وهكذا تستفيد منه في تعبئة الناس ضد علي)[١].

يقول ابن عبدالبر في هذا: **فقيل لمعاوية إن جريراً قد ردّ بصائر أهل الشام وأقنعهم أن علياً ما قتل عثمان ولابدّ لك من رجل يناقضه في ذلك ممن له صحبة ومنزلة ولا نعلمه إلاّ شرحبيل بن السمط، فإنه عدوٌ لجرير**[٢].

---

(١) "ثم دعا عمرو بن العاص فقال: أباعبد الله! هات الآن ما ترى في علي بن أبي طالب. فقال عمرو: أرى فيه خيراً، إنه قد أتاك هذا خير أهل العراق جرير من عند خير الناس علي بن أبي طالب، وردّ هذه البيعة خطر شديد وأمر عظيم. ورأس أهل الشام اليوم .. أبداً". **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٣٠، ذكر كتاب آخر من علي بن أبي طالب ﷺ إلى جرير بن عبد الله البجلي ؛ **وقعة صفين**، ص٤٤، مشورة عمرو لمعاوية.

(٢) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٢، ص٢٥٦، ترجمة شرحبيل بن السمط، الرقم ١١٧٣.

دعوة شرحبيل ومؤامرة معاوية

بعد ذلك الاجتماع التشاوري، بعث معاوية كتاباً إلى شرحبيل قال له فيه: **أما بعد فإن جريراً قدم علينا من عند علي بن أبي طالب بأمر فظيع، فاقدم إلينا رحمك الله فإننا نريد أن نستشيرك في أمرنا وقد حبسنا عليك أنفسنا وعلى مشورتك**[١].

ثم، عملاً بمشورة عمرو بن العاص، قال معاوية لجماعة من ثقاته أمثال يزيد بن أسد وبسر بن أبي أرطاة ومخارق بن الحارث وحمزة بن مالك وحابس بن سعد[٢] وأبي الأعور السلمي والضحاك بن قيس وذي الكلاع والحصين بن نمير وحوشب ذي ظليم[٣] وكانوا من كبار أهل الشام ومن ثقاة شرحبيل: **قد عزمت أن أكتب إليه** (يعني شرحبيل بن السمط) **ليصير إلي. فإذا قدم علي أخبرته أن علياً قتل الخليفة عثمان بن عفان، فإن طلب مني شهادة كنتم أنتم الشهود لي على ذلك**[٤].

لما وصل كتاب معاوية إلى شرحبيل استشار عبدالرحمن بن غنم الأزدي وكان من الوجوه المعروفة في الشام، فقال له عبدالرحمن: **ويحك يا شرحبيل! إن الله تعالى لم يزل يريد بك خيراً مذ هاجرت إلى وقتك هذا. وإنه لم ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من الناس، ولا يغير ما بقوم حتى**

---

(١) "فعندها كتب إليه معاوية وشرحبيل يومئذ بمدينة حمص: أما بعد!... مشورتك". **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٣٠، ذكر كتاب آخر من علي بن أبي طالب [عليه السلام] إلى جرير بن عبد الله.

(٢) حابس بن سعد الطائي كان أحد صحابة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأخا زوجة عدي بن حاتم. تم تعيينه قاضياً لمدينة حمص في خلافة عمر بن الخطاب. وكان مع معاوية في حرب صفين إذ كان حامل لواء قبيلة طي، وقتل فيها. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج١، ص٣٨٩، ترجمة حابس بن سعد الطائي، الرقم ٣٨٩ ؛ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ج٤، ص٣، ترجمة حابس بن سعد، الرقم ٩٧٣.

(٣) يعتبر أهل السنة حوشب من صحابة رسول الله ﷺ وكان مطاعاً متبوعاً من أهل اليمن. قُتل في صفين على يد سليمان بن صرد الخزاعي. **قاموس الرجال**، ج٤، ص٨٠، ترجمة حوشب بن طخية، الرقم ٢٥٠٨.

(٤) "فدعا معاوية يزيد بن أسد وبسر بن [أبي] أرطاة ومخارق بن الحارث وحمزة بن مالك وحابس بن سعد الطائي وأباالأعور السلمي والضحاك بن قيس الفهري وذاالكلاع الحميري والحصين بن نمير السكوني وحوشب ذاالظلم، وهؤلاء رؤساء الشام يومئذ فجمعهم معاوية ثم قال: أتدرون لماذا جمعتكم؟ قالوا: لا علم لنا بذلك. فقال: إن شرحبيل بن السمط سيد من سادات قومه وهو عدو لجرير بن عبد الله البجلي وقد عزمت .... فقال القوم: كفئت يا معاوية! فوجه إليه". **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٣٠، ذكر كتاب آخر من علي بن أبي طالب عليه السلام إلى جرير بن عبد الله.

يغيروا ما بأنفسهم. وأنت رجل من خيار كندة، وإن القالة قد فشت في الناس أن علياً قتل عثمان. ولو كان علي قتله لما بايعه المهاجرون والأنصار وهم أصحاب رسول الله ﷺ الحكام على الناس. وإنما معاوية يدعوك إلى نفسه ليأخذ من دينك ويعطيك من دنياه كما فعل بعمرو بن العاص. فإن كان ولا بد أن تكون أميراً، فسر إلى علي بن أبي طالب، فإنه أحق الناس بهذا الأمر من معاوية وغير معاوية(١).

واضح من كلام عبدالرحمن أنه كان على علم بخطة معاوية وأنه كان يعرف شرحبيل حق معرفته ويعلم كم كان محباً للدنيا والسلطان وأنه ما مال إلى معاوية دفاعاً عن الحق. كما يتضح أن زهده كان متصنَعاً وأنه كان يخادع الناس به. لهذا لم يلتفت إلى كلام عبدالرحمن الناصح له وحججه المنطقية القوية، وتوجه إلى الشام واضعاً وجاهته الاجتماعية تحت تصرف معاوية، مقوياً بذلك جبهة الباطل.

---

(١) "فلما ورد كتاب معاوية على شرحبيل وقرأه أقبل إلى عبدالرحمن بن غنم الأزدي، وهو صاحب معاذ بن جبل وكان أفقه أهل الشام، فاستشاره في المسير إلى معاوية. فقال عبدالرحمن: ويحك يا معاوية! ... وغير معاوية". **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٣٠، ذكر كتاب آخر من علي بن أبي طالب [عليه السلام] إلى جرير بن عبد الله.

قدوم شرحبيل على معاوية

حسم شرحبيل أمره في نهاية المطاف وذهب إلى الشام. ودخل على معاوية بعد أن استقبله أهل الشام بحفاوة بالغة. فقال له معاوية على طريقته المخادعة للرأي العام: **يا شرحبيل! إن جرير بن عبدالله يدعونا إلى بيعة علي وعليٌ خير الناس لولا أنه قتل عثمان بن عفان. وقد حبست نفسي عليك، وإنما أنا رجل من أهل الشام أرضى ما رضوا وأكره ما كرهوا**[1].

نظراً للمنزلة الاجتماعية التي كانت لشرحبيل بين أهل الشام فقد اتبع معاوية في كلامه معه أساليب عدة:

١ـ بدأ كلامه بذكر اسم جرير وهو من منافسي شرحبيل.

٢ـ امتدح الإمام علياً عليه السلام ثم اتهمه بقتل عثمان.

٣ـ حاول تعظيم شرحبيل بأن ادّعى أنه لن يردّ على كتاب علي عليه السلام قبل التشاور معه.

٤ـ تظاهر بالتصاغر والتماهي مع الرأي العام وزعم بأن الرأي العام أهم لديه من رأيه الشخصي وهو تابع له.

٥ـ عمل على تلقين الرأي العام الشامي، قبل استقبال شرحبيل، بأن الإمام علياً عليه السلام قاتل عثمان، لكي تثبت الفكرة لدى شرحبيل.

بعد أن سمع شرحبيل مقالة معاوية، استمهله ليرى رأيه. ولكن ما إن خرج من المجلس حتى حف به المتآمرون، بتخطيط مسبق من معاوية، وأخبروه بأن علياً عليه السلام هو الذي قتل عثمان. ومازالوا به حتى اقتنع تماماً بأن علياً عليه السلام هو قاتل عثمان، فرجع إلى مجلس معاوية وهو يتميز

---

(١) "لما قدم شرحبيل على معاوية تلقاه الناس فأعظموه ودخل على معاوية فتكلم معاوية فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا شرحبيل! ... ما كرهوا". **وقعة صفين**، ص٤٦ و٤٧، مصانعة معاوية لشرحبيل ؛ **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٣٢، ذكر كتاب آخر من علي بن أبي طالب عليه السلام إلى جرير بن عبد الله.

غضباً فقال له: **يا معاوية! أبى الناس إلاّ أن علياً قتل عثمان، ووالله لئن بايعتَ له لنخرجنك من الشام أو لنقتلنك**[١].

(١) "فقال شرحبيل: أخرِج فأنظر. فخرج فلقيه هؤلاء النفر الموطئون له، فكلهم يخبره بأن علياً قتل عثمان بن عفان. فخرج مغضباً إلى معاوية فقال: يا معاوية! أبى الناس إلاّ أن علياً قتل عثمان، ووالله لئن بايعت له لنخرجنك من الشام أو لنقتلنك. قال معاوية: ما كنت لأُخالف عليكم، وما أنا إلاّ رجل من أهل الشام. قال: فردّ هذا الرجل إذن! قال: فعرف معاوية أن شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق وأن الشام كله مع شرحبيل". **وقعة صفين،** ص٤٧، لقاء جرير لشرحبيل.

المقابلة بين جرير وشرحبيل

بعد أن حقق معاوية غايته، بعث بشرحبيل إلى جرير لمقابلته. وكان شرحبيل يعادي جريراً، وكان مقتنعاً بأن علياً عليه السلام هو قاتل عثمان لذا التفت إلى جرير مغضباً فقال له: **يا جرير! أتيتنا بأمر ملفف لتلقينا في لهوات الأسد، وأردت أن تخلط الشام بالعراق، وأطرأت علياً وهو قاتل عثمان، والله سائلك عما قلت يوم القيامة. فأقبل عليه جرير فقال: يا شرحبيل! أما قولك أني جئت بأمر ملفف، فكيف يكون أمراً ملففاً وقد اجتمع عليه المهاجرون والأنصار وقوتل على رده طلحة والزبير؟ وأما قولك أني ألقيتك في لهوات الأسد، ففي لهواتها ألقيت نفسك. وأما خلط العراق بالشام، فخلطهما على حق خير من فرقتهما على باطل. وأما قولك إن علياً قتل عثمان، فوالله ما في يديك من ذلك إلاّ القذف بالغيب من مكان بعيد. ولكنك ملت إلى الدنيا وشيءٌ كان في نفسك (مني) على زمن سعد بن أبي وقاص**[1].

(١) "فتكلم شرحبيل فقال: يا جرير! ... أبي وقاص". **وقعة صفين،** ص٤٧، لقاء جرير لشرحبيل.

شك شرحبيل وتردده

افترق جرير وشرحبيل بعد هذا اللقاء. ثم سعى جرير لإتمام الحجة على شرحبيل فأرسل إليه أبياتاً من الشعر يحذره فيها من عاقبة أمره، منها:

شرحبيل يا ابن السمط لا تتبع الهوى ... فما لك في الدنيا من الدين من بدل

وقل لابن حرب ما لك اليوم حرمة ... تروم بها ما رمت، فاقطع له الأمل(١)

فكّر شرحبيل بكلام جرير واستيقظ من نوم الغفلة نوعاً ما، فقال: **هذه نصيحة لي في ديني ودنياي. لا والله لا أعجل في هذا الأمر بشيء وفي نفسي منه حاجة**(٢).

وقوع شرحبيل في الفخ سعياً منه إلى عدم فقدان شرحبيل، أخذ معاوية يبعث بالوفود من رجاله ليؤكدوا له أن عثمان بن عفان قتله علي عليه السلام، ويقدموا له الأدلة والمستندات على ذلك. ومازالوا به حتى تيقن أن ما يدّعونه هو الحقيقة(٣).

كان معاوية يدرك جيداً قيمة شرحبيل فلم يكن على استعداد للتفريط به بسهولة، فبذل جهوداً مضنية للاحتفاظ به إلى جانبه. وفي الوقت نفسه، لم يكن استقطاب رجل مثل شرحبيل بالأمر الهين، فقد كان من كبراء حمص وزهادها. لذا وجد أن عليه:

ـ أن يلجأ إلى المكر والاحتيال للحصول عليه. فكان لابد من ترتيب استقبال ضخم له يوم وصوله إلى دمشق.

---

(١) "كتب جرير إلى شرحبيل: شرحبيل يا ابن السمط ... الأمل". **وقعة صفين،** ص٤٨، وقع كتاب جرير إلى شرحبيل.

(٢) "لما قرأ شرحبيل الكتاب ذعر وفكر وقال: هذه نصيحة ... حاجة". **وقعة صفين،** ص٤٩، كتاب جرير إلى شرحبيل.

(٣) "لفف له معاوية الرجال يدخلون إليه ويخرجون، ويعظمون عنده قتل عثمان ويرمون به علياً، ويقيمون الشهادة الباطلة والكتب المختلقة، حتى أعادوا إليه رأيه وشحذوا عزمه". **وقعة صفين،** ص٤٩، كتاب جرير إلى شرحبيل.

ـ ثم يبعث إليه بفريق من المعتمدين لديه، بتدبير مسبق، ليشهدوا عنده أن علياً عليه السلام هو الذي قتل عثمان.

ـ ثم يضع بين يديه الوثائق والمستندات التي تحول شكه إلى يقين.

ـ وأن يتظاهر أمامه بأنه ليس له رأي مستقل عن رأي العامة، وأنه يلتزم بما يقرره الناس.

ومازال معاوية وجماعته يكيدون ويخططون حتى تحول شرحبيل إلى داعية لإعلان الحرب والثأر لدم عثمان، بعد أن كان في بداية الأمر فريسة شك قوي في تورط الإمام عليه السلام بدم عثمان، حتى أنه استمهل معاوية في أول لقاء بينهما للنظر في القضية وقال له: "**أخرج فأنظر**". إلى أن صار يخاطب معاوية بخلافة المسلمين بعد عثمان. فقد قال لمعاوية: **أنت عامل أمير المؤمنين وابن عمه، ونحن المؤمنون. فإن كنت رجلاً تجاهد علياً وقتلة عثمان حتى ندرك بثأرنا أو تفنى أرواحنا، استعملناك علينا. وإلاّ عزلناك واستعملنا غيرك ممن نريد، ثم جاهدنا معه حتى ندرك بدم عثمان أو نهلك**[1].

(١) "أن شرحبيل بن السمط بن جبلة الكندي دخل على معاوية فقال: أنت عامل ... نهلك". **وقعة صفين**، ص٥١، مبتدأ حديث عمرو بن العاص، دخول شرحبيل على معاوية.

آخر ما قاله معاوية لجرير

بعد حصوله على مستشار ماكر هو عمرو بن العاص واستقطاب شخصية مؤثرة هو شرحبيل بن السمط، وجد معاوية الأجواء مناسبة لإعلان التمرد على السلطة المركزية وألفى نفسه قاب قوسين أو أدنى من تحقيق غايته الكبرى وهي حكم الشام. فلم يكن يفصله عن هدفه النهائي إلاّ خطوة واحدة كان أمامه طريقان لقطعها ؛ إما المواجهة المسلحة أو التفاوض. وكان في الوقت نفسه يدرك أن الحل العسكري محفوف بصعوبات جمة وينطوي على تكاليف باهظة. ومن جانب آخر، لم يكن يرى أية جدوى في التفاوض مع أمير المؤمنين عليه السلام، لأنه كان يعلم أنه يواجه رجلاً أقسم بالله، عندما آلت إليه الخلافة، أن لا يمهله يومين[1] لذا عمل في غاية الحذر فقال لمبعوث الإمام عليه السلام في اجتماع خاص: **اكتب إلى صاحبك يجعل لي الشام ومصر جباية، فإذا حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده بيعة في عنقي وأُسلم له هذا الأمر وأكتب إليه بالخلافة.** فقال جرير: **اكتب بما أردت** (لأحمله برسالة إلى علي عليه السلام[2]).

يُفهم من كلام معاوية أُمور:

الأول: أنه كان يستهدف الحصول على حكم ذاتي يمكنه من الانفصال عن الدولة الإسلامية ويسمح له بأن يفعل ما يشاء.

الثاني: كل ما قاله من كلام حول الثأر لعثمان لم يكن سوى لعبة سياسية الغاية منها تضليل الرأي العام لتحقيق غاياته الدنيوية في ظل شعارات مخادعة.

---

(١) "لا والله لا أستعمل معاوية يومين". **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص٣٠٦، حوادث سنة ٣٥ هجرية، ذكر بيعة أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) "كان معاوية أتى جريراً في منزله فقال: يا جرير! إني قد رأيت رأياً. قال: هاته. قال: اكتب إلى صاحبك ... فقال جرير: اكتب بما أردت وأكتب معك. فكتب معاوية بذلك إلى علي فكتب ...". **وقعة صفين**، ص٥٢، معاوية وجرير.

كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى جرير

عندما استلم الإمام علي عليه السلام كتاب جرير، كتب إليه يقول: **أما بعد! فإنما أراد بمعاوية** (هكذا، وربما: معاوية) **ألاّ يكون لي في عنقه بيعة وأن يختار من أمره ما أحب، وأراد أن يريثك حتى يذوق أهل الشام. وإن المغيرة بن شعبة قد كان أشار على** (هكذا، وربما: عليّ) **أن أستعمل معاوية على الشام وأنا بالمدينة فأبيت ذلك عليه. ولم يكن الله ليراني أتخذ المضلين عضداً. فإن بايعك الرجل وإلاّ فأقبل**[1].

بيّن جواب أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان عارفاً بخطة معاوية معرفة كاملة، وكان يعلم أن غايته من تلك المكاتبات لم تكن إلاّ لكسب الوقت من أجل القيام بالاستعدادات العسكرية للهجوم على العراق.

---

(١) **وقعة صفين**، ص٥٢، معاوية وجرير؛ **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٢٦، ذكر جواب علي عليه السلام لجرير بن عبد الله.

تحريض الناس بواسطة شرحبيل

أدرك معاوية، من جواب الإمام علي عليه السلام لجرير، أنه لا يستطيع أن يبلغ مراده بالطرق السلمية التفاوضية، وأنه لا يملك إلاّ الحل العسكري. وأدرك أيضاً أن هذا الحل المعقد يستلزم جملة من المقدمات والتمهيدات. فعليه، قبل كل شيء، أن يحرّف الحقائق في أذهان الناس لكي يسهل عليه تأليبهم على رجل له من العظمة والحقانية كالشمس وضوحاً للجميع. لهذا، استدعى شرحبيل وقال له: **إنه كان من إجابتك الحق وما وقع فيه أجرك على الله وقبله عنك صلحاء الناس ما علمت. وإن هذا الأمر الذي قد عرفته لا يتم إلاّ برضا العامة.**

فسر في مدائن الشام وناد فيهم بأن علياً قتل عثمان وأنه يجب على المسلمين أن يطلبوا بدمه. فسار فبدأ بأهل حمص، فقام خطيباً وكان مأموناً في أهل الشام ناسكاً متألهاً، فقال: يا أيها الناس! إن علياً قتل عثمان بن عفان وقد غضب له قوم فقتلهم وهزم الجميع وغلب على الأرض فلم يبق إلاّ الشام وهو واضع سيفه على عاتقه ثم خائض به غمار الموت حتى يأتيكم أو يحدث الله أمراً. ولا نجد أحداً أقوى على قتاله من معاوية، فجدّوا وانهضوا. فأجابه الناس إلاّ نساك أهل حمص فإنهم قاموا إليه فقالوا: بيوتنا قبورنا ومساجدنا، وأنت أعلم بما ترى. وجعل شرحبيل يستنهض مدائن الشام حتى استفرغها لا يأتي على قوم إلاّ قبلوا ما أتاهم[١].

---

(١) "بعث معاوية إلى شرحبيل بن السمط فقال: إنه كان ... ما أتاهم". **وقعة صفين**، ص٥٠، وقع كتاب جرير إلى شرحبيل.

تقرير جرير عن أوضاع الشام

في تلك الأوضاع، ولما تيقن جرير من عزم معاوية على مواجهة الإمام علي عليه السلام غادر محل إقامته لغرض التجسس واستطلاع الأوضاع في الشام. فاتفق أن صادف صبياً كان ينشد شعراً في مظلومية عثمان وذم قاتليه وعلى رأسهم الإمام علي عليه السلام. فسارع إلى كتابة الأبيات وإرسالها إلى أمير المؤمنين عليه السلام[1].

في تلك الأيام جاء النعمان بن بشير بقميص عثمان وأصابع زوجته نائلة المبتورة إلى الشام، فأمر معاوية بأخذ القميص إلى مسجد الشام لاستغلاله في أغراضه السياسية. فوضعه على المنبر بحيث يراه الجميع. ثم اجتمع الناس في المسجد، فلما رأوا القميص ضجوا بالبكاء والعويل. وبلغ بهم التأثر أن أقسموا أن لا يؤويهم فراش قبل أن يقتصوا من قتلة عثمان[2].

---

(١) "فخرج جرير يتجسس الأخبار فإذا هو بغلام يتغنى على قعود له وهو يقول:

حكيم وعمار الشجا ومحمد ... وأشتر والمكشوح جروا الدواهيا

وقد كان فيها للزبير عجاجة ... وصاحبه الأدنى أشاب النواصيا

قال جرير: يا ابن أخي! من أنت؟ قال: أنا غلام من قريش وأصلي من ثقيف، أنا ابن المغيرة بن الأخنس بن شريق، قتل أبي مع عثمان يوم الدار. فعجب جرير من قوله وكتب بشعره إلى علي". **وقعة صفين،** ص٥٤، شعر ولد المغيرة بن الأخنس.

(٢) "فسار جرير إلى معاوية فلما قدم عليه ماطله واستنظره واستشار عمر (هكذا، وربما: عمرو) فأشار عليه أن يجمع أهل الشام ويلزم علياً دم عثمان ويقاتله بهم. ففعل معاوية ذلك. وكان أهل الشام لما قدم عليهم النعمان بن بشير بقميص عثمان الذي قتل فيه مخضوباً بالدم بأصابع زوجته نائلة إصبعان منها وشيء من الكف وإصبعان مقطوعتان من أُصولهما ونصف الإبهام وضع معاوية القميص على المنبر وجمع الأجناد إليه فبكوا على القميص مدة وهو على المنبر والأصابع معلقة فيه. وأقسم رجال من أهل الشام أن لا يمسهم الماء إلاّ للغسل من الجنابة وأن لا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان، ومن قام دونهم قتلوه". **الكامل في التاريخ،** ج٢، ص٣٥٩، حوادث سنة ٣٧ هجرية، ذكر ابتداء وقعة صفين ؛ **سير أعلام النبلاء،** ج٣، ص١٣٩، ترجمة معاوية بن أبي سفيان، الرقم ٢٥.

لقد استغل معاوية قميص عثمان المخضوب أكمل استغلال في الإستفزاز. وهكذا عمل على تقوية دوافع أهل الشام لمحاربة أمير المؤمنين عليه السلام يقول سبط بن الجوزي: **علّق القميص والأصابع على المنبر سنة ينتابه الناس من كل مكان**[1]. وبكاه أهل الشام لمدة سنة.

(١) **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، ج٦، ص١١٢، حوادث سنة ٣٥ هجرية، ذكر إرسال قميص عثمان إلى الشام.

سبب تأخر جرير في العودة من الشام

بعد وصول جرير إلى الشام، قام معاوية بحبسه بضعة أشهر ولم يأذن له بالعودة. وقد أدى طول مكوثه في الشام وتأخر عودته منها إلى أن ينتاب القلق بعض الناس ويظنوا أن معاوية قد خدعه. أما أمير المؤمنين عليه السلام فقد قال في ذلك: **وقّتُ لرسولي وقتاً لا يقيم بعده إلاّ مخدوعاً أو عاصياً**[١].

أما ابن عبدالبر فيرى أن جريراً لم يتعمد التأخر في العودة من الشام وأن معاوية كان قد حبسه. يقول: **فلما قدم جرير على معاوية رسولاً من عند علي حبسه أشهراً يتحيّر ويتردد في أمره**[٢].

غير أن كلام أمير المؤمنين عليه السلام يبين أن جريراً لم يبق في الشام مكرهاً.

فإذا كان محبوساً من قبل معاوية فلا يكون خائناً ولا مخدوعاً. والدليل الآخر الذي يمكن أن ينهض على تقصير جرير أنه حين عاد من الشام ولامه مالك الأشتر واتهمه بالخيانة لم يقل أنه كان مكرهاً في البقاء في الشام. والشاهد الآخر على صحة قول الإمام عليه السلام فيه هروبه إلى قرقيسيا. وذلك يبين أنه خلال فترة بقائه في الشام، ليس فقط لم يفعل شيئاً لصالح الجبهة العلوية بل إنه بإضاعته الفرصة، وفّر لمعاوية الوقت الكافي للاستعداد لقتال أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) "أبطأ جرير عند معاوية حتى اتهمه الناس وقال علي: وقّتُ .. عاصياً. وأبطأ على علي حتى أيس منه". **وقعة صفين،** ص٥٥، إبطاء جرير عند معاوية.

(٢) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب،** ج٢، ص٢٥٦، ترجمة شرحبيل بن السمط، الرقم ١١٧٣.

سبب اختيار جرير سفيراً

السؤال الذي لابد من الإجابة عليه هنا هو: لماذا اختار أمير المؤمنين عليه السلام مثل هذا الشخص ليكون سفيره إلى الشام؟ لماذا اختار رجلاً أضاع الفرص ووفر لمعاوية نحواً من أربعة أشهر؟ ألم يكن أمير المؤمنين عليه السلام على معرفة كافية به؟

جواباً لابد من القول بأن الإمام عليه السلام كان يعرفه حق معرفته، ويعلم أنه كان مناصراً لبني أُمية ولم يكن ذا سيرة مشرّفة. وهذا ما جعله يعزله عن إمارة همدان. ولو كان جديراً بها لما عزله عنها. إذن فالإمام عليه السلام كان يعرف جريراً خيراً مما كان مالك الأشتر يعرفه. ولكن مصلحةً اقتضت أن يذهب في سفارة الشام لم يكن مالك الأشتر يعلمها.

المصلحة التي كان أمير المؤمنين عليه السلام ناظراً إليها هي أنه عليه السلام كان يريد أن يبعث إلى الشام رجلاً يحظى بثقتهم لأنه منهم لكي تتم الحجة عليهم. فقد كان جرير أُموي الهوى عثماني المذهب، فإذا اقتنع ببراءة الإمام علي عليه السلام من دم عثمان، جرّد الطرف المقابل له من سلاح التذرع بالحجج. لذا فإن النشاط الأولي الذي قام به والكلمات التي ألقاها في الشام تدل على أن الهدف الأولي لسفارته قد تحقق.

كما أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يعلم، في الوقت نفسه، أن معاوية ليس ممن يخضع للحق وأنه يعدّ العدّة لتشكيل جيش لقتاله. وبما أن الإمام علي عليه السلام كان مدركاً لضلال أهل الشام وجهلهم فقد سلك جميع الطرق التي قد تؤدي إلى توعيتهم وتنويرهم إتماماً للحجة عليهم. وهذا ما جعله يكاتب معاوية أكثر من مرة ويرسل إليه أكثر من سفير. بل حتى في ساحة الحرب، لم يشأ أن يكون هو البادئ للقتال عسى أن يهتدي المزيد من الناس.

كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى جرير

بعد أن طال مكوث جرير في الشام، بعث الإمام عليه السلام إليه بكتاب يطلب فيه منه أن يعلمه بموقف معاوية الصريح وما يميل إليه من حرب أو سلام. كتب عليه السلام في كتابه: **أما بعد! فإذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية على الفصل وخذه بالأمر الجزم. ثم خيّره بين حرب مجلية أو سلم محظية. فإن اختار الحرب فانبذ له** (حذّره من نقض العهد) **وإن اختار السلم فخذ بيعته.**

فلما بايع معاويةَ أهلُ الشام وذاقهم، قال: **يا جرير الحق بصاحبك.** وكتب إليه بالحرب، وكتب في أسفل كتابه بقول كعب بن جعيل:

أرى الشام تكره ملك العراق ... وأهل العراق لنا كارهونا[1].

(١) "كتب علي إلى جرير بعد ذلك: أما بعد! ... كارهونا". **وقعة صفين،** ص٥٥، إبطاء جرير عند معاوية ؛ **تاريخ دمشق الكبير،** ج٦٢، ص٩٤، ترجمة معاوية، الرقم ٧٦٦٢ ؛ **الفتوح،** المجلد الأول، ص٥٢٧، ذكر كتاب آخر من علي بن أبي طالب إلى جرير بن عبد الله ؛ **العقد الفريد،** ج٣، ص٣٣٢، أخبار علي عليه السلام ومعاوية.

كتاب آخر من معاوية

بعد مغادرة جرير للشام، بعث معاوية كتاباً آخر إلى أمير المؤمنين عليه السلام هدده فيها مرة أُخرى بالحرب. وهذا نص كتاب معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السلام: **أما بعد! فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان. ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الأنصار، فأطاعك الجاهل** وقوي بك الضعيف. **وقد أبى أهل الشام إلاّ قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان. فإذا دفعتهم كانت شورى بين المسلمين. وقد كان أهل الحجاز الحكام على الناس وفي أيديهم الحق، فلما تركوه صار الحق في أيدي أهل الشام. ولعمري ما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة ولا حجتك على طلحة والزبير** [ربما هنا عبارة مفقودة قد تكون: كحجتك علي]. **لأن أهل البصرة بايعوك ولم يبايعك أحد من أهل الشام. وإن طلحة والزبير بايعاك ولم أُبايعك. وأما فضلك في الإسلام وقرابتك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلعمري ما أدفعه ولا أُنكره**[1].

كلمات الرسالة هذه تقطر تحايلاً وتلاعباً سياسياً مفضوحاً من معاوية. فهو لا يدّعي لنفسه الريادة والتحكم في كل شيء، بل ينسب إلى أهل الشام أنهم أولياء دم عثمان وأنه مجرد تابع لرأيهم العام ومنفّذ لتطلعاتهم.

إنه يتصيد الذرائع للتحلل من البيعة العامة **غير** المسبوقة التي حصل عليها أمير المؤمنين عليه السلام، فيقول مخاطباً الإمام علياً عليه السلام أن حكمه لن يكون شرعياً حتى وإن سلّم قتلة عثمان، بل إن الأمر يعود إلى الشورى. وكان عبدالله بن عباس قد تنبأ بمثل تلك الأيام وسبق له أن قال للإمام علي عليه السلام: **معاوية وأصحابه أهل دنيا. فمتى تثبّتهم لا يبالوا من ولي هذا الأمر ومتى تعزلهم يقولون** (هكذا، وربما: يقولوا) **أخذ هذا الأمر بغير شورى وهو قتل صاحبنا**[2].

---

(١) "قال: وذكروا أن معاوية كتب إلى علي: أما بعد ... ولا أُنكره". **الإمامة والسياسة**، ج١، ص١٠١، كتاب معاوية إلى علي عليه السلام؛ **العقد الفريد**، ج٤، ص٣٣٣، كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم، أخبار علي ومعاوية.

(٢) "قال ابن عباس: ... معاوية وأصحابه ... صاحبنا". **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص٣٠٦، حوادث سنة ٣٥ هجرية، ذكر بيعة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

جواب أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية

كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية رداً على كتابه. قال: **أتاني كتاب امرئ ليس له نظر يهديه ولا قائد يرشده، دعاه الهوى فأجابه وقاده فاتبعه. زعمت أنه أفسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان. ولعمري ما كنت إلاّ رجلاً من المهاجرين أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا. وما كان الله ليجمعهم على ضلالة ولا ليضربهم بالعمى. وما أمرت فيلزمني خطيئة الأمر ولا قتلت فيجب عليّ القصاص. وأما قولك إن أهل الشام هم الحكام على أهل الحجاز فهات رجلاً من قريش الشام يقبل في الشورى أو تحل له الخلافة. فإن زعمت ذلك كذبك المهاجرون والأنصار، وإلاّ أتيتك به من قريش الحجاز. وأما قولك: ادفع إلينا قتلة عثمان، فما أنت وعثمان؟ إنما أنت رجل من بني أُمية، وبنو عثمان أولى بذلك منك. فإن زعمت أنك أقوى على دم أبيهم منهم فادخل في طاعتي ثم حاكم القوم إلى** (هكذا، ربما إليّ: م) **أحملك وإياهم على المحجة. وأما تمييزك بين الشام والبصرة وبين طلحة والزبير، فلعمري ما الأمر فيما هناك إلاّ واحد لأنها بيعة عامة لا يثنى فيها النظر ولا يستأنف فيها الخيار. وأما ولوعك بي في أمر عثمان، فما قلت ذلك عن حق العيان ولا يقين الخبر. وأما فضلي في الإسلام وقرابتي من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشرفي في قريش، فلعمري لو استطعتَ دفع ذلك لدفعتَه**[1].

(١) "من علي إلى معاوية بن صخر. أما بعد! ... لدفعته". **وقعة صفين،** ص٥٧، إبطاء جرير عند معاوية ؛ **العقد الفريد،** ج٣، ص٣٣٣، كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم، أخبار علي عليه السلام ومعاوية.

عودة جرير بن عبدالله من الشام

مكث جرير في الشام بضعة أشهر. وهذا كان سبباً لضياع الفرص ولتمكن معاوية من كسب الوقت والتهيؤ لمواجهة الإمام عليه السلام، خاصة بعد التحاق عمرو بن العاص وشرحبيل بجيش الشام. واعترض مالك الأشتر بعد عودة جرير وقال لأمير المؤمنين عليه السلام: **أما والله يا أمير المؤمنين لو كنت أرسلتني إلى معاوية لكنت خيراً لك من هذا الذي أرخى من خناقه وأقام [عنده] حتى لم يدع باباً يرجو روحه إلاّ فتحه أو يخاف غمه إلاّ سده.** فقال جرير (مدافعاً عن نفسه): **والله لو أتيتهم لقتلوك.** وخوّفه بعمرو وذي الكلاع وحوشب ذي ظليم **وقد زعموا أنك من قتلة عثمان.** فقال الأشتر: **لو أتيته والله يا جرير لم يعيني جوابها ولم يثقل عليّ محملها، ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر.** قال (جرير): **فأتهم إذن!** قال (مالك): **الآن وقد أفسدتهم ووقع بينهم الشر؟** وأقبل (مالك الأشتر) إلى جرير يشتمه ويقول: **يا أخا بجيلة! إن عثمان اشترى منك دينك بهمدان. والله ما أنت بأهل أن تمشي فوق الأرض حياً. إنما أتيتهم لتتخذ عندهم يداً بمسيرك إليهم، ثم رجعت إلينا من عندهم تهددنا بهم وأنت والله منهم ولا أرى سعيك إلاّ لهم، ولئن أطاعني أمير المؤمنين ليحبسنك وأشباهك في محبس لا تخرجون منه، حتى تستبين هذه الأُمور ويهلك الله الظالمين**[١].

---

(١) "لما رجع جرير إلى علي كثر قول الناس في التهمة لجرير في أمر معاوية. فاجتمع جرير والأشتر عند علي فقال الأشتر: أما والله ... بينهم الشر؟" "اجتمع جرير والأشتر عند علي فقال الأشتر: أليس قد نهيتك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريراً وأخبرتك بعداوته وغشه؟ وأقبل الأشتر يشتمه ويقول: يا أخا بجيلة! ... الظالمين". **وقعة صفين**، ص٥٩، تهمة جرير ودفاعه ؛ **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٣٥، ذكر تسريح معاوية جرير بن عبد الله إلى علي عليه السلام.

فرار جرير إلى قرقيسيا

لما أدرك جرير وخامة وضعه ونظرة أنصار الإمام عليه السلام إليه، فرّ إلى قرقيسيا والتحق به جماعة من الناس. فقام أمير المؤمنين عليه السلام بإحراق بيته وبيت رفيقه المسمى ثوير بن عامر[١].

أثبت هروب جرير إلى قرقيسيا أن جميع الاتهامات الموجهة إليه كانت صحيحة. لقد ظهر جرير على حقيقته بعد أن هرب إلى قرقيسيا وأثبت أنه كان من البداية على هوى بني أُمية. لذا قال في سبب هروبه: **لا نقيم في بلدة يعاب فيها عثمان**[٢] وبعد هروبه إلى قرقيسيا، كاتب جرير معاوية فطلب منه معاوية أن يلتحق به في الشام[٣].

(١) "فلما سمع جرير ذلك لحق بقرقيسيا ولحق به أُناس من قسر من قومه ولم يشهد صفين من قسر غير تسعة عشر، ولكن أحمس شهدها منهم سبعمائة رجل. وخرج علي إلى دار جرير فشعث منها وحرق مجلسه وخرج أبوزرعة بن عمر بن جرير فقال: أصلحك الله! إن فيها أرضاً لغير جرير. فخرج علي منها إلى دار ثوير بن عامر فحرقها وهدم منها، وكان ثوير رجلاً شريفاً وكان قد لحق بجرير". **وقعة صفين،** ص٥٩، تهمة جرير ودفاعه ؛ **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٣٥، ذكر تسريح معاوية جرير بن عبد الله إلى علي عليه السلام.

(٢) "ممن فارقه [عليه السلام] حنظلة الكاتب، خرج هو وجرير بن عبد الله البجلي من الكوفة إلى قرقيسيا وقالا: لا نقيم ببلدة يعاب فيها عثمان". **شرح نهج البلاغة**، ج٤، ص٩٣، ذيل الخطبة ٥٦، فصل في ذكر المنحرفين عن علي.

(٣) **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، ج٦، ص١٨٥، حوادث سنة ٣٦ هجرية، ذكر إرسال جرير إلى معاوية.

سبب هدم دار جرير بن عبدالله

لا شك في أن جريراً خان أمير المؤمنين عليه السلام وأضعف جبهته في العراق بهروبه إلى قرقيسيا مع جماعة. ولكن السؤال الذي لا مفر من إيجاد جواب عليه هنا هو: لماذا أحرق أمير المؤمنين عليه السلام داره في الكوفة؟

نظراً إلى أن جرير بن عبدالله كان رئيس قبيلة "بجيلة"،[١] فإن بعض المحللين يورد عدة أوجه في تفسير ما فعله أمير المؤمنين عليه السلام معه، نستعرض بعضها فيما يلي بإيجاز:

أ ـ كان هدم الدور من العقوبات المتعارف عليها في ذلك الزمان وتحمل مفهوماً ودلالة محددة. لقد كان رئيس القبيلة في الماضي قطب رحى العشيرة وملاذ أفرادها. وكان الناس يراجعونه في بيته ليقضي لهم حوائجهم. ومن الطبيعي أن أفراد القبيلة أعرضوا عن جرير لما رأوا شدة غضب الخليفة عليه لدرجة أن أحرق داره. وكان مجرى التطورات يصب في اندفاع الناس لتقديم الدعم للخليفة لتعزيز قدراته لمواجهة أعدائه.

ب ـ التفسير الثاني هو أن أمير المؤمنين عليه السلام، بإحراقه دار جرير، منع تزلزل الناس. فقد دلّ هدمه لدار جرير على أن التراجع عن الحق والركون إلى الباطل لا يمكن أن يكون بدون ثمن وأنه لا يحق لأيٍ كان أن يُضعف جبهة الحق.

---

(١) "قال ابن إسحق: جرير بن عبد الله البجلي سيد قبيلته، يعني بجيلة". **الاستيعاب في معرفة الأصحاب،** ج١، ص٣٠٨، ترجمة جرير بن عبد الله، الرقم ٣٢٦.

تصرفات جرير في ميزان التقييم

كان جرير بن عبدالله من أنصار الخليفة الثالث وأعوانه وعامله على "همدان". ومع أنه وقف موقفاً حسناً في المسجد، عندما عزله أمير المؤمنين عليه السلام، والتحق بالإمام عليه السلام في الكوفة، وأنه تكلم بكلام جيد في مقابلاته الأُولى لمعاوية وفي الخطب التي ألقاها في الشام، فإن سوء ظن مالك الأشتر به عندما قرر أمير المؤمنين عليه السلام إرساله سفيراً إلى الشام، وإهداره الفرص في الشام، والكلام الذي تبادله مع مالك بعد عودته من الشام، وعدم تحمله ذكر عيوب عثمان، وهروبه إلى قرقيسيا، وهدم أمير المؤمنين عليه السلام داره، وبغضه وعداءه لأمير المؤمنين عليه السلام، كل هذا يدل على أنه كان خائناً وكان له تأثير كبير في تجهيز جيش الشام لمواجهة أمير المؤمنين عليه السلام.

إرسال ثالث سفير للسلام إلى الشام

لغرض التوسط من أجل منع وقوع الحرب، اقترح عدي بن حاتم على أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: **يا أمير المؤمنين! إن عندي رجلاً من قومي لا يجاري** (هكذا: م) **به وهو يريد أن يزور ابن عم له حابس بن سعد الطائي بالشام. فلو أمرناه أن يلقى معاوية لعله أن يكسره ويكسر أهل الشام.** فقال له علي عليه السلام: **نعم، فمره بذلك.** وكان اسم الرجل خفاف بن عبدالله، فقدم على ابن عمه حابس بن سعد بالشام، وكان حابس سيد طيئ. فحدث خفاف حابساً أنه شهد عثمان بالمدينة وسار مع علي عليه السلام إلى الكوفة. وكان لخفاف لسان وهيئة وشعر، فغدا حابس وخفاف إلى معاوية، فقال حابس: **هذا ابن عمي قدم الكوفة مع علي عليه السلام وشهد عثمان بالمدينة وهو ثقة.** فقال له معاوية: **هات يا أخا طيئ، حدثنا عن عثمان.** قال: **حصره المكشوح، وحكم فيه حكيم، ووليه محمد وعمار، وتجرد في أمره ثلاثة نفر عدي بن حاتم والأشتر النخعي وعمرو بن الحمق، وجد في أمره رجلان طلحة والزبير، وأبرأ الناس منه علي.** قال: **ثم مه؟** قال: **ثم تهافت الناس على علي عليه السلام بالبيعة تهافت الفراش حتى ضلت النعل وسقط الرداء ووطئ الشيخ ولم يذكر عثمان ولم يذكر له. ثم تهيأ للمسير وخف معه المهاجرون والأنصار وكره القتال معه ثلاثة نفر سعد بن مالك وعبدالله بن عمر ومحمد بن مسلمة، فلم يستكره أحداً واستغنى بمن خف معه عمن ثقل. ثم سار حتى أتى جبل طيئ فأتاه منا جماعة كان ضارباً بهم الناس حتى إذا كان في بعض الطريق أتاه مسير طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة فسرح رجالاً إلى الكوفة فأجابوا دعوته. فسار إلى البصرة فهي في كفه. ثم قدم إلى الكوفة فحمل إليه الصبي ودبت إليه العجوز وخرجت إليه العروس فرحاً به وشوقاً إليه. فتركته وليس همه إلاّ الشام.** سمع معاوية قصيدة خفاف فذعر معاوية من قوله وقال حابس: **أيها الأمير! لقد أسمعني شعراً غيّر به حالي في عثمان وعظّم به علياً عليه السلام عندي.** قال معاوية: **أسمعنيه يا خفاف!** فأسمعه

قوله شعراً. (ارتياب معاوية في خفاف وإعجابه به) فانكسر معاوية وقال: **يا حابس! إني لا أظن هذا إلاّ عيناً لعلي** عليه السلام **أخرجه عنك لا يفسد أهل الشام**[1]!

(١) "قام عدي بن حاتم إلى علي عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين! ... فأسمعه قوله شعراً. ارتياب معاوية في خفاف وإعجابه به (هكذا جاءت هذه العبارة في سياق الاقتباس: م) فانكسر معاوية ... أهل الشام". **وقعة صفين**، ص٦٤ إلى ٦٨، إرسال عدي إلى معاوية ؛ **الفتوح**، ج١، ص٥٠٦، خبر الطائي مع معاوية.

مكاتبات معاوية

يشهد التاريخ أن الإمام علياً عليه السلام حاول بشتى الوسائل أن يطفئ فتنة معاوية بالطرق السلمية وأن يخمد تمرده ويقصر يد ظلمه للناس. ولكن معاوية لم يستجب لذلك بل سعى سعياً حثيثاً إلى زعزعة النظام العام وأمن البلاد الإسلامية، محاولاً أن يُلبس محاولاته ثوباً شرعياً وقانونياً تحقيقاً لمطامعه.

في البداية، كتب معاوية إلى أهل المدينة لغرض استغلال إمكانياتهم في مواجهة الإمام علي عليه السلام وكتب أيضاً إلى ثلاث شخصيات سياسية ليستغل وجاهتهم الاجتماعية في إضفاء الشرعية على حركته. وكانت غايته من تلك المراسلات أن يستقطبهم إلى جانبه إن أمكنه ذلك، أو أن يتقي مخالفتهم على أقل تقدير.

وكانت رسالته الأُخرى إلى عبدالله بن عمر بن الخطاب، وكان ذا منزلة مرموقة في الناس، فكان بمقدوره أن يستغله في التحريض على الإمام عليه السلام.

وكتب أيضاً إلى سعد بن أبي وقاص الذي كان قد فتح العراق وكان ضمن لجنة الشورى السداسية التي عيّنها عمر. أما الثالث فكان محمد بن مسلمة.

التشاور مع عمرو بن العاص

تشاور معاوية مع وزيره المستشار حول الكتب التي يرسلها. فأعمل عمرو فكره جيداً ثم حذّر معاوية من أن تلك المراسلات لن تجديه نفعاً. قال: **إنما نكتب إلى ثلاثة نفر: راض بعلي فلا يزيده ذلك إلاّ بصيرة، أو رجل يهوى عثمان فلن نزيده على ماهو عليه، أو رجل معتزل فلست بأوثق في نفسه من علي** فلن تنفع هذه الكتب في شيء[١].

أ ـ كتاب معاوية إلى أهل المدينة

أصرّ معاوية على الكتابة رغم مخالفة عمرو بن العاص، فكتب أولاً رسالة إلى أهل المدينة يحرضهم فيها على علي عليه السلام بدعوى الاقتصاص لدم عثمان. كتب في رسالته المفتوحة: **أما بعد! فإنه مهما غابت عنا من الأُمور فلن يغيب عنا أن علياً قتل عثمان، والدليل على ذلك مكان قتلته منه. وإنما نطلب بدمه حتى يدفعوا إلينا قتلته فنقتلهم بكتاب الله. فإن دفعهم علي إلينا كففنا عنه وجعلناها شورى بين المسلمين على ما جعلها عليه عمر بن الخطاب. وأما الخلافة فلسنا نطلبها، فأعينونا على أمرنا هذا وانهضوا من ناحيتكم، فإن أيدينا وأيديكم إذا اجتمعت على أمر واحد هاب على** (هكذا، وربما علي: م) **ما هو فيه**، (وحققنا المراد)[٢].

جواب أهل المدينة

كان أهل المدينة يعرفون جيداً ما يضع معاوية من خطط مشؤومة ولا يغيب عنهم ماضيه وماضي عمرو بن العاص. فبعد أن اطلعوا على كتاب معاوية ردوا عليه رداً عنيفاً وآيسوه من مساندتهم. كتبوا له يقولون: **أما بعد! فإنكما** (يعنونه وعمرواً) **أخطأتما موضع النصرة وتاولتماها من مكان بعيد. يا ابن هند ويا ابن العاص! ما أنتما والمكاتبة والمشورة؟ وما أنتما والخلافة والشورى؟**

---

(١) "لما أراد معاوية المسير إلى صفين قال لعمرو بن العاص: إني قد رأيت أن نلقي إلى أهل مكة وأهل المدينة كتاباً نذكر لهم فيه أمر عثمان، فإما أن ندرك حاجتنا وإما أن يكف القوم عنا. قال عمرو: إنما نكتب ... من علي". **وقعة صفين**، ص٦٢، استشارة معاوية عمرواً قبل المسير إلى صفين.

(٢) "فكتب: أما بعد! ... ما هو فيه". **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٤٢، ذكر كتاب معاوية إلى أهل المدينة يستنصرهم.

أما أنت يا معاوية فطليق العين. وأما أنت يا عمرو فخائن في الدين. فكفا عن المكاتبة فليس لكما المكاتبة لأهل المدينة ولي ولا نصير ولا معين ولا ظهير[١].

بعد أن اطلع معاوية على ردّ أهل المدينة ذهب إلى عمرو بن العاص وقال له بعد أن شتم أهل المدينة: لقد أخطأنا بالكتابة إلى أوباش المدينة. وكان ينبغي أن نكتب إلى عبدالله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة. فعارضه عمرو مرة أُخرى وقال له: أخشى أن يردوا عليك بما لا ترضى[٢].

ب ـ كتاب معاوية إلى عبدالله بن عمر[٣]

كان عبدالله بن عمر من معارضي عثمان والمحرضين عليه. ولكي يدفعه معاوية إلى الوقوف بوجه أمير المؤمنين عليه السلام، وعده بأن يسلمه الخلافة. فكتب إليه يقول له: **أما بعد! فإنه لم يكن أحد من**

(١) "فلما قرئ كتاب معاوية على أهل المدينة اجتمعوا فكتبوا إلى معاوية وعمرو بن العاص جميعاً: أما بعد! ... ولا ظهير". ثم كتب رجل من الأنصار أبياتاً من الشعر مطلعها: معاوي إن الحق أبلج واضح ... وليس كما ربصت أنت ولا عمرو". **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٤٢، ذكر كتاب معاوية إلى أهل المدينة يستنصرهم.

(٢) **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٤٢، ذكر كتاب معاوية إلى أهل المدينة يستنصرهم.

(٣) كان عبد الله بن عمر بن الخطاب في العاشرة من عمره تقريباً في السنة التي هاجر فيها النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة. شارك في اليرموك والقادسية وجلولاء وباقي حروب العرب ضد الإيرانيين. وشارك أيضاً في فتح مصر. وكان في الثانية والعشرين عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله. يقول المؤرخون من أهل السنة: لم يبايع عبد الله بن عمر أحداً بعد مقتل عثمان وفي فترة الفتنة ولم يشارك مع عائشة وطلحة والزبير ومعاوية والخوارج في حروبهم على الإمام علي عليه السلام. عمل على الإفتاء في المسلمين نحواً من ستين سنة وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله روايات كثيرة. توفي سنة ٧٤ هجرية عن ست وثمانين سنة. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٣، ص٨٠ ـ ٨٣، ترجمة عبد الله بن عمر، الرقم ١٦٣٠؛ **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٣، ص٣٣٦ ـ ٣٤١، ترجمة عبد الله بن عمر، الرقم ٣٠٨٢. يقول محمد بن جرير الطبري: بايع جميع الأنصار وأهل المدينة علياً عليه السلام إلاّ سبعة هم: سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وصهيب بن سنان وزيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة وسلمة بن وقش وأُسامة بن زيد. **تاريخ الطبري**، ج٢، ص٦٩٩، حوادث سنة ٣٥ هجرية، خلافة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب. عندما تراجع أهل المدينة عن بيعتهم ليزيد وخلعوه من الخلافة، تأثر عبد الله بن عمر فجمع أهل بيته وقال: سمعت رسول الله يقول أنه في يوم القيامة يرفع لكل ناكث عهد ومخادع علم يعرف به. وقد بايعنا يزيد وإن الرجوع عن بيعته وخلعه من الخلافة وإعلان الحرب عليه من أكبر الذنوب. فمن رجع منكم عن بيعته ليزيد وبايع غيره قطعت صلتي به. **صحيح البخاري**، ص١٣٩٦، كتاب الفتن، الباب ٢١، باب إذا قال =عند قوم شيئاً ثم خرج فقال بخلافه، الحديث ٧١١١. يقول ابن أبي الحديد: إن عبد الله بن عمر لم يبايع علياً عليه السلام. ولكي لا يشمله قول النبي

قريش أحب إلي أن يجتمع عليه الأُمة بعد قتل عثمان منك. ثم ذكرت خذلك إياه وطعنك على أنصاره، فتغيرت لك. وقد هوّن ذلك عليَّ خلافك على علي، ومحا عنك بعض ما كان منك. فأعنّا رحمك الله على حق هذا الخليفة المظلوم، فإني لست أُريد الإمارة عليك، لكني أُريدها لك. فإن أبيتَ كانت شورى بين المسلمين[1].

ﷺ "من مات ولا إمام له مات ميتة جاهلية"، ذهب ليلاً إلى بيت الحجاج بن يوسف الثقفي ليبايع عبدالملك بن مروان. فما كان من الحجاج إلاّ أن أخرج رجله من الغطاء ومدها إليه وقال له: امسح عليها إذا كنت تريد مبايعة عبدالملك بن مروان، استهانة بعبد الله وتحقيراً له. **شرح نهج البلاغة**، ج١٣، ص٢٤٢، ذيل الخطبة ٢٣٨، القول في إسلام أبي بكر وعلي وخصائص كل منهما.

(١) "أما بعد! ... بين المسلمين". **وقعة صفين**، ص٧١، ج٢، كتاب معاوية إلى ابن عمر.

رد عبدالله بن عمر على كتاب معاوية

كان عبدالله بن عمر يعرف جيداً ما يخطط له معاوية، ويعلم أنه إنما يريد أن يتخذه جسراً للعبور إلى مصالحه وأطماعه. لذا أشار إلى فضائل أمير المؤمنين عليه السلام في رده عليه وقال: **أما بعد! فإن الرأي الذي أطمعك فيّ هو الذي صيّرك إلى ما صيّرك إليه، أني تركت علياً في المهاجرين والأنصار وطلحة والزبير وعائشة أُم المؤمنين واتبعتك. أما زعمك أني طعنت على علي، فلعمري ما أنا كعلي في الإيمان والهجرة ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وآله ونكايته في المشركين. ولكن حدث أمر لم يكن من رسول الله صلى الله عليه وآله إليّ فيه عهد ففزعت فيه إلى الوقوف وقلت: إن كان هدىً ففضلٌ تركته، وإن كان ضلالة فشرٌ نجوت منه. فأغن عنا نفسك**[١].

ج ـ كتاب معاوية إلى سعد بن أبي وقاص[٢]

لغرض استدراج سعد بن أبي وقاص إلى جانبه، لجأ معاوية إلى التباهي بما فعله نظائره من أعضاء الشورى، فكتب إليه يقول: **أما بعد فإن أحقّ الناس بنصر عثمان أهلُ الشورى من قريش الذين**

---

(١) **وقعة صفين**، ص٧٢، ارتياب معاوية في خفاف وإعجابه به (ربما العبارة الأخيرة في غير محلها: م).

(٢) سعد بن أبي وقاص من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان هواه مع عثمان. ورغم أنه روى روايات كثيرة في فضائل الإمام علي وأهل البيت عليهم السلام ومناقبهم، ومعرفته بمقامهم ومنزلتهم، إلاّ أنه لم يبايع الإمام علياً عليه السلام حين بايعه جميع المسلمين بعد مقتل عثمان. وكان من الذين حققوا ثروات وأموالاً طائلة في ظل خلافة عثمان، حتى قال الذهبي إن تركة سعد حين مات بلغت ٢٥٠٠٠٠ درهم ولم يبايع أميرالمؤمنين عليه السلام بعد مقتل عثمان. **تاريخ الطبري**، ج٢، ص٦٩٩، حوادث سنة ٣٥ هجرية، خلافة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب. في معرض روايته التي ينقلها عن جانب من حوادث السقيفة وما جرى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، يشير الشيخ الصدوق إلى دور سعد ويقول: بقي أبوبكر في بيته ثلاثة أيام ولم يحضر في المسجد. وفي اليوم الثالث ذهب إليه عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبوعبيدة الجرّاح ومع كل واحد منهم عشرة رجال مسلحين من عشيرته فأخذوه إلى المسجد وأجلسوه على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله. **الخصال**، ص٥٠٧، أبواب الاثني عشر، الذين أنكروا على أبي بكر جلوسه في الخلافة وتقدمه على علي بن أبي طالب اثنا عشر، الحديث الرابع و (هكذا: م). استناداً إلى ما ينقله الشيخ الصدوق فإن سعد بن أبي وقاص كان أحد أصحاب العقبة الذين همّوا بقتل النبي صلى الله عليه وآله في أثناء غزوة تبوك وذلك بإفزاع الناقة التي كان يركبها وإسقاطه معها في الوادي. **الخصال**، ص٥٤٤ ـ ٥٤٥، أبواب أربعة عشر رجلاً، الحديث السادس.

أثبتوا حقه واختاروه على غيره. وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكاك في الأمر ونظيراك في الإسلام، وخفت لذلك أُم المؤمنين. فلا تكرهن ما رضوا ولا تردن ما قبلوا، فإنا نردها شورى بين المسلمين[١].

(١) **وقعة صفين**، ص٧٤، كتاب معاوية إلى سعد.

جواب الكتاب

لم يختلف ردّ سعد على كتاب معاوية عن ردّ عبدالله بن عمر. فقد تضمن اعترافاً بأحقية علي بن أبي طالب عليه السلام وأفضليته. كما تضمن تعريضاً بعدم كفاءة معاوية وعدم أهليته للخلافة. فقد كتب سعد إلى معاوية يقول: **أما بعد! فإن عمر لم يُدخل في الشورى إلاّ من يحل له الخلافة من قريش. فلم يكن أحد منا أحق بها من صاحبه [إلاّ] باجتماعنا عليه. غير أن علياً قد كان فيه ما فينا ولم يك فينا ما فيه. وهذا أمر قد كرهنا أوله وكرهنا آخره. فأما طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما كان خيراً لهما. والله يغفر لأُم المؤمنين ما أتت**[١].

د ـ كتاب معاوية إلى محمد بن مسلمة[٢]

كان معاوية يعلم أن محمد بن مسلمة لم يكن على علاقة طيبة مع أمير المؤمنين عليه السلام، بل كان محسوباً على أعدائه. لذا كتب إليه كتاباً رجاءَ أن يستميله إلى جانبه لأنه كان أحد صحابة النبي

---

(١) **وقعة صفين**، ص٧٤، إجابة سعد لمعاوية.

(٢) محمد بن مسلمة الأنصاري من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله كان من أعضاء الحزب المعارض لأميرالمؤمنين وأهل البيت عليهم السلام ومن أعدائهم. وُلد قبل الهجرة باثنتين وعشرين سنة. حضر جميع حروب رسول الله صلى الله عليه وآله في صفوف المشركين. بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله بأكثر من مهمة. بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله كان ملازماً لأبي بكر وعمر وعثمان ومعاونيهم وموضع ثقتهم، وشغل مناصب مختلفة في خلافتهم مكنته من تحقيق أموال طائلة. لم يبايع أميرالمؤمنين عليه السلام بعد مقتل عثمان على يد الصحابة، كما أنه لم يشهد الجمل وصفين. توفي في المدينة حوالي سنة ٤٢ هجرية فصلى عليه مروان بن الحكم. وهناك رأي بأنه ترك المدينة بعد مقتل عثمان وذهب إلى الربذة ومات فيها. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٣، ص٤٣٣ ـ ٤٣٤، ترجمة محمد بن مسلمة، الرقم ٢٣٧٢ ؛ **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٥، ص١٠٦ ـ ١٠٨، ترجمة محمد بن مسلمة، الرقم ٤٧٦٨ ؛ **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج٦، ص٢٨ ـ ٢٩، ترجمة محمد بن مسلمة، الرقم ٧٨٢٢. وكان من مبغضي أميرالمؤمنين عليه السلام ومعاديه. ولما لم يبايع عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة أميرالمؤمنين عليه السلام، قال عليه السلام لعمار: اتركوا هؤلاء الثلاثة، فأما عبد الله بن عمر فضعيف في دينه، وأما سعد بن أبي وقاص فهو امرؤ حسود، وأما محمد بن مسلمه فحق له أن لا يبايعني لأني قتلت أخاه مرحب اليهودي في خيبر. **الإمامة والسياسة**، ج١، ص٥٤، اعتزال عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة عن مشاهدة علي وحروبه. كان محمد بن مسلمة من الستة الذين سماهم آباؤهم بهذا الاسم رجاء أن يكونوا النبي الموعود. **الوافي بالوفيات**، ج١، ص٥٥، ترجمة النبي صلى الله عليه وآله؛ **السيرة النبوية**، ج١، ص١٩٧، لم يسم أحد قبله أحمد ولم يسم قبله محمد إلاّ ستة. ويكفي لإثبات عداوة محمد بن مسلمة لأميرالمؤمنين وأهل البيت عليهم السلام أنه كان من رجال أبي بكر وعمر وحزب السقيفة، وكان ممن شارك في

ﷺ وكانت له منزلة مرموقة في عهد الخلفاء وشغل مناصب عديدة. لذا اعتقد أنه لو استطاع أن يقنعه بالانضمام إليه فإنه سيضمن دعم شريحة من أهل المدينة كانوا يتبعونه، فكتب إليه يقول: **أما بعد! فإني لم أكتب إليك وأنا أرجو متابعتك. ولكني أردت أن أُذكرك النعمة التي خرجت منها والشك الذي صرت إليه. إنك فارس الأنصار وعدة المهاجرين، ادعيت على رسول الله ﷺ أمراً لم تستطع إلاّ أن تمضي عليه. فهذا نهاك عن قتال أهل الصلاة، فهلا نهيت أهل الصلاة عن قتال بعضهم بعضاً وقد كان عليك أن تكره لهم ما كره لك رسول الله ﷺ أولم تر أن عثمان وأهل الدار من أهل الصلاة؟ فأما قومك فقد عصوا الله وخذلوا عثمان والله سائلك وسائلهم عن الذي كان يوم القيامة**[1].

الهجوم على بيت فاطمة الزهراء عليها السلام. كافأه عمر بن الخطاب في فترة خلافته بأن أسند إليه مهمة شؤون العمال. وكان له مكانة مرموقة في خلافة عثمان. يعتبر محمد بن مسلمة من الأنصار القلائل الذين لم يبايعوا علياً عليه السلام بعد مقتل عثمان =بيد الصحابة ومبايعة الناس لعلي عليه السلام. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ج١٣، ص٦٨، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي: إن ابني هذا لسيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين، الحديث ٧١٠٩ ـ ٧١١٠. شارك في الهجوم على بيت الزهراء وعلي عليهما السلام وكان يرافق عمر بن الخطاب. يقول إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف: كان أبي عبدالرحمن بن عوف ومحمد بن مسلمة مع عمر بن الخطاب عند الهجوم على بيت فاطمة الزهراء عليها السلام وقد كسر محمد بن مسلمة سيف الزبير. **المستدرك على الصحيحين**، ج٣، ص٧٠، كتاب معرفة الصحابة، أبوبكر بن أبي قحافة، الحديث [الرقم غير واضح: المترجم].

(١) **وقعة صفين**، ص٧٦، كتاب معاوية إلى محمد بن مسلمة.

ردّ محمد بن مسلمة على كتاب معاوية

كان محمد بن مسلمة يعرف شخصية معاوية بجميع أبعادها، ويعلم أن غايته من كل تلك المساعي والمراسلات تحقيق غايات دنيوية. لذا صدّه برد قوي، ولم ينس أن يعرّض بخذلانه عثمان، فكتب إليه يقول: **أما بعد! فقد اعتزل هذا الأمر من ليس في يده من رسول الله ﷺ مثل الذي في يدي. فقد أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن قبل أن يكون، فلما كان كسرت سيفي وجلست في بيتي واتهمت الرأي على الدين، إذ لم يصح معروف آمر به ولا منكر أنهى عنه. وأما أنت فلعمري ما طلبت إلاّ الدنيا ولا اتبعت إلاّ الهوى. فإن تنصر عثمان ميتاً فقد خذلته حياً. فما أخرجني الله من نعمة ولا صيّرني إلى شك. إن كنت أبصرت خلاف ما تحبني به ومن قبلنا من المهاجرين والأنصار فنحن أولى بالصواب منك**[١].

يمكن استنتاج أكثر من ملاحظة من أجوبة هؤلاء الثلاثة:

الأُولى: هي أن أياً من هؤلاء الثلاثة، وجميعهم صحابة، لم يُعن عثمان. بل إن عبدالله بن عمر اشترك في قتله بشكل من الأشكال، إذ تسبب في تضعيف موقعه الاجتماعي من خلال الطعن بأنصاره.

الثانية: أن عبدالله بن عمر وسعد بن أبي وقاص يصرحان بأن علي بن أبي طالب عليه السلام أفضل منهما وأجدر (بالخلافة: م) رغم أنهما لم يبايعاه ولم ينصراه في حروبه.

الثالثة: أن أياً من هؤلاء الثلاثة لم يتلق نداء معاوية بالترحاب، ولم يعتبروه جديراً حتى بالمطالبة بدم عثمان.

الرابعة: أن سعد بن أبي وقاص عدّ مشعلي نار حرب الجمل مذنبين وأنه ما كان لهم أن يجردوا سيوفهم بوجه أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) **وقعة صفين**، ص٧٦، جواب محمد.

مشورة أبي مسلم الخولاني[١]

بعد العديد من المراسلات بين الفريقين، دخل الساحة أشخاص آخرون مثل أبي مسلم الخولاني للتوسط للمصالحة بين الطرفين المتخاصمين. فذهب أبومسلم إلى معاوية وكان عنده عدد كبير من قرّاء الشام، وقال له: **على ما تقاتل علياً وليس لك مثل سابقته وقرابته وهجرته؟** فقال معاوية: **ما أُقاتله وأنا أدّعي في الإسلام مثل الذي ذكرت أنه له، ولكن ليدفع إلينا قتلة عثمان فنقتلهم به. فإن فعل فلا قتال بيننا وبينه**[٢].

(١) أدرك أبومسلم الخولاني الجاهلية وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولكنه حين وصل المدينة كان النبي ﷺ قد توفي فلم يره. كان من أهل اليمن ولكنه سكن الشام وصاحب معاوية، لذا عُدّ من رواة الشام. وتزخر مصادر التراجم والرجال السنية بالكرامات الموضوعة لأبي مسلم الخولاني ؛ من قبيل مشيه على الماء، وانشقاق النهر له وللمسلمين، وعدم الاحتراق بالنار، ونزول الغيث بدعائه، وإصابة امرأة بالعمى بدعائه، وتوقف الغزال بدعائه، ونزول الطعام من السماء له ولرفاق سفره، وعدم تأثير السم فيه. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٤، ص٣١٩ ـ ٣٢٠، ترجمة أبي مسلم الخولاني، الرقم ٣٢٠٨ ؛ **المعارف**، ص٤٣٩، ترجمة أبي مسلم الخولاني ؛ **تاريخ دمشق الكبير**، ج٢٩، ص١٢٩ ـ ١٥٨، ترجمة عبد الله بن ثوب، الرقم ٣٢٩٤ ؛ **المنتظم في تواريخ الملوك والأُمم**، ج٤، ص١٤٧ ـ ١٤٨، حوادث سنة ٦٠ هجرية. يقول ابن جبير في رحلته: قبر أبي مسلم الخولاني في قرية داريا على بعد أربعة أميال غرب دمشق وعليه قبة ومزار. **رحلة ابن جبير**، ص٢١٩، مدينة دمشق. كان أبومسلم الخولاني، كما كان أكثر أهل الشام، عثماني الهوى. **تاريخ المدينة المنورة**، ج٤، ص١٢٥٢ ـ ١٢٥٣. بعد أن ينقل العلاّمة الأميني بعض الكرامات التي تنسبها كتب أهل السنة لأبي مسلم الخولاني، يقول: أتعلمون لماذا توضع مثل هذه الكرامات لأبي مسلم؟ أتصدقون أن في فئة معاوية والشام الباغية الطاغية رجل مؤمن؟ فضلاً عن أن يكون رجلاً إلهياً يحوي كل تلك الفضائل والمناقب؟ هل من المعقول أن يكون في الشام في زمن معاوية رجل يعرف الله ولم يخطئ في تمييز الحق من الباطل ولم ينحرف عن الحق؟ إن سبب نسج جميع تلك الفضائل والكرامات لأبي مسلم الخولاني هو أنه لازم بني أُمية وساندهم وأنه كان معادياً لأهل البيت عليهم السلام. كان أبومسلم الخولاني من أنصار عثمان والأُمويين، وقاتل تحت رايتهم ضد إمام زمانه. وهو الذي اتهم أهل المدينة بأجمعهم بقتل عثمان والمشاركة فيه وقال إنهم شرٌ من قوم ثمود، وجاء مبعوثاً من معاوية إلى الإمام علي عليه السلام، وأنشد شعراً في صفين يعلن فيه عن طاعته لمعاوية ودعمه له. فهل لمن له هذا التاريخ الأسود أن تكون له تلك الكرامات البيض؟ إن الإسلام وتعاليمه والعقل والمنطق كلها تشهد بأن جميع الكرامات والفضائل المنسوبة إلى أبي مسلم الخولاني موضوعة وكاذبة. إن التعصب الأعمى واتباع الهوى توصل الإنسان إلى درجة أن يعتبر أبامسلم الخولاني الشامي الخارجي الباغي المحارب لإمام زمانه، زاهداً عابداً ناسكاً صاحب كرامات ومقامات وفضائل. **الغدير في الكتاب والسنة والأدب**، ج١١، ص١٤٥ ـ ١٤٧، الغلو الفاحش أو قصص الخرافة في فضائل الأولياء.

(٢) **أنساب الأشراف**، ج٣، ص٦٦، أمر صفين ؛ **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص١٤٠، ترجمة معاوية بن أبي سفيان، الرقم ٢٥.

لقد كان تفوق أمير المؤمنين عليه السلام على معاوية من الوضوح بحيث يصرّح به حتى المقربون من معاوية، ولا يملك معاوية نفسُه إلاّ الإذعان له. فلما حمل أبومسلم كتابساً من معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السلام، قال له عليه السلام: **اغد عليّ غداً فخذ جواب كتابك**. ولم يعلم الناس بما جاء في الكتاب، فتجمعوا في اليوم التالي في المسجد فهتفوا: **كلنا قتل ابن عفان**. فقال أمير المؤمنين عليه السلام لأبي مسلم: **والله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفة عين**(١).

---

(١) "قام أبومسلم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإنك قد قمت بأمر وتوليته والله ما أُحب أنه لغيرك إن أعطيت الحق من نفسك. إن عثمان قُتل مسلماً محرماً مظلوماً، فادفع إلينا قتلته وأنت أميرنا. فإن خالفك أحد من الناس كانت أيدينا لك ناصرة وألسنتنا لك شاهدة، وكنت ذا عذر وحجة. فقال له علي: اغد عليّ غداً فخذ جواب كتابك. فانصرف ثم رجع من الغد ليأخذ جواب كتابه، فوجد الناس قد بلغهم الذي جاء فيه، فلبست الشيعة أسلحتها ثم غدوا فملأوا المسجد وأخذوا ينادون: كلنا قتل ابن عفان [وأكثروا من النداء بذلك]. وأُذن لأبي مسلم فدخل على علي أميرالمؤمنين فدفع إليه جواب كتاب معاوية، فقال له أبومسلم: قد رأيت قوماً ما لك معهم أمر. قال: وما ذاك؟ قال: بلغ القوم أنك تريد أن تدفع إلينا قتلة عثمان فضجوا واجتمعوا ولبسوا السلاح وزعموا أنهم كلهم قتلة عثمان. فقال علي: والله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفة عين. لقد ضربت هذا الأمر أنفه وعينيه ما رأيته ينبغي لي أن أدفعهم إليك ولا إلى غيرك". **وقعة صفين**، ص٨٥، قدوم أبي مسلم الخولاني على معاوية.

كتابان تحريضيان من معاوية

بعث معاوية برسالتين تحريضيتين متشابهتي المضمون إلى أمير المؤمنين عليه السلام بيد أبي مسلم الخولاني وأبي الدرداء. وكانت غايته من تلك الرسائل، التي بعثها بتوصية من عمرو بن العاص، أن يثير الإمام عليه السلام ضد الخلفاء السابقين ليستغل ردّه في تعبئة الناس ضده.

يتحدث ابن أبي الحديد عن مكر معاوية وفتنه نقلاً عن أبي جعفر النقيب فيقول: **كان معاوية يتسقط علياً وينعى عليه ما عساه يذكره من حال أبي بكر وعمر وأنهما غصباه حقه. ولايزال يكيده بالكتاب يكتبه والرسالة يبعثها يطلب غرته لينفث بما في صدره من حال أبي بكر وعمر، إما مكاتبة أو مراسلة، فيجعل ذلك حجة عليه عند أهل الشام ويضيفه إلى ما قرره في أنفسهم من ذنوبه كما زعم. فقد كان غمصه عندهم بأنه قتل عثمان ومالأ على قتله وأنه قتل طلحة والزبير وأسر عائشة وأراق دماء أهل البصرة. وبقيت خصلة واحدة وهو** (هكذا، والأرجح وهي: م) **أن يثبت عندهم أنه يتبرأ من أبي بكر وعمر وينسبهما إلى الظلم ومخالفة الرسول في أمر الخلافة وأنهما وثبا عليها غلبة وغصباه إياها. فكانت هذه الطامة الكبرى ليست مقتصرة على فساد أهل الشام عليه، بل وأهل العراق الذين هم جنده وبطانته وأنصاره لأنهم كانوا يعتقدون إمامة الشيخين، إلاّ القليل الشاذ من خواص الشيعة. فلما كتب ذلك الكتاب مع أبي مسلم الخولاني قصد أن يغضب علياً ويحرجه ويحوجه إذا قرأ ذكر أبي بكر وأنه أفضل المسلمين إلى أن يخلط خطه في الجواب بكلمة تقتضي طعناً في أبي بكر. فكان الجواب مجمجماً غير بيّن، ليس فيه تصريح بالتظليم لهما ولا التصريح ببراءتهما، وتارة يترحم عليهما وتارة يقول أخذا حقي وقد تركته لهما. فأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يكتب كتاباً ثانياً مناسباً للكتاب الأول ليستفزا فيه علياً ويستخفاه ويحمله الغضب منه أن يكتب كلاماً يتعلقان به في تقبيح حاله وتهجين مذهبه. وقال له عمرو: إن علياً رجل نزق تيّاه، وما استطعمت منه الكلام بمثل تقريظ أبي بكر وعمر، فاكتب. فكتب كتاباً أنفذه إليه مع أبي اُمامة الباهلي وهو من الصحابة، بعد أن عزم على بعثته مع أبي الدرداء ونسخة الكتاب: من عبدالله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب. أما بعد! فإن الله تعالى جده اصطفى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لرسالته واختصه بوحيه وتأدية شريعته. فأنقذ به من العماية وهدى به من**

الغواية. ثم قبضه إليه رشيداً حميداً، قد بلغ الشرع ومحق الشرك وأخمد نار الإفك. فأحسن الله جزاءه وضاعف عليه نعمه وآلاءه. ثم إن الله سبحانه اختص محمداً بأصحاب أيدوه وآزروه ونصروه، وكانوا كما قال الله سبحانه لهم ((أشداء على الكفار رحماء بينهم)). فكان أفضلهم مرتبة وأعلاهم عند الله والمسلمين منزلة، الخليفة الأول الذي جمع الكلمة ولمّ الدعوة وقاتل أهل الردة. ثم الخليفة الثاني الذي فتح الفتوح ومصّر الأمصار وأذل رقاب المشركين. ثم الخليفة الثالث المظلوم الذي نشر الملة وطبق الآفاق بالكلمة الحنيفية. فلما استوثق الإسلام وضرب بجرانه، عدوت عليه فبغيته الغوائل ونصبت له المكائد وضربت له بطن الأمر وظهره ودسست عليه وأغريت به وقعدت حيث استنصرك عن نصره وسألك أن تدركه قبل أن يمزق فما أدركته، وما يوم المسلمين منك بواحد. لقد حسدت أبابكر والتويت عليه ورمت إفساد أمره وقعدت في بيتك واستغويت عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيعته. ثم كرهت خلافة عمر وحسدته واستطلت مدته وسررت بقتله وأظهرت الشماتة بمصابه، حتى أنك حاولت قتل ولده لأنه قتل قاتل أبيه. ثم لم تكن أشد منك حسداً لابن عمك عثمان، نشرت مقابحه وطويت محاسنه وطعنت في فقهه ثم في دينه ثم في سيرته ثم في عقله، وأغريت به السفهاء من أصحابك وشيعتك، حتى قتلوه بمحضر منك لا تدفع عنه بلسان ولا يد. وما من هؤلاء إلاّ من بغيت عليه وتلكأت في بيعته، حتى حملت إليه قهراً، تساق بخزائم الاقتسار كما يساق الفحل المخشوش. ثم نهضت الآن تطلب الخلافة وقتلة عثمان خلصاؤك وسجراؤك والمحدقون بك. وتلك من أماني النفوس وضلالات الأهواء. فدع اللجاج والعبث جانباً وادفع إلينا قتلة عثمان، وأعد الأمر شورى بين المسلمين ليتفقوا على من هو لله رضا. فلا بيعة لك في أعناقنا ولا طاعة لك علينا ولا عتبى لك عندنا. وليس لك ولأصحابك عندي إلاّ السيف. والذي لا إله إلاّ هو لأطلبن قتلة عثمان أين كانوا وحيث كانوا حتى أقتلهم أو تلتحق روحي بالله. فأما ما لاتزال تمن به من سابقتك وجهادك فإني وجدت الله سبحانه يقول ((يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين))[١] ولو نظرت في حال نفسك لوجدتها أشد الأنفس امتناناً على الله بعملها. وإذا كان الامتنان على السائل يبطل أجر الصدقة فالامتنان على الله يبطل أجر الجهاد ويجعله ((كمثل صفوان عليه ترابٌ

---

(١) الحجرات: ١٧.

فأصابه وابلٌ فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين))[١][٢]
تتضمن رواية ابن أبي الحديد عن أبي جعفر النقيب بضع نقاط:

الأُولى: يعتقد بعض المثقفين المعاصرين أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يعتبر الخلافة حقاً له مغصوباً، ولا يؤمنون [أو ولا يؤمن: م] بالنص على إمامته، وأن الطريقة الوحيدة لاختيار الخليفة هي الشورى. ويورد هؤلاء، لإثبات صحة رأيهم، نصوصاً عن أمير المؤمنين عليه السلام يذكر فيها الشورى واختيار الناس وسيلة لتعيين الخليفة. في حين أن كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي يستندون إليه جاء في مخاطبة معاوية وهو من باب إلزام الخصم بما ألزم به نفسه. فقد وصل عليه السلام إلى الحكم بإجماع الناس عليه. وكان حكمه شرعياً حتى بمقياس مخالفيه. غير أن الإمام عليه السلام كان يرى الخلافة حقاً إلهياً له، لذا لم يمد يد البيعة للخليفة الأول. لذلك قال أبوجعفر النقيب: **كان معاوية يتسقط علياً وينعى عليه ما عساه يذكره من حال أبي بكر وعمر وأنهما غصباه حقه.** وهذا يدل على أنه حتى أعداء أمير المؤمنين عليه السلام كانوا يعلمون أنه كان يرى الخلافة حقه والخلفاء غاصبين لها، ولم يبايعهم إلاّ بالإكراه وباستعمال العنف معه ولم تكن بيعته لأبي بكر طوعاً. لذا قال معاوية في كتابه: "**وتلكأت في بيعته حتى حملت إليه قهراً تساق بخزائم الاقتسار كما يساق الفحل المخشوش**".

الثانية: بيّنت رسالة معاوية أن ادّعاء بعض المتثيقفين أن علاقة أمير المؤمنين عليه السلام مع الخلفاء كانت طيبة ادّعاء باطل. وكان ذلك من الوضوح بحيث يعرفها معاوية وعمرو بن العاص ويحاولان استفزاز الإمام عليه السلام من خلال تذكيره بها ليدفعاه إلى إخراج ما يعتمل في قلبه منها.

الثالثة: تروج فكرة في الوقت الحاضر مؤداها أن الإمام الحسين عليه السلام قتل بيد أهل الكوفة وكانوا شيعة لأمير المؤمنين عليه السلام، باعتبار أهل العراق وقتئذٍ كانوا شيعة لأمير المؤمنين عليه السلام. غير أن هذا

---

(١) البقرة: ٢٦٤.

(٢) **شرح نهج البلاغة**، ج١٥، ص١٨٥، ذيل الكتاب الثامن والعشرين، كتاب لمعاوية إلى علي عليه السلام؛ **مناقب آل أبي طالب**، ج٣، ص١٦٥، في حرب صفين.

النص التاريخي يبين بجلاء أن أغلب أهل العراق، عدا قلة قليلة منهم، كانوا يؤمنون بصحة خلافة الشيخين. حتى أصبح الطعن بالخلفاء سبباً في مخالفة أمير المؤمنين عليه السلام.

الرابعة: يعيدنا مكر معاوية في تلك الأحداث إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام فيه: **إن معاوية كالشيطان الرجيم يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله**[1].

(١) **شرح نهج البلاغة**، ج١٦، ص١٨٢، ذيل الخطبة ٤٤، نسب زياد بن أبيه وذكر بعض أخباره وكتبه وخطبه.

ردّ أمير المؤمنين عليه السلام على كتاب معاوية

كتب أمير المؤمنين عليه السلام جواباً على كتاب معاوية: **أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لدينه وتأييده إياه بمن أيده من أصحابه، فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبينا، فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر أو داعي مسدده إلى النضال. وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان، فذكرت أمراً إن تم اعتزلك كله وإن نقص لم تلحقك ثلمته. وما أنت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس؟ وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم؟ هيهات لقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها. ألا تربع أيها الإنسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك وتتأخر حيث أخرك القدر، فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر. وإنك لذهاب في التيه رواغ عن القصد. ألا ترى غير مخبر لك ولكن بنعمة الله أحدث أن قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ولكل فضل. حتى إذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء وخصه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه. أو لا ترى أن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله ولكل فضل. حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة وذوالجناحين[1] ولولا ما نهى الله من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها آذان السامعين. فدع عنك من مالت به الرمية فإنا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا. لم يمنعنا قديم عزنا ولا عادي طولنا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا[2] فعل الأكفاء ولستم هناك. وأنى يكون ذلك كذلك ومنا النبي ومنكم المكذب ومنا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف[3] ومنا سيد شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام ومنكم صبية النار[4] ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة**

---

(١) كلام أميرالمؤمنين عليه السلام هذا إشارة إلى استشهاد جعفر بن أبي طالب في غزوة مؤتة.

(٢) إشارة إلى زواج أبي لهب بأُم جميل أُخت أبي سفيان.

(٣) أسد الأحلاف هو أبوسفيان الذي كان يعبئ القبائل لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان يحلِّفهم على ذلك.

(٤) "قوله: ومنكم صبية النار هي الكلمة التي قالها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعقبة بن أبي معيط حين قتله صبراً يوم بدر وقد قال كالمستعطف له: من للصبية يا محمد؟ قال: النار". عقبة من آل عبدشمس. **شرح نهج البلاغة**، ج١٥، ص١٩٧، ذيل الخطبة ٢٨، مناكحات بني هاشم وبني عبدشمس.

الحطب (زوجة أبي لهب)[١] **في كثير مما لنا وعليكم. فإسلامنا قد سمع وجاهليتنا لا تدفع وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله** ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ **وقوله تعالى** ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ **فنحن مرة أولى بالقرابة وتارة أولى بالطاعة. ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله** ﷺ **فلجوا عليهم، فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم. وزعمت أني لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت، فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك. وتلك شكاة ظاهر عنك عارها. وقلت أني كنت أُقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أُبايع، ولعمر الله لقد أردت أن تذم فمدحت وأن تفضح فافتضحت. وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه. وهذه حجتي إلى غيرك قصدها ولكني أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها. ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان. فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه، فأينا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله؟ أمن بذل له نصرته فاستقعده واستكفه، أمن استنصره فتراخى عنه وبث المنون إليه حتى أتى قدره عليه؟ كلا والله، لقد علم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلاّ قليلا. وما كنت لأعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثاً، فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له فرب ملوم لا ذنب له وقد يستفيد الظنة المتنصح، وما أردت إلاّ الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت. وذكرت أنه ليس لي ولأصحابي إلاّ السيف، فلقد أضحكت بعد استعبار. متى ألفيت بني عبدالمطلب عن الأعداء ناكلين وبالسيوف مخوفين؟ لبث قليلاً يلحق الهيجا حمل، فسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد. وأنا مرقل نحوك بجحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان شديد زحامهم، ساطع قتامهم، متسربلين سرابيل الموت، أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك. وما هي من الظالمين ببعيد**[٢].

---

(١) أُم جميل بنت حرب بن أُمية.

(٢) **نهج البلاغة**، الكتاب الثامن والعشرون. يختلف نص كتاب أميرالمؤمنين عليه السلام إلى معاوية في **وقعة صفين** قليلاً عن النص الموجود في **نهج البلاغة**.

ينطوي جواب أمير المؤمنين عليه السلام على كتاب معاوية على ملاحظات هامة نشير إلى بعضها فيما يلي:

الأُولى: لقد تفادى أمير المؤمنين عليه السلام بذكائه المعهود الطعن في الخلفاء في جواب معاوية لكي يحرمه من فرصة استغلال الفرصة لتحريض الناس عليه.

الثانية: مع أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يطعن في الخلفاء بشكل مباشر، فقد أيد ما أورده معاوية من مظلوميته في زمن الخلفاء وبيعته الإجبارية للخليفة الأول.

الثالثة: ذكّر أمير المؤمنين عليه السلام معاوية بماضي بني اُمية العدائي تجاه الإسلام والمسلمين. ورغم أن معاوية حاول استفزاز الإمام عليه السلام واستدراجه إلى رد الفعل، فقد أصبح هو نفسه في موقف ضعيف. وببيانه لماضي بني اُمية المشين، قوّض أمير المؤمنين عليه السلام جدارة لمعاوية بالخلافة واجتثها من الأساس.

الرابعة: أعلن الإمام علي عليه السلام بصراحة أنه هو صاحب الحق في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله. فقد احتج المهاجرون بالقربى من رسول الله لإثبات حقهم في خلافته. فإذا كانت القربى حجة لاستحقاق الخلافة، فإنه عليه السلام أقربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله فهو، إذن، أحق منهم جميعاً بخلافته. على أن هذا الاحتجاج من أمير المؤمنين عليه السلام لم يأت إلاّ جدلاً أراد به قطع خصمه بما ألزم به نفسه من حجة. وإلاّ فإن حقه في الخلافة أقره له النص الإلهي وتصريح رسول الله صلى الله عليه وآله به. وهذا ما بلغ ١٠٣ الروايات حد التواتر.

الخامسة: أدحض أمير المؤمنين عليه السلام ادّعاء معاوية بحق المطالبة بدم عثمان واعتبره أحد المساهمين في قتله، حيث خذله حين استنجد به.

السادسة: أشار عليه السلام إلى الحضور الضخم للمهاجرين والأنصار في معسكره. وبهذا عمل على إضعاف خصمه الذي لم يكن في معسكره إلاّ القليل جداً من الصحابة، وهم على أية حال من أصحاب السوابق المخزية.

السابعة: ثم أشار عليه السلام إلى بطولاته في غزوة بدر التي قتل فيها عدداً من أقرباء معاوية. لقد أعاد الإمام عليه السلام إلى ذهن معاوية ذكريات تلك الأيام فأدخل في قلبه الفزع من الناحية النفسية.

أسباب عدم تسليم قتلة عثمان إلى معاوية

من أهم المشاكل في عهد أمير المؤمنين ﷺ كان مقتل عثمان. فقد أشعل أعداء الإمام ﷺ نار الحروب عليه بحجة المطالبة بدم عثمان، واتهموه أحياناً بالقتل، وحاربوه بسبب عدم تسليمه القتلة. ولقد سبق أن أوردنا بعض النقاط حول عدم تدخل الإمام ﷺ (في الثورة على عثمان: م) وحتى تقديم النصح وطلب العافية له ؛ ونحاول في هذا الباب الإشارة إلى بعض النقاط المتعلقة بأسباب عدم تسليم الإمام ﷺ قتلة عثمان لمعاوية.

الأُولى: إن الذين طالبوا بدم عثمان كانوا من الذين شاركوا بدور بارز في قتله. فإذا كان لا بد من محاكمة أحد بتهمة قتل عثمان فإن عمرو بن العاص ومعاوية سيكونان على رأس قائمة الاتهام بقتله.

الثانية: المطالبة بالدم من حق أولياء دم القتيل الشرعيين، وهو بالدرجة الأُولى لأبنائه. فإن لم يكن له أبناء، ينتقل الحق إلى حاكم المجتمع الإسلامي، كما سنوضح في الأبواب القادمة. لذا اقترح أمير المؤمنين ﷺ على سفراء معاوية أن يأتي أبناء عثمان وعائلته ليتم الفصل بينهم وبين القاتلين على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

الثالثة: اشترك في دم عثمان الكثير من الصحابة والناس العاديين ولم يكن ممكناً تسليمهم. ويورد ابن حجر الهيتمي في هذا المجال الاحتمالات التالية:

الاحتمال الأول أن الذين اشتركوا في قتل عثمان كانوا كثيرين، حتى أن بعض المؤرخين يقدر عدد المصريين وحدهم ممن شارك في محاصرته بما بين ٥٠٠٠ و١٠٠٠٠ رجلاً، بالإضافة إلى من كان حضر من الكوفة والبصرة. فما كان ممكناً الاقتصاص من هذا العدد الكبير.

الاحتمال الثاني أن أمير المؤمنين ﷺ رأى أن قتلة عثمان كانوا جماعة من المتمردين الظلمة قتلوه باجتهادهم الخاطئ. فقد أخذوا عليه إعادة مروان بن الحكم طريد رسول ﷺ إلى المدينة وتعيينه

كاتباً له، وإسناد عثمان السلطات إلى أقربائه وأخطاء أُخرى صدرت منه فحكموا بإهدار دمه وقتلوه. والباغي لا يؤاخَذ على أفعاله التي صدرت منه في زمن سابق إذا أذعن للإمام العادل.

إرتضى الشافعي وجماعة آخرون من العلماء بهذا الاحتمال، أما نحن فنرجح الاحتمال الأول رغم إمكان الاحتمال الثاني. على أن الكثير من العلماء لا يعتبرون قتلة عثمان باغين بل ظالمين دفعهم عدم الاعتناء بمطاليبهم إلى ارتكاب هذا الفعل[١] وعلى أساس احتمال ابن حجر الأول أشار أمير المؤمنين عليه السلام في رده على شرحبيل الذي طالبه بتسليم قتلة عثمان، حيث قال عليه السلام: **إني لا أستطيع ذلك وهم زهاء عشرين ألف رجل**[٢].

يمكن القول، بشكل عام، إن جميع النقاط المذكورة عدا الاحتمال الثاني لابن حجر هي أسباب عدم تسليم الإمام عليه السلام لقتلة عثمان. مع أن الاحتمال الثاني لابن حجر يمكن أن يكون سبباً وفق مبناهم.

---

(١) "فالذين تمالأوا على قتل عثمان كانوا جموعاً كثيرة كما علم مما قدمته في قصة محاصرتهم له إلى أن قتله بعضهم ؛ جمع من أهل مصر قيل سبعمائة وقيل ألف وقيل خمسمائة، وجمع من الكوفة وجمع من البصرة وغيرهم قدموا كلهم المدينة وجرى منهم ما جرى. بل ورد أنهم هم وعشائرهم نحو من عشرة آلاف. فهذا هو الحامل لعلي عليه السلام على الكف عن تسليمهم لتعذره كما عرفت. ويحتمل أن علياً عليه السلام رأى أن قتلة عثمان بغاة حملهم على قتله تأويل فاسد استحلوا به دمه عنه لإنكارهم عليه أُموراً كجعله مروان ابن عمه كاتباً له، وردّه إلى المدينة بعد أن طرده النبي منها، وتقديمه أقاربه في ولاية الأعمال، وقضية محمد بن أبي بكر السابقة في مبحث خلافة عثمان مفصلة ظنوا أنها مبيحة لما فعلوه جهلاً منهم وخطأً. والباغي إذا انقاد إلى الإمام العدل لا يؤاخَذ بما أتلفه في حال الحرب عن تأويل دماً كان أو مالاً، كما هو المرجح من قول الشافعي وبه قال جماعة آخرون من العلماء. وهذا الاحتمال، وإن أمكن لكنّ ما قبله أولى بالاعتماد منه. فإن الذي ذهب إليه كثيرون من العلماء أن قتلة عثمان لم يكونوا بغاة وإنما كانوا ظلمة وعتاة لعدم الاعتداد بشبههم". **الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة**، ص٢٦٦، الباب الحادي عشر، في فضائل أهل البيت النبوي.

(٢) "فقال شرحبيل: أفلا تسلّم إلينا قتلة عثمان؟ قال علي عليه السلام: إني ... رجل". **الأخبار الطوال**، ص٢٥١، رسل معاوية إلى الإمام.

تشاور الإمام علي عليه السلام مع كبار أصحابه ومعاهدتهم له بالوفاء

بعد سبعة أشهر من المراسلات والوساطات التي قام بها جماعة من الأشخاص لمنع وقوع الحرب، طلب أمير المؤمنين عليه السلام آراء كبار المهاجرين والأنصار، فكانوا على رأي واحد تقريباً وهو الحرب. وأظهر أصحاب الإمام عليه السلام استعدادهم لقتال معاوية.

وتكلم هاشم بن عتبة[1] بكلام كشف عن عمق بصيرته في إدراكه لدوافع معسكر الشام إلى القتال، فقال: **أما بعد يا أمير المؤمنين! فأنا بالقوم جد خبير. هم لك ولأشياعك أعداء، وهم لمن يطلب حرث الدنيا أولياء. وهم مقاتلوك ومجاهدوك لا يبقون جهداً، مشاحة على الدنيا وضناً بما في أيديهم منها. وليس لهم إربة غيرها إلاّ ما يخدعون به الجهال من الطلب بدم عثمان بن عفان. كذبوا، ليسوا بدمه يثأرون ولكن الدنيا يطلبون. فسر بنا إليهم، فإن أجابوا إلى الحق فليس بعد**

---

(١) كان هاشم بن عتبة بن أبي وقاص من خواص صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام. أسلم يوم فتح مكة، وهو الذي فتح جلولاء. شهد معركة الجمل، وكان من أبرز قادة جيش أميرالمؤمنين عليه السلام في معركة صفين. وقال معاوية فيه: إن ما يقلقني المقام الذي عليه بعض قادة جيش علي ومنهم هاشم المرقال. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٤، ص١٠٧، ترجمة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، الرقم ٢٧٢٩ ؛ **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٥، ص٣٥٣، ترجمة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، الرقم ٥٣٢٨ ؛ **وقعة صفين**، ص٤٢٦، تآمر معاوية وصحبه على بعض أصحاب علي عليه السلام. هاشم المرقال ابن أخي سعد بن أبي وقاص ولم يكن يشبهه في شيء. لُقب بالمرقال لأنه كان يندفع في الحرب مسرعاً ولا يتردد لحظة في القتال. **شرح نهج البلاغة**، ج٦، ص٥٥، ذيل الخطبة ٦٧، هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ونسبه ؛ **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج٦، ص٤٠٤، ترجمة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، الرقم ٨٩٣٤. قال أميرالمؤمنين عليه السلام بعد استشهاد محمد بن أبي بكر: أردت أن أجعل هاشم بن عتبة على مصر. ووالله لو كان هاشم على مصر لما تركها لعمرو بن العاص وجماعته أبداً ولم يقتل إلاّ وسيفه بيده. وليس قولي هذا انتقاصاً من محمد فقد حمّل نفسه أقصى ما تحتمل وأدى ما عليه. **شرح نهج البلاغة**، ج٦، ص٩٢، ذيل الخطبة ٦٧، هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ونسبه. قاتل في صفين ببسالة حتى استشهد. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٤، ص١٠٨، ترجمة عتبة بن أبي وقاص، الرقم ٢٧٢٩. شجاعة هاشم المرقال ورثها عنه ابنه عبد الله. فقد أمر معاوية، بعد تسلمه الحكم، بالقبض على عبد الله المرقال. ولما سيق إليه مكبلاً مصفداً شتم عمرو بن العاص وقال له: "يا ابن الأبتر! هلا كانت هذه الحماسة عندك يوم صفين ونحن ندعوك إلى البراز وتلوذ بشمائل الخيل كالأمة السوداء والنعجة القوداء؟". وبلغت شجاعة عبد الله المرقال أنه لما هدده معاوية بالقتل، ردّ عليه قائلاً: "يا ابن هند! أتقول لي هذا!؟ والله لئن شئت لأُعرقن جبينك ولأُقيمنك وبين عينيك وسم يلين له أخدعاك (لأصبنّ عليك عاراً تلين له أوداجك). أبأكثر من الموت تخوفني؟". **شرح نهج البلاغة**، ج٨، ص٣٣، ذيل الخطبة ١٢٤، عود إلى أخبار صفين.

الحق إلاّ الضلال. وإن أبوا إلاّ الشقاق فذلك الظن بهم. والله ما أراهم يبايعون وفيهم أحد ممن يطاع إذا نهى و[لا] يسمع إذا أمر[١].

أما عمار بن ياسر فقد كان على علم باستعدادات العدو وتجهزه للحرب، لذا دعا أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن يغتنم الفرصة، وقال: **يا أمير المؤمنين! إن استطعت أن لا تقيم يوماً واحداً فافعل، شخص بنا قبل استعار نار الفجرة واجتماع رأيهم على الصدور والفرقة. وادعهم إلى رشدهم وحظهم. فإن قبلوا سعدوا وإن أبوا إلاّ حربنا، فوالله إن سفك دمائهم والجد في جهادهم لقربة عند الله وهو كرامة منه**[٢].

النقطة المهمة في كلام عمار وهاشم هي أنهما لم يراودهما أي شبهة أو شك في قتال أهل الشام وأنهما يعتبرانه قربة إلى الله.

بعد ذلك تكلم قيس بن سعد[٣] وبيّن استعداده للقتال. وأشار في كلامه إلى نقطة لم يلتفت إليها جماعة من الناس. وذلك باعتباره الحرب مع أهل الشام أهم من محاربة كفار الروم. قال: **يا أمير**

---

(١) "فقام هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد! .. إذا أمر". **وقعة صفين**، ص٩٢، رأي هاشم بن عتبة.

(٢) "أن عمار بن ياسر قام فذكر الله بما هو أهله وحمده وقال: يا أميرالمؤمنين! .. كرامة منه". **وقعة صفين**، ص٩٢، رأي عمار بن ياسر ؛ **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٥٩، ذكر خروج معاوية من الشام إلى صفين لحرب علي عليه السلام.

(٣) قيس بن سعد بن عبادة رئيس الخزرج ومن كبار الأنصار. كان من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وله منزلة رفيعة بين المسلمين عموماً. وكان قيس من أنصار أميرالمؤمنين عليه السلام الأوفياء وشهد جميع حروبه ولم يتخل عنه أبداً. عينه أميرالمؤمنين عليه السلام والياً على مصر مدة. توفي حوالي سنة ٦٠ هجرية. كان شديد الفطنة واعتبر من سياسيي العرب. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٣، ص٣٥٠، ترجمة قيس بن سعد، الرقم ٢١٥٨. وكان من خصائصه الزهد والعبودية. فقد ظهرت أفعى ضخمة على مصلاه وهو يهوي إلى السجود فلم يلتفت إليها وهوى ساجداً والأفعى إلى جانبه دون أن يرتعد أو ينتابه خوف حتى عندما التفت الأفعى حول رقبته. فأكمل صلاته ثم أبعد الأفعى عن رقبته ورماها بعيداً عنه. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٣، ص٢١، من مناقب قيس بن سعد. ومن خصاله الجود والبذل الكثير. يروى أنه ذهب في حياة النبي صلى الله عليه وآله في مهمة على رأس جماعة فنحر لهم تسعة جمال. فسمع النبي صلى الله عليه وآله بالقصة لما عاد قيس من مهمته فقال مادحاً إياه: إن الجود والكرم في طينة هذا البيت. وروي في موضع آخر أن قيس بن سعد مرض مرة فلم يعده أحد رغم كل قدمه للناس من الطيبات. فسأل عن السبب فقيل له إن جميع الناس مدينون لك بالمال ويستحيون من زيارتك. فأمر بأن ينادى في المدينة بأنه عفا عن كل من له دين برقبته. بعد ذلك عاده خلق كثير. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٣، ص٣٥٠، ترجمة قيس بن سعد، الرقم ٢١٥٨. وفي إحدى =السرايا في

المؤمنين! اكمش بنا إلى عدونا ولا تعرد. فوالله لجهادهم أحبّ إليّ من جهاد الترك والروم، لإدهانهم في دين الله واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمد ﷺ من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان. إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيروه، وفيئنا لهم في أنفسهم حلال ونحن لهم فيما يزعمون قطعين. (قال): يعني رقيق. فقال أشياخ الأنصار منهم خزيمة بن ثابت وأبوأيوب الأنصاري وغيرهما: **لمَ تقدمتَ أشياخ قومك وبدأتهم يا قيس بالكلام؟** فقال: **أما إني عارف بفضلكم معظم لشأنكم، ولكني وجدت في نفسي الضغن الذي جاش في صدوركم حين ذكرت الأحزاب**[1].

عهد النبي ﷺ، وكان أبوبكر وعمر حاضرين، كان قيس يستقرض ويطعم الناس. فقال أبوبكر وعمر للناس: لو ترك هذا الفتى لأفنى أموال أبيه. فسمع سعد بن عبادة فقال: من يريحني من هذين، أيحضانه على البخل في مالي؟ وروي في موضع آخر أن عجوزاً شكت إلى قيس عدم الفئران في بيتها كناية عن قلة الطعام فيه. فأُعجب بعبارتها فأمر بأن يملأ بيتها طعاماً ومؤونة. **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٤، ص٤٠٤، ترجمة قيس بن سعد، الرقم ٤٣٥٤.

(١) "ثم قام قيس بن سعد بن عبادة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أميرالمؤمنين .. الأحزاب". **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٥٩، ذكر خروج معاوية من الشام إلى صفين لحرب علي عليه السلام

قمة الموالاة

أما قمة الموالاة فظهرت في كلام سهل بن حنيف[1] قال سهل مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام: **يا أمير المؤمنين! نحن سلم لمن سالمت وحرب لمن حاربت ورأينا رأيك ونحن كف يمينك. وقد رأينا أن تقوم بهذا الأمر في أهل الكوفة فتأمرهم بالشخوص وتخبرهم بما صنع الله لهم في ذلك من الفضل، فإنهم هم أهل البلد وهم الناس. فإن استقاموا لك استقام لك الذي تريد وتطلب. وأما نحن فليس عليك منا خلاف، متى دعوتنا أجبناك ومتى أمرتنا أطعناك**[2] وممن كانوا أوفياء لأمير المؤمنين عليه السلام عبدالله بن بديل الخزاعي[3] الذي تكلم بكلام نمّ عن دقة معرفته بالعدو. فقد لخص أسباب معارضة زعماء الشام لأمير المؤمنين عليه السلام بالكره وحب الدنيا. قال مخاطباً الإمام عليه السلام: **يا أمير**

---

(١) كان سهل بن حنيف من أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وأوفاهم. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٢، ص٢٢٣، ترجمة سهل بن حنيف، الرقم ١٠٨٩ ؛ **رجال الطوسي**، ص٤٣، أصحاب علي عليه السلام، باب السين، الرقم ٣. حضر جميع حروب النبي صلى الله عليه وآله. وكان من أوائل العائدين إلى الميدان بعد أن تفرق المسلمون عن النبي صلى الله عليه وآله في أُحد، في حين فرّ بعضهم ومنهم الخليفة الثالث حتى ابتعد عن الميدان كثيراً ولم يعودوا إلاّ بعد انتهاء المعركة بثلاثة أيام. **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٢، ص٥٧٣، ترجمة سهل بن حنيف، الرقم ٢٢٨٩. **تاريخ الطبري**، ج٢، ص٦٩، حوادث السنة الثالثة الهجرية، غزوة أُحد. بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله بايعه جماعة بيعة ظاهرية وكانوا يبطنون الكفر ولم يسلموا. فكان سهل يقوم في الليل ويكسر أصنامهم التي كانوا يصنعونها من الخشب ويحملها إلى أرملة أنصارية فقيرة ويقول لها: اتخذيها حطباً. لما سمع الإمام علي عليه السلام بذلك امتدحه. وبعد وفاته، كان الإمام عليه السلام يذكر تلك الحادثة كلما ذُكر سهل. **تاريخ الطبري**، ج١، ص٥٧١، تاريخ ما قبل الهجرة ؛ **البداية والنهاية**، ج٣، ص١٩٥ ـ ١٩٦، في دخوله صلى الله عليه وآله المدينة وأين استقر منزله. وقال عنه الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: كان سهل من النقباء. فقيل له: هل كان من النقباء الاثني عشر الذين عيّنهم النبي صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم. كان من السبعين الذين اختير منهم اثناعشر نقيباً. **الأُصول الستة عشر من الأُصول الأولية**، ص٢٥٨، أصل محمد بن المثنى بن القسم الحضري. توفي سهل بن حنيف في الكوفة بعد عودته من صفين، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يحبه أكثر من غيره. **نهج البلاغة**، ص٤٦٢، الحكمة ١١١.

(٢) **وقعة صفين**، ص٩٣، رأي سهل بن حنيف.

(٣) عبد الله بن بديل الورقاعي (هكذا، وربما بن ورقاء كما في هامش ص١٧٥: م) الخزاعي كان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله. أسلم مع أبيه قبل فتح مكة وشهد حنيناً والطائف وتبوك. كان رئيس قبيلة خزاعة وأحد قادة جيش أمير المؤمنين عليه السلام البارزين. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٣، ص٩، ترجمة عبد الله بن بديل، الرقم ١٤٨٩. وكان ممن شاركوا في الثورة على عثمان وكان من المقربين إلى الإمام علي عليه السلام بعد مقتل عثمان. شهد الجمل وصفين. أفزعت شجاعته معاوية حتى أظهر سروراً بالغاً باستشهاده في صفين. **الأخبار الطوال** [ربما الأخبار الطوال: المترجم]، ص٢٦١، حملة عبد الله بن بديل على أهل الشام ؛ **وقعة صفين**، ص٢٤٦، مصرع عبد الله بن بديل.

المؤمنين! إن أهل الشام لو كانوا لله عزّ وجلّ يقاتلون وإياه يريدون لما خالفونا. ولكنهم يقاتلون على دنياهم التي في أيديهم وعلى إحن واتراث (هكذا، وربما وترات: م) **وعداوة يجدونها في صدورهم ويضمرونها في أنفسهم.** ثم قال: **أيها الناس! وكيف يبايع معاوية علياً وقد قتل أخاه وخاله وجده وعم أُمه في يوم بدر؟ والله! ما أظن أنهم يبايعون علياً أبداً وتقطع هاماتهم بالسيوف وتكسى حواجبهم بعمد الحديد**[١].

بعد عبدالله بن بديل، تكلم عدي بن حاتم وزيد بن حصين الطائي[٢] وأبوزينب بن عوف[٣] ويزيد بن قيس وزياد بن النضر، وكانوا زعماء قومهم، وأعربوا عن استعدادهم للتحرك صوب الشام.

كان الجو الغالب على الكوفة في تلك الأيام لا يحتمل معارضة الحرب. بحيث لما اعترض رجل اسمه أربد الفزاري وقال: **أتريد أن تسيرنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلناهم؟ كلا، هالله إذن لا نفعل.** فقام الأشتر فقال: **من لهذا أيها الناس؟** وهرب الفزاري واشتد الناس على أثره، فلحق بمكان من السوق تباع فيه البراذين، فوطأوه بأرجلهم

---

(١) "ثم وثب عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقال: يا أميرالمؤمنين! ... الحديد". **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٦٢، ذكر خروج معاوية من الشام إلى صفين لحرب علي عليه السلام.

(٢) كان زيد بن حصين أحد الأتقياء وكان له قبعة عالية من تلك التي كان يعتمرها الأتقياء في ذلك الزمان. كان من أصحاب الإمام علي عليه السلام ولكنه اعتزله بعد التحكيم وأصبح من زعماء الخوارج، فقتل في النهروان على يد أحد رجال أميرالمؤمنين عليه السلام. **الكامل في التاريخ**، ج٣، ص٣٨٦، حوادث سنة ٣٦ هجرية، ذكر تتمة أمر صفين ؛ **تاريخ الطبري**، ج٣، ص١١٧ ــ ١٢٢، حوادث سنة ٣٧ هجرية ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٣، ص١٧٨، ذيل الخطبة ٤٦.

(٣) كان أبوزينب في بداية معركة صفين في شك من حقانية أميرالمؤمنين، فذهب إليه وقال له: يا أميرالمؤمنين! إن كنا على الحق كنتَ أهدى وأكثر أجراً. وإن لم نكن على حق وكنا على ضلال كان وزرك أثقل الأوزار وذنبك أكبر الذنوب. لقد أمرتنا بالتوجه إلى العدو، فقطعنا حبال المودة مع أهل الشام بأمرك وأظهرنا لهم العداوة. والله يعلم أننا لا نبغي إلاّ طاعتك. أوليس ما نحن عليه هو الحق الصراح البيّن؟ أوليس ما عليه أعداؤنا إثماً عظيماً؟ فقال علي عليه السلام: نعم، أشهد أنك لو نصرتنا بنية صادقة وقطعت مودتك عنهم كما تقول وأظهرت لهم العداوة فلاشك أنك من ذوي مودة الله والرافلين في رضوانه والساعين في طاعته. ثم قال له عمار بن ياسر: يا أبازينب! اثبت واستقم ولا يدخل الشك قلبك في أمر أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله. فقال أبوزينب: لا أجد شهوداً أحب إليّ في هذا الأمر الذي يشغلني وقد أدخلتم الطمأنينة على قلبي بتبيان حقانية ما نحن عليه. كانت عاقبة أبي زينب خيراً وتحققت فيه بشرى أميرالمؤمنين عليه السلام له حيث استشهد في صفين. **وقعة صفين**، ص٢٦٣، أزد العراق وأزد الشام ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٣، ص١٧٨، ذيل الخطبة ٤٦، كلامه عليه السلام لأصحابه وكتبه إلى عماله.

وضربوه بأيديهم ونعال سيوفهم حتى قُتل[١] فأتي علي عليه السلام فقيل: **يا أمير المؤمنين! قُتل الرجل**. قال: **ومن قتله؟** قالوا: **قتلته همدان وفيهم شوبة من الناس**. فقال: **قتيل عمية لا يدرى من قتله، ديته من بيت مال المسلمين.**

ولكن كلام أربد بذر بذرة التردد في قلوب بعض قصار النظر. وهذا ما دفع مالك الأشتر إلى أن يتكلم بكلام ينم عن بطولة تُحتذى، لإعادة التماسك واليقين إلى المجتمع. قال: **يا أمير المؤمنين! لا يهدنك ما رأيت ولا يؤيسنك من نصرنا ما سمعت من مقالة هذا الشقي الخائن. جميع من ترى من الناس شيعتك وليسوا يرغبون بأنفسهم عن نفسك ولا يحبون بقاء بعدك. فإن شئت فسر بنا إلى عدوك. والله ما ينجو من الموت من خافه، ولا يعطي** (هكذا، والأرجح يعطى: م) **البقاء من أحبه، وما يعيش بالآمال إلاّ شقي. وإنا لعلى بينة من ربنا أن نفساً لن تموت حتى يأتي أجلها. فكيف لا نقاتل قوماً هم كما وصف أمير المؤمنين، وقد وثبت عصابة منهم على طائفة من المسلمين** [بالأمس] **فأسخطوا الله وأظلمت بأعمالهم الأرض وباعوا خلاقهم بعرض من الدنيا يسير(٢).**

---

(١) "قام رجل من بني فزارة يقال له أربد فقال: أتريد .. المسلمين". **وقعة صفين،** ص٩٤، رأي أربد الفزاري والأشتر ؛ **أنساب الأشراف،** ج٣، ص٧٧، أمر صفين.

(٢) "قام الأشتر فحمد الله وأثنى عليه فقال: يا أميرالمؤمنين! .... يسير". **وقعة صفين،** ص٩٥، مقتل أربد الفزاري.

قمة الإخلاص والائتمار

ألقى هاشم المرقال كلمة أُخرى، قبل تحرك الجيش، كشفت عن نفاذ بصيرته ومعرفته الدقيقة بالعدو وطاعته. فقد خاطب أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: **سر بنا يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وعملوا في عباد الله بغير رضا الله، فأحلوا حرامه وحرّموا حلاله واستولاهم الشيطان ووعدهم الأباطيل ومناهم الأماني حتى أزاغهم عن الهدى وقصد بهم قصد الردى وحبّب إليهم الدنيا. فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها كرغبتنا في الآخرة إنجاز موعود ربنا. وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله رحماً وأفضل الناس سبقة وقدماً. وهم يا أمير المؤمنين** [ربما علموا: م] **منك مثل الذي علمنا. ولكن كتب عليهم الشقاء ومالت بهم الأهواء وكانوا ظالمين. فأيدينا مبسوطة لك بالسمع والطاعة، وقلوبنا منشرحة لك ببذل النصيحة، وأنفسنا تنصرك جذلة على من خالفك وتولى الأمر دونك. والله ما أُحب أن لي ما في الأرض مما أقلت، وما تحت السماء مما أظلت، وأني واليت عدواً لك أو عاديت ولياً لك**[1].

---

(١) **وقعة صفين**، ص١١٢، حديث زياد بن النضر وعبد الله بن بديل.

معارضو الحرب

عدا أربد الفزاري الذي عبّر عن معارضته للحرب بشكل علني حاقد، كان هناك جماعة آخرون معارضون للحرب ولكنهم عبّروا عن معارضتهم بكلام ليّن مبطّن. على أن أهداف كل واحد من المعارضين للحرب كانت مختلفة. فكان لحنظلة بن الربيع[١] وعبدالله بن المعتم هدف مشترك. وبالنظر إلى ما فعلاه فيما بعد، لا يُستبعد أنهما كانا جاسوسين. وكان هناك جماعة آخرون عرفوا بأصحاب عبدالله بن مسعود فقد توقفوا واستمهَلوا بسبب ضعف معرفتهم بأمير المؤمنين عليه السلام. ولعل تحليل كلام هؤلاء يكشف عن طريقتهم في التفكير.

أ ـ المندسّون:

لما أمر أمير المؤمنين عليه السلام رجاله بالتحرك صوب الشام، دخل عليه عبدالله بن المعتم العبسي وحنظلة بن الربيع التميمي مع جمع كثير من غطفان وبني تميم. فقال له حنظلة بن ربيع: **يا أمير المؤمنين! إنا قد مشينا إليك بنصيحة، فاقبلها منا، ورأينا لك رأياً فلا ترده علينا. فإنا نظرنا لك ولمن معك. أقم وكاتب هذا الرجل ولا تعجل إلى قتال أهل الشام، فإني والله ما أدري ولا تدري لمن تكون إذا التقيتم الغلبة وعلى من تكون الدبرة**[٢].

بعد ذلك تكلم عبدالله بن المعتم بكلام شديد فقال: **أما بعد! فإن الله وارث العباد والبلاد ورب السماوات السبع والأرضين السبع وإليه ترجعون يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ويعز**

---

(١) حنظلة بن الربيع من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وكان كاتب كتبه، فسمي حنظلة الكاتب. وكان على هوى عثمان. وبعد مقتله فرّ مع جرير بن عبد الله وعبد الله بن المعتعم من الكوفة إلى معاوية واستقروا في قرقيسيا. ولم يشهدوا صفين. كان هو وجرير يقولان: لا نسكن في بلد يعاب فيه عثمان. **تاريخ دمشق الكبير**، ج١٧، ص٢٣٠ ـ ٢٣٤، ترجمة حنظلة بن الربيع، الرقم ١٨٠٨ ؛ **قاموس الرجال**، ج٤، ص٧٩، ترجمة حنظلة بن الربيع، الرقم ٢٥٠٦.

(٢) "أن عبد الله بن المعتم العبسي وحنظلة بن الربيع التميمي لما أمر علي عليه السلام الناس بالمسير إلى الشام دخلا في رجال كثيرة من غطفان وبني تميم على أميرالمؤمنين، فقال له التميمي: يا أميرالمؤمنين .. الدبرة". **وقعة صفين**، ص٩٥، رأي حنظلة بن الربيع ؛ **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٦٠، ذكر خروج معاوية من الشام إلى صفين لحرب علي عليه السلام.

من يشاء ويذل من يشاء. أما الدورة فإنها على [الضالين] العاصين، ظفروا أو ظفر بهم. وأيم الله إني لأسمع كلام قوم ما أراهم يريدون أن يعرفوا معروفاً ولا ينكروا منكرً[١].

بعد كلام حنظلة وعبدالله، حضر عدد من الأشخاص عند أمير المؤمنين عليه السلام واتهموهما بالتجسس لمعاوية، وقالوا: هذان لهما مكاتبات مع معاوية ولا يريدان الخير.

ولم يلبث الرجلان أن كشفا عن حقيقة أهدافهما فهربا ليلاً إلى الشام والتحقا بمعاوية. فتبين أن لمعاوية مندسين بين أهل الكوفة يعملون لا همّ لهم إلاّ إضعاف جيش أمير المؤمنين عليه السلام. أما أمير المؤمنين عليه السلام فقد عامل حنظلة كما عامل جرير بن عبدالله حيث أمر بهدم داره[٢].

ب ـ أصحاب عبدالله بن مسعود

قالت جماعة من أصحاب عبدالله بن مسعود لأمير المؤمنين عليه السلام وكان في قلوبهم شك وترديد: **إنا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم ونعسكر على حدة حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام، فمن رأيناه أراد ما لا يحل له أو بدا منه بغي، كنا عليه.** فقال علي عليه السلام: **مرحباً وأهلاً، هذا هو الفقه في الدين والعلم بالسنة من لم يرض بهذا فهو جائر خائن**[٣].

---

(١) **وقعة صفين**، ص٩٦، الطعن في حنظلة بن الربيع وعبد الله بن المعتم ؛ **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٦٠، ذكر خروج معاوية من الشام إلى صفين لحرب علي [عليه السلام].

(٢) **وقعة صفين**، ص٩٧، مصير حنظلة بن الربيع وعبد الله بن المعتم.

(٣) "فأجاب علياً إلى السير والجهاد جل الناس إلاّ أن أصحاب عبد الله بن مسعود أتوه وفيهم عبيدة السلماني وأصحابه فقالوا له: إنا نخرج ... خائن". **وقعة صفين**، ص١١٥، اختلاف الناس في السير مع علي [عليه السلام].

رفض أمير المؤمنين عليه السلام سب أهل الشام

قبل انطلاق العسكر إلى النخيلة، قام حجر بن عدي[1] وعمرو بن الحمق بلعن أهل الشام بصوت عال بين الناس. فلما سمع الإمام عليه السلام بذلك أحضرهما ومنعهما من ذلك. فتعجبا فسألاه عليه السلام: أليس أهل الشام على باطل؟ فلم تنهانا عن لعنهم؟ فقال عليه السلام **لأني أكره لكم أن تكونوا لعانين شتامين. ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم كذا لكان ذلك أصوب في القول وأبلغ في الرأي. ولو**

(١) حجر بن عدي من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وشيعي من خواص أميرالمؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام. شهد الجمل وصفين والنهروان إلى جانب أميرالمؤمنين. وكان في صفين والنهروان أحد قادة جيش الإمام. أُلقي القبض عليه في حكم زياد بن أبيه للكوفة وتم نفيه إلى الشام حيث قتل بأمر معاوية سنة ٥١ هجرية. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب،** ج١، ص٣٨٩، ترجمة حجر بن عدي، الرقم ٥٠٥ ؛ **الإصابة في تمييز الصحابة،** ج٢، ص٣٢، ترجمة حجر بن عدي، الرقم ١٦٣٤. كان حجر مستجاب الدعوة لشدة عبوديته. يروى أنه لما قبض عليه أزلام معاوية وأخذوه إلى الشام، احتاج إلى الغسل في الطريق فطلب الماء من الحراس فلم يعطوه، فرفع يده إلى السماء فما لبث أن ظهرت سحابة في السماء وأمطرت. فقال له أصحابه: ادع الله أن ينقذنا من أيدي هؤلاء الحراس. فرفع حجر يده إلى السماء وقال: اللَّهُمَّ اكتب لنا ما فيه خيرنا. **الإصابة في تمييز الصحابة،** نفسه. لقد تمثلت قمة عبودية حجر في دعائه، إذ لم يكن مع استجابة دعائه يدعو لخلاصه من سجانيه. بل كان مستسلماً لقضاء الله وقدره ولم يطلب من الله إلاّ ما هو خير. يقول الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية عن استشهاد حجر بن عدي: ألست قاتل حجر بن عدي وأصحابه الصالحين العابدين الذين أنكروا الظلم واستعظموا خطر المنكرات والبدع وقدموا حكم كتاب الله على ما سواه ولم تأخذهم في الله لومة لائم؟ **الاحتجاج على أهل اللجاج،** ج٢، ص٩٠، احتجاجه عليه السلام على معاوية توبيخاً له على قتل حجر وأصحابه. كان لحجر بن عدي منزلة رفيعة بين الجميع وأدى قتله إلى ظهور انتقادات كثيرة لمعاوية. فقد قالت عائشة لمعاوية معترضة: ما الذي حملك على قتل حجر وأصحابه؟ قال: لقد قتلتهم من أجل صلاح الأُمة وبسبب الفساد الذي أفسدوه. فقالت عائشة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله: يقتل في مرج عذرا جماعة يغضب الله لقتلهم وأهل السماء. **إعلام الورى،** ص٣٣، إخباره عليه السلام بما سيحدث ؛ **الإصابة في تمييز الصحابة،** ج٢، ص٣٢، ترجمة حجر بن عدي، الرقم ١٦٣٤. كما غضب أقرباء معاوية لقتل حجر وأصحابه. فإن عامل معاوية على خراسان، ربيع بن زياد، لما سمع بمقتل حجر على يد معاوية رفع يديه إلى السماء وقال: الهي إن كان من خير لك في نفسي فاقبضني إليك عاجلاً. فاستجاب الله دعاء ربيع فمات في مجلسه ذاك. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب،** ج١، ص٣٨٩، ترجمة حجر بن عدي، الرقم ٥٠٥.

قلتم: اللّٰهُمَّ احقن دماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم، لكان ذلك أحبّ إليّ لكم[(١)].

لعل رفض أمير المؤمنين عليه السلام للعن أهل الشام وشتمهم مردّه إلى أن أغلبهم كانوا جاهلين راحوا ضحية الحرب النفسية التي قام بها معاوية، لذا فقد تراجع عن متابعة معاوية الذين عرفوا الحقيقة. ولما كان الإمام عليه السلام يدرك أن الحجة لم تكن قد تمت بعد على جماعة منهم، فقد رفض لعنهم بشكل عام. غير أن الإمام كان يتعامل مع زعماء الشام بشكل مختلف فكان يلعن بعضهم في الصلاة لأنهم وقفوا بوجه الحق وهم يعلمون أنه الحق، وأضلّوا الناس سعياً وراء مطامعهم الدنيوية.

وللقارئ أن يقارن بين موقفه عليه السلام هذا وبين موقف حكام بني أُمية الذين كتبوا إلى جميع الأمصار التابعة لهم بأن يلعنوه[(٢)] الأمر الذي أدى إلى ظهور النواصب الذين ملأوا التاريخ جرائم بقتلهم الكثير من الشيعة، وهو ما استمر تأثيره حتى اليوم.

---

(١) "قال: فعندها خرج حجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي فجعلا يظهران البراءة من أهل الشام واللعنة لهم، فأرسل إليهما علي أن كفا عما يبلغني عنكما. فأقبلا إلى علي وقالا: يا أميرالمؤمنين! ألسنا على الحق؟ قال: بلى. قالا: فلم تمنعنا عن= =شتمهم ولعنهم؟ فقال: لأني أكره ... لكم". **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٦٢، ذكر خروج معاوية من الشام إلى صفين لحرب علي [عليه السلام].

(٢) **الاحتجاج على أهل اللجاج**، ج٢، ص٨٣، علل اشتهار الأحاديث الباطلة ومتروكية الأحاديث الحقة ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٤، ص٥٧، ذيل الخطبة ٥٦، فصل في ما روي من سب معاوية وحزبه لعلي [عليه السلام].

وددت أن في جندي مائة مثلك

كان عمرو بن الحمق الخزاعي في منتهى الإخلاص في بيعته للإمام علي عليه السلام. ولما تكلم عبّر عن ولائه المطلق لأمير المؤمنين عليه السلام وكشف عن عمق إيمانه، قال: **يا أمير المؤمنين! والله ما أحببتك وبايعتك على قرابة بيني وبينك، ولا لأن عندك مالاً تعطينه، ولا التماس سلطان يرفع ذكري. ولكني أحببتك بخصال خمس: لقدمك وسابقتك وقرابتك وشجاعتك وعلمك. فلو أني كلفت ثقل الجبال الرواسي، ونزوح البحار الطوامي في أمر أُقوّي به وليك وأُوهن به عدوك، لما رأيت أني أديت فيه بعض الذي يجب علي من حقك**[1].

شتان بين كلام عمرو بن الحمق هذا وبيعة طلحة والزبير اللذين ما إن يئسا من الحصول على المناصب والامتيازات من الإمام علي عليه السلام حتى تمردا وأعلنا العصيان والثورة عليه، ثم تسببا في قتل آلاف المسلمين.

هذه الكلمات النامّة عن نفاذ بصيرة عمرو بن الحمق جعلت أمير المؤمنين عليه السلام يقلده أفخر وسام بقوله عليه السلام: **اللّٰهُمَّ نوّر قلبه بالتقى واهده إلى صراطك المستقيم. يا عمرو! لوددت أن في جندي مائة رجل مثلك**[2].

---

(١) "قال: ثم أقبل عليه عمرو بن الحمق فقال: يا أميرالمؤمنين! ... حقك". **الفتوح**، ج١، ص٥٦٣، ذكر خروج معاوية من الشام إلى صفين لحرب علي عليه السلام؛ **وقعة صفين**، ص١٠٣، نصيحة علي لحجر بن عدي وعمرو بن الحمق.

(٢) "فقال علي عليه السلام: اللّٰهُمَّ ... مثلك." **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٦٣، ذكر خروج معاوية من الشام إلى صفين لحرب علي عليه السلام؛ **وقعة صفين**، ص١٠٣، نصيحة علي لحجر بن عدي وعمرو بن الحمق.

تنبؤ أمير المؤمنين عليه السلام عن مصير عمرو بن الحمق

كان الأُمويون يعرفون جيداً منزلة هذا النصير المخلص لدى أمير المؤمنين عليه السلام. لذا ما إن استشهد الإمام عليه السلام حتى أخذوا يلاحقونه إلى أن قتلوه. وكان عمرو من أصحاب الإمام عليه السلام المخلصين الذين أخبرهم بمصيرهم. جاء في بعض المصادر أن الإمام عليه السلام سأل عمرواً يوماً: **ألك دار؟** قال: نعم. قال: **بعها واجعلها في أزد فإني في غد لو غبت عنكم لطلبت منكم الأزد** (سيطاردونك ويطالبونهم بك) **حتى تخرج من الكوفة متوجهاً إلى الموصل فتمر برجل نصراني فتقعد عنده وتستسقيه الماء ويسقيك** [في الكتاب: أنت تسقيه الماء] **ويسألك عن شأنك فتخبره وتصادفه مقعداً فادعه إلى الإسلام فإنه يسلم. فإذا أسلم فمرّ يدك على ركبتيه فإنه ينهض صحيحاً سليماً ويتبعك. وتمر برجل سليم محجوب** (أعمى) **جالس على الجادة فتستسقيه الماء فيسقيك ويسألك عن قصتك وما الذي أخافك وعن من تتوقى. فحدثه بأن معاوية طلبك ليقتلك ويمثل بك لإيمانك بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وطاعتك وإخلاصك في ولايتي ونصحك لله تعالى في دينك. وادعه إلى الإسلام فإنه يسلم. ومر يدك على عينيه فإنه يرجع بصيراً بإذن الله تعالى فيتابعك ويكونان معك وهما اللذان يواريان جسدك في الأرض. ثم تصير إلى دير على نهر يدعى بالدجلة فإن فيه صديقاً عنده من علم المسيح فاتخذه لك أعون الأعوان على سرك وما ذلك إلاّ ليهديه الله بك. فإذا أحس بك شرطة ابن أُم حكم وهو خليفة معاوية بالجزيرة ويكون مسكنه بالموصل فاقصد إلى الصديق الذي في الدير في أعلى الموصل فناده فإنه يمتنع عليك فاذكر اسم الله الذي علمتك إياه فإن الدير يتواضع لك حتى تصير في ذروته. فإذا رآك الراهب الصديق قال لتلميذ معه: ليس هذا من أوان المسيح، هذا شخص كريم ومحمد قد توفاه الله ووصيه قد استشهد بالكوفة، وهذا من حواريه. ثم يأتيك ذليلاً خاشعاً فيقول لك: ايها الشخص العظيم! لقد أهلتني لما أستحقه فبم تأمرني؟ فتقول له: استر تلميذي هذين عندك وتشرف على ديرك هذا، فانظر ماذا ترى. فإذا قاله** (هكذا: م) **لك: إني أرى خيلاً عابرة نحونا، فخلف تلميذك عنده وانزل واركب فرسك واقصد نحو غار على شاطئ الدجلة فاستتر فيه فإنه لابد أن يسترك وفيه فسقة من الجن والإنس. فاذا استتر فيه عرفك فاسق من مردة الجن يظهر لك بصورة تنين أسود فينهشك نهشاً يبالغ في إضعافك ويفر فرسك فيبتدر بك الخيل**

فيقولون: **هذا فرس عمرو، ويقصون أثره. فإذا أحسست بهم دون الغار فابرز إليهم بين الدجلة والجادة، فقف لهم في تلك البقعة، فإن الله تعالى جعلها حفرتك وحرمك، فالقهم بسيفك فاقتل منهم ما استطعت حتى يأتيك أمر الله. فإذا غلبوك حزوا رأسك وشهروه على قناة إلى معاوية. ورأسك أول رأس يشهر في الإسلام من بلد إلى بلد.** وبكى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: **بنفسي ريحانة رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **وثمرة فؤاده وقرة عينه ولدي الحسين، فإني رأيته يسير وذراريه بعدك يا عمرو من كربلاء بقرب الفرات إلى يزيد بن معاوية. ثم ينزل صاحباك المحبوب** (هكذا، وربما المحجوب: م) **والمقعد فيواريان جسدك في موضع مصرعك وهو من دير الموصل على مائة وخمسين خطوة**[١].

(١) "فبينما علي أميرالمؤمنين عليه السلام جالس وعمرو بين يديه إذ قال: يا عمرو! ألك دار؟ ... خطوة". **إرشاد القلوب**، ج٢، ص١١٩، في بيان أحوال عمرو بن الحمق الخزاعي.

كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية وإتمام الحجة عليه

بعد أن تكلم أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام بالكلام الدال عن وفائهم، واصل الإمام عليه السلام جهوده الرامية إلى حقن دماء المسلمين ومنع وقوع الحرب بينهم. فبعث بكتاب آخر إلى معاوية قبل أن يتوجه إلى صفين قال فيه بعد الحمد لله والثناء عليه: **واعلم يا معاوية أنك قد ادعيت أمراً لست من أهله لا في القدم ولا في الولاية. ولست تقول فيه بأمر بين تعرف لك به أثرة ولا لك عليه شاهد من كتاب الله ولا عهد تدعيه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف أنت صانع إذا انقشعت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا أُبهجت بزينتها وركنت إلى لذتها وخلى** (هكذا، وربما خلي: م) **فيها بينك وبين عدو جاهد ملح، مع ما عرض في نفسك من دنيا قد دعتك فأجبتها وقادتك فاتبعتها وأمرتك فأطعتها. فاقعس عن هذا الأمر وخذ أُهبة الحساب، فإنه يوشك أن يقفك واقف على ما لا يجنك منه مجن. ومتى كنتم يا معاوية ساسة للرعية أو ولاة لأمر هذه الأُمة، بغير قدم حسن ولا شرف سابق على قومكم؟ فشمر لما قد نزل بك، ولا تمكن الشيطان من بغيته فيك، مع أني أعرف أن الله ورسوله صادقان. فأعوذ بالله من لزوم سابق الشقاء. وإلاّ تفعل أُعلمك ما أغفلك من نفسك، فإنك مترف قد أخذ منك الشيطان مأخذه، فجرى منك مجرى الدم في العروق. واعلم أن هذا الأمر لو كان إلى الناس أو بأيديهم لحسدونا وامتنوا به علينا، ولكنه قضاء ممن امتن به علينا على لسان نبيه الصادق المصدق. لا أفلح من شك بعد العرفان والبينة. اللّٰهُمَّ احكم بيننا وبين عدونا بالحق وأنت خير الحاكمين**[1].

ومما يلفت النظر في هذه الرسالة أن أمير المؤمنين عليه السلام يؤكد فيها على المصدر الإلهي لشرعية حكمه. ويتبين أن مضامين الرسائل السابقة جاءت على سبيل مجادلة أشخاص، كمعاوية، لا يعترفون بمنزلة أهل البيت وكون مصدر الإمامة إلهياً. فبعد أن استفرغ الإمام عليه السلام الحجج على معاوية ولم تؤثر

---

(١) **وقعة صفين**، ص١٠، كتابه عليه السلام إلى معاوية.

فيه، لجأ إلى بيان حقيقة الأمر وهي أن الإمامة عهد من الله لا دور لأحد فيه حتى رسول الله ﷺ إلاّ التبليغ[١].

(١) **وقعة صفين**، ص١٠، كتابه عليه السلام إلى معاوية.

جواب معاوية البغيض على كتاب أمير المؤمنين عليه السلام

رداً على كتاب أمير المؤمنين الداعي إلى الخير والصلاح، كتب معاوية إلى الإمام عليه السلام يتهمه بالحسد وينسب إلى نفسه، في غاية الوقاحة، منزلة يتوهم أن أمير المؤمنين عليه السلام يحسده عليها ويبرر مخالفته له بقوله: **أما بعد! فدع الحسد فإنك طالما لم تنتفع به، ولا تفسد سابقة قدمك بشره نخوتك، فإن الأعمال بخواتيمها. ولا تمحق سابقتك في حق من لا حق لك في حقه. فإنك إن تفعل لا تضر بذلك إلاّ نفسك ولا تمحق إلاّ عملك ولا تبطل إلاّ حجتك. ولعمري ما مضى لك من السابقات لشبيه أن يكون ممحوقاً لما اجترأت عليه من سفك الدماء وخلاف أهل الحق. فاقرأ سورة الفلق وتعوذ بالله من شر نفسك، فإنك الحاسد إذا حسد**[١].

من هوان الدنيا على الله أن يقف عبد من عبيد الدنيا، مثل معاوية، بمنتهى الوقاحة والصلف، موقف الناصح الواعظ لأمير المؤمنين عليه السلام فعلى أية منقبة أو فضيلة يحسد الإمام عليه السلام معاوية؟ أعلى كرهه للإسلام وعداوته له في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ أم على ريائه ونفاقه وتزويره ونقضه العهد؟

---

(١) "من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب. أما بعد! فدع الحسد ... حسد" **وقعة صفين**، ص١١٠، جواب معاوية ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج١٥، ص٨٨، شرح الكتاب العاشر [أو الرسالة العاشرة: م].

السفير الرابع لأمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية

تفيد بعض المصادر التاريخية بأن أمير المؤمنين عليه السلام، قبل أن ينطلق من النخيلة إلى صفين، بعث برسالة أُخرى إلى معاوية بيد الأصبغ بن نباتة[١] وجّه إليه فيها تهديداً شديد اللهجة.

دخل الأصبغ بن نباتة، حاملاً كتاب أمير المؤمنين عليه السلام، على معاوية وعنده جميع مستشاريه وقادته أمثال عمرو بن العاص وذي الكلاع وعبدالله بن عامر وعتبة بن أبي سفيان وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد وشرحبيل بن السمط وأبي هريرة والنعمان بن بشير وأبي أُمامة الباهلي. يصف الأصبغ بن نباته تسليمه الكتاب إلى معاوية بقوله: **فدخلت على معاوية وعن يمينه عمرو بن العاص وعن يساره ذوالكلاع وحوله عبدالله بن عامر بن كريز وأخوه عتبة بن أبي سفيان وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد وشرحبيل بن السمط، وبين يديه أبوهريرة والنعمان بن بشير وأبوأُمامة الباهلي.** قال: **فناولته الكتاب فقرأ وقال: إن علياً لا يدفع إلينا قتلة عثمان.** قال: **فقلت له: يا معاوية! لا تتعلل بدم عثمان، فإنك والله لا تطلب إلاّ الملك. ولو أردت نصرة عثمان حياً لفعلت، ولكنك تربصت به لما أرسل يستصرخ بك وأخفيت كتابه وتقاعدت عليه حتى قتل لتجد سبيلاً إلى ما في نفسك**

---

(١) ذكر الشيخ الطوسي أن الأصبغ بن نباتة كان من أصحاب أميرالمؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام. بلغ ولاؤه لأميرالمؤمنين درجة بحيث كان إذا سُئل عن منزلته بينهم، قال: إن سيوفنا تنتظر إشارة منه لتضرب عنق من يريد. يقول نصر بن مزاحم عنه: كان شيخاً عابداً ناسكاً ومن ذخائر أميرالمؤمنين الذين استقاموا على بيعته. وكان من الفرسان المهرة في جيش الإمام عليه السلام، حتى أن الإمام عليه السلام صار يضن به على ميدان القتال حرصاً عليه. وكان من شرطة الخميس الذين تعاهدوا على ملازمة أميرالمؤمنين عليه السلام حتى الموت، وقد ضمن الإمام عليه السلام لهم الجنة. يتراوح عددهم بين خمسة آلاف وعشرة آلاف رجل. وينقسم جيش الخميس إلى خمسة أقسام: الميسرة والميمنة والقلب والمقدمة والوسط. يُنقل أن أميرالمؤمنين عليه السلام قال لعبيدالله بن أبي رافع يوماً: ادع لي عشرة رجال من ثقاتي ليأتوا إلى هنا. فسأله أبورافع: من هم ثقاتك؟ قال: الأصبغ بن نباتة وأبوالطفيل عامر بن واثلة الكناني وزر بن حبيش الأسدي وجويرية بن مسهر العبدي وخندق بن زهير الأسدي وحارثة بن مضرب الهمداني والحارث بن عبد الله الأعور الهمداني ومصابيح النخعي وعلقمة بن قيس وكميل بن زياد وعمير بن زرارة. **فهرست كتب الشيعة وأُصولهم**، ص٨٨، الرقم ١١٩ ؛ **اختيار معرفة الرجال**، ص٦٦، الحديث ٨ ـ ١١ ؛ **وقعة صفين**، ص٤٤٢، نداء الأشتر ومفاجأة أثال بن حجل لأبيه ؛ **تنقيح المقال في علم الرجال**، ج١، ص١٥٠، ترجمة الأصبغ بن نباتة، الرقم ١٠٠٨ ؛ **قاموس الرجال**، ج٢، ص١٦٢، ترجمة الأصبغ بن نباتة، الرقم ٩٤٠ ؛ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، ج٤٢، ص١٥١، تاريخ أميرالمؤمنين وأحوال سائر الصحابة.

بقتله. قال: **فاستشاط غضباً، فأردت أن أزيده فقلت: يا أباهريرة**[١]**! أنت صاحب رسول الله ﷺ، أُقسم عليك بالله الذي لا إله إلاّ هو، هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه؟** قال: **إي والله، سمعته يقول ذلك يوم غدير خمّ.** قال: **فقلت: فأنت يا أباهريرة واليت عدوه وعاديت وليه. فتنفس أبوهريرة واسترجع**[٢].

---

(١) رغم أن أباهريرة أسلم في السنة السابعة للهجرة ويعترف أنه لم يصاحب رسول الله ﷺ إلاّ حوالي ثلاث سنوات فقط، فإن عدد الروايات المروية عنه يفوق عدد الروايات المروية عن باقي الصحابة. فقد نقلت عنه المصادر الروائية والحديثية السنية نحو ٥٣٧٤ حديثاً. بل إنه يقول أن ما رواه لا يمثل إلاّ نصف الأحاديث التي سمعها من رسول الله ﷺ ولم ير النصف الآخر. وقد بلغ عدد الروايات التي يرويها أبوهريرة عن رسول الله ﷺ من الكثرة واللامعقولية ما أثار اعتراض عائشة ومروان بن الحكم عليه. فقد قالت له عائشة: إنك تروي الكثير من الروايات عن رسول الله! فقال: حين كنتِ مشغولة أمام المرآة بالتزين والاكتحال والادهان، كنت أنا أستمع إلى أحاديث رسول الله وأحفظها. ويقول الإمام الصادق عليه السلام: ثلاثة كانوا يضعون الأخبار على رسول الله ﷺ أحدهم أبوهريرة. كما أن كبار علماء أهل السنة يرتابون برواياته. يقول ابن أبي الحديد: لم يكن أبوحنيفة يأخذ برواياته. كان أبوهريرة من عناصر بني أُمية الذين كانوا ينسبون أخباراً قبيحة إلى الإمام علي عليه السلام، يختلقونها بأمر معاوية. بالمقابل، كان يضع روايات كثيرة في مناقب الخلفاء، وقد اعترف هو بنفسه بذلك. يقول مخاطباً عائشة: يا عائشة! كفي عني، فقد غيّرت سبعمائة حديث لرسول الله ﷺ لصالح ذينك الرجلين. ولم تذهب الخدمات التي قدمها أبوهريرة لمعاوية سدى. فقد حصل منه على إمارة المدينة. ينقل العلاّمة المجلسي رواية تفيد بأن أباهريرة كان واحداً من أصحاب العقبة الذين همّوا بقتل النبي ﷺ في غزوة تبوك عن طريق إفزاع ناقته لإسقاطها معه في الوادي. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج١، ص٦٣، حوادث سنة ٥٤ هجرية ؛ **سير أعلام النبلاء**، ج٢، ص٥٨٦ و٥٨٩ و٥٩٦ و٥٩٧ و٥٩٨ و٦٠٤ و٦٣٢، ترجمة عبدالرحمن بن صخر المعروف بأبي هريرة، الرقم ١٢٦ ؛ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، ج٢٨، ص١٠٠، كتاب الفتن والمحن، الباب الثالث، الحديث الثالث ؛ **قاموس الرجال**، ج٦، ص٢٣٣، الرقم ٤١٨٧، ترجمة أبي هريرة، وج١١، ص٥٥٣، ترجمة أبي هريرة، الرقم ٩٧٦ ؛ **تحفة الأبرار**، ص٢٤٥ ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٤، ص٦٣، ذيل الخطبة ٥٦.

(٢) "كتب أميرالمؤمنين قبل رحيله من النخيلة إلى معاوية كتاباً يتهدده فيه، أبرق فيه وأرعد ووعد وأوعد وخوّف وهدد ودعا بالأصبغ بن نباتة التميمي فقال: اذهب به إليه. قال الأصبغ: فدخلت على معاوية .. واسترجع". **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، ج٦، ص١٩٨، حوادث سنة ٣٦ هجرية، ذكر مسير أميرالمؤمنين إلى صفين.

كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية

كان محمد بن أبي بكر أحد أنصار الإمام علي عليه السلام الأوفياء. كتب إلى معاوية كتاباً مهماً قبل التوجه إلى صفين أشار فيه إلى فضائل أمير المؤمنين عليه السلام التي لا تعد ولا تحصى وإلى عدم إمكان مقارنة سائر الصحابة به. قال في الكتاب مخاطباً معاوية: **من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي بن صخر. سلام على أهل طاعة الله ممن هو مسلم لأهل ولاية الله. أما بعد! فإن الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته خلق خلقاً بلا عنت ولا ضعف في قوته ولا حاجة به إلى خلقهم، ولكنه خلقهم عبيداً وجعل منهم شقياً وسعيداً وغوياً ورشيداً. ثم اختارهم على علمه، فاصطفى وانتخب منهم محمداً فاختصه برسالته واختاره لوحيه وائتمنه على أمره وبعثه رسولاً مصدقاً لما بين يديه من الكتب ودليلاً على الشرائع. فدعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب وأناب وصدق ووافق وأسلم وسلم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام فصدقه بالغيب المكتوم وآثره على كل حميم، فوقاه كل هول وواساه بنفسه في كل خوف. فحارب حربه وسالم سلمه، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الأزل ومقامات الروع حتى برز سابقاً لا نظير له في جهاده ولا مقارب له في فعله وقد رأيتك تساميه وأنت أنت وهو هو المبرز السابق في كل خير، أول الناس إسلاماً وأصدق الناس نية وأطيب الناس ذرية وأفضل الناس زوجة وخير الناس ابن عم، وأنت اللعين بن اللعين. ثم لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله وتجهدان على إطفاء نور الله وتجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتخالفان فيه القبائل. على ذلك مات أبوك وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والشاهد لعلي مع فضله المبين وسبقه القديم أنصاره الذين ذكروا بفضلهم في القرآن[1] فأثنى الله عليهم من المهاجرين والأنصار. فهم معه عصائب وكتائب حوله، يجالدون بأسيافهم ويهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في اتباعه والشقاء في خلافه. فكيف ـ يا لك الويل ـ تعدل نفسك بعلي وهو وارث**

---

(١) **وقعة صفين**، ص١١٨، كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٣، ص١٨٨، ذيل الخطبة ٤٦، كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية وجوابه عليه ؛ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٣، ص١٣، بين معاوية ومحمد بن أبي بكر ؛ **أنساب الأشراف**، ج٣، ص١٦٥، أمر مصر في خلافة علي.

رسول الله ﷺ ووصيه وأبو ولده وأول الناس له اتباعاً وآخرهم به عهداً، يخبره بسره ويشركه في أمره، وأنت عدوه وابن عدوه؟ فتمتع ما استطعت بباطلك وليمدد لك ابن العاص في غوايتك. فكأن أجلك قد انقضى وكيدك قد وهى. وسوف يستبين لمن تكون العاقبة العليا. واعلم أنك [إنما] تكايد ربك الذي قد أمنت كيده وأيست من روحه وهو لك بالمرصاد وأنت منه في غرور وبالله وأهل رسوله عنك الغناء والسلام على من اتبع الهدى.

جواب معاوية لكتاب محمد بن أبي بكر

في هذه الرسالة بالغة الأهمية اعترف معاوية بحقانية الإمام علي عليه السلام في الحكم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحمّل الخليفة الأول مسؤولية ما وقع من المواجهات. كتب معاوية إلى محمد بن أبي بكر يذمه ويقول: **من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر. سلام على أهل طاعة الله. أما بعد! فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه وما أصفى به نبيه، مع كلام ألفته ووضعته لرأيك فيه تضعيف ولأبيك فيه تعنيف. ذكرت حق ابن أبي طالب وقديم سوابقه وقرابته من نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ونصرته له ومواساته إياه في كل خوف وهول، واحتجاجك عليّ بفضل غيرك لا بفضلك. فأحمد إلهاً صرف الفضل عنك وجعله لغيرك. وقد كنا وأبوك معنا في حياة من نبينا صلى الله عليه وآله وسلم نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا وفضله مبرزاً علينا. فلما اختار الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ما عنده وأتم له ما وعده وأظهر دعوته وأفلج حجته قبضه الله إليه، فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه وخالفه. على ذلك اتفقا واتسقا، ثم دعواه إلى أنفسهم فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما، فهمّا به الهموم وأرادا به العظيم، فبايع وسلم لهما لا يشركانه في أمرهما ولا يطلعانه على سرهما، حتى قبضا وانقضى أمرهما.ثم قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان يهتدي بهديهما ويسير بسيرتهما، فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي. وبطنتما له وأظهرتما، [وكشفتما] عداوتكما وغلكما حتى بلغتما منه مناكما. فخذ حذرك يا ابن أبي بكر، فسترى وبال أمرك، وقس شبرك بفترك تقصر عن أن تساوي أو توازي من يزن الجبال حلمه ولا تلين على قسر قناته ولا يدرك ذو مدى أناته. أبوك مهد مهاده وبنى ملكه وشاده. فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوله. وإن يك جوراً فأبوك أسسه ونحن شركاؤه وبهديه أخذنا وبفعله اقتدينا. ولولا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا ابن أبي طالب وأسلمنا له. ولكنا رأينا أباك فعل ذلك فاحتذينا بمثاله واقتدينا بفعاله. فعب أباك ما بدا لك، أو دع! والسلام على من أناب ورجع عن غوايته وتاب**[١].

---

(١) **وقعة صفين**، ص١١٩، كتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٣، ص١٨٩، ذيل الخطبة ٤٦، كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية وجوابه عليه ؛ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٣، ص١٥، بين معاوية ومحمد بن أبي بكر ؛ **أنساب الأشراف**، ج٣، ص١٦٦، أمر مصر في خلافة علي عليه السلام.

نقاط مهمة في كتاب معاوية

تضمن جواب معاوية على رسالة محمد بن أبي بكر(1) نقاطاً هامة، منها:

الأُولى: أن معاوية يعترف بأنه وأبابكر كانا في حياة رسول الله ﷺ يعترفان بحق أمير المؤمنين عليه السلام وأفضليته عليهما بوضوح وإعلان.

الثانية: أهم ما في كتاب معاوية اعترافه بأن خلافة رسول الله ﷺ بعد وفاته كانت حقاً لأمير المؤمنين عليه السلام، وأن الخليفتين الأولين غصباه إياه.

---

(١) ولد محمد بن أبي بكر سنة ١١ هجرية. أبوه أبوبكر وأُمه أسماء بنت عميس التي تزوجت من أميرالمؤمنين عليه السلام بعد وفاة أبي بكر، فتولى تربيته في طفولته. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٣، ص٤٢٢، ترجمة محمد بن أبي بكر، الرقم ٢٣٤٨ ؛ **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٥، ص٩٧، ترجمة محمد بن أبي بكر، الرقم ٤٧٥١. تشرّب حب الإمام علي عليه السلام وموالاته لدرجة أنه كان يعتبره وحده أباه. ولم يعترف بفضيلة لغيره. يقول أميرالمؤمنين عليه السلام فيه: محمد ابني من صلب أبي بكر. **شرح نهج البلاغة**، ج٦، ص٥٣، ذيل الخطبة ٦٧، ذكر محمد بن أبي بكر وذكر ولده. كان محمد بن أبي بكر من حواريي أميرالمؤمنين عليه السلام وخاصة أصحابه. من فضائله أنه كان، كعمار بن ياسر، لا يرضى بارتكاب المعاصي. كان مبالغاً في العبودية لله وعبادته حتى عُدّ من عباد قريش. **رجال الكشي**، ص٧١، الحديث ٢٠، وص١٣٦، الحديث ١١٢ ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٦، ص٥٤، ذيل الخطبة ٦٧، ذكر محمد بن أبي بكر وذكر ولده. قال محمد لأميرالمؤمنين عليه السلام يوماً: امدد يدك أُبايعك. فمدّ الإمام عليه السلام يده فبايعه محمد بن أبي بكر قائلاً: أشهد أنك إمامٌ مفترض الطاعة وأن أبي في النار. يقول الإمام الصادق عليه السلام: عفة محمد بن أبي بكر من جهة أُمه لا من جهة أبيه. **رجال الكشي**، ص١٣٦، الحديث ١١٣. وكان ممن شارك في قتل عثمان. **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص٤٨٢، ترجمة محمد بن أبي بكر، الرقم ١٠٤. وكان من قادة جيش الإمام علي عليه السلام في معركتي الجمل وصفين. وبعد معركة صفين عيّنه الإمام عليه السلام والياً لمصر، وفيها قتله أزلام معاوية سنة ٣٨ هجرية. وكان استشهاده بطريقة فظيعة فقد وضعه عمرو بن العاص وأزلام معاوية في جوف حمار وأضرموا فيه النار. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٣، ص٤٢٢، ترجمة محمد بن أبي بكر، الرقم ٢٣٤٨. لما وصل خبر استشهاد محمد بن أبي بكر إلى أميرالمؤمنين عليه السلام قال: إن حزننا على فقده كسرور أهل الشام، فقد نقص منهم عدو ومنا صديق. **نهج البلاغة**، الحكمة ٣٢٥. في كتاب بعثه أميرالمؤمنين عليه السلام إلى عبد الله بن عباس عن مقتل محمد بن أبي بكر قال: أحتسب أجر مصيبته عند الله. كان ابناً باراً وعاملاً كادحاً وسيفاً قاطعاً وركناً ركيناً للحكم. **نهج البلاغة**، الكتاب الخامس والثلاثون.

الثالثة: أن مبايعة أمير المؤمنين عليه السلام لأبي بكر كانت بالإكراه، كما هو وارد في **الاحتجاج** للطبرسي و**إثبات الوصية** وغيرهما. فقد فتحوا بالقوة قبضة يده التي كان يضمها ووضعوها على يد أبي بكر ثم صاحوا في المسجد: بايع أبوالحسن[١].

الرابعة: أن معاوية يرى أن منبع جميع الحروب والخلافات مع أمير المؤمنين عليه السلام يعود إلى غصب الخلافة في يوم السقيفة، وأن الخليفة الأول هو مؤسس المعارضة لأمير المؤمنين عليه السلام وهو المسؤول الأول عن المشاكل التي استمرت حتى عهده عليه السلام.

الخامسة: أن أبابكر وعمر وعثمان لم يكونوا يشركون الإمام علياً عليه السلام في شؤون البلاد، وأنه لم يتدخل في قرارات الخليفتين.

السادسة: من الأُمور المهمة المتعلقة بهذه المراسلة [بين محمد بن أبي بكر ومعاوية: م] أن بعض المؤرخين أهملوها في كتبهم بذرائع مختلفة. كما حذفها الطبري، واكتفى في تبرير الحذف بكلام من أبي مخنف الذي يقول نقلاً عن يزيد بن ظبيان الهمداني: جرت بين محمد بن أبي بكر ومعاوية مراسلات أكره أن أذكرها لاحتوائها على أُمور لا ينبغي أن يطلع عليها العامة[٢] لاشك أن العامة يجب أن لا يعلموا أن الخلافة كانت حقاً لأمير المؤمنين عليه السلام وأن أهل السقيفة غصبوه حقه رغم معرفتهم به، وأنهم أضلوا الناس بأكاذيبهم. ولو علمت العامة أن عدو أمير المؤمنين عليه عليه السلام، معاوية، كان ينظر إليه هذه النظرة ويتهم الشيخين بغصب حقه في الخلافة لما خضعت لحكمهم الغاصب. إذن، لابد من كتمان الحقائق وتزييف التاريخ.

---

(١) "ثم مدوا يده وهو يقبضها حتى وضعوها فوق يد أبي بكر وقلوا: بايع بايع، وصيح في المسجد: بايع بايع أبوالحسن". **الاحتجاج على أهل اللجاج**، ج١، ص٢١٥، إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني.

(٢) "حدثني يزيد بن ظبيان الهمداني أن محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية بن أبي سفيان لمّا وُلي؛ فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهتُ ذكرها لما فيه مما لا يحتمل سماعها العامة". **تاريخ الطبري**، ج٣، ص٦٨، حوادث سنة ٣٦ هجرية، ولاية محمد بن أبي بكر مصر.

جذور إرهاصات حرب صفين

قبل الدخول في موضوع تحرك جيشي أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية صوب صفين، لا بد من تسليط الضوء على بعض ما يتعلق بأسباب وقوع حرب صفين من أجل الإحاطة بها من جميع جوانبها.

وقعت حرب صفين بادّعاء معاوية وحلفائه المطالبة بدم عثمان. فمع أن معاوية كان قد خذل عثمان عندما كان محاصراً واستنجد به، فقد استغل قتله أقصى درجات الاستغلال. ونجح، من خلال حملة إعلامية واسعة، في أن يُدخل في روع الرأي العام الشامي أن علياً عليه السلام وأنصاره هم من قتلوا عثمان بن عفان. فما كان من أهل الشام، الذين كانوا منذ بداية دخولهم في الإسلام واقعين تحت مؤثرات معاوية التربوية، إلاّ أن تعبأوا لمحاربة من ظنوا أنهم أعداء الإسلام. يقول الذهبي في أحوال أهل الشام في ذلك الوقت: **وخلف معاوية خلقٌ كثيرٌ يحبونه ويتغالون فيه ويفضلونه ؛ إما قد ملكهم بالكرم والحلم والعطاء، وإما قد وُلدوا في الشام على حبه وترّى أولادهم على ذلك. وفيهم جماعة يسيرة من الصحابة وعدد كثير من التابعين والفضلاء وحاربوا معه أهل العراق ونشأوا على النصب** (لأهل البيت)[1].

أهم سبب قدّمه قادة الشام لمعارضة أمير المؤمنين عليه السلام كان المطالبة بدم عثمان. غير أن الأسباب الحقيقية كانت كامنة وراء هذا السبب الظاهري، وهي كما يلي:

---

(١) **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص١٢٨، ترجمة معاوية، الرقم ٢٥.

١ـ المطالبة بدم عثمان

وكانت الذريعة الأساسية بيد أهل الشام لمخالفة أمير المؤمنين عليه السلام ووقوع حرب صفين. فقد كانوا يطالبون الإمام عليه السلام بدم عثمان بصفته المقصّر الأساسي في مقتله. ورغم أن المطالبة بدم عثمان كانت الذريعة الوحيدة لدى رجال السياسة في الشام لمعارضة حكم الإمام عليه السلام، وكانوا يستغلونها في إثارة الناس على الإمام عليه السلام وتعبئتهم لحربه، فقد كانت في رأي عامة أهل الشام، نتيجة الضخ الإعلامي الواسع، أهم دافع للنضال والمواجهة. ويبين تقرير جرير بن عبدالله عن أحوال أهل الشام أنهم كانوا على أعلى درجات الاستعداد للقتال بحيث أقسموا على أن لا تؤويهم المخادع ما لم يقتلوا قتلة عثمان. وهذا ما جعلهم يعاهدون معاوية على نصرته حتى الموت[(١)].

من عجائب الزمان أن مسببي مقتل عثمان صوروا أنفسهم بأنهم أولياء دمه، وانخدع عامة الناس بخدعتهم. إلى هذا يشير عبدالله بن عباس في حديثه مع معاوية وعمرو بن العاص إذ يقول: **وإن أحق الناس أن لا يتكلم في أمر عثمان لأنتما. أما أنت يا معاوية، فزينت له ما كان يصنع. حتى إذا حصر طلب نصرك، فأبطأت عنه وأحببت قتله وتربصت به. وأما أنت يا عمرو، فأضرمت عليه المدينة وهربت إلى فلسطين تسأل عن أنبائه. فلما أتاك قتله أضافتك عداوة علي أن لحقت بمعاوية فبعت دينك بمصر**[(٢)].

فرغم أنهم كانوا يعلمون أنهم هم المقصرون في قتل عثمان، فقد ذهبوا لقتال أمير المؤمنين عليه السلام. وهذا ما يتضح من حوار جرى بين عمرو بن العاص ومعاوية. فقد قال عمرو بن العاص لمعاوية بمسمع من حاضرين: **أعجب الأشياء غلبة من لا حق له ذا الحق على حقه**. فقال معاوية: **أعجب من ذلك إعطاء من لا حق له ما ليس له بحق من غير غلبة**[(٣)].

---

(١) **تاريخ الطبري**، ج٣، ص٧٠، حوادث سنة ٣٦ هجرية، توجيه علي بن أبي طالب جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يدعوه إلى الدخول في طاعته ؛ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ج٣، ص٤٥٢، حوادث سنة ٣٥ هجرية.

(٢) **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص٧٣، ترجمة عمرو بن العاص، الرقم ١٥.

(٣) "قال عمرو بن العاص: أعجب الأشياء ... من غير غلبة. وإنما عرّض عمرو بمعاوية وعرّض معاوية بعمرو في أمر مصر". **أنساب الأشراف**، ج٥، ص٨٤، معاوية بن أبي سفيان.

اتهام أمير المؤمنين عليه السلام بقتل عثمان

رغم كل ما بذله الإمام علي عليه السلام من جهد لمنع قتل عثمان، فقد نجحت الماكنة الإعلامية الأُموية تلقين أهل الشام بأنه هو المتهم الرئيس في قتل عثمان. كل تلك الاتهامات جاءت بسبب إقبال الناس على علي عليه السلام واختياره خليفة لهم. يقول محمد بن سيرين: **ما علمت أن علياً عليه السلام اتُهم في دم عثمان حتى بويع، فلما بويع اتهمه الناس**[١].

على أن براءة أمير المؤمنين عليه السلام كانت معلومة لدى أهل المدينة وكانوا يشهدون عليها. فهذا خفاف بن عبدالله الذي سافر إلى الشام لزيارة أقربائه يقول لمعاوية الذي طلب منه أن يقص ما جرى في قتل عثمان: **حصره المكشوح، وحكم فيه حكيم، ووليه** (نفذ الحكم فيه) **محمد وعمار، وتجرد في أمره ثلاثة نفر عدي بن حاتم والأشتر النخعي وعمرو بن الحمق، وجدّ في أمره** (قتله) **رجلان طلحة والزبير، وأبرأ الناس منه علي**[٢].

لقد بذل الإمام علي عليه السلام كل ما في وسعه لمنع وقوع الفتنة. وما أكثر ما تغاضى المعترضون عن أخطاء عثمان بوساطته عليه السلام غير أن عثمان، ليس فقط لم يصحح أخطاءه بل عمل على التآمر على المعترضين، حتى فقد الدفاع عنه مبرره الشرعي لأن الناس بدأوا يسيئون الظن بالإمام نفسه. لذا كتب الإمام عليه السلام كتاباً إلى ابن عباس قال له فيه: **والله لقد دفعت عنه** (عن عثمان) **حتى خشيت أن أكون آثماً**[٣].

---

(١) "جرير بن حازم عن محمد بن سيرين قال: ما علمت ... الناس". **العقد الفريد**، تبري علي عليه السلام من دم عثمان.

(٢) "فقال له معاوية: هات يا أخا طي! حدثنا عن عثمان. قال: حصره ... علي". **وقعة صفين**، ص٦٥، خفاف بن عبد الله ومعاوية ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٣، ص١١١، شرح الخطبة ٤٣، أخبار متفرقة.

(٣) **نهج البلاغة**، الخطبة ٢٤٠.

أما مروان بن الحكم الذي شهد حوادث قتل عثمان عن قرب، فقد قال في أيام إمارته على المدينة للإمام علي بن الحسين عليهما السلام: **ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم،** [يعني علياً] **عن عثمان.** قال: فقلت: **ما بالكم تسبونه على المنابر؟** قال: **لا يستقيم الأمر إلاّ بذلك**(١).

كانت براءة أمير المؤمنين عليه السلام معلومة حتى لدى زعماء الحزب الأُموي ؛ إذ أنه لما دعا معاوية عمرو بن العاص إلى الشام لمساعدته في تشكيل جبهة لمواجهة الإمام عليه السلام وتحشيد الناس ضده، قال لعمرو: **نقاتله على ما في أيدينا ونلزمه دم عثمان بن عفان.** فضحك عمرو من ذلك ثم قال: **واعجباه لهذا الكلام الذي أسمعه منك يا معاوية. قد يجب عليّ وعليك أن لا نذكر شيئاً من أمر عثمان ؛ أما أنت فخذلته حين استغاث بك وهو محصور بالمدينة فلم تنصره. وأما أنا فإني تركته عياناً وذهبت إلى فلسطين**(٢).

---

(١) "قال مروان: ما كان ... بذلك". **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ج٣، ص٤٦٠ ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج١٣، ص٢٢٠، ذيل الخطبة ٢٣٨، القول في إسلام أبي بكر وعلي وخصائص كل منهما.

(٢) "فقال معاوية: ... لكننا نقاتله .. فلسطين". **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٢٣، ذكر كتاب علي عليه السلام إلى معاوية.

دور معاوية في قتل عثمان

كان الخلفاء (الثلاثة الأُوَل: م) يحبون بني أُمية، ومعاوية خاصة، لذا جعلوا تحت تصرفه واحدة من أهم المناطق في البلاد الإسلامية لمدة عشرين سنة. وقدموا له كل ما يحتاجه من دعم لا محدود لتقوية مركزه فيها. وهذا ما جرّأه على أن يستطيل بعنقه ليطمع في حكم البلاد الإسلامية بأسرها. ولكنه واجه عقبتين تسدان طريقه إلى تحقيق مطامعه:

١ – خلافة عثمان.

٢ – أمير المؤمنين عليه السلام.

ولم يكن الناس راضين عن سلوك عثمان، فعارضوه بشدة جعلت معاوية يوقن أن حكمه لا يدوم وسرعان ما يسقطه الناس. لذا استغل هذه الفرصة أمثل استغلال وفكر في التخلص من العقبتين معاً. فلم يسعف عثمان رغم أنه كان يملك جيشاً قوياً لكي يُقتل على أيدي الناس. ثم ألقى بتهمة قتله على أمير المؤمنين عليه السلام لكي يضرب عصفورين بحجر واحد ويوجه الأوضاع الوجهة التي تصب في مصلحته. يقول البلاذري، وهو من مؤرخي القرن الثالث، في هذا: **لما أرسل عثمان إلى معاوية يستمده** (وهو محاصر) **بعث يزيد بن أسد القسري جد خالد بن عبدالله بن يزيد أمير العراق وقال له:** **إذا أتيت ذاخشب فأقم بها ولا تتجاوزها ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. فإنني أنا الشاهد وأنت الغائب.** قال: **فأقام بذي خشب حتى قتل عثمان فاستقدمه حينئذ معاوية فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان أرسل معه. وإنما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه**[1].

أما اليعقوبي فيقول: **فكتب** (عثمان) **إلى معاوية يسأل تعجيل القدوم عليه، توجه إليه في اثني عشر ألفاً، ثم قال:** **كونوا بمكانكم في أوائل الشام حتى آتي أمير المؤمنين لأعرف صحة أمره. فأتى**

(١) "روى البلاذري قال: لما أرسل ... نفسه". **شرح نهج البلاغة**، ج١٦، ص١٥٤، ذيل الخطبة ٣٧.

عثمان فسأله عن المدة، فقال: قد قدمت لأعرف رأيك وأعود إليهم فأجيئك بهم. قال: لا والله، ولكنك أردت أن أُقتل فتقول: أنا ولي الثأر(١).

ويقول النميري: **قدم المسور بن مخرمة على معاوية، فدخل عليه وعنده أهل الشام، فقال معاوية: يا أهل الشام! هذا من قتلة عثمان. فقال المسور: إني والله ما قتلت عثمان، ولكن قتله سيرة أبي بكر وعمر** (بمخالفته لها) **وكتب يستمدك بالجند فحبستهم عنه حتى قتل وهم بالزرقاء**(٢).

ولا يقتصر هذا النوع من الاحتجاجات على معاوية على هذا النفر من الرجال. فقد واجهه بمثل هذا الكلام أمثال عبدالله بن عباس(٣) ومحمد بن أبي حذيفة(٤) وعامر بن واثلة (٥) وأبوأيوب

---

(١) **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص١٧٥، أيام عثمان بن عفان.

(٢) "حدثنا محمد بن يحي قال: حدثني غسان بن عبدالحميد قال: قدم ... بالزرقاء". **تاريخ المدينة المنورة**، ج٤، ص١٢٨٩، معاوية قصر لحاجة في نفسه عن نصرة عثمان.

(٣) "فكتب إليه ابن عباس جواباً طويلاً يقول فيه: وأما قولك إني من الساعين على عثمان والخاذلين له والسافكين دمه وما جرى بيني وبينك صلح فيمنعك مني، فأقسم بالله لأنت المتربص بقتله والمحب لهلاكه والحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من أمره. ولقد أتاك كتابه وصريخه يستغيث بك ويستصرخ، فما حفلت به حتى بعثت إليه معذراً بأجرة، أنت تعلم أنهم لن يتركوه حتى يقتل. فقتل كما كنت أردت. ثم علمت عند ذلك أن الناس لن يعدلوا بيننا وبينك، فطفقت تنعى عثمان وتلزمنا دمه وتقول: قتل مظلوماً. فإن يك قتل مظلوماً فأنت أظلم الظالمين. ثم لم تزل مصوباً ومصعداً وجاثماً ورابضاً، تستغوي الجهال وتنازعنا حقنا بالسفهاء، حتى أدركت ما طلبت [حروف وأشكال غير مفهومة: م]. **شرح نهج البلاغة**، ج١٦، ص١٥٥، ذيل الخطبة ٣٦.

(٤) "قال: فوالله الذي لا إلٰه غيره، ما أعلم أحداً شرك في دم عثمان وألّب الناس عليه غيرك، لما استعملك ومن كان مثلك، فسأله المهاجرون والأنصار أن يعزلك فأبى، ففعلوا به ما بلغك. ووالله ما أحد اشترك في قتله بدءاً وأخيراً إلاّ طلحة والزبير وعائشة، فهم الذين شهدوا عليه بالعظيمة وألّبوا عليه الناس ...". **معجم رجال الحديث**، ج١٤، ص٢٣٦، ترجمة محمد بن أبي حذيفة، الرقم ٩٩٧٣.

(٥) "فقدم أبوالطفيل الشام يزور ابن أخ له من رجال معاوية، فأخبر معاوية بقدومه، فأرسل إليه، فأتاه وهو شيخ كبير. فلما دخل عليه قال له معاوية: أنت أبوالطفيل عامر بن واثلة؟ قال: نعم. قال معاوية: أكنت ممن قتل عثمان أميرالمؤمنين؟ قال: لا، ولكن ممن شهده فلم ينصره. قال: ولم؟ قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار. فقال معاوية: أما والله إنّ نصرته كانت عليهم وعليك حقاً واجباً وفرضاً لازماً، فإذ ضيعتموه فقد فعل الله بكم ما أنتم أهله وأصاركم إلى ما رأيتم. فقال أبوالطفيل: فما منعك يا أميرالمؤمنين، إذ تربصت به ريب المنون، أن تنصره ومعك أهل الشام؟ قال معاوية: أوما ترى طلبي لدمه؟ فضحك أبوالطفيل وقال: بلى، ولكني وإياك كما قال عبيد بن الأبرص:

لا أعرفنك بعد الموت تندبني ..... وفي حياتي ما زودتني زادي

الأنصاري[١] وشبث بن ربعي[٢] وهناك الكثير من الشواهد التاريخية الدالة على أن تعمد معاوية عدم نصرة عثمان كان أمراً بيّناً يعرفه الكثير من الناس.

وقد اعترف عمرو بن العاص ومعاوية في حواراتهما الخاصة بتقصيرهما بحق عثمان ودورهما في قتله. فقد قال عمرو بن العاص لمعاوية في أحد تلك الحوارات: **إن أحق الناس أن لاّ يذكر عثمان لأنا وأنت.** قال معاوية: **ولم؟** فقال عمرو: **أما أنت فخذلته ومعك أهل الشام، واستغاثك فأبطأت عليه. وأما أنا فتركته عياناً وهربت إلى فلسطين**[٣].

الإمامة والسياسة، ج١، ص١٦٥، قدوم أبي الطفيل على معاوية ؛ **تاريخ دمشق الكبير**، ج٢٨، ص٨١، الرقم ٣٠٦٤، ترجمة عامر بن واثلة ؛ **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٣، ص١٤٣، الرقم ٢٧٤٧، ترجمة عامر بن واثلة ؛ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٤، ص١٦٩٧، الرقم ٣٠٥٤، ترجمة عامر بن واثلة.

(١) "كتب أبوأيوب إلى معاوية: [أما بعد فإنك كتبت إلي]: لا تنسى الشيباء وقال في هذا الحديث: الشيباء: الشمطاء ثكل ولدها ولا أبا عذرتها، فضربتها مثلاً بقتل عثمان. وما نحن وقتل عثمان؟ إن الذي تربص بعثمان وثبط يزيد بن أسد وأهل الشام في نصرته لأنت. وإن الذين قتلوه لغير الأنصار". **وقعة صفين**، ص٣٦٨، جواب أبي أيوب.

(٢) "فبدره شبث فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا معاوية! قد فهمت ما رددت على ابن محصن. إنه لا يخفى علينا ما تقرب وما تطلب. إنك لا تجد شيئاً تستغوي به الناس وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم إلاّ أن قلت لهم: قتل إمامكم مظلوماً، فهلموا نطلب بدمه. فاستجاب لك سفهاء طغام رذال. وقد علمنا أنك أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل بهذه المنزلة التي تطلب. وربّ مبتغ أمراً وطالبه يحول الله دونه. وربما أُوتي المتمني أُمنيته، وربما لم يؤتها. ووالله ما لك في واحدة منها خير. والله لئن أخطأك ما ترجو إنك لشر العرب حالاً. ولئن أصبت ما تتمناه لا تصيبه حتى تستحق صلى النار. فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله". **وقعة صفين**، ص١٨٧، كلام شبث بن ربعي ؛ **تاريخ الطبري**، ج٣، ص٧٧، حوادث سنة ٣٦ هجرية، القتال على الماء ؛ **الكامل في التاريخ**، ج٣، ص٣٦٥، حوادث سنة ٣٦ هجرية، ذكر ابتداء وقعة صفين.

(٣) "قال عمرو: واسوأتاه! إن أحق ... فلسطين". **الإمامة والسياسة**، ج١، ص٩٦، مشورة معاوية عمرواً ؛ **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٥٢٣، ذكر كتاب علي [عليه السلام] إلى معاوية.

دور عمرو بن العاص في قتل عثمان

كان عمرو بن العاص، في البداية، عامل عثمان على مصر. وبعد مدة عزله عن جباية الخراج وكلفه بالصلاة وحوّل صلاحياته إلى عبدالله بن سعد. ثم سحب منه صلاحيات إمامة الجماعة وأسندها إلى عبدالله. لهذا حمل عمرو في قلبه كرهاً لعثمان. فبعد عزله ذهب إلى المدينة وأخذ يذكر عثمان بسوء ويحرض الناس عليه وعلى حكمه.

وبلغت معارضة عمرو بن العاص حداً جعل عثمان يستدعيه ويقول له في مجلس خاص: **يا ابن النابغة! ما أسرع ما قمل جربان جبتك! إنما عهدك بالعمل عاماً أول. أتطعن عليّ وتأتيني بوجه وتذهب عني بآخر؟ والله لولا أكلة ما فعلت ذلك** (لولا ولاية مصر التي أعطيتك إياها). فقال عمرو: **إن كثيراً مما يقول الناس وينقلون إلى ولاتهم باطل. فاتق الله يا أمير المؤمنين!** فقال عثمان: **والله لقد استعملتك على ظلعك وكثرة القالة فيك ...** فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه، يأتي علياً مرة فيؤلبه على عثمان، ويأتي الزبير مرة فيؤلبه على عثمان، ويأتي طلحة مرة فيؤلبه على عثمان، ويعترض الحاج فيخبرهم بما أحدث عثمان. فلما كان حصر عثمان الأول خرج من المدينة حتى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها السبع، فنزل في قصر له يقال له العجلان وهو يقول: **العجب ما يأتينا عن ابن عفان.** [قال]: فبينا هو جالس في قصره ذلك ومعه ابناه محمد وعبدالله وسلامة بن روح الجذامي إذ مرّ بهم راكب فناداه عمرو: **من أين قدم الرجل؟** فقال:**من المدينة** قال: **ما فعل الرجل؟** يعني عثمان. قال: **تركته محصوراً شديد الحصار.** قال عمرو: **أنا أبوعبدالله، قد يضرط العير والمكواة في النار.** فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مرّ به راكب آخر فناداه عمرو: **ما فعل الرجل؟** يعني عثمان. قال: **قتل.** قال: **أنا أبوعبدالله، إذا حككت قرحة نكأتها. إن كنت لأُحرض عليه**

الراعي في غنمه في رأس الجبل[١]. يقول غسان بن عبدالحميد: **كان عمرو بن العاص من أشد الناس طعناً على عثمان وقال: والله لقد أبغضت عثمان وحرّضت عليه حتى الراعي في غنمه تحت قربتها**[٢].

ويقول الطبري: **لما بلغ عمرواً قتل عثمان، قال: أنا عبدالله قتلته وأنا بوادي السباع. من يلي هذا الأمر من بعده؟ إن يله طلحة فهو فتى العرب سيباً،** (كرماً) **وإن يليه** (هكذا، وربما يله أو وليه: م)**ابن أبي طالب فلا أراه إلاّ سيستنظف الحق وهو أكره من يليه إليّ**[٣].

---

(١) "عبد الله بن جعفر حدثه عن أبي عون مولى المسور قال: كان عمرو بن العاص على مصر ـ عاملاً لعثمان فعزله عن الخراج واستعمله على الصلاة واستعمل عبد الله بن سعد على الخراج ثم جمعهما لعبد الله بن سعد. فلما قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يطعن على عثمان. فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به فقال: يا ابن النابغة! ... رأس الجبل". **تاريخ الطبري**، ج٢، ص٦٥٦، حوادث سنة ٣٥ هجرية، ذكر مسير من سار إلى ذي خشب من أهل مصر ؛ **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص٢٨٤، حوادث سنة ٣٧ هجرية، ذكر مسير من سار إلى حصر عثمان.

(٢) "حدثني غسان بن عبدالحميد قال: كان عمرو .. قربتها". **تاريخ المدينة المنورة**، ج٣، ص١٠٨٩، رواية تقول على لسان عمرو: أبغضت عثمان وحرّضت عليه.

(٣) "حدثني موسى بن يعقوب عن عمه، قال: لما بلغ .... إليّ". **تاريخ الطبري**، ج٣، ص٦٩، حوادث سنة ٣٦ هجرية، ذكر خبر عمرو بن العاص ومبايعته معاوية ؛ **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص٣٥٨، حوادث سنة ٣٦ هجرية، ذكر قدوم عمرو بن العاص على معاوية ومتابعته له.

دور باقي الصحابة في قتل عثمان

كان الصحابة في المدينة يرصدون أفعال عثمان ومخالفاته للشرع. وعندما تدفق الثوار على المدينة من مختلف المدن وحاصروا قصر الخليفة، لم يكتف الصحابة بعدم الوقوف إلى جانب عثمان، بل اصطفوا إلى جانب الثوار وأخذوا زمام قيادة الثورة منهم. وهذا ما تصرح به المصادر والوثائق التاريخية عندهم. فعندما اتهم معاوية أباالطفيل بقتل عثمان، قال له أبوالطفيل دافعاً التهمة عن نفسه: **لم ينصره المهاجرون والأنصار**[١] أما الواقدي فيرى أن بعض صحابة رسول الله ﷺ كاتبوا مدناً أُخرى وصحابة آخرين يحثونهم على الجهاد ضد عثمان، وحين قامت الثورة عليه لم يدافع عنه من الصحابة إلاّ عدد قليل ولم ينكروا ما كان يقال عنه[٢].

ما ينقله الواقدي يتضمن أكثر من ملاحظة:

١ـ فضلاً عن عامة المسلمين، كان الصحابة أيضاً رافضين لتصرفات عثمان.

٢ـ التصدي لتصرفات عثمان المخالفة للشرع اعتبر حينئذ عملاً مقدساً وجهاداً في سبيل الله.

٣ـ احتجاجات عموم المسلمين على تصرفات عثمان المخالفة للشرع كانت تحظى بتأييد الصحابة، بدليل أنهم لم يدافعوا عنه ولم يعترضوا على احتجاجات عامة الناس.

---

(١) "قال له معاوية: أنت أبوالطفيل عامر بن واثلة؟ قال: نعم. قال معاوية: أكنت ممن قتل عثمان أميرالمؤمنين؟ قال: لا ولكن ممن شهده فلم ينصره. قال: ولم؟ قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار". **الإمامة والسياسة**، ج١، ص١٦٥، قدوم أبي الطفيل على معاوية ؛ **تاريخ دمشق الكبير**، ج٢٨، ص٨١، الرقم ٣٠٦٤، ترجمة عامر بن واثلة ؛ **أنساب الأشراف**، ج٥، ص١٠١، معاوية بن أبي سفيان ؛ **تاريخ الخلفاء**، ص٢١٨، عهد بني أُمية، معاوية بن أبي سفيان، نبذ من أخباره.

(٢) "قال الواقدي: لما كانت سنة أربع وثلاثين كتب بعض أصحاب رسول الله ﷺ إلى بعض يتشاكون سيرة عثمان وتغييره وتبديله وما الناس فيه من عمّاله، ويكثرون عليه، ويسأل بعضهم بعضاً أن يقدموا المدينة إن كانوا يريدون الجهاد ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله عليه السلام يدفع عن عثمان ولا ينكر ما يقال فيه إلاّ زيد بن ثابت وأبوأسيد الساعدي وكعب بن مالك بن أبي كعب من بني سلمة من الأنصار وحسّان بن ثابت الأنصاري". **أنساب الأشراف**، ج٦، ص١٧٤، مسير أهل الأمصار إلى عثمان.

٤ـ لم يشارك الصحابة في الاحتجاج على حكم عثمان وفي قتله فحسب، بل إنهم بادروا إلى قتله وساهموا فيه مساهمة مباشرة.

يؤيد كلام أبي سعيد الخدري ما ذكره الواقدي لأنه حين سئل عما إذا كان الصحابة قد شاركوا في قتل عثمان، قال: **نعم، لقد شهده ثمانمائة**[1].

(١) "عن غياث البكري قال: سألت أباسعيد الخدري عن قتل عثمان، هل شهده أحد من أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، شهده ثمانمائة". **تاريخ المدينة المنورة**، ج٤، ص١١٧٥، ابن سلام يدافع عن عثمان ويخطب في الناس محذراً ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٣، ص٢٨، ذيل الخطبة ٤٣، ذكر المطاعن التي طعن بها على عثمان والرد عليها.

دور طلحة والزبير وعائشة في قتل عثمان

تفيد الوثائق الموجودة في مصادر أهل السنة بأن طلحة والزبير وعائشة لعبوا الدور الأهم في قتل عثمان، وكانوا أكثر من حرّض الناس على الثورة عليه.

يقول اليعقوبي (المتوفى سنة ٢٨٤ هجرية): **وكان أكثر من يؤلب عليه طلحة والزبير وعائشة**[١].

وربما كان ما فعله طلحة لا نظير له،[٢] لأنه لم يكتف بتحريض الناس على الثورة على عثمان، بل منع وصول الماء إليه[٣] ومنع من دفنه في مقبرة البقيع ثلاثة أيام بعد قتله. وحين أراد بعض أقربائه وأنصاره أن يدفنوه في مقبرة اليهود، أمر طلحة برشق جنازته بالحجارة[٤].

---

(١) **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص١٧٥، أيام عثمان بن عفان.

(٢) "حدثنا محمد بن منصور قال: حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي عن عوف قال: كان أشد الصحابة على عثمان طلحة بن عبيدالله". **تاريخ المدينة المنورة**، ج٤، ص١١٦٩، ما روي من الاختلاف في من أعان عثمان أو أعان عليه من أصحاب النبي ﷺ وأزواجه، أشد الصحابة على عثمان طلحة ؛ **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٣، ص٨٧، ترجمة طلحة بن عبيدالله، الرقم ٢٦٢٧ ؛ **المعارف**، ص٢٢٨، أخبار طلحة بن عبيدالله.

(٣) "حدثنا هارون بن عمرقال: حدثنا أسد بن موسى قال: حدثنا جامع بن صبيح عن الكلبي قال: أرسل عثمان إلى علي عليه السلام يقرؤه السلام ويقول: إن فلاناً (يعني طلحة) قد قتلني بالعطش، والقتل بالسلاح أجمل من القتل بالعطش. فخرج علي عليه السلام يتوكأ على يد المسور بن مخرمة حتى دخل على ذلك الرجل وهو يترامى بالنبل عليه قميص هروي. فلما رآه تنحى عن صدر الفراش ورحّب به، فقال له علي عليه السلام: إن عثمان أرسل إليّ أنكم قد قتلتموه بالعطش، وإن ذلك ليس يحسن، وأنا أُحب أن تدخل عليه الماء. فقال: لا والله ولا نعمة عين، لا نتركه يأكل ويشرب. فقال علي عليه السلام: ما كنت أرى أني أُكلم أحداً من قريش في شيء فلا يفعل! فقال: والله لا أفعل، وما أنت في ذلك في شيء يا علي. فقام علي عليه السلام غضبان وقال: لتعلمن بعد قليل أكون من ذلك في شيء أم لا". **تاريخ المدينة المنورة**، ج٤، ص١٢٠٢، عثمان يستعين بعلي على طلحة فيلبيه علي عليه السلام.

(٤) "أن طلحة منع من دفنه ثلاثة أيام ... فأقعد لهم طلحة في الطريق ناساً بالحجارة، فخرج له نفر يسير من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم. فلما صار هناك رجم سريره وهموا بطرحه ... وقد جعل طلحة ناساً هناك أكمنهم كميناً، فأخذتهم الحجارة وصاحوا: نعثل نعثل. فقالوا: الحائط الحائط. فدفن في حائط هناك". **شرح نهج البلاغة**، ج١٠، ص٦٧، ذيل الخطبة ١٧٥.

أما عائشة فكان دورها في قتل عثمان لا نظير له، فهي التي أصدرت فتوى قتله بعد أن اعتبرته كافراً مهدور الدم[١].

كما أفتى الزبير بقتل عثمان، كما فعلت عائشة، لأنه غيّر أحكام الدين الإسلامي[٢] وكان ممن منع وصول الماء إليه فكان يقول له كلما طلب الماء: "**يا نعثل** (يا يهودي) **لا والله لا تذوقه**"[٣].

من الحوادث التي استُغلت على نطاق واسع، عطش عثمان في لحظات موته. تفيد بعض النصوص التاريخية بأن طلحة منع من وصول الماء إلى عثمان، أما أمير المؤمنين عليه السلام، فرغم معارضته لتصرفات عثمان وتذكيره له بمخالفاته الشرعية، فقد كان في الوقت نفسه مخالفاً لموقف طلحة غير الإنساني منه. لذا قام بإيصال أواني الماء إليه، وعندما اعترضه طلحة، قام بكسر الحصار على عثمان بشكل من الأشكال وأنقذه من العطش[٤].

---

(١) "فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلاً فقد كفر". **الإمامة والسياسة**، ج١، ص٥٢، اعتزال عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة عن مشاهد علي عليه السلام وحروبه ؛ **تاريخ الطبري**، ج٣، ص١٢، قول عائشة: والله لأطلبن بدم عثمان وخروجها وطلحة والزبير فيمن تبعهم إلى البصرة ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٦، ص٢١٥، ذيل الخطبة ٧٩، أخبار عائشة في خروجها من مكة إلى البصرة بعد مقتل عثمان.

(٢) "اقتلوه فقد بدّل دينكم". **شرح نهج البلاغة**، ج٩، ص٣٦، ذيل الخطبة ١٣٧، من كلام له في شأن طلحة والزبير.

(٣) "روى أبوإسحاق قال: لما اشتد الحصار بعثمان عمد بنو أُمية على إخراجه ليلاً إلى مكة. وعرف الناس فجعلوا عليه حرساً. وكان على الحرس طلحة بن عبيدالله وهو أول من رمى بسهم في دار عثمان. قال: وأطلع عثمان وقد اشتد به الحصار وظمئ من العطش فنادى: أيها الناس! اسقونا شربة من الماء وأطعمونا مما رزقكم الله. فناداه الزبير بن العوام: يا نعثل! لا والله لا تذوقه". **الجمل**، ص١٤٦، موقف الزبير من عثمان.

(٤) "قال أبومخنف وغيره: حرس القوم عثمان ومنعوا من أن يدخل عليه، وأشار عليه سعيد بن العاص بأن يحرم ويلبّي ويخرج فيأتي مكة فلا يقدم عليه. فبلغهم قوله فقالوا: والله لئن خرج لا فارقناه حتى يحكم الله بيننا وبينه، واشتد عليه طلحة بن عبيدالله في الحصار ومنع من أن يدخل إليه الماء، حتى غضب علي بن أبي طالب من ذلك، فأُدخلت عليه روايا الماء". **أنساب الأشراف**، ج٦، ص١٨٨، مسير أهل الأمصار إلى عثمان ؛ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، ج٣١، ص٢٨٧، نكير طلحة بن عبيدالله ؛ **أمالي الطوسي**، ص٧١٥، خطبة علي عليه السلام لما بلغه مسير طلحة والزبير. "قال سفيان: وحدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن حكيم بن جابر قال: كلم علي عليه السلام طلحة وعثمان في الدار محصور فقال: إنهم قد حيل بينهم وبين الماء، فقال طلحة: أما حتى تعطي بنو أُمية الحق من أنفسها فلا". **تاريخ المدينة المنورة**، ج٤، ص١١٦٩، ما روي من الاختلاف في من أعان عثمان أو أعان عليه من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وأزواجه، علي يكلم طلحة في العفو عن عثمان فيأبى.

يقول البلاذري: **فبعث إليه علي عليه السلام بثلاث قرب مملوءة ماءً فما كادت تصل إليه وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أُمية حتى وصلت**[١].

غير أن ما يؤسف له أن القضية قُدمت للناس بشكل محرّف تماماً، حتى تصوروا أن الإمام علياً عليه السلام وأصحابه هم الذين منعوا الماء من الوصول إلى عثمان. وقد استغل الأُمويون قضية عطش عثمان استغلالاً سياسياً لتحريض الناس على أمير المؤمنين عليه السلام بأن ألقوا في أذهانهم أنه هو الذي حرم عثمان الماء.

عندما سمع معاوية بتحرك جيش العراق صوب الشام، سارع إلى التوجه بجيشه إلى صفين وسدّ طريق مشرعة الفرات وأحكم سيطرته على المنطقة. فسمع الإمام علي عليه السلام بسد الطريق إلى الفرات فنصح معاوية بأن يكفّ عن هذا الفعل، فلم يأخذ معاوية بنصيحته. فقال جماعة من رجال معاوية أمثال الوليد بن عقبة وعبدالله بن سعد بن أبي سرح: **إن هؤلاء قد منعوا عثمان بن عفان الماء أربعين يوماً وحصروه، فامنعهم** (يا معاوية) **إياه حتى يموتوا عطشاً**[٢].

واستغلت حادثة عطش عثمان كذلك في واقعة الطف بكربلاء ذريعةً لقتال الحسين عليه السلام وتحريض الناس عليه. فقد كتب عبيدالله بن زياد إلى عمر بن سعد: **أما بعد! فحُل بين الحسين وأصحابه وبين الماء ولا يذوقوا منه قطرة كما صنع بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان**[٣].

---

(١) "فحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء، فأشرف على الناس فقال: أفيكم علي؟ فقالوا: لا. قال: أفيكم سعد؟ فقالوا: لا. فسكت ثم قال: ألا أحدٌ يبَلِّغ فيسقينا ماءً؟ فبلغ ذلك علياً فبعث وصلت". **أنساب الأشراف**، ج٦، ص١٨٥، مسير أهل الأمصار إلى عثمان.

(٢) "فقال الوليد بن عقبة: يا معاوية! إن هؤلاء حتى يموتوا عطشاً واقتلهم قاتلهم الله أنى يؤفكون. قال: ثم تكلم عبد الله بن سعد بن أبي سرح فقال: لقد صدق الوليد في قوله، فامنعهم الماء، منعهم الله إياه يوم القيامة". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٤، ذكر وقعة الماء وهي أول وقعة صفين.

(٣) "حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم الأزدي قال: جاء من عبيدالله بن زياد كتاب إلى عمر بن سعد: أما بعد! ... عفان". **تاريخ الطبري**، ج٣، ص٣١١، حوادث سنة ٦١ هجرية.

٢ـ حب الدنيا

أشعل معاوية حرب صفين بذريعة المطالبة بدم عثمان، فأعد الآلاف من أهل الشام لقتال أمير المؤمنين عليه السلام. غير أن هناك الكثير من الروايات والوثائق تزخر بها مصادر أهل السنة تؤكد أن المطالبة بدم عثمان لم تكن إلاّ ذريعة. أما الدافع الأصلي لحرب معاوية على الإمام علي عليه السلام فكان حب الدنيا والسلطة على الشام. يقول معاوية في مواجهته لسفير أمير المؤمنين عليه السلام جرير بن عبدالله البجلي: **اكتب إلى علي أن يجعل لي الشام وأنا أُبايع له ما عاش**[١].

يقول جويرية في سبب عدم نصرة معاوية لعثمان إن معاوية تعمّد عدم إغاثة عثمان وتركه يقتل لكي يستغل مقتله في الحصول على حكم الشام[٢].

ويشير البلاذري أيضاً إلى خطة معاوية فيقول إن سبب عدم إغاثة معاوية لعثمان هو أن يُقتل فيخلفه لما كان بينهما من قرابة[٣].

بعد أن تم لمعاوية صلح الإمام الحسن عليه السلام واستولى على الحكم، كشف بكل صراحة عن دوافعه وخططه التي أنتجت تلك الصراعات والحروب. فقال مخاطباً أهل العراق: **والله إني ما**

---

(١) "أن معاوية قال لجرير البجلي لما قدم عليه رسولاً، بعد محاورة طويلة: اكتب .. ما عاش". **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص١٤٠، الرقم ٢٥، ترجمة معاوية بن أبي سفيان ؛ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ج٣، ص٥٣٩، حوادث سنة ٣٧ هجرية.

(٢) "حدثنا محمد بن منصور قال: حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي قال: حدثنا جويرية قال: أرسل عثمان إلى معاوية يستمده، فبعث معاوية يزيد بن أسد جدّ خالد القسري وقال له: إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، قال: أنا الشاهد وأنت الغائب. فأقام بذي خشب حتى قتل. فقلت لجويرية: لم صنع هذا؟ قال: صنعه عمداً ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه". **تاريخ المدينة المنورة**، ج٤، ص١٢٨٩.

(٣) "لما أرسل عثمان إلى معاوية يستمده، بعث يزيد بن أسد القسري جدّ خالد بن عبد الله بن يزيد أمير العراق وقال له: إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها ولا تقل: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فإنني أنا الشاهد وأنت الغائب. قال: فأقام بذي خشب حتى قتل عثمان. فاستقدمه حينئذ معاوية، فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان أرسل معه. وإنما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه". **شرح نهج البلاغة**، ج١٦، ص١٥٤، ذيل الخطبة ٣٧.

قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك. وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون(١).

كما أن صفة حب الدنيا والسلطان تصبغ أصحاب معاوية المقربين أمثال عمرو بن العاص كذلك. فعندما دعا معاوية عمرو بن العاص للوقوف إلى جانبه، اشترط عمرو لذلك أن يعطيه معاوية حكم مصر(٢).

كما يُنقل كلام آخر عن عمرو بن العاص في هذا المجال يبيّن بوضوح وشفافية أن حب الدنيا كان الدافع الوحيد لمخالفة أمير المؤمنين عليه السلام ومحاربته. فقد ذهب عمرو بن العاص بعد مقتل عثمان إلى الشام وسمع معاوية يحدث أهلها بمقتل عثمان ويحرضهم على المطالبة بدمه. فقال عمرو بن العاص لمعاوية: **يا معاوية قد أحرقت كبدي بقصصك. أترى إن خالفنا علياً لفضل منا عليه؟ لا والله، إن هي إلاّ الدنيا نتكالب عليها. أما والله، لتقطعن لي من دنياك أو لأُنابذنك.** فوعده معاوية بولاية مصر(٣).

كان معاوية وعمرو بن العاص يفتشان عن أرضية تمهد لهم طريق آمالهم وأحلامهم، فلم يجدا أفضل من دم عثمان. ونجحا في ركوب موجة المطالبة بدم عثمان والتحرك صوب تحقيق غاياتهما. وبما أنهما كانا مدفوعين بالدافع نفسه، وهو حب الدنيا والسلطان، فإنهما لم يتورعا في سلوك أي طريق من أجل الوصول إليه. ولو لم يُقتل عثمان لبحثا عن ذريعة أُخرى لمحاربة الإمام علي عليه السلام لذا

---

(١) "روى الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد، قال: صلى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة، ثم خطبنا فقال: والله إني ... كارهون". **مصنف بن أبي شيبة**، ج٧، ص٢٥١، كتاب الأمراء، ما ذكر من حديث الأُمراء والدخول عليهم ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج١٦، ص٤٦، ذيل ترجمة الحسن بن علي عليه السلام وذكر بعض أخباره.

(٢) "قال معاوية لعمرو: يا أباعبد الله! إني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى ربه وقتل الخليفة، أظهر الفتنة وفرّق الجماعة وقطع الرحم. قال عمرو: إلى من؟ قال: إلى جهاد علي. قال: فقال عمرو: والله يا معاوية، ما أنت وعلي بعكمي بعير. ما لك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا جهاده ولا فقهه وعلمه. والله إن له مع ذلك حداً وجداً وحظاً وحظوة وبلاء من الله حسناً. فما تجعل لي إن شايعتك على حربه وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟ قال: حكمك. قال: مصر طعمة. قال: فتلكأ معاوية". **وقعة صفين**، ص٣٧ و٣٨، مسير عمرو إلى معاوية وحديثه معه.

(٣) "فأتى معاوية فوجده يقص ويذكر أهل الشام في دم الشهيد. فقال له: يا معاوية! ... لأُنابذنك". **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص٧٢، ترجمة عمرو بن العاص، الرقم ١٥.

يقول عمرو بن العاص لعائشة: **لوددت أنك قتلت يوم الجمل**. فسألته عائشة: **ولمَ، لا أبا لك**؟ فقال: **كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة ونجعلك أكبر التشنيع على علي بن أبي طالب**[١].

وكان الإمام علي عليه السلام يعرف احتيالات ومؤامرات عمرو بن العاص الدنيئة جيداً، فقد خاطبه في رسالة وجهها إليه ذامّاً تهافته على الدنيا قائلاً: **فإنك جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئٍ ظاهر غيه مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته، فاتبعت أثره وطلبت فضله اتباع الكلب للضرغام يلوذ إلى مخالبه وينتظر ما يلقى إليه من فضل**[٢].

ويشير الإمام عليه السلام في موضع آخر إلى حب عمرو للدنيا وسبب تعاونه مع معاوية، ويقول: **ولم يبايع حتى شرط أن يؤتيه على البيعة ثمناً**[٣].

أما عتبة بن أبي سفيان فيقول شعراً يكشف فيه عن سريرة عمرو بن العاص وسبب وقوفه إلى جانب معاوية. يقول مخاطباً معاوية: **أعط عمرواً إن عمرواً باذلٌ ... دينه اليوم لدنيا لم تحز**[٤]. وهذا يزيد بن قيس[٥] يحفز المحاربين في حرب صفين بقوله خاطباً فيهم: **إن هؤلاء القوم والله ما إن يقاتلونا على إقامة دين رأونا ضيعناه ولا إحياء عدل رأونا أمتناه ولا يقاتلونا إلاّ على إقامة الدنيا ليكونوا جبابرة فيها ملوكاً**[٦].

---

(١) "قال لعائشة: ... بن أبي طالب". **شرح نهج البلاغة**، ج٦، ص٣٢٢، ذيل الخطبة ٨٣، نبذ من كلام عمرو بن العاص.

(٢) **نهج البلاغة**، الرسالة ٣٩.

(٣) **نهج البلاغة**، الخطبة ٢٦.

(٤) **أنساب الأشراف**، ج٢، ص٢٨٨، قدوم عمرو بن العاص على معاوية وطلبه عنه مصر رشوة.

(٥) كان يزيد بن قيس، على فترات مختلفة، والياً عن أميرالمؤمنين عليه السلام على الري وهمدان والمدائن وإصفهان. شهد مع الإمام عليه السلام الجمل وصفين والنهروان. ولكنه مال إلى الخوارج بعد صفين ولكن أميرالمؤمنين عليه السلام أعاده إلى جادة الصواب فقاتلهم في النهروان. **تاريخ الطبري**، ج٣، ص١١٠، حوادث سنة ٣٧ هجرية، اعتزال الخوارج علياً عليه السلام وأصحابه ورجوعهم بعد ذلك؛ **قاموس الرجال**، ج١١، ص١١٠، ترجمة يزيد بن قيس، الرقم ٨٤٤٩.

(٦) **وقعة صفين**، ص٢٤٧، خطبة يزيد بن قيس في تحريض الناس بصفين.

ومروان بن الحكم، لما أمره معاوية بالخروج إلى مالك الأشتر في صفين، كشف عن نيته ولم يمتثل لمعاوية وطلب منه، بدلاً من ذلك، أن يأمر عمرو بن العاص بمقابلة مالك الأشتر، بعد أن وهبه مصر. ولأنه لم يهب مصر له فلم يجد سبباً يدفعه إلى القتال[1].

(١) "أن معاوية دعا مروان بن الحكم فقال: يا مروان إن الأشتر قد غمني [أو أقلقني]، فاخرج بهذه الخيل في كلاع ويحصب فالقه فقاتل بها. فقال له مروان: ادع لها عمرواً فإنه شعارك دون دثارك. قال: وأنت نفسي دون وريدي. قال: لو كنت كذلك ألحقتني به في العطاء أو ألحقته بي في الحرمان. ولكنك أعطيته ما في يديك ومنيته ما في يدي غيرك. فإن غَلبت طاب له المقام، وإن غُلبت خفّ عليه الهرب". **وقعة صفين**، ص٤٣٩، معاوية ومروان بن الحكم وعمرو بن العاص.

كلام ابن تيمية ونقده

من المناسب هنا أن نتطرق إلى شبهة يثيرها ابن تيمية حول حروب أمير المؤمنين عليه السلام ونرد عليها. يقول ابن تيمية إن الإمام عليه السلام كان ـ والعياذ بالله ـ يطلب الدنيا في قتاله الناكثين والقاسطين والمارقين: **وعلي يقاتل ليطاع ويتصرف في النفوس والأموال، فكيف يجعل هذا قتالاً على الدين**[١]؟

ويقول في موضع آخر: **وقتل النفوس فساد، فمن قتل النفوس على طاعته كان مريداً للعلوّ في الأرض والفساد ولم يكن من أهل السعادة في الآخرة**[٢].

(١) **منهاج السنة النبوية**، ج٤، ص٥٦٩، فصل: قال الرافضي: الفصل السادس في نسخ حججهم على إمامة أبي بكر.

(٢) **منهاج السنة النبوية**، ج٣، ص١٤٣، عود الرافضي ـ إلى الكلام عن معاوية.

نقد كلام ابن تيمية

طلب معاوية، في بداية الأمر، من أمير المؤمنين عليه السلام أن يعطيه حكم الشام ليبايعه. فكيف كان لأمير المؤمنين عليه السلام أن يمنح حكماً على واحدة من أكبر ولايات الدولة الإسلامية لعدو من أعداء الإسلام ونبيه صلى الله عليه وآله يشرب الخمر(١) ويأكل الربا(٢) ويتاجر بالأصنام(٣) ويبذل كل ما يملك من أجل تحريف الحقائق الدينية ومحو اسم النبي صلى الله عليه وآله(٤) ويضع تحت تصرفه أرواح الناس وأموالهم وأعراضهم؟ فإذا كان قد فعل ذلك من كان قبله من الخلفاء، فيجب أن يُسألوا: بأية حجة جعلتم هذا الرجل الفاسد والياً على الشام؟

هل إن محاربة رجل ينشر الفرقة بين المسلمين ويؤلب الناس على أمير المؤمنين بحجة دم عثمان، من حب الدنيا في شيء؟ كيف كان يمكن أن يتعامل أمير المؤمنين عليه السلام مع شخص كهذا؟ مع هذا، فقد صرف أشهراً في مكاتبته وبعث السفراء إليه... دون جدوى.

---

(١) "روى محمد بن كعب القرظي قال: غزا عبدالرحمن بن سهل الأنصاري في زمن عثمان ومعاوية أمير على الشأم (هكذا: م) فمرت به روايا تحمل الخمر فقام إليها عبدالرحمن فشقها برمحه فمانعه الغلمان فبلغ الخبر معاوية فقال: دعوه فإنه شيخ قد ذهب عقله. فقال: والله ما ذهب عقلي ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله نهانا أن تدخل بطوننا وأسقيتنا". **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٣، ص٤٥٤، ترجمة عبدالرحمن بن سهل بن زيد، الرقم ٣٣٢٨.

(٢) "أن معاوية بن أبي سفيان باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها. فقال أبوالدرداء: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ينهى عن مثل هذا إلاّ مثلاً بمثل. فقال له معاوية: ما أرى بمثل هذا بأساً. فقال أبوالدرداء: من يعذرني من معاوية؟ أنا أُخبره عن رسول صلى الله عليه وآله ويخبرني عن رأيه. لا أُساكنك بأرض أنت بها. ثم قدم أبوالدرداء على عمر بن الخطاب فذكر ذلك له، فكتب عمر بن الخطاب إلى معاوية: أن لا تبيع ذلك إلاّ مثلاً بمثل، وزناً بوزن". **الموطّأ**، ج٢، ص٦٣٤، كتاب البيوع، الحديث ٣٣.

(٣) "عن أبي وائل قال: كنت مع مسروق بالسلسلة فمرّت به سفائن فيها أصنام من صفر تماثيل الرجال، فسألهم عنها فقالوا: بعث بها معاوية إلى أرض السند والهند تباع له. فقال مسروق: لو أعلم أنهم يقتلونني لغرّقتها ولكني أخاف أن يعذبوني ثم يفتنوني، والله ما أدري أي الرجلين معاوية ؛ أرجلٌ قد يئس من الآخرة فهو يتمتع من الدنيا أم رجل زيّن لو سوء عمله". **أنساب الأشراف**، ج٥، ص١٣٧، معاوية بن أبي سفيان.

(٤) **شرح نهج البلاغة**، ج٥، ص١٢٩ و١٣١، شرح الخطبة ٦٠، أخبار متفرقة عن معاوية.

ألم ير ابن تيمية النصوص المتواترة عن رسول الله ﷺ في كتب أهل السنة المصرحة بقوله "**علي مع الحق والحق مع علي**"؟ هل يجتمع طلب الحق مع طلب الدنيا؟

وإذا تنزلنا واكتفينا بما اتفق عليه أهل السنة من أن الإمام علياً عليه السلام أحد العشرة المبشرة بالجنة، فكيف يحكم ابن تيمية بأنه ليس من أهل السعادة في الآخرة.

كيف يصف حروب الإمام علي عليه السلام بأنها مدفوعة بحب الدنيا وهي التي ما حدثت إلاّ بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتصدي للقاسطين[1] وقد حثّ ﷺ أصحابه على الوقوف في صف الإمام عليه السلام؟

هل حذا ابن تيمية حذو من سبقه في الاجتهاد مقابل النص ومعارضة رأي رسول الله ﷺ برأيهم؟ أم أنه لم يكن إلاّ من بقايا الشجرة الأُموية الملعونة؟

إذا كان قادة القاسطين أمثال معاوية وعمرو بن العاص يعترفون بأنفسهم بحب الدنيا ويقرون بأنهم الفئة الباغية، فكيف سوّغ ابن تيمية لنفسه وصف محاربتهم بالإفساد في الأرض؟

ثم إن علماء أهل السنة وكبرائهم يخالفون رأي ابن تيمية. يقول عبدالقاهر الجرجاني في كتاب "**الإمامة**": **أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقي الحديث والرأي منهم مالك والشافعي وأبوحنيفة والأوزاعي والجمهور الأعظم من المتكلمين والمسلمين أن علياً مصيب في قتاله لأهل صفين كما هو مصيب في أهل الجمل، وأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له**[2].

ويقول العالم السني ابن عربي: **فتقرر عند علماء المسلمين وثبت بدليل الدين أن علياً** عليه السلام **كان إماماً وأن كل من خرج عليه باغ وأن قتاله واجب حتى يفيء إلى الحق وينقاد إلى الصلح**[3].

---

(١) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ج٧، ص٢٣٨، كتاب الفتن، باب في ما كان بينهم يوم صفين.

(٢) "أجمع ... ظالمون له لكن لا يكفرون ببغيهم". **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**، ج٦، ص٤٧٧.

(٣) **أحكام القرآن**، ج٨، ص٤٤٩ ـ ٤٥٠، تفسير الآية ٩ من سورة الحجرات.

٣ ـ الجهل والغفلة

تعود بعض جذور عداء أهل الشام لأهل البيت عليهم السلام إلى الجهل وعدم المعرفة بمنزلتهم. ولو كانوا يعرفون قليلاً من فضائل الإمام عليه السلام، لما نجح معاوية في جذبهم إلى صفه للقتال في معركة صفين. فقد كان إسلام أهل الشام ظاهرياً ولم يكن لهم أية معرفة أولية بالأُمور الدينية.

يروي المؤرخ المسعودي حكايات رائعة عن جهل أهل الشام، فينقل عن الجاحظ: **سمعت رجلاً من العامة وهو حاج وقد ذكر له البيت** (بيت الله) **يقول: إذا أتيته من يكلمني؟ وأنه أخبره صديق له أنه قال له رجل منهم** (من أهل الشام) **وقد سمعه يصلي على محمد** صلى الله عليه وآله وسلم: **ما تقول في محمد** صلى الله عليه وآله وسلم **هذا؟ أربنا هو**[(١)]؟

ويضيف المسعودي نقلاً عن أحد أصحابه: **أخبرني رجل من إخواننا من أهل العلم، قال: كنا نقعد نتناظر في أبي بكر وعمر وعلي** عليه السلام **ومعاوية ونذكر ما يذكره أهل العلم وكان قوم من العامة يأتون فيستمعون منا. فقال لي ذات يوم بعضهم وكان من أعقلهم وأكبرهم لحية: كم تطنبون في علي** عليه السلام **ومعاوية وفلان وفلان؟ فقلت له: فما تقول أنت في ذلك؟ قال: من تريد؟ قلت: علي** عليه السلام**، ما تقول فيه؟ قال: أليس هو أبو فاطمة؟ قلت: ومن كانت فاطمة؟ قال: امرأة النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **بنت عائشة أُخت معاوية. قلت: فما كانت قصة علي** عليه السلام**؟ قال: قتل في غزاة حنين مع النبي** صلى الله عليه وآله وسلم[(٢)].

فإذا كان هذا حال عالم من علماء أهل الشام، فيمكن حدس ما كانت عليه عامة أهل الشام. لقد بلغ جهلهم أن رجلاً من أهل الكوفة دخل دمشق على بعير عندما كان أهل الشام عائدين من صفين، فانتزع رجل دمشقي الجمل منه وقال له: هذه ناقتي وقد سرقتها مني في صفين. فتخاصم الرجلان لدى معاوية. فجاء الدمشقي بخمسين رجلاً يشهدون أن الناقة له. فحكم معاوية لصالح الدمشقي وأمر بتسليمه الجمل. فقال الكوفي: أصلحك الله! إن هذا الجمل ليس ناقة وإن أهل دمشق شهدوا على أن الناقة للرجل. فقال معاوية: أصدرنا حكمنا وقضي الأمر.

---

(١) "حكى الجاحظ قال: سمعت ... هو؟" **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٣، ص٤٠، من غفلة أهل الشام والعراق.

(٢) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٣، ص٤١، من غفلة أهل الشام والعراق.

وبعد تفرق الناس دعا معاوية الرجل الكوفي سراً فسأله عن ثمن جمله وأعطاه ضعفه وقال له: قل لعلي أنني أُقاتله بمائة ألف رجل ليس فيهم من يميز الناقة من الجمل.

بل بلغ اتباع الشاميين الأعمى لمعاوية أن صلى بهم صلاة الجمعة في يوم أربعاء وهم في طريقهم إلى صفين، وعاهدوه على أن يبذلوا أنفسهم في نصرته، وشجعوه على القتال ووثقوا بكلام عمرو بن العاص حين قال: علي هو قاتل عمار بن ياسر لأنه هو من جاء به إلى الحرب.

كما أن طاعتهم العمياء لمعاوية هي التي سوّغت لهم لعن الإمام علي عليه السلام وجعلها سنة بأمره، حتى كبر عليها الصغار وشاخ ومات الكبار[١].

كان معاوية وحكام بني أُمية عموماً يتحكمون في إيصال العلوم الدينية للناس ويحجبون الحقائق عنهم. لأنهم كانوا يدركون أن السيطرة على المجتمع الجاهل أسهل. يقول الإمام الصادق عليه السلام في هذا: **إن بني أُمية أطلقوا للناس تعليم الإيمان ولم يطلقوا تعليم الشرك لكي إذا حملوهم عليه لم يعرفوه**[٢].

للعلاّمة المجلسي توضيح رائع للشرك يكشف لنا سبب اتباع بني أُمية تلك السياسة التعليمية والثقافية (عدم تعليم الناس الشرك)، يقول: **أن آيات الشرك ظاهرها في الأصنام الظاهرة وباطنها في خلفاء الجور الذين أشركوا مع أئمة الحق ونصبوا مكانهم**[٣].

---

(١) "وبلغ من إحكامه للسياسة وإتقانه لها واجتذاب قلوب خواصه وعوامه أن رجلاً من أهل الكوفة دخل على بعير له إلى دمشق في حال منصرفهم عن صفين فتعلق به رجل من دمشق فقال: هذه ناقتي، أُخذت مني بصفين. فارتفع أمرهما إلى معاوية وأقام الدمشقي خمسين رجلاً بينة يشهدون أنها ناقته. فقضى معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير إليه. فقال الكوفي: أصلحك الله! إنه جمل وليس بناقة. فقال معاوية: هذا حكم قد مضى. ودس إلى الكوفي بعد تفرقهم فأحضره وسأله عن ثمن بعيره فدفع إليه ضعفه وبرّه وأحسن إليه، وقال له: أبلغ علياً عليه السلام أني أُقاتله بمائة ألف ما فيهم من يفرق بين الناقة والجمل. وقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنه صلى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء وأعاروه رؤوسهم عند القتال وحملوه بها، وركنوا إلى قول عمرو بن العاص: إن علياً هو الذي قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته. ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته أن جعلوا لعن علي سنّة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير". **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٣، ص٣٩، من دهاء معاوية.

(٢) "أبي عبد الله عليه السلام قال: إن بني أُمية ... يعرفوه". **الكافي**، ج٢، ص٤١٥، كتاب الإيمان والكفر، باب أدنى ما يكون فيه العبد مؤمناً أو كافراً أو ضالاً.

(٣) **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، ج٤٨، ص٩٦، تاريخ الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، باب معجزاته.

وكان حكام بني أُمية يدركون جيداً أن الناس إذا عرفوا معنى الشرك الحقيقي لم يطيعوهم ولم يتبعوهم، لأن إطاعة حكام الجور مشوبة بالشرك.

(في معركة صفين) خرج عليهم (على أهل العراق) شاب (شامي) وهو يقول:

أنا ابن أرباب الملوك غسان ... والدائن اليوم بدين عثمان

نبأنا قرّاؤنا بما كان ... أن علياً قتل ابن عفان

ثم يحمل فلا يرجع حتى يضرب بسيفه ويشتم ويلعن. فقال له هاشم (المرقال): **يا هذا! إن هذا الكلام بعده الخصام وإن هذا القتال بعده الحساب. فاتق الله فإنه سائلك عن هذا الموقف وما أردت به.** قال: **فإني أُقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلي وأنتم لا تصلون وإن صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم ساعدتموه على قتله.** فقال له هاشم: **ما أنت وعثمان؟ قتله أصحاب رسول الله ﷺ وأبناء أصحابه وقرّاء الناس، وهم أهل الدين والعلم، وما أهملوا أمر هذا الدين طرفة عين. وأما قولك أن صاحبنا لا يصلي، فإنه أول من صلى وأفقه خلق الله في دين الله وأولى بالرسول ﷺ وأما كل من ترى معي، فكلهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجداً. فلا يغوينك هؤلاء الأشقياء.** فقال الفتى: **فهل لي من توبة؟** قال: **نعم، تب إلى الله يتب عليك فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.** فرجع الفتى، فقال له أهل الشام: **خدعك العراقي.** فقال: **كلا، ولكن نصح لي**[١] ثم التحق الشاب الشامي بمعسكر الإمام عليه السلام وقاتل بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام.

لقد بلغ جهل أهل الشام أنه بعد سقوط دولة الأُمويين ذهب عدد من رؤساء الأُسرة الأُموية إلى الخليفة العباسي أبي العباس السفاح وأقسموا عنده أنهم لم يكونوا يعرفون قرابة لرسول الله ﷺ غير بني أُمية[٢].

---

(١) **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص٣٨٤، حوادث سنة ٣٧ هجرية.

(٢) "وجه إلى أبي العباس أشياخاً من أهل الشام من أرباب النعم والرياسة من سائر أجناد الشام فحلفوا لأبي العباس السفاح أنهم ما علموا لرسول الله ﷺ قرابة ولا أهل بيت يرثونه غير بني أُمية". **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٣، ص٤١، من غفلة أهل الشام والعراق.

٤ـ معاداة أمير المؤمنين عليه السلام

دخل جيش الشام الحرب على أمير المؤمنين عليه السلام بحجة المطالبة بدم عثمان، وشنوا حملة إعلامية واسعة في هذا المجال. ولكن الحقيقة كانت شيئاً آخر، وكانت لهم دوافع عديدة أُخرى لإشعال تلك الحرب. وكان من مصلحتهم أن لا يعرف الشاميون بحقيقة تلك الدوافع. بل إنهم سعوا إلى إدخال الشك والترديد في صفوف جيش الإمام بنشر الإشاعات الكاذبة.

بالمقابل، عمل أمير المؤمنين عليه السلام وأنصاره على كشف الحقائق وتنوير الجنود وإطلاعهم على حقيقة نوايا قادتهم. فقد خطب أمير المؤمنين عليه السلام في صفين وقال: **ألا إنها إحنٌ بدرية وضغائن أُحدية وأحقادٌ جاهلية، وثب بها معاوية حين الغفلة ليذكر بها ثارات بني عبدشمس**[1].

ولعل من أجمل الخطب التي أُلقيت قبل التحرك إلى صفين، ما خطب به القائد في جيش الإمام عليه السلام، عبدالله بن بديل. لقد كشفت خطبته بوضوح عن عمق بصيرته. إذ تطرق إلى جذور أسباب الحرب التي أشعلها الشاميون، وقدمت تحليلاً شاملاً لنوايا قادة جيش القاسطين. وحددت أسباب مخالفتهم لأمير المؤمنين عليه السلام بالتهرب من العدالة وحب السلطان والأحقاد الدفينة والثارات وحب الدنيا. وبيّن عبدالله بن بديل في خطبته أن الصلح مع القاسطين من المحال لأن جذور الفتنة ضاربة في أعماقهم بحيث لا يمكن اجتثاثها إلاّ بالسيف. لذا خاطب عبدالله بن بديل أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: **يا أمير المؤمنين! إن القوم لو كانوا اللهَ يريدون أو لله يعملون ما خالفونا، ولكن القوم إنما يقاتلون فراراً من الأُسوة وحباً للأثرة وضناً بسلطانهم وكرهاً لفراق دنياهم التي في أيديهم وعلى إحن في أنفسهم وعداوة يجدونها في صدورهم لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة، قتلت فيها آباءهم وإخوانهم.**

---

(١) **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٧٢، ذكر الواقعة الخميسية وهي وقعة لم يكن بصفين أشد منها وصفة ليلة الهرير.

ثم التفت إلى الناس فقال: **فكيف يبايع معاوية علياً وقد قتل أخاه حنظلة وخاله الوليد وجده عتبة في موقف واحد؟ والله ما أظن أن يفعلوا ولن يستقيموا لكم دون أن تقصد فيهم المران وتقطع على هامهم السيوف وتنثر حواجبهم بعمد الحديد وتكون أُمور جمة بين الفريقين**[1].

إن سيف أمير المؤمنين عليه السلام طالما ذبّ عن الحق ولم تمنعه ذلك أية مصلحة. وهذا ما أطاح برؤوس الكثير من زعماء قريش وكبرائهم الذين جابهوا الإسلام. وهذا أيضاً ما زرع البغض والحقد في قلوب أخلافهم الذين أظهروا الإسلام في فتح مكة وأضمروا ضغائنهم على المسلمين الحقيقيين وعلى رأسهم الإمام علي عليه السلام فكانوا يتحينون الفرص للانتقام منه ومن أهل بيته. وكان قادة القاسطين أكثر الناس طلباً للثارات من أمير المؤمنين عليه السلام لأنهم أصحاب الحظ الأوفر من حصاد سيفه بما قتل من آبائهم وأقربائهم في بدر وأُحد. لذا اتخذوا من حرب صفين جسراً إلى الثأر منه. ففي حين كانوا يتذرعون بالمطالبة بدم عثمان، كانوا في الحقيقة يثأرون لمن قتل من آبائهم وأجدادهم.

اجتمع عتبة بن أبي سفيان والوليد بن عقبة ومروان بن الحكم وعبدالله بن عامر[2] وابن طلحة الطلحات في يوم من أيام صفين. فالتفت عقبة إلى الحاضرين وقال: إن أمرنا مع علي لعجيب. لقد ظلمنا علي جميعنا ولدى كل منا دافع لقتاله. أما أنا فقد قتل جدي وشرك في دماء أعمامي في بدر. وأما أنت يا وليد فقد قتل أباك في الجمل وأيتم إخوتك. وأما أنت يا مروان فكما قال امرؤالقيس

---

(١) "ثم قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقال: يا أميرالمؤمنين ... الفريقين". **وقعة صفين**، ص١٠٢، رأي عبد الله بن بديل.

(٢) عُين عبد الله بن عامر بن كريز في زمن عثمان والياً على البصرة وفارس وخراسان. حقق ثروة طائلة في حروب عثمان وفتوحاته، فكانت له مزارع وبساتين كثيرة في العراق والشام والحجاز. وكان له حضور فعال في حرب الجمل فقد موّلها من أمواله التي حصل عليها بالسرقة. يقول ابن الأثير: اشترى عبد الله بن عامر منازل كثيرة في البصرة وحوّلها إلى أسواق ومراكز تجارية. وبعد وصول الخلافة إلى أميرالمؤمنين عليه السلام هرب عبد الله إلى مكة وزود الناكثين بمليون درهم ومائة جمل ليخرجوا على أميرالمؤمنين عليه السلام. **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٣، ص٢٨٩، ترجمة عبد الله بن عامر بن كريز، الرقم ٣٠٣٣ ؛ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٢، ص٣٩٤، ذكر الأخبار عن يوم الجمل وبدئه وما كان فيه من الحرب وغير ذلك ؛ **قاموس الرجال**، ج٦، ص٤١٧، ترجمة عبد الله بن عامر بن كريز، الرقم ٤٣٨٢.

[بيت شعر يعني: لقد أثكلت علباء (قاتلة أبي أو قاتل أبي) زوجه وأبناءه حتى أنهم إذا لقوه (أو لقوها) سفكوا دمه (أو دمها) في الحال[١].

الحادثة نفسها مذكورة في مناقب الخوارزمي بشكل آخر: **يروى في يوم السادس والعشرين من حروب صفين** [أنه] **اجتمع عند معاوية الملأ من قومه، فذكروا شجاعة علي وشجاعة الأشتر. فقال عتبة بن أبي سفيان: إن كان الأشتر شجاعاً لكن علياً لا نظير له في شجاعته وصولته وقوته. قال معاوية: ما منا أحد إلاّ وقد قتل علي أباه أو أخاه أو ولده. قتل يوم بدر أباك يا وليد وقتل عمك يا أباالأعور يوم أُحد وقتل يا ابن طلحة الطلحات[٢] أباك يوم الجمل، فإذا اجتمعتم عليه أدركتم ثأركم منه وشفيتم صدوركم**[٣].

لقد بلغ حقد هؤلاء على أمير المؤمنين عليه السلام أن غيّروا السنن الإسلامية بسببه. فقد دفع الحقد على الإمام علي عليه السلام معاوية إلى أن يقطع التلبية في أيام الحج ويمنع الناس من أدائها في أيام الحج، فاستجابوا له خوفاً منه. ولما رأى ابن عباس ذلك سأل سعيد بن جبير عن السبب فقال له سعيد: **يخافون معاوية.** فخرج ابن عباس من فسطاطه فقال: **لبّيك اللّهُمَّ لبّيك وإن رغم أنف معاوية، اللّهُمَّ العنهم فقد تركوا السنة من بغض علي.**

قال السندي في التعليق عليه: **هو يعني علياً** عليه السلام **كان يتقيد بالسنن فهؤلاء تركوها بغضاً له**[٤].

وكان مما نشره معاوية من بغض لأمير المؤمنين عليه السلام بين أهل الشام أن صار النصب والعداء له ثقافة متجذرة لدرجة أنهم لم يكونوا يسمون أولادهم بأسماء علي أو حسن أو حسين. ينقل أبوالحسن المدائني عن رجل قوله: **كنت بالشام فجعلت لا أسمع أحداً يسمي أحداً أو يناديه: يا علي**

---

(١) **وقعة صفين**، ص٤١٧، اجتماع بعض الرؤساء عند معاوية.

(٢) طلحة الطلحات لقب طلحة بن عبد الله خلف الخزاعي الذي قتل في الجمل وكان مع عائشة.

(٣) **المناقب**، ص٢٣٤، الفصل الثالث في بيان قتال أهل الشام أيام صفين وهم القاسطون.

(٤) "أخبرنا أبوالحسن محمد بن الحسين العلوي أنبأ عبد الله بن محمد بن الحسين بن الشرقي ثنا علي بن سعيد النسوي ثنا خالد بن مخلد ثنا علي بن صالح عن ميسرة بن حبيب النهدي عن المنهال بن عمرو بن سعيد بن جبير قال: كنا عند ابن عباس بعرفة فقال: يا سعيد ما لي لا أسمع الناس يلبون؟ فقلت: يخافون معاوية ... بغضاً له". **السنن الكبرى للبيهقي**، ج٥، ص٢٤٥، الحديث ٩٥٣٠ ؛ **سنن النسائي**، ج٥، ص٢٥٣، التلبية بعرفة.

أو يا حسن أو يا حسين، وإنما أسمع: معاوية والوليد ويزيد. حتى مررت برجل فاستسقيته ماءً فجعل ينادي: يا علي، يا حسن، يا حسين. فقلت: يا هذا! إن أهل الشام لا يسمون بهذه الأسماء. قال: صدقت، إنهم يسمون أبناءهم بأسماء الخلفاء وأنا سميت أولادي بأسماء أعداء الله، فإذا شتمت أحدهم أو لعنته فإنما ألعن أعداء الله[1].

هكذا غيرت الماكنة الإعلامية الأُموية الحقائق لدى أهل الشام حتى حسبوا أحب الخلق إلى الله وأقربهم إليه "أعداء الله". وهذا ما جعلهم يستميتون في صفين ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً ويتقربون إلى الله، ويحلفون أن لا يجمعهم بنسائهم فراش حتى يحققوا النصر.

كان سب أمير المؤمنين عليه السلام ولعنه والتبرئ منه على المنابر[2] ومنع تسمية الأبناء بأسماء الإمام علي عليه السلام[3] وتقتيل محبيهم وشيعتهم[4] وغيرها من الجرائم، بعض الصحيفة السوداء لحكم بني أُمية للعالم الإسلامي. وما أوردنا ليس إلاّ بعض أسباب مخالفة أمير المؤمنين عليه السلام ويبدو أن جذور جميع أسباب المخالفة تمتد في أعماق حب الدنيا وفساد زعماء أهل الشام، وأنه لم يكن أمام أمير المؤمنين عليه السلام إلاّ مواجهتهم.

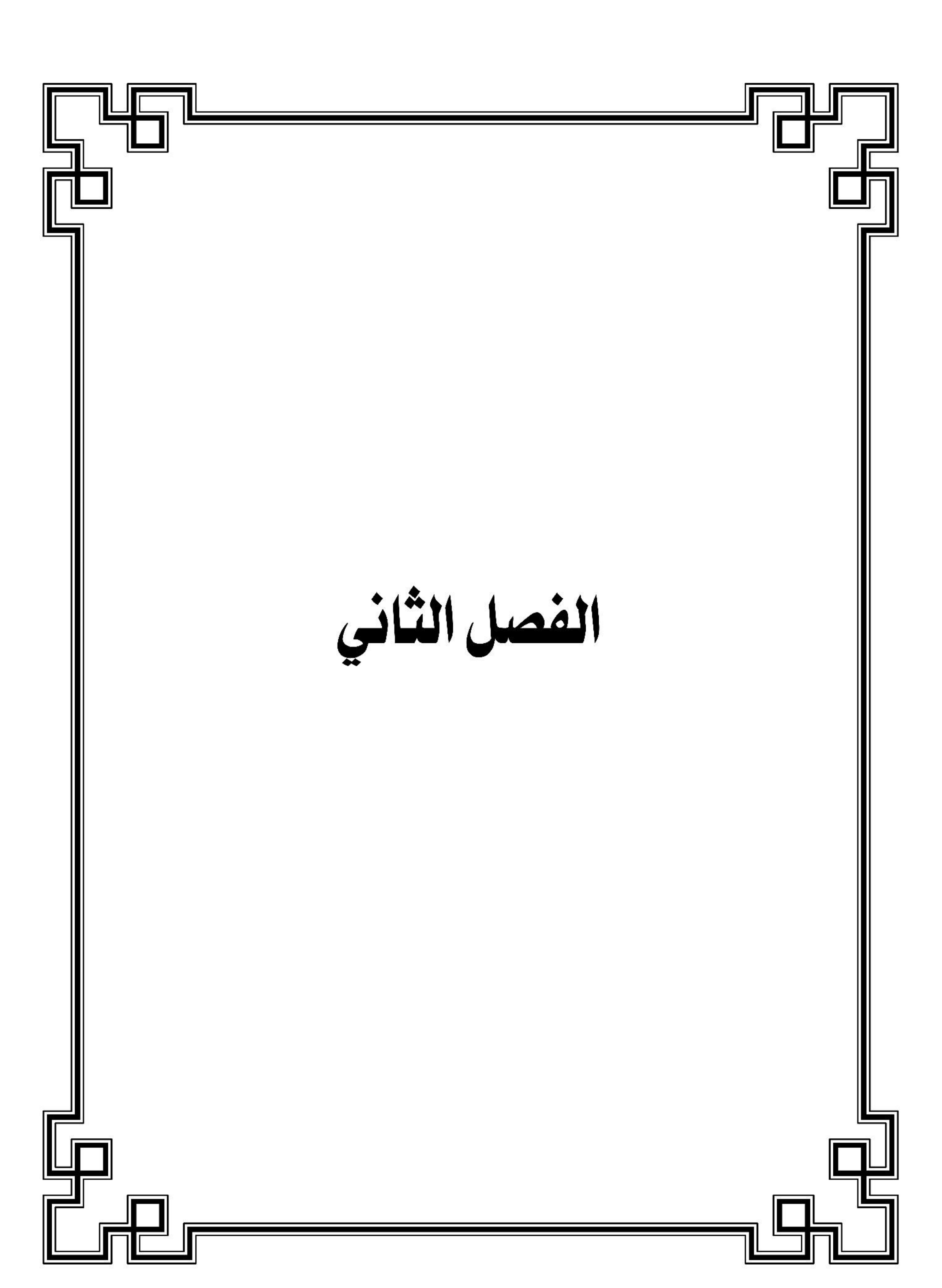
---

(١) "روى أبوالحسن المدائني قال: حدثني رجل قال: كنت بالشام ... أعداء الله". **شرح نهج البلاغة**، ج٧، ص١٥٩، ذيل الخطبة ١٠٤، أخبار متفرقة في انتقال الملك من بني أُمية إلى بني العباس.

(٢) **الغدير في الكتاب والسنة والأدب**، ج١٠، ص٢٦٥، لعن معاوية وعماله علياً عليه السلام.

(٣) "كانت بنوأُمية إذا سمعوا بمولود اسمه علي قتلوه. فبلغ ذلك رباحاً، فقال: هو عُلَيّ. وكان يغضب من علي ويحرج من سمّاه به". **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ج١٣، ص٢٦٦، ترجمة علي بن رباح، الرقم ٤٠٦٧.

(٤) **تاريخ الطبري**، ج٣، ص١٢٧، حوادث سنة ٣٨ هجرية ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٢، ص٦، ذيل الخطبة ٢٥، بعث معاوية بسر بن أرطاة إلى الحجاز واليمن.



الفصل الثاني

التحرك إلى صفين

بعد سلسلة من المشاورات والمكاتبات، ألقى الإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام خطباً في الناس يحرضونهم على القتال. وتوجه ابن عباس مع جماعة من أشياخ البصرة وأهلها إلى الكوفة والتحقوا بمعسكر أمير المؤمنين عليه السلام بعد استكمال الاستعدادات لتحرك الجيش إلى الشام، دعا أمير المؤمنين عليه السلام عقبة بن عمرو الأنصاري[١] واستخلفه على الكوفة[٢] وأمر الناس بالتجمع في النخيلة[٣].

(١) شهد عقبة بن عمرو، المعروف بأبي مسعود الأنصاري، بيعة العقبة الثانية التي حضرها سبعون من زعماء الأوس والخزرج وعاهدوا النبي صلى الله عليه وآله فيها على المساندة. وهو من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وقد شهد بدراً وأُحداً وغيرها من حروبه. هناك اختلاف في وفاته بين سنة ٤٠ وسنة ٤٢ هجرية. وفي شخصيته أقوال. فابن أبي الحديد يعده فيمن انحرف عن أميرالمؤمنين عليه السلام، ويورد شواهد على أنه لم يكن يعرف أميرالمؤمنين عليه السلام حق معرفته، وأنه كان يفتي بحضور الإمام عليه السلام وبدون إذنه، وأن كانت فتاواه خاطئة حتى أن الإمام عليه السلام كان يوبخه عليها. أما العلاّمة المامقاني فله رأي مختلف عن رأي ابن أبي الحديد، ويراه ثقة ويقول عنه: إن إسناد أميرالمؤمنين عليه السلام إمارة الكوفة له عند خروجه منها يكفي دليلاً على ثقة الإمام عليه السلام به وعلى عدالته. لأن من غير المعقول أن يسلّم الإمام عليه السلام زمام أُمور المسلمين لرجل غير عادل. على أن هناك أقوالاً عنه تدعم رأي المامقاني فيه. فمثلاً، ينقل ابن أبي الحديد أن أبامسعود الأنصاري كتب إلى سليمان في أثناء حرب صفين يدعوه إلى الثبات على نصرة أميرالمؤمنين عليه السلام على القاسطين. كما جاء في تاريخ اليعقوبي أن أبامسعود قال مادحاً أميرالمؤمنين عليه السلام بعد وصول الخلافة إليه: من له يوم كيوم علي عليه السلام في العقبة وبيعة الرضوان، وأي إمام أهدى من علي عليه السلام الذي لا يُخاف منه ظلم، ومن أعلم منه لا يُخشى عليه جهل؟ **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج٤، ص٤٣٢، ترجمة عقبة بن عمرو، الرقم ٥٦٢٢ ؛ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ج١٣، ص١٣٣، ترجمة عقبة بن عمرو، الرقم ٤٥٦٨ ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٤، ص٧٦، ذيل الخطبة ٥٦، فصل في ذكر المنحرفين عن علي عليه السلام و ج٥، ص٢٤٧، ذيل الخطبة ٦٥، من أخبار يوم صفين ؛ **تنقيح المقال في علم الرجال**، ج٢، ص٢٥٥، ترجمة عقبة بن عمرو، الرقم ٧٩٧٦ ؛ **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص١٧٩، خلافة أميرالمؤمنين عليه السلام.

(٢) "دعا عقبة بن عمرو الأنصاري فاستخلفه على الكوفة وكان أصغر أصحاب العقبة السبعين". **وقعة صفين**، ص١٢١، كتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر.

(٣) النخيلة كانت مقر عسكر الكوفة.

تحريض أهل الشام من قبل معاوية

لما وصلت معاوية أنباء استعداد الإمام عليه السلام للزحف بجيشه، قام بنشر قميص عثمان المخضب بالدم على منبر مسجد دمشق لتهييج الناس وتحريك مشاعرهم. وقد نجح في استثارتهم حتى اجتمع الكثير من شيوخ الشام حول قميص عثمان وبكوا لمظلوميته. فانتهز معاوية حالة الناس المهتاجة وعاد إلى تعليق تهمة قتل عثمان في عنق الإمام علي عليه السلام وسط بكاء الناس. وأكد مرة أُخرى على المطالبة بدم عثمان وهيأ الناس للزحف[(١)].

لقد بذل معاوية جهداً إعلامياً كبيراً في تلك الفترة لتلقين الناس بأن الإمام علياً عليه السلام هو الذي قتل عثمان. وهذا ما دفع جماعة من أهل الشام إلى أن يحلفوا أن لا يؤويهم مخدع مع نسائهم ما لم ينتقموا لعثمان. ونجحت الخطة الإعلامية في خداع الرأي العام نجاحاً كبيراً بحيث يقول خريم الأسدي في أثناء حرب صفين:

إلى رجب أو غرة الشهر بعده ... يصبحكم حمر المنايا وسودها

ثمانين ألفاً دين عثمان دينهم ... كتائب فيها جبرئيل يقودها

فمن عاش عبداً عاش فينا ومن يمت ... ففي النار يسقى مهلها وصديدها[(٢)]

---

(١) "لما بلغ معاوية بن أبي سفيان مكان علي بالنخيلة ومعسكره بها، ومعاوية بدمشق قد ألبس منبر دمشق قميص عثمان وهو مخضب بالدم وحول المنبر سبعون ألف شيخ يبكون [حوله] لا تجف دموعهم على عثمان، خطب معاوية أهل الشام فقال: يا أهل الشام! قد كنتم تكذبوني في علي، وقد استبان لكم أمره. والله ما قتل خليفتكم غيره وهو أمر بقتله وألّب الناس عليه وآوى قتلته وهم جنده وأنصاره وأعوانه. وقد خرج بهم قاصداً بلادكم [ودياركم] لإبادتكم. يا أهل الشام! الله الله في عثمان، فأنا ولي عثمان وأحق من طلب بدمه وقد جعل الله لولي المظلوم سلطاناً. فانصروا خليفتكم [المظلوم] فقد صنع به القوم ما تعلمون ؛ قتلوه ظلماً وبغياً، وقد أمر الله بقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله". **وقعة صفين،** ص١٢، خطبة معاوية في أهل الشام.

(٢) "فأجابه خريم الأسدي: إلى رجب .. وصديدها". **وقعة صفين،** ص٥٥٥، إجابة خريم الأسدي.

وقت تحرك جيش أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفين

أخيراً، انطلق جيش الإمام عليه السلام ص

وب صفين في يوم الأربعاء الخامس من شوال سنة ٣٦ هحرية. يقول ياقوت الحموي عن الموضع الذي تقاتل فيها جيشا الشام والعراق: تقع صفين بين الرقة وبالس[١][٢] ويقدم سبط بن الجوزي وصفاً أوسع لمنطقة صفين إذ يقول: **صِفين قرية من قرى الروم على شاطئ الفرات مما يليها غياض ملتفة بمقدار فرسخ أو فرسخين وليس لها طريق إلى الماء إلاّ من مكان واحد. قلت: وعبرت بالمشهد الذي عند صفين وسمعت أهله تقول: هذا مشهد الصّفين ؛ يعنون صف أمير المؤمنين وصف معاوية**[٣].

(١) بالس: منطقة بين حلب والرقة. **معجم البلدان،** ج١، ص٣٢٨.

(٢) "صِفّين: بكسرتين وتشديد الفاء وحالها في الإعراب حال صريفين وقد ذكرت في هذا الباب أنها تعرب إعراب الجموع وإعراب ما لا ينصرف وقيل لأبي وائل شقيق بن سلمة: أشهدت صفين؟ فقال: نعم وبئست الصفون: وهو موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس". **معجم البلدان،** ج٣، ص٤١٤.

(٣) **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان،** ج٦، ص٢٧٩، حوادث سنة ٣٧ هجرية.

المرور بكربلاء

مرّ الجيش العراقي في طريقه إلى صفين بكربلاء وصلى الجنود فيها. بعد الصلاة، أخذ الإمام عليه السلام قبضة من التراب وشمها ثم قال: **واهاً لك أيتها التربة! ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب.** فلما رجع هرثمة من غزوته إلى امرأته وهي جرداء بنت سمير وكانت شيعة لعلي، فقال لها زوجها هرثمة: **ألا أُعجبك من صديقك أبي الحسن؟ لما نزلنا كربلاء رفع إليه من تربتها فشمها وقال: واهاً لك يا تربة! ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب، وما علمه بالغيب؟** فقالت: **دعنا منك أيها الرجل، فإن أمير المؤمنين لم يقل إلاّ حقاً.** فلما بعث عبيدالله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين بن علي وأصحابه، قال: **كنت فيهم في الخيل التي بعث إليهم، فلما انتهيت إلى القوم وحسين عليه السلام وأصحابه عرفت المنزل الذي نزل علي فيه والبقعة التي رفع إليه من ترابها والقول الذي قاله، فكرهت مسيري، فأقبلت على فرسي حتى وقفت على الحسين عليه السلام فسلمت عليه وحدثته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل. فقال الحسين عليه السلام: معنا أنت أو علينا؟ فقلت: يا ابن رسول الله! لا معك ولا عليك، تركت أهلي وولدي أخاف عليهم من ابن زياد. فقال الحسين: فول هرباً حتى لا ترى لنا مقتلاً فوالذي نفس محمد بيده، لا يرى مقتلنا اليوم رجل ولا يغيثنا إلاّ أدخله الله النار**[1] قال: **فأقبلت في الأرض هارباً حتى خفي عليّ مقتله.**

يتضح من هذه الحادثة أن الإمام الحسين عليه السلام لم يمنعه خذلان هرثمة له من أن يفكر في نجاته من المصير إلى جهنم بسبب ذلك الخذلان. كما تكشف الحادثة، من جانب آخر، عن عمق ضلالة هرثمة الذي خذل الإمام الحسين عليه السلام رغم سماعه لما بشّر به أمير المؤمنين عليه السلام الدال على حقانية من يستشهد مع الحسين عليه السلام ودخوله الجنة بغير حساب.

---

(١) "عن أبي عبيدة عن هرثمة بن سليم قال: غزونا مع علي بن أبي طالب [عليه السلام] غزوة صفين، فلما نزلنا بكربلاء صلى بنا صلاته، فلما سلّم رفع إليه من تربتها فشمها ثم قال: واهاً لك ... مقتله". **وقعة صفين**، ص١٤٠، هرثمة بن سليم والحسين بن علي عليه السلام. ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٣، ص١٦٩، ذيل الخطبة ٤٣، كلام علي عليه السلام حين نزل بكربلاء.

المرور بالمدائن والأنبار

مرّ الجيش العراقي، في طريقه إلى صفين، بالمدائن حيث التحق به نحو ١٢٠٠ رجل. وحين وصل الأنبار، ترجل دهاقينها من رواحلهم احتراماً، كما جرت العادة وقتئذ، وهرولوا في ركاب الإمام عليه السلام ولكن أمير المؤمنين عليه السلام نهاهم عن ذلك وقال لهم: **أما هذا الذي زعمتم أنه منكم خلق تعظمون به الأُمراء، فوالله ما ينفع هذا الأُمراء وإنكم لتشقون به على أنفسكم وأبدانكم، فلا تعودوا له. وأما دوابكم هذه فإن أحببتم أن نأخذها منكم فنحسبها من خراجكم أخذناها منكم. وأما طعامكم الذي صنعتم لنا فإنا نكره أن نأكل من أموالكم شيئاً إلاّ بثمن.** قال: **إذا لا تقومونه قيمته، نحن نكتفي بما دونه.** قالوا: **يا أمير المؤمنين! فإن لنا من العرب موالي ومعارف، فتمنعنا أن نهدي لهم وتمنعهم أن يقبلوا منا؟** قال: **كل العرب لكم موال** (أصدقاء). **وليس ينبغي لأحد من المسلمين أن يقبل هديتكم. وإن غصبكم أحد فأعلمونا.** قالوا: **يا أمير المؤمنين! إنا نحب أن تقبل هديتنا وكرامتنا.** قال لهم: **ويحكم، نحن أغنى منكم**[1] فتركهم ثم سار.

---

(١) "جاء علي حتى مرّ بالأنبار، فاستقبله بنوخشنوشك دهاقنتها. قال سليمان: خش: طيب. نوشك: راض. يعني بني الطيب الراضي، بالفارسية. فلما استقبلوه نزلوا ثم جاؤوا يشتدون معه. قال: ما هذه الدواب التي معكم؟ وما أردتم بهذا الذي صنعتم؟ قالوا: أما هذا الذي صنعنا فهو خلق منا نعظم به الأُمراء. وأما هذه البراذين فهدية لكم، وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاماً وهيأنا لدوابكم علفاً كثيراً. قال: أما هذا الذي زعمتم ... ثم سار". **وقعة صفين**، ص١٤٤، خبر ماء الدير ؛ **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٥٧٥، ذكر خروج علي بن أبي طالب أميرالمؤمنين عليه السلام إلى صفين لمحاربة معاوية.

مقارنة بين تعامل أمير المؤمنين عليه السلام وباقي الخلفاء للأعاجم

بهذه الطريقة من التعامل، وبهذه السياسة التي سار عليها أمير المؤمنين عليه السلام أبطل الأُسلوب القومي الغير العادل الذي اختطه الخلفاء السابقون له في معاملة العجم. فقد رفض أن يأخذ من كدّ أيديهم رغم أنهم كانوا راغبين في تقديمه لجيشه ؛ لأنه ربما كان ذلك منهم خوفاً من بطش الحاكم. لقد تجنب الإمام عليه السلام، في كل سياساته، التميز القومي. فحين جاءته امرأتان إحداهما عربية والأُخرى أعجمية لأخذ حصتهما من العطاء، أعطى كل واحدة منهما خمساً وعشرين درهماً وشيئاً من الطعام. فاعترضت عليه العربية لأنه ساواها بالأعجمية فقال عليه السلام: **والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق**[١].

إن هذه النظرة والمطالبة بالزيادة والتفضيل تعودان إلى تصرفات الخلفاء السابقين التي اصطبغت بالتميز العنصري الذي جعل العرب يحسبون أنفسهم أفضل من سائر الأُمم. ولابد هنا، للمقارنة بين ما كان يفعله الخلفاء وما فعله أمير المؤمنين عليه السلام، من إيراد بعض الشواهد النامّة عن التميز الذي مارسه الخليفة الثاني:

أ ـ ما كان لابن الأعجمية أن يرث أباه ما لم يكن مولوداً بين العرب[٢].

ب ـ للعربي أن يرث الأعجمي وليس للأعجمي أن يرث العربي[٣].

---

(١) "إن امرأتين أتتا علياً عليه السلام عند القسمة إحداهما من العرب والأُخرى من الموالي، فأعطى كل واحدة خمسة وعشرين درهماً وكراً من طعام، فقالت العربية: يا أميرالمؤمنين إني امرأة من العرب وهذه امرأة من العجم! فقال علي عليه السلام: [إني] والله لا أجد ... إسحاق". **الغارات**، ج١، ص٧٠، سيرة علي عليه السلام في المال ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٢، ص٢٠١، ذيل الخطبة ٣٤، مناقب علي وذكر طرف من أخباره في عدله وزهده.

(٢) **الموطأ**، ج٢، ص٥٢٠، كتاب الفرائض، باب ميراث أهل الملل، الحديث الرابع عشر.

(٣) "أن ترثهم العرب ولا يرثوهم". **كتاب سليم بن قيس الهلالي**، ج٢، ص٧٤٠، الحديث الثالث والعشرون.

ج ـ ما كان للأعجمي أن يؤم العرب في الصلاة ولا أن يصلي في الصف الأول[١].

د ـ كانوا، في الحروب، يرسلون العجم في الخطوط الأمامية ليمهدوا الطريق للعرب[٢].

هـ ـ لم يكن يحق للعجم تولي مناصب قضائية أو حكومية في الدولة الإسلامية[٣].

و ـ لم يكن لغير العرب الحق في الاستيطان في المدينة[٤].

ز ـ لم يكن للرجال من غير العرب أن يتزوجوا العربيات، وكان للعرب أن يتزوجوا الأعجميات[٥].

ح ـ يدفع النصارى العرب الزكاة بدلاً من الجزية كالمسلمين، ويدفع النصارى العجم الجزية[٦].

---

(١) "لا يؤم أحد منهم العرب في صلاة ولا يتقدم أحد منهم في الصف الأول إذا حضرت العرب إلاّ أن يتموا الصف". **كتاب سليم بن قيس الهلالي**، ج٢، ص٧٤٠، الحديث الثالث والعشرون.

(٢) "أن يقدموا في المغازي يصلحون الطريق ويقطعون الشجر". **كتاب سليم بن قيس الهلالي**، ج٢، ص٧٤٠، الحديث الثالث والعشرون.

(٣) "لا تول أحداً منهم ثغراً من ثغور المسلمين ولا مصراً من أمصارهم ولا يلي أحد منهم قضاء المسلمين ولا أحكامهم، فإن هذه سنة عمر فيهم وسيرته". **كتاب سليم بن قيس الهلالي**، ج٢، ص٧٤٠، الحديث الثالث والعشرون.

(٤) "كان عمر لا يترك أحداً من العجم يدخل المدينة. فكتب إليه المغيرة بن شعبة: إن عندي غلاماً نقاشاً نجاراً حداداً فيه منافع لأهل المدينة، فإن رأيت أن تأذن لي في الإرسال به فعلت. فأذن له وقد كان المغيرة جعل عليه كل يوم درهمين وكان يدعى أبالؤلؤة وكان مجوسياً من أهل نهاوند". **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٢، ص٣٥٢، ذكر خلافة عمر بن الخطاب، أبولؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة.

(٥) "أن تنكح العرب فيهم ولا ينكحوهم". **كتاب سليم بن قيس الهلالي**، ج٢، ص٧٤٠، الحديث الثالث والعشرون.

(٦) "أخبرنا عبدالرزاق قال: أخبرنا عبد الله بن كثير عن شعبة عن الحكم بن عتيبة قال: سمعت إبراهيم النخعي يحدث عن زياد بن حدير، وكان زياد يومئذ حياً، أن عمر بعثه مصدقاً، فأمره أن يأخذ من نصارى بني تغلب العشر ومن نصارى العرب نصف العشر". **المصنف**، ج٦، ص٩٩، صدقة أهل الكتاب، الحديث ١٠١٢٥.

ط ـ كان من القبيح على العربي، مع وجود الغلمان من العجم، أن يتخذ غلاماً عربياً[١] حتى أن الخليفة الثاني كان قد أوصى بعتق العبيد العرب من بيت المال[٢].

كانت سياسة عمر مع العجم، بشكل عام، سياسة إذلال، وهذا ما يشير إليه معاوية في كتابه إلى زياد بن أبيه[٣].

---

(١) "لما ولي عمر بن الخطاب قال: إنه لقبيح بالعرب أن يملك بعضهم بعضاً وقد وسع الله عزّ وجلّ وفتح الأعاجم". **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص٥٠، حوادث سنة ١١ هجرية، ذكر ردة حضرموت وكندة.

(٢) "كان في وصية عمر بن الخطاب أن يعتق كل عربي في مال الله". **المصنف**، ج٨، ص٣٨١، باب الشرط على المكاتب، الحديث ١٥٦١٣.

(٣) "انظر إلى الموالي ومن أسلم من الأعاجم، فخذهم بسنة عمر بن الخطاب. فإن في ذلك خزيهم وذلهم". **كتاب سليم بن قيس الهلالي**، ج٢، ص٧٤٠، الحديث الثالث والعشرون.

قصة راهب بُليخ

بعد اجتياز مختلف المدن، وصل جيش أمير المؤمنين عليه السلام إلى الرقة وكان أهلها على هوى عثمان يناصرون معاوية، فأغلقوا أبواب المدينة بوجه الإمام عليه السلام فعسكر الجيش على ساحل الفرات في موضع يقال له "بليخ". وخلال فترة إقامته في بليخ جاء راهب إلى الإمام عليه السلام وقال له: **إن عندنا كتاباً توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسى بن مريم، أعرضه عليك.** قال علي عليه السلام: **نعم، فما هو؟** قال الراهب: **بسم الله الرحمن الرحيم الذي قضى فيما قضى وسطر فيما سطر أنه باعثٌ في الأُميين رسولاً منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويدلهم على سبيل الله، لا فظ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أُمته الحمّادون الذين يحمدون الله على كل نشر وفي كل صعود وهبوط، تذل ألسنتهم بالتهليل والتكبير [والتسبيح]، وينصره الله على كل من ناواه. فإذا توفاه الله اختلفت أُمته ثم اجتمعت. فلبثت بذلك ما شاء الله ثم اختلفت. فيمر رجل من أُمته بشاطئ هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي بالحق ولا يرتشي في الحكم. الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت [به] الريح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظماء، يخاف الله في السر وينصح له في العلانية، ولا يخاف في الله لومة لائم. من أدرك ذلك النبي عليه السلام من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني والجنة. ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره، فإن القتل معه شهادة.** [ثم قال له]: **فأنا مصاحبك غير مفارقك حتى يصيبني ما أصابك.** قال: فبكى علي ثم قال: **الحمد لله الذي لم يجعلني عنده منسياً، الحمد لله الذي ذكرني في كتب الأبرار.** مضى الراهب معه وكان، فيما ذكروا، يتغدى مع علي عليه السلام ويتعشى حتى أُصيب يوم صفين. فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال علي عليه السلام: **اطلبوه!** فلما وجدوه صلى عليه ودفنه وقال: **هذا منا أهل البيت.** واستغفر له مراراً[(١)].

(١) "لما نزل علي الرقة [نزلنا] بمكان يقال له بليخ على جانب الفرات. فنزل راهب [هناك] من صومعته فقال لعلي عليه السلام: إن عندنا ... مراراً". **وقعة صفين**، ص١٤٧، حديث راهب بليخ ؛ **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٧٧، خبر الراهب ونزوله من صومعته إليه ؛ **البداية والنهاية**، ج٧، ص٢٦٥، حوادث سنة ٣٦ هجرية، في وقعة صفين.

كتاب الإمام إلى معاوية وجوابه عليه

عندما كان الإمام عليه السلام في الرقة طلب منه جماعة من أنصاره أن يكتب إلى معاوية منعاً لسفك الدماء، فأرسل عليه السلام إليه كتاباً قال فيه: **بسم الله الرحمن الرحيم. من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى معاوية وإلى من قبله من قريش، سلام عليكم. فإني أحمد الله إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو. أما بعد! فإن لله عباداً آمنوا بالتنزيل وعرفوا التأويل وفقهوا في الدين وبيّن الله فضلهم في القرآن الحكيم وأنتم في ذلك الزمان أعداء لرسول الله عليه السلام، تكذبون بالكتاب مجمعون على حرب المسلمين، من ثقفتم منهم حبستموه أو عذبتموه أو قتلتموه. حتى أراد الله إعزاز دينه وإظهار رسوله ودخلت العرب في دينه أفواجاً وأسلمت [له] هذه الأُمة طوعاً وكرهاً. وكنتم ممن دخل في هذا الدين إما رغبة وإما رهبة. على حين فاز أهل السبق بسبقهم وفاز المهاجرون الأولون بفضلهم. فلا ينبغي لمن ليست له مثل سوابقهم في الدين ولا فضائلهم في الإسلام أن ينازعهم الأمر الذي هم أهله وأولى به، فيحوب بظلم. ولا ينبغي لمن كان له عقل أن يجهل قدره ولا أن يعدو طوره ولا أن يشقي نفسه بالتماس ما ليس له. ثم إن أولى الناس بأمر هذه الأمة قديماً وحديثاً أقربها من رسول الله عليه السلام وأعلمها بالكتاب وأفقهها في الدين وأولها إسلاماً وأفضلها جهاداً وأشدها بما تحمله الرعية من أُمورها اضطلاعاً. فاتقوا الله الذي إليه ترجعون** [حروف وأشكال مبهمة ربما لقوله تعالى: ولا تلبسوا الحق بالبطل وأنتم تعلمون: م]. **واعلموا أن خيار عباد الله الذين يعملون بما يعلمون، وأن شرارهم الجهال الذين ينازعون بالجهل أهل العلم. فإن للعالم بعلمه فضلاً، وإن الجاهل لن يزداد بمنازعة العالم إلاّ جهلاً. ألا وإني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام وحقن دماء هذه الأمة. فإن قبلتم أصبتم رشدكم واهتديتم لحظكم. وإن أبيتم إلاّ الفرقة وشق عصا هذه الأُمة فلن تزدادوا من الله إلاّ بعداً ولن يزداد الرب عليكم إلاّ سخطاً. والسلام.**

فكتب إليه معاوية: **أما بعد، فإنه:**

ليس بيني وبين قيس عتاب ... غير طعن الكلى وضرب الرقاب[1].

(١) **وقعة صفين**، ص١٥٠، كتاب علي عليه السلام إلى معاوية.



الفصل الثالث

التحام الجنود

كما أسلفنا، فإن أهل الرقة كانوا عثمانيين يبسط عليهم معاوية حمايته. لذا ما إن وصل الجيش العراقي حتى سدوا أبواب مدينتهم ليمنعوه من الوصول إلى صفين ومن نصب جسور طوارئ للعبور. فأرسل أمير المؤمنين عليه السلام إليهم مالك الأشتر، فهددهم بالهجوم على مدينتهم ما لم يفتحوا الطريق للجيش. فخافوا وسارعوا إلى نصب جسر لعبور الجيش صوب الشام. وبعد أن اجتاز الجيش العراقي الرقة اصطدمت طلائعه بجيش الشام بقيادة أبي الأعور السلمي[1] فبعث الإمام عليه السلام كتاباً إلى مالك الأشتر يوصيه بالتحرك صوبه ويؤكد على أن لا يبدأهم بالقتال وأن يدعوهم مراراً إلى البيعة وقبول الحق وأن يتم الحجة عليهم وأن لا يتقدم نحوهم بهيأة القاصد للقتال وأن لا يوليهم دبره كالخائف من الحرب، وينتظر وصوله عليه السلام[2].

---

(١) عمرو بن سفيان المعروف بأبي الأعور السلمي، كان كأبيه سفيان بن عبدشمس من ألدّ أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام علي وأهل البيت عليهم السلام. يرى بعضٌ أن أُمه كانت نصرانية. **تاريخ دمشق الكبير**، ج٤٩، ص٤١، ترجمة عمرو بن سفيان، الرقم ٥٤٦١. كان أبوالأعور السلمي من حلفاء أبي سفيان وكان مع مشركي قريش ويهود خيبر في معركة الخندق. **الجامع لأحكام القرآن**، ج٧، ص٣٣٥، ذيل الآية ١٠ من سورة الأحزاب. وكان في غزوة حنين في صف المشركين المواجه لرسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٤، ص١٦٣، ترجمة أبي الأعور السلمي، الرقم ٢٨٧٨. بعض الروايات الشيعية عدّت عمرو بن سفيان في أصحاب العقبة الذين همّوا بقتل النبي صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك عن طريق إفزاع ناقته وإسقاطها في الوادي. **الخصال**، ص٥٤٤ ـ ٥٤٥، أبواب الأربعة عشر رجلاً، الحديث السادس. تفيد الوثائق الروائية والتاريخية السنية بأن النبي صلى الله عليه وآله لعن أباالأعور السلمي ودعا عليه لشدة عداوته وأذاه له. **كنز الأعمال في سنن الأقوال والأفعال**، ج٨، ص٨٢، الحديث ٢١٩٩٠. لقد اضطر في فتح مكة لأن يتظاهر بالإسلام، وشهد معركة اليرموك في خلافة عمر بن الخطاب وكان يقود جانباً من الجيش. **تاريخ دمشق الكبير**، ج٤٩، ص٣٨، ترجمة عمرو بن سفيان، الرقم ٥٤٦١. وهو الذي قام بقتل حجر بن عدي الذي كان من أوفى أصحاب الإمام علي عليه السلام بعد القبض عليه بأمر معاوية. **سؤالات الآجري**، ج١، ص٣٣١. كذلك هو الذي قام بقتل محمد بن أبي بكر بمساعدة عمرو بن العاص بأمر معاوية سنة ٣٨ هجرية. **الثقات**، ج٢، ص٢٩٧، فلما دخلت السنة الثامنة والثلاثون. تفيد بعض المستندات التاريخية بأن أباالأعور السلمي أصبح، بعد وفاة معاوية، من أصحاب مروان بن الحكم وأعوانه، دخل معه مصر سنة ٦٥ هجرية. **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج٤، ص٥٣٠، ترجمة عمرو بن سفيان، الرقم ٥٨٦٧.

(٢) "فبعث إليهم علي عليه السلام الأشتر النخعي أميراً وعلى ميمنته زياد وعلى ميسرته شريح، وأمره أن لا يتقدم إليهم حتى يبدأوه بالقتال، ولكن ليدعهم إلى البيعة مرة بعد مرة، فإن امتنعوا فلا يقاتلهم حتى يقاتلوك (هكذا: م) ولا يقرب منهم قرب من

لم يلبث أن تقابل مالك الأشتر ومعه الجيش العراقي مع الشاميين، وأتم مالك الأشتر الحجة عليهم كما أمره الإمام، ولكن دون جدوى. حتى قام جيش الشام بقيادة أبي الأعور السلمي بالهجوم، فاقتتلوا ساعات ثم افترقوا. بعد توقف القتال بعث مالك الأشتر برسالة إلى أبي الأعور السلمي يدعوه فيها إلى البراز. ولكن أبا الأعور رفض القتال الفردي لما كان يعلمه من شجاعة الأشتر. وفي الليل أمر أبو الأعور جيش الشام بمغادرة المنطقة خلسة والتسلل إلى منابع الفرات في صفين ليكون في موقف استراتيجي أفضل[1].

يريد الحرب ولا يبتعد منهم ابتعاد من يهاب الرجال، ولكن صابرهم حتى آتينك فأنا حثيث السير وراءك إن شاء الله". **البداية والنهاية**، ج٧، ص٢٦٦، حوادث سنة ٣٦ هجرية، في وقعة صفين.

(١) **وقعة صفين**، ص١٥٤، المعركة الأُولى.

الوصول إلى صفين وسدّ الماء

لما سمع معاوية بتحرك الجيش العراقي وأمير المؤمنين عليه السلام، انطلق مسرعاً بجيشه صوب صفين والتحق بجيش أبي الأعور وسدّ الطريق إلى مشرعة الفرات بوجه الجيش العراقي. ثم وصل جيش أمير المؤمنين عليه السلام إلى تلك المنطقة متأخراً.

هناك أقوال عدة في موعد وصول جيش أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفين. فقيل سنة ٣٦ هجرية[١] و٣٧ و٣٨[٢] ولكن المشهور أنه كان في سنة ٣٧ هجرية[٣] كما أن هناك اختلافاً في الشهر الذي وصل فيه ؛ فقيل ربيع الأول وقيل ربيع الآخر ومحرم وصفر[٤].

سمع أمير المؤمنين عليه السلام بغلق طريق الفرات، فنصح معاوية بالتراجع عن ذلك حقناً للدماء. وكان في جيش معاوية من يعارض فتح طريق المشرعة أمثال الوليد بن عقبة وعبدالله بن سعد بن أبي سرح، وكانوا يقولون بدافع الانتقام: **يا معاوية! إن هؤلاء قد منعوا عثمان بن عفان الماء أربعين يوماً وحصروه، فامنعهم إياه حتى يموتوا عطشاً**[٥].

وكان عبدالله بن سعد بن أبي سرح، كذلك، معارضاً لفتح طريق الماء لجيش العراق. ولكن دافعه كان شيئاً آخر. فقد قال لمعاوية: **امنعهم من الماء إلى الليل فلعلهم يرجعون إلى بلادهم**[٦].

---

(١) **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص٣٦٢، حوادث سنة ٣٦ هجرية ؛ **أنساب الأشراف**، ج٣، ص٨٢، أمر صفين.

(٢) **الفتوح**،المجلد الثاني، ص٥٩٠، ذكر ذواق لأهل الشام من حرب أصحاب علي عليه السلام.

(٣) **تاريخ الطبري**، ج٣، ص٧٩، حوادث سنة ٣٧ هجرية ؛ **تاريخ خليفة بن الخياط**، ص١١٥، حوادث سنة ٣٧ هجرية ؛ **الصحيح من سيرة الإمام علي** عليه السلام، ج٣٨، ص٢٩١.

(٤) **تاريخ الطبري**، ج٣، ص٧٩، حوادث سنة ٣٧ هجرية ؛ ، ص١٠٤، تعبئة معاوية أهل الشام لقتال علي ؛ **أنساب الأشراف**، ج٣، ص٨٢، أمر صفين ؛ **الصحيح من سيرة الإمام علي** [عليه السلام]، ج٣٨، ص٢٩١.

(٥) "فقال الوليد بن عقبة: يا معاوية ... عطشاً". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٤، ذكر وقعة الماء وهي أول وقعة صفين.

(٦) "قال عبد الله بن سعد بن أبي سرح: امنعهم .. بلادهم". **البداية والنهاية**، ج٧، ص٢٦٧، حوادث سنة ٣٦ هجرية، في وقعة صفين.

أما عمرو بن العاص فقد عارض سد طريق الماء، وقال لمعاوية: **خلّ بينهم وبين الماء، فإن علياً لم يكن ليظمأ وأنت ريان وفي يده أعنة الخيل وهو ينظر إلى الفرات حتى يشرب أو يموت. وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق ومعه أهل العراق وأهل الحجاز. وقد سمعت أنا وأنت وهو يقول: لو استمكنت من أربعين رجلاً، فذكر أمراً، يعني لو أن معي أربعين رجلاً يوم فتش البيت يعني بيت فاطمة**(١).

كما كان هناك آخرون في جيش معاوية ساءهم ما فعل معاوية من منع الماء، وعبروا عن معارضتهم له. ومن هؤلاء المعراء بن الأقبل الذي قال لمعاوية: **ويحك يا معاوية! والله لو سبقك علي إلى الماء فنزل عليه من قبلك إذن لما منعك منه أبداً. ولكن أخبرني عنك أنك إذ أنت منعته الماء من هذا الموضع، ألا تعلم أنه يرحل من موضعه هذا وينزل على مشرعة أُخرى فيشرب منه ثم يحاربك على ما صنعت؟ ألا تعلم أن فيهم العبيد والإماء والضعيف ومن لا ذنب له؟ هذا والله أول البغي والفجور! والله لقد حملت من لا يريد قتالك على قتالك ويمنعك هذا الماء. فإن شئت فاغضب وإن شئت فارض، فإني لا أدع القول بالحق، ساءك أم سرك.** فأمر معاوية بقتل هذا الرجل، فوثب قوم من بني عمه فاستوهبوه منه، فوهبه لهم. فلما كان الليل هرب إلى علي بن أبي طالب فصار معه(٢).

أصر معاوية على سد طريق الماء فبرز جماعة من جيش أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا أنهم مستعدون لفتح الطريق فقال الأشعث بن قيس الكندي، زعيم كندة، لأمير المؤمنين عليه السلام: **يا أمير المؤمنين! أيمنعنا القوم ماء الفرات وأنت فينا وسيوفنا في رقابنا؟ خلّ عني وعن الناس، فوالله لا رجعت عن الماء دون أن أرده أو أموت دونه.** [قال]: وتابعه الأشتر بمثل هذا الكلام. فقال علي عليه السلام: **ذلك إليكم فافعلوا ما أحببتم.** [قال]: فخرج الأشعث من عند علي عليه السلام وذلك في وقت السحر، ثم نادى في الناس: **ألا من كان يريد الموت فإن ميعادنا الصبح، فإني ناهضٌ إلى الماء إن شاء الله.** [قال]: فأجابه نيّف من عشرة آلاف، وأجاب الأشتر خلق كثير من بني عمه وبني مذحج.. وأقبل الأشعث بن قيس

---

(١) "قال عمرو: خلّ ... فاطمة". **وقعة صفين**، ص١٦٣، رأي عمرو في ذلك.

(٢) "فوثب رجل من أهل الشام يقال له المعراء بن الأقبل بن الأهول فقال: ويحك ... فصار معه". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٥، ذكر وقعة الماء وهي أول وقعة صفين.

على صاحب رايته واسمه الحارث بن حجر الكندي فقال له: **ابن حجر! الله ما النخع بخير من كندة ولا الأشتر بخير مني. فتقدم فداك أبي وأُمي بالراية**[(١)]!

كان ذلك المشهد أول مؤشر على حب الجاه لدى الأشعث بن قيس الذي سعى، بأي شكل من الأشكال، إلى أن يحقق لنفسه موقعاً متميزاً في جيش أمير المؤمنين عليه السلام.

في نهاية المطاف، هجم جنود أمير المؤمنين عليه السلام على جيش معاوية عند الصبح فوقع اشتباك عنيف بين الجانبين قتل فيه عدد كبير من جنود الشام، ثم سيطر أمير المؤمنين عليه السلام على المشرعة[(٢)].

لما وقعت المشرعة وماء الفرات بيد الإمام عليه السلام، حاول بعض رجاله معاملة عدوهم بالمثل ومنعه الماء. ولكن الإمام عليه السلام رفض ذلك وفتح طريق الماء لأهل الشام رغم موقفهم الخسيس منه[(٣)].

---

(١) **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٠، ذكر وقعة الماء وهي أول وقعة صفين.

(٢) **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٧، ذكر وقعة الماء وهي أول وقعة صفين.

(٣) **مناقب آل أبي طالب**، ج٣، ص١٦٨، في حرب صفين ؛ **الأخبار الطوال**، ص٢٤٨، غلبة الإمام عليه السلام على الماء.

وقف القتال لإتمام الحجة

سمح أمير المؤمنين عليه السلام لأهل الشام بالاستفادة من ماء الفرات أن سيطر عليه. بعد ذلك، توقف القتال بضعة أيام. فاعترض بعض جنود الجيش العراقي على الإمام عليه السلام لأنه لم يأذن لهم ببدء القتال والأخذ بثأرهم من جيش الشام، فقالوا له: **يا أمير المؤمنين! خلّفنا ذرارينا ونساءنا بالكوفة وجئنا إلى أطراف الشام لنتخذها وطناً؟ ائذن لنا في القتال فإن الناس قد قالوا.** قال لهم عليه السلام: **ما قالوا؟** فقال منهم قائل: **إن الناس يظنون أنك تكره الحرب كراهية للموت وإن من الناس من يظن أنك في شك من قتال أهل الشام.** فقال عليه السلام: **ومتى كنت كارهاً للحرب قط؟ إن من العجب حبي لها غلاماً ويفعاً وكراهيتي لها شيخاً بعد نفاد العمر وقرب الوقت! وأما شكي في القوم فلو شككت فيهم لشككت في أهل البصرة. والله لقد ضربت هذا الأمر ظهراً وبطناً فما وجدت يسعني إلاّ القتال أو أن أعصي الله ورسوله صلى الله عليه وآله ولكني أستأني بالقوم عسى أن يهتدوا أو تهتدي منهم طائفة. فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوم خيبر: لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس**[1].

---

(١) شبث بن ربعي التميمي أحد المنافقين الذين غيّروا جلدهم أكثر من مرة وبدّل موقفه حسب الظروف والمصالح الخاصة. فقد أسلم بعد أن كان مؤذناً لسجاح التي ادّعت النبوة. ثم كان له دور فعال في قتل عثمان. بعد ذلك انضم إلى الإمام علي عليه السلام وهو الذي قام بهدم دار حنظلة بن الربيع. ووقف موقفاً معارضاً لمعاوية. ثم التحق بالخوارج ثم عاد وتاب. ثم شارك في واقعة كربلاء إلى جانب عبيدالله بن زياد وارتكب الكثير من الجرائم فيها. ثم كان من الذين ناصروا المختار في الثأر للحسين عليه السلام كان رئيس شرطته! ثم شارك في قتل المختار. وفي النهاية مات بالكوفة عن نحو ثمانين سنة. على أن المحقق الشوشتري (التستري: م) يقول أنه لم يثبت لديه أن شبث بن ربعي شارك في قتل عثمان وأنه كان في شرطة المختار. كان شبث من الأربعة الذين بنوا مساجد أو جددوا بناءها في الكوفة ابتهاجاً بمقتل الحسين عليه السلام، وسميت بالمساجد الملعونة. **قاموس الرجال**، ج٥، ص٣٨٨، ترجمة شبث بن ربعي، الرقم ٣٥٢٢.

الإمام يرسل سفراء إلى معاوية

بعد أن نجح الجيش العراقي في استعادة السيطرة على ماء الفرات وتوقف القتال بضعة أيام، أمر أمير المؤمنين عليه السلام عدداً من قادة جيشه بالذهاب إلى معاوية ودعوته إلى البيعة، منعاً للحرب وحقناً للدماء. فتوجه سعيد بن قيس الهمداني وأبوعمرة الأنصاري وشبث بن ربعي[1] وعدي بن حاتم الطائي ويزيد بن قيس وزياد بن خصفة[2] إلى معاوية لهذا الغرض[3].

ذهب وفد الإمام عليه السلام إلى معاوية، ونصحه أبوعمرة الأنصاري[4] فأعاد معاوية كلامه السابق وقال أنه لا يتنازل عن دم عثمان. فغضب شبث بن ربعي من كلامه فقال له: **يا معاوية! قد فهمت ما رددت على ابن محصن، إنه لا يخفى علينا ما تقرب وما تطلب. إنك لا تجد شيئاً تستغوي به الناس وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم إلاّ أن قلت لهم: قتل إمامكم مظلوماً فهلموا نطلب بدمه! فاستجاب لك سفهاء طغام رذال. وقد علمنا أنك قد أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل بهذه المنزلة التي تطلب. وربّ مبتغ أمراً وطالبه يحول الله دونه، وربما أُوتي المتمني أُمنيته وربما لم يؤتها. ووالله ما لك في واحدة منها خير. والله لئن أخطأك ما ترجو إنك لشر العرب حالاً، ولئن**

---

(١) زياد بن خصفة من أخلص أصحاب أميرالمؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام. مدحه أميرالمؤمنين عليه السلام وقال في كتاب بعثه إلى ابن عباس: مُر زياداً يفعل، فما أطيبه وأطيب عشيرته! لقد أثبت زياد وفاءه لأميرالمؤمنين عليه السلام في ظروف مختلفة. ولم يبع نفسه بدنيا معاوية، شأنه في ذلك شأن بعض جنود أميرالمؤمنين عليه السلام. أرسله أميرالمؤمنين عليه السلام إلى معاوية لإتمام الحجة عليه، فحاول معاوية شراء ذمته بتطميعه ولكنه جوبه منه بجواب مزلزل إذ قال له: إن لي في متابعة علي عليه السلام بينة وحجة، فلا أتركه. ومن أجل هذه النعمة التي أنعم الله بها عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين. **قاموس الرجال**، ج٤، ص٤٩٩، ترجمة زياد بن خصفة، الرقم ٢٩٩٤.

(٢) **أنساب الأشراف**، ج٣، ص٨٤، أمر صفين.

(٣) كان أبوعمرة الأنصاري أحد أخلص وأوفى أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام ومن صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله. استشهد في صفين فتأثر أميرالمؤمنين عليه السلام لفقده تأثراً كبيراً فكان ينوح عليه. وكانت منزلته في جيش أميرالمؤمنين عليه السلام من الأهمية بحيث أن جنود الشام كانوا يتفاخرون بقتله. ولما ناشد أميرالمؤمنين عليه السلام في الرحبة من سمع خطبة الغدير، قال ومعه أحد عشر رجلاً: نشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **ألا إن الله عزّ وجلّ وليي وأنا ولي المؤمنين. ألا من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه وعاد من عاداه وأحبّ من أحبّه وأبغض من أبغضه**". **وقعة صفين**، ص٣٥٧ ـ ٣٥٩، أثر مصرع هاشم.

(٤) **وقعة صفين**، ص١٨٧، كلام شبث بن ربعي.

أصبت ما تتمناه لا تصيبه حتى تستحق صلي النار. فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله[(١)]!

كلام شبث بن ربعي كان تأكيداً على ما سبق وهو أن معاوية هو المتهم الأول في قتل عثمان، وأنه استغل قتله للوصول إلى الحكم من خلال تضليل الرأي العام واستقطاب الناس وتعبئتهم لمواجهة أمير المؤمنين عليه السلام الحقيقة أن ما قاله شبث بن ربعي هو نفسه ما كان قاله عثمان لمعاوية[(٢)] وهذا يؤكد أن مكر معاوية كان مكشوفاً لجيش الإمام علي عليه السلام.

غضب معاوية غضباً شديداً من كلام شبث بن ربعي فشتمه وودعه وهو يهدده بأن لا شيء بينهم إلاّ السيف[(٣)].

يقول نصر بن مزاحم[(٤)]: **فتراسلوا ثلاثة أشهر، ربيع الآخر وجماديين، فيفزعون الفزعة فيما بين ذلك فيزحف بعضهم إلى بعض وتحجز القراء بينهم. ففزعوا في ثلاثة أشهر خمسة** (هكذا، ربما خمساً: م) **وثمانين فزعة، كل فزعة يزحف بعضهم إلى بعض ويحجز القراء بينهم ولا يكون بينهم قتال**[(٥)].

---

(١) "يا معاوية! ... أهله". **وقعة صفين،** ص١٨٧، كلام شبث بن ربعي.

(٢) "فكتب إلى معاوية يسأل تعجيل القدوم عليه توجه إليه في اثني عشر ألفاً، ثم قال: كونوا بمكانكم في أوائل الشام حتى آتي أميرالمؤمنين لأعرف صحة أمره. فأتى عثمان فسأله عن المدة، فقال: قد قدمت لأعرف رأيك وأعود إليهم فأجيئك بهم. قال: لا والله ولكنك أردت أن أُقتل فتقول: أنا وليّ الثأر". **تاريخ اليعقوبي،** ج٢، ص١٧٥، أيام عثمان بن عفان.

(٣) **وقعة صفين،** ص١٨٨، موقف القراء.

(٤) نصر بن مزاحم المتوفى سنة ٢١٢ هجرية صاحب كتاب **وقعة صفين** وهو أقدم كتاب عن معركة صفين. عدّه الشيخ الطوسي في أصحاب الإمام الباقر عليه السلام. أما العلاّمة التستري فيقول إن هناك اختلافاً بين العلماء حول تشيعه أو تسننه. يعتبره أبوالفرج الإصفهاني وابن أبي الحديد سنياً. فيما يراه الخطيب البغدادي والحموي شيعياً. ويقول العلاّمة التستري في النهاية إن ابن مزاحم سني يميل إلى الشيعة وهناك مؤشرات في كتاب **وقعة صفين** على كونه من العامة أو من الزيدية. **قاموس الرجال،** ج١٠، ص٣٥٨، ترجمة نصر بن مزاحم، الرقم ٧٩٦٦.

(٥) **وقعة صفين،** ص١٩٠، تراسل علي ومعاوية.

كلنا قتلة عثمان

كان أبوالدرداء[١] وأبوأُمامة[٢] مثالين آخرين لوسطاء السلم ذهب هذان الرجلان إلى معاوية وكانا من أنصاره وقالا له: **يا معاوية! علام تقاتل هذا الرجل؟ فوالله لهو أقدم منك سلماً وأحق بهذا الأمر منك وأقرب إلى النبي ﷺ فعلام تقاتله؟** فقال: **أُقاتله على دم عثمان وأنه آوى قتلته، فقولوا له فليُقدنا من قتلته، فأنا أول من بايعه من أهل الشام.** فانطلقوا إلى علي فأخبروه بقول معاوية، فقال: **هم الذين ترون.** [يعني قتلة عثمان: م] فخرج عشرون ألفاً أو أكثر مسربلين في الحديد لا يرى منهم إلاّ الحدق، فقالوا: **كلنا قتلة عثمان، فإن شاؤوا فليروموا ذلك منا**[٣].

---

(١) هو عويمر بن عامر الخزرجي المعروف بأبي الدرداء، من أصحاب النبي ﷺ عيّنه عثمان قاضياً لدمشق. عقد النبي ﷺ عقد الأُخوّة بينه وبين سلمان. وقال له في إحدى المناسبات: فيك آثار من الجاهلية. فسأله أبوالدرداء: جاهلية الكفر أم الإسلام؟ فقال ﷺ: جاهلية الكفر. توفي سنة ٣٣ هجرية قبل مقتل عثمان بسنتين. **قاموس الرجال،** ج١١، ص٣١٨، ترجمة أبي الدرداء، الرقم ٣٣٢. أما المرحوم المامقاني فيرى أن وفاته حصلت سنة ٣٤ هجرية نقلاً عن البخاري. ويرى ابن عبدالبر وفاته في زمن خلافة عثمان. **تنقيح المقال في علم الرجال،** ج٢، ص٣٥٥، ترجمة عويمر بن عامر، الرقم ٩٢٦٢. **الاستيعاب،** ج٤، ص٢١١، ترجمة أبي الدرداء، الرقم ٢٩٧٠. على أن بعض المؤرخين يعتقدون أن وفاته حدثت بعد صفين، وهذا ما ورد في **الاستيعاب في معرفة الأصحاب.** نستنتج من هذه الأقوال أنه لم يشهد صفين وأن رسول معاوية كان شخصاً آخر.

(٢) هو صدى بن عجلان المعروف بأبي أُمامة من أصحاب رسول الله ﷺ. ذكره الشيخ الطوسي في أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام وقال: جعل عليه معاوية في الشام حراساً ليمنعوه من الهروب إلى أميرالمؤمنين عليه السلام. ولكن المرحوم المامقاني يُشكل على الشيخ الطوسي بأن كلامه يفيد بأن أبا أُمامة كان من شيعة الإمام عليه السلام، في حين أنه الوحيد الذي يرى ذلك، ويعتبره بعض المؤرخين من المنحرفين عن أميرالمؤمنين عليه السلام، وأن الكتب التاريخية تذكر أنه كان في صف معاوية، بما في ذلك ذهابه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام رسولاً من جانب معاوية، وأنهم لم يتأثروا (هكذا، ربما لم يتأثر: م) بكلام الإمام عليه السلام ولم يقروا (هكذا) بحقانيته، واعتزلوا (هكذا) الحرب. ولو كانوا يعتقدون (هكذا) بإمامة أميرالمؤمنين عليه السلام لقاتلوا (هكذا) معه. كان يسكن الشام ومات فيها سنة ٨٦ هجرية وكان آخر أصحاب رسول الله ﷺ في الشام. **تنقيح المقال في علم الرجال،** ج٢، ص٩٨، ترجمة صدى بن عجلان، الرقم ٥٧٦١ ؛ **قاموس الرجال،** ج٥، ص٤٩٠، ترجمة صدى بن عجلان، الرقم ٣٦٧٥.

(٣) "خرج أبوأُمامة الباهلي وأبوالدرداء فدخلا على معاوية وكانا معه، فقالا: يا معاوية! ... منا". **وقعة صفين،** ص١٩٠، عتاب علي للأشتر والأشعث.

ينقل ابن أعثم الكوفي حادثة مشابهة لهذه الحادثة، ولكنه يذكر أباهريرة بدل أبي أُمامة في الوسطاء وأن عدد الناس [من أنصار الإمام عليه السلام الذين خرجوا مسربلين في الحديد كان عشرة آلاف رجل[١].

يقول ابن قتيبة: **إن أباهريرة وأباالدرداء انصرفا إلى منزلهما بحمص، فلما قدما حمص لقيهما عبدالرحمن بن عثمان فسألهما عن مسيرهما فقصا عليه القصة، فقال: العجب منكما أنكما من صحابة رسول الله. أما والله لئن كففتما أيديكما ما كففتما ألسنتكما. أتأتيان علياً وتطلبان إليه قتلة عثمان وقد علمتما أن المهاجرين والأنصار لو حرموا دم عثمان نصروه وبايعوا علياً على قتلته** (اشترطوا عليه الاقتصاص له من قتلته)، **فهل فعلوا؟ وأعجب من ذلك رغبتكما عما صنعوا وقولكما لعلي اجعلها شورى واخلعها من عنقك، وإنكما لتعلمان أن من رضي بعلي خير ممن كرهه وأن من بايعه خير ممن لم يبايعه. ثم صرتما رسولي رجل من الطلقاء لا تحل له الخلافة**[٢].

لقد أشار عبدالرحمن بن عثمان إلى نقاط هامة، لأنه لا أحد من الصحابة بما فيهم المهاجرون والأنصار الذين بايعوا أمير المؤمنين عليه السلام، يطالب بدم عثمان رغم علمهم بأن خليفة المسلمين لا يصعب عليه أن يقتص لعثمان. إن عدم مبالاة الصحابة بهذا الأمر يكشف عن درجة سخطهم من المخالفات التي ارتكبها عثمان وعماله وأنهم كانوا راضين بقتله.

وينقل سليم بن قيس هذه القضية بمزيد من التفصيل، ويذكر أباأُمامة بدل أبي هريرة سفيراً لمعاوية. ونظراً لأهمية ما قيل في هذه الحادثة فلابد من تقديم تقرير عنها. فقد توجه أبوالدرداء وأبوهريرة إلى أمير المؤمنين عليه السلام ونقلا إليه رسالة معاوية، وذلك قوله: **والله إني لأعلم أنك أولى الناس بالخلافة وأحق بها مني لأنك من المهاجرين الأولين وأنا من الطلقاء وليس لي مثل سابقتك في الإسلام وقرابتك من رسول الله وعلمك بكتاب الله وسنة نبيه. ولقد بايعك المهاجرون**

---

(١) "قال: فوقعت الصيحة في العسكر بهذا الخبر، فوثب من عسكر علي أكثر من عشرة آلاف رجل في أيديهم السيوف وهم يقولون: نحن كلنا قتلنا عثمان. قال: فبقي أبوهريرة وأبوالدرداء متحيرين". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٥٨، ثم رجعنا إلى الخبر ؛ **الأخبار الطوال**، ص٢٥٠، وساطة أبي أُمامة وأبي الدرداء.

(٢) **الإمامة والسياسة**، ج١، ص١٠٨، قدوم أبي هريرة وأبي الدرداء على معاوية وعلي.

والأنصار بعد ما تشاوروا فيك قبل ثلاثة أيام، ثم أتوك فبايعوك طائعين غير مكرهين. وكان أول من بايعك طلحة والزبير، ثم نكثا بيعتك وظلماك وطلبا ما ليس لهما[١].

بعد أن تطرق معاوية إلى معركة الجمل ونقض البيعة من قبل طلحة والزبير وما ألحقاه من ظلم بالإمام علي عليه السلام، عاد فتناول قتل عثمان فقال: **أنا ابن عم عثمان ووليه والطالب بدمه. فإن كان الأمر كما قلت فأمكنّا من قتلة عثمان وادفعهم إلينا نقتلهم بابن عمنا ونبايعك ونسلم إليك الأمر**[٢].

قرأ أمير المؤمنين عليه السلام كتاب معاوية ثم قال لأبي هريرة وأبي الدرداء: **قد أبلغتماني ما أرسلكما به معاوية، فاسمعا مني ثم أبلغاه عني كما أبلغتماني عنه وقولا له: إن عثمان بن عفان لا يعدو أن يكون أحد رجلين ؛ إما إمام هدىً حرام الدم واجب النصرة لا تحل معصيته ولا يسع الأُمة خذلانه، أو إمام ضلالة حلال الدم لا تحل ولايته ولا نصرته. فلا يخلو من إحدى الخصلتين. والواجب في حكم الله وحكم الإسلام على المسلمين بعد ما يموت إمامهم أو يقتل ضالاً كان أو مهتدياً، مظلوماً كان أو ظالماً، حلال الدم أو حرام الدم، أن لا يعملوا عملاً ولا يحدثوا حدثاً ولا يقدموا يداً ولا رجلاً ولا يبدأوا بشيء قبل أن يختاروا لأنفسهم إماماً عفيفاً عالماً ورعاً عارفاً بالقضاء والسنة، يجمع أمرهم ويحكم بينهم ويأخذ للمظلوم من الظالم حقه ويحفظ أطرافهم ويجبي فيئهم ويقيم حجهم وجمعتهم ويجبي صدقاتهم. ثم يحتكمون إليه في إمامهم المقتول ظلماً ويحاكمون قتلته إليه ليحكم بينهم بالحق.**

فإن كان إمامهم قتل مظلوماً حكم لأوليائه بدمه، وإن كان قتل ظالماً نظر كيف الحكم في ذلك. هذا أول ما ينبغي أن يفعلوه أن يختاروا إماماً يجمع أمرهم، إن كانت الخيرة لهم، ويتابعوه ويطيعوه. وإن كانت الخيرة إلى الله عزّ وجلّ وإلى رسوله فإن الله قد كفاهم النظر في ذلك والاختيار ورسول الله صلى الله عليه وآله قد رضي لهم إماماً وأمرهم بطاعته واتباعه، وقد بايعني الناس بعد قتل عثمان ؛ بايعني

---

(١) "إن معاوية دعا أباالدرداء ونحن مع أميرالمؤمنين عليه السلام بصفين ودعا أباهريرة فقال لهما: انطلقا إلى علي فاقرآه مني السلام وقولا له: والله .. لهما". **كتاب سليم بن قيس الهلالي**، ج٢، ص٧٤٨، الحديث الخامس والعشرون.

(٢) **كتاب سليم بن قيس الهلالي**، ج٢، ص٧٤٩، الحديث الخامس والعشرون.

المهاجرون والأنصار بعد ما تشاوروا في ثلاثة أيام. وهم الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان وعقدوا إمامتهم ولى (هكذا: م) ذلك أهل بدر والسابقة من المهاجرين والأنصار. غير أنهم بايعوهم قبلي على غير مشورة من العامة، وإن بيعتي كانت بمشورة من العامة. فإن كان الله جلّ اسمه قد جعل الاختيار إلى الأُمة وهم الذين يختارون وينظرون لأنفسهم، واختيارهم لأنفسهم ونظرهم لها خير لهم من اختيار الله ورسوله، وكان من اختاروه وبايعوه بيعته بيعة هدى وكان إماماً واجباً على الناس طاعته ونصرته، فقد تشاوروا فيّ واختاروني بإجماع منهم. وإن كان الله عزّ وجلّ هو الذي يختار له الخيرة، فقد اختارني للأُمة واستخلفني عليهم وأمرهم بطاعتي ونصرتي في كتابه المنزل وسنة نبيه، فذلك أقوى لحجتي وأوجب لحقي. ولو أن عثمان قتل على عهد أبي بكر وعمر كان لمعاوية قتالهما والخروج عليهما للطلب؟ قال أبوهريرة وأبوالدرداء: **لا.** قال علي عليه السلام: **فكذلك أنا. فإن قال معاوية: نعم، فقولا: إذن يجوز لكل من ظلم بمظلمة أو قتل له قتيل أن يشق عصا المسلمين ويفرق جماعتهم ويدعو إلى نفسه، مع أن ولد عثمان أولى بطلب دم أبيهم من معاوية.** (قال): فسكت أبوالدرداء وأبوهريرة وقالا: **لقد أنصفت من نفسك.** قال علي عليه السلام: **ولعمري لقد أنصفني معاوية إن تم على قوله وصدق ما أعطاني. فهؤلاء بنو عثمان رجال قد أدركوا ليسوا بأطفال ولا مولى عليهم، فليأتوا أجمع بينهم وبين قتلة أبيهم. فإن عجزوا عن حجتهم فليشهدوا لمعاوية بأنه وليهم ووكيلهم وحربهم في خصومتهم وليقعدوا هم وخصائمهم بين يدي مقعد الخصوم إلى الإمام والوالي الذي يقرون بحكمه وينفذون قضاءه. وأنظر في حجتهم وحجة خصمائهم، فإن كان أبوهم قتل ظالماً حلال الدم أبطلت دمه، وإن كان مظلوماً حرام الدم أقدتهم من قاتل أبيهم، فإن شاؤوا قتلوه وإن شاؤوا عفوا وإن شاؤوا قبلوا الدية. وهؤلاء قتلة عثمان في عسكري يقرون بقتله ويرضون بحكمي عليهم ولهم. فليأتني ولد عثمان أو معاوية إن كان وليهم ووكيلهم فليخاصموا قتلته وليحاكموهم حتى أحكم بينهم وبينهم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان معاوية إنما يتجنى ويطلب الأعاليل والأباطيل فليتجن ما بدا له، فسوف يعين الله عليه.** قال أبوالدرداء وأبوهريرة: **قد والله أنصفت من نفسك وزدت على النصفة وأزحت علته وقطعت حجته وجئت بحجة قوية صادقة ما عليها لوم.** ثم خرج أبوهريرة وأبوالدرداء فإذا نحو من عشرين ألف رجل مقنعين بالحديد فقالوا: **نحن قتلة عثمان ونحن مقرون راضون بحكم علي عليه السلام علينا ولنا. فليأتنا أولياء عثمان فليحاكمونا إلى أمير**

المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ في دم أبيهم. فإن وجب علينا القود أو الدية اصطبرنا لحكمه وسلمنا. فقالا: قد أنصفتم ولا يحل لعلي ﴿عليه السلام﴾ دفعكم ولا قتلكم حتى يحاكموكم إليه فيحكم بينكم وبين صاحبكم بكتاب الله وسنة نبيه ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾[١].

هذه الحجة التي قدمها الإمام ﴿عليه السلام﴾ لمبعوثي معاوية تبين أنه ﴿عليه السلام﴾ كان يتعامل مع قتل عثمان على مبانٍ شرعية وعقلية، وأن قتلة عثمان كانوا راضين بتلك المباني ومستعدين لقبول ما يحكم به أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾، ولكن معاوية ومن حوله ما كانوا ليذعنوا لمثل هذا المنطق، لأنهم كانوا مخالفين لأصل خلافة أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ وكانوا يتخذون دم عثمان ذريعة لتحقيق مصالحهم الدنيوية التي تمكنهم من بلوغ غاياتهم القصوى وهي الوصول إلى الحكم.

---

(١) "فلما قرأ علي ﴿عليه السلام﴾ كتاب معاوية وأبلغه أبوالدرداء وأبوهريرة رسالته ومقالته، قال علي لأبي الدرداء: قد أبلغتماني ... نبيه". **كتاب سليم بن قيس الهلالي**، ج٢، ص٧٥٢ ـ ٧٥٥، الحديث الخامس والعشرون.

مكر معاوية

من الأساليب التي كان معاوية يلجأ إليها كثيراً في فترة حكمه وفي حروبه، تضليل الرأي العام وبث الإشاعات. وهو ما اتبعه في حرب صفين من أجل تحقيق الأفضلية التي كان يتمتع بها أمير المؤمنين عليه السلام من حيث السيطرة على ماء الفرات وإضعاف الروح المعنوي لدى جنود جيش الإمام عليه السلام، حيث قام برمي سهم صوب جيش الإمام عليه السلام مكتوب عليه أن معاوية يخطط لتوجيه ماء الفرات صوب معسكر الإمام عليه السلام ليغرق جنوده. وقد رمى بالفعل ذلك السهم وأدى فعله في تزلزل معنويات جيش الإمام عليه السلام رغم تنبيه الإمام لمقاتليه بأن القضية مجرد حرب نفسية كاذبة. ولكن تأثر الجنود واضطرابهم بلغا حداً جعل الإمام عليه السلام يغير مواضع العسكر. فاستغل معاوية ذلك التغيير فاندفع بجيشه إلى المواضع التي كان فيها جيش الإمام عليه السلام واستعاد السيطرة على ماء الفرات. يقول نصر بن مزاحم إن مالك الأشتر، شأنه شأن الأشعث بن قيس، كان ممن تأثر بتلك الحرب النفسية التي قام بها معاوية، وهو ما أدى إلى شماتة أمير المؤمنين عليه السلام[١] على أنه بعد تلك الحادثة وانكشاف خدعة معاوية، عاد جيش الإمام عليه السلام إلى مواضعه السابقة بشجاعة مالك الأشتر[٢].

هناك أكثر من نقطة أساسية جديرة بالتأمل في تقرير نصر بن مزاحم:

(١) "إن معاوية كتب في سهم: من عبد الله الناصح، فإني أُخبركم أن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات فيغرقكم، فخذوا حذركم. ثم رمى معاوية بالسهم في عسكر علي عليه السلام، فوقع السهم في يدي رجل من أهل الكوفة فقرأه ثم أقرأه صاحبه. فلما قرأه وأقرأه الناس أقرأه من أقبل وأدبر قالوا: هذا أخر (هكذا: م) ناصح كتب إليكم يخبركم بما أراد معاوية ... ارتحل معاوية حتى نزل على معسكر علي الذي كان فيه. فدعا عليٌ الأشتر فقال: ألم تغلبني على رأيي أنت والأشعث؟ فدونكما! فقال الأشعث: أنا أكفيك يا أميرالمؤمنين، سأُداوي ما أفسدت اليوم من ذلك". **وقعة صفين،** ص١٩٠، حيلة معاوية.

(٢) "بيد الأشعث رمح له يلقيه على الأرض ويقول: امشوا قيس رمحي [هذ]، فيمشون. فلم يزل يقيس لهم الأرض برمحه ذلك ويمشون معه رجالة قد كسروا جفون سيوفهم حتى لقوا معاوية وسط بني سليم واقفاً على الماء وقد جاءه أدنى عسكره. فاقتتلوا قتالاًشديداً على الماء ساعة. وانتهى أوائل أهل العراق فنزلوا، وأقبل الأشتر في خيل من أهل العراق فحمل على معاوية حملة والأشعث يحارب في ناحية [أُخرى]، فانحاز معاوية في بني سليم فردوا وجوه إبله قدر ثلاثة فراسخ". **وقعة صفين،** ص١٩٢، مخالفة الجيش لعلي عليه السلام.

الأولى: أن ادعاءه بعدم امتثال مالك الأشتر لأمير المؤمنين عليه السلام ليس صحيحاً ولا ينسجم مع سيرة مالك. فقد كان تابعاً لأمير المؤمنين عليه السلام طول حياته وما كان يفعل خلاف رأيه. لذا قال عنه الإمام عليه السلام حين استشهد: **رحم الله مالكاً، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله** صلى الله عليه وآله[1].

نعم، لقد كان مالك تام الطاعة والإخلاص لأمير المؤمنين عليه السلام، كما كان أمير المؤمنين عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله ولم يفعل ما يخالف رأي الإمام علي عليه السلام، وقد أثبت ذلك مراراً في حرب صفين. وكان أمير المؤمنين عليه السلام يعرف ذلك عنه جيداً. لذا، بعد أن تم التحكيم وكتبت صحيفته وقال جماعة من المنافقين لعلي عليه السلام: إن مالكاً لا يعبأ بعقدك مع معاوية ولا يرى إلاّ القتال، أجاب عليه السلام: إن كنت راضياً بالصلح فهو راض أيضاً[2] فهل يجوز على مثل هذا أن يخالف رأي أمير المؤمنين عليه السلام؟ حقيقة الأمر أن بعض زعماء العراق الآخرين، كالأشعث، خالفوا أمير المؤمنين عليه السلام في كثير من المواقف، وأرادوا أن يخففوا من أخطائهم بإسقاطها على أمثال الأشتر.

الثانية: أن بعض قادة جيش الإمام عليه السلام كشفوا عن حقيقتهم من بداية الحرب. فإنهم خالفوا تحذيرات أمير المؤمنين عليه السلام من انطلاء خدع معاوية عليهم، فكانت نتيجة تمردهم أن فقد الجيش أفضلية موقعه. وهذا يبين أن قضية التحكيم التي فُرضت فيما بعد على أمير المؤمنين عليه السلام لم تكن وليدة لحظتها. بل إنها حدثت من قبل أشخاص كانوا مرددين في موقف أمير المؤمنين منذ البداية، وكانوا يخالفون أوامره.

---

(١) "كان فارساً شجاعاً رئيساً من أكابر الشيعة وعظمائها، شديد التحقق بولاء أميرالمؤمنين عليه السلام ونصره، وقال فيه بعد موته: رحم الله .. لرسول الله". **شرح نهج البلاغة**، ج١٥، ص٩٨، ذيل الكتاب الثاني عشر، فصل في نسب الأشتر وذكر بعض فضائله.

(٢) "قيل لعلي لما كتبت الصحيفة: إن الأشتر لم يرض بما في الصحيفة ولا يرى إلاّ قتال القوم. فقال علي: بلى إن الأشتر ليرضى إذا رضيت". **وقعة صفين**، ص٥٢١، قول علي عليه السلام في الأشتر.

توقف القتال في محرم وتبادل السفراء

انقضى شهر ذي الحجة على اشتباكات متفرقة بين الجيشين، ولم يُبد أي طرف رغبة في شن هجوم شامل على الطرف الآخر. حتى جاء شهر محرم فتوقف القتال تماماً وتجددت محاولات الجانبين للتوصل إلى مخرج.

كان حبيب بن مسلمة[1] أحد سفراء معاوية الذين كانوا يتهمون الإمام علياً عليه السلام بالضلوع في قتل عثمان ويصرون على تسليم القتلة. فقال للإمام عليه السلام: **فادفع إلينا قتلة عثمان إن زعمت أنك لم تقتله، نقتلهم به، ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم يولي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم**[2]. واضح من طلب حبيب بن مسلمة أن جبهة الشام كانت تستهدف ما هو أبعد من دم عثمان، وكانت لا تريد لأمير المؤمنين عليه السلام أن يبقى على مسند الحكم. لأن حكم علي عليه السلام لا ينسجم مع مصالحهم. وحتى لو سلّم الإمام عليه السلام قتلة عثمان وكان هناك فرصة للاقتصاص منهم لما كف الحزب الأُموي عن البحث عن ذريعة أُخرى لمعارضة أمير المؤمنين عليه السلام، وما كانوا ليقنعوا بأقل من عزله عن الحكم.

---

(١) اختير حبيب بن مسلمة في عهد عمر بن الخطاب والياً للجزيرة. ثم ولاّه على أرمينيا وآذربايجان كذلك. كان أهل الشام يبجلونه ويعتبره بعضهم مستجاب الدعوة!!! بعد مقتل عثمان، حرص على ملازمة معاوية ومعاضدته في جميع حروبه. فاختاره معاوية والياً على أرمينيا وفيها مات سنة ٤٢ هجرية. في حرب صفين واجهه الإمام الحسن عليه السلام فوجّه إليه كلاماً كشف فيه عن سريرته، فقد قال له: يا حبيب! كم سبيلاً في معصية الله سرت!؟ فقال حبيب: ولكن السبيل الذي سرته نحو أبيك (حرب صفين) لم تكن منها. فقال عليه السلام: بلى والله، ولكنك تبعت معاوية من أجل نعمة قليلة وهوى نفسك. ولئن عمر دنياك فقد أفنى آخرتك. فإن لم يكن لك من فعل جميل فليكن قولك جميلاً لعلك تكون من الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً. ولكنك ممن ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون. وكان حبيب ممن كان يلعنهم أميرالمؤمنين عليه السلام بعد الصلاة. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**،ج١، ص٣٨١، ترجمة حبيب بن مسلمة الفهري، الرقم ٤٨٨ ؛ **وقعة صفين**، ص٥٢٢، ثأر زيد بن عدي لحابس بن سعد الطائي ولحاقه بمعاوية.

(٢) "أن معاوية بعث إلى علي حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الأخنس، فدخلوا عليه وأنا عنده فحمد الله حبيب وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإن عثمان بن عفان كان خليفة مهدياً يعمل بكتاب الله عزّ وجلّ وينيب إلى أمر الله تعالى فاستثقلتم حياته واستبطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه. فادفع ... رأيهم". **تاريخ الطبري**، ج٣، ص٨٠، حوادث سنة ٣٧ هجرية.

أمير المؤمنين عليه السلام يتم الحجة على شرحبيل وينتقد الخلفاء

ردّ الإمام عليه السلام على حبيب بن مسلمة بردّ شديد اللهجة، ولكنه تعامل بطريقة مختلفة مع شرحبيل الذي جاء للوساطة فقال له: **أما بعد، فإن الله بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنقذ به من الضلالة ونعش به من الهلكة وجمع به بعد الفرقة. ثم قبضه إليه وقد أدى ما عليه. ثم استخلف الناس أبابكر، ثم استخلف أبوبكر عمر... وقد وجدنا عليهما أن توليا الأمر دوننا ونحن آل الرسول... ثم ولي أمر الناس عثمان فعمل بأشياء عابها الناس عليه، فسار إليه الناس فقتلوه. ثم أتاني الناس وأنا معتزل أمرهم فقالوا لي: بايع! فأبيت عليهم. فقالوا لي: بايع فإن الأُمة لا ترضى إلاّ بك وإنا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس. فبايعتهم، فلم يرعني إلاّ شقاق رجلين قد بايعاني وخلاف معاوية إياك الذي لم يجعل الله له سابقة في الدين ولا سلف صدق في الإسلام، طليق ابن طليق وحزب من الأحزاب، لم يزل لله ولرسوله وللمسلمين عدواً هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين مكرهين. فعجبنا لكم ولإجلابكم معه وانقيادكم له وتدعون أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافهم ولا أن تعدلوا بهم أحداً من الناس. إني أدعوكم إلى كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم وإماتة الباطل وإحياء معالم الدين أقول قولي هذا وأستغفر الله لنا ولكل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة**[1]. يتضمن كلام أمير المؤمنين عليه السلام مع شرحبيل بن السمط نقاطاً هامة، نشير هنا إلى بعضها:

الأُولى: أن أمير المؤمنين عليه السلام انتقد الخلفاء مراتٍ لغصبهم الخلافة وحق أهل البيت.

الثانية: أنه عليه السلام يرى المخالفات التي ارتكبها عثمان السبب الرئيس في قتله، إذ بسببها ثار الناس عليه. ولم يلُم الإمام عليه السلام الناس الذين ثاروا عليه. وهذا يبين أنه عليه السلام ـ على فرض ـ انه لم يكن راضياً عن قتل عثمان فإنه لم ينتقد الناس على ما فعلوا.

---

(١) "فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، ... ومسلمة". **وقعة صفين**، ص٢٠٠، رسل معاوية إلى علي عليه السلام.

الثالثة: أن معاوية وآباءه وأجداده كانوا منذ البداية معادين للإسلام، وأن دخولهم في الإسلام كان بالإكراه، فلم يسلموا حقيقة أبداً.

الرابعة: أن أهل البيت لم يكن يقاس بهم أحد ولا يعادلهم أحد في فضائلهم.

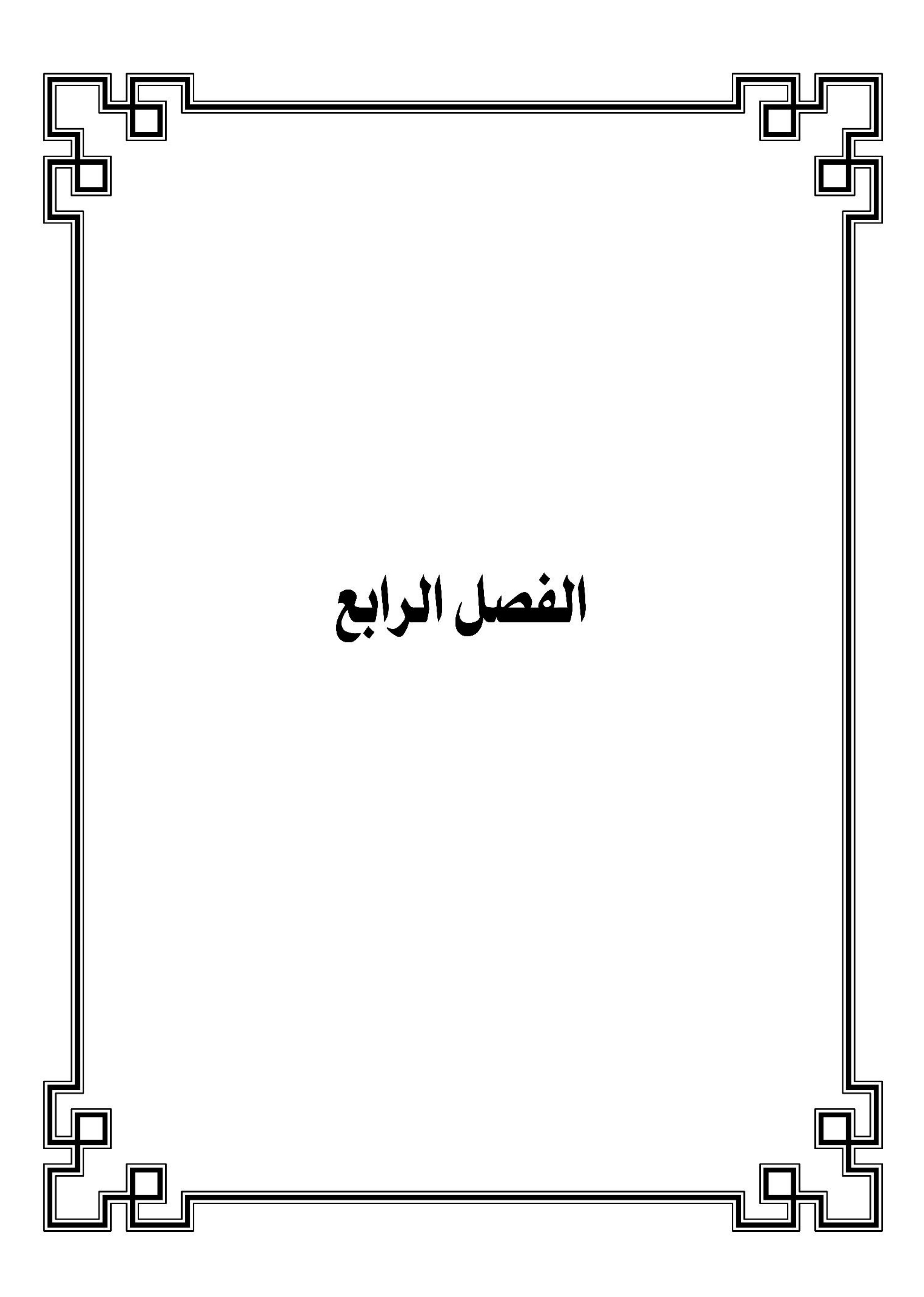
هل قتل عثمان مظلوماً؟

لم يؤثر كلام الحق الذي قاله أمير المؤمنين عليه السلام في شرحبيل. وبدلاً من أن يذعن للحق ويقر بأخطائه ويتراجع عن طريق الباطل، ردّ على أمير المؤمنين عليه السلام بأن قال: **أتشهد أن عثمان قتل مظلوماً؟** فقال لهما (شرحبيل ومعن بن يزيد): **إني لا أقول ذلك.** قالا: **فمن لم يشهد بأن عثمان قتل مظلوماً فنحن برآء منه.** ثم قاما فانصرفا[1].

النقطة الهامة التي في كلام أمير المؤمنين عليه السلام لشرحبيل هي أنه بالرغم من أن الإمام عليه السلام لم يشترك في قتل عثمان فإنه لا يراه قتل مظلوماً. لأنه عليه السلام طالما نبّه عثمان على ضرورة إصلاح تصرفاته، واعتبرها مخالفة للشرع وأنها هي المسؤولة عن قتله.

---

(١) "قال له شرحبيل ومعن بن يزيد: أتشهد ... فانصرفا". **تاريخ الطبري،** ج٣، ص٨١، حوادث سنة ٣٧ هجرية ؛ **شرح نهج البلاغة**،ج٤، ص٢٤، من أخبار يوم صفين.



الفصل الرابع

حرب شاملة

مع بداية شهر صفر من سنة ٣٧ هجرية انتهى وقف القتال الذي استمر شهراً واحداً، واختار كل طرف قادته ووضع جيشه في وضع التأهب للقتال[(١)].

خُلُق الجهاد

خطب أمير المؤمنين عليه السلام في جيشه وبيّن للمقاتلين أخلاق الجهاد، فقال لهم:

ـ أن لا يبدأوا أهل الشام بالقتال، لتتم عليهم الحجة.

ـ إذا تحقق لهم النصر فلا يقتلوا الهاربين ولا يجهزوا على الجرحى.

ـ أن لا يجردوا القتلى من ثيابهم ليغتنموها.

ـ أن لا يمثلوا بقتيل.

ـ إذا تمكنوا من معسكر الأعداء فلا ينتهكوا حرماتهم ولا يدخلوا داراً إلاّ بإذنه.

ـ أن لا يغتنموا إلاّ ما حصلوا عليه في ميدان الحرب

ـ أن لا يؤذوا امرأة حتى وإن شتمتهم وشتمت قادتهم أو صلحاءهم[(٢)].

---

(١) **وقعة صفين**، ص٢٠٢، إعلان الحرب.

(٢) "أن علياً عليه السلام كان يأمرنا في كل موطن لقينا معه عدوه يقول: لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وتركهم إياهم حتى يبدأوكم حجة أُخرى لكم عليهم. فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل. فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً إلاّ بإذني، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلاّ ما وجدتم في عسكرهم. ولا تهيجوا امرأة بأذىً وإن شتمن أعراضكم وتناولن أُمراءكم وصلحاءكم". **وقعة صفين**، ص٢٠٣، خطبة علي عند كل لقاء للعدو.

قادة جيش أمير المؤمنين عليه السلام

يفيد مختلف الوثائق التاريخية بأن أمير المؤمنين عليه السلام نظم صفوف جيشه لمواجهة جيش الشام على النحو التالي:

جعل الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام وعبدالله بن جعفر ومسلم بن عقيل[١] على الميمنة. وجعل محمد بن الحنفية[٢] ومحمد بن أبي بكر وهاشم بن عتبة المرقال على الميسرة.

أما القلب فجعل عليه عبدالله بن عباس والعباس بن ربيعة بن الحارث[٣] ومالك الأشتر والأشعث بن قيس. وعلى الجناح جعل سعيد بن قيس وعبدالله بن بديل ورفاعة بن شداد[٤] وعدي بن حاتم.

---

(١) مسلم بن عقيل من أصحاب أميرالمؤمنين والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام. تزوج من رقية بنت الإمام علي عليه السلام فأنجبت له عبد الله ومحمداً استشهدا في سبيل الحسين عليه السلام. بعث به الإمام الحسين عليه السلام سفيراً إلى الكوفة ولكن أهل الكوفة غدروا به وأسلموه فاستشهد على أيدي أزلام عبيدالله بن زياد. يقول عنه السيد الخوئي: لا يمكن وصف عظمته بالكلمات. **معجم رجال الحديث**، ج١٨، ص١٤٩، ترجمة مسلم بن عقيل، الرقم ١٢٣٣٣؛ **مستدركات علم رجال الحديث**، ج٧، ص٤١٣، ترجمة مسلم بن عقيل، الرقم ١٤٩١٢.

(٢) هو محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام، لقب بابن الحنفية. أُمه خولة بنت جعفر بن قيس بن سلمة بن ثعلبة بن دول بن حنفية. كانت من أسرى اليمامة الذين أُسروا بسبب موالاتهم لأميرالمؤمنين عليه السلام. أُريد لها أن تباع ولكن أميرالمؤمنين عليه السلام تزوجها. لم يشهد محمد بن الحنفية واقعة كربلاء. ويرى بعض العلماء، أمثال العلاّمة الحلي، أن المرض منعه من ذلك. **تنقيح المقال في علم الرجال**، ج٣، ص١١١، ترجمة محمد بن الحنفية.

(٣) العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالملك أحد القادة المحاربين في جيش أميرالمؤمنين عليه السلام وهو من بني هاشم. برز في معركة صفين وقتل الرجل الذي برز له بمنتهى الشجاعة. فدعاه أميرالمؤمنين عليه السلام وقال له: ألم أنهك والحسنين وعبد الله بن جعفر من المبارزة الفردية؟ قال: بلى، ولكن كيف لي أن أُدعى إلى البراز فلا أُجيب، جعلت فداك؟ فقال عليه السلام: طاعة الإمام أولى من الإجابة إلى مبارزة العدو. إن معاوية يود أن لا يبقى رجل من بني هاشم على وجه الأرض. استشهد في معركة صفين. **قاموس الرجال**، ج٦، ص١١، ترجمة العباس بن ربيعة بن الحارث، الرقم ٣٨٩١.

(٤) يعد الشيخ الطوسي رفاعة بن شداد من أصحاب أميرالمؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام. سجنه عبيدالله بن زياد في أيام عاشوراء فلم يتمكن من نصرة الإمام الحسين عليه السلام. كان من رؤساء التوابين الذين ثاروا مع المختار بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام. على أنه كان متردداً بشأن أهداف ثورة المختار وقاتل ضده إلى جانب عبيدالله بن زياد. ولكن ما إن اتضحت له الصورة حتى التحق بالمختار وكانت عاقبته خيراً، إذ استشهد في سبيل الثأر لشهداء كربلاء. **قاموس الرجال**، ج٤، ص٣٧٨، ترجمة رفاعة بن شداد، الرقم ٢٨٧١.

أما القوات الساندة الكامنة فكانت بقيادة عمار بن ياسر وعمرو بن الحمق وعامر بن واثلة[1] وقبيصة بن جابر الأسدي.

(١) يعد الشيخ الطوسي عامر بن واثلة من صحابة رسول الله ﷺ. ولد يوم غزوة أُحد. كنيته أبوالطفيل. أدرك ثمانية أعوام من حياة النبي ﷺ. وكان من خاصة أصحاب أميرالمؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام. قاتل في صفين قتالاً شديداً، ثم جاء إلى الإمام عليه السلام وقال له: يا أميرالمؤمنين! لقد أخبرتنا أن أشرف قتلة هي الشهادة وأنفع الأعمال الصبر والثبات. وها قد استشهد خلصاء أصحابنا وبقي الضعفاء. ولكن لنا ديناً لا يعتريه الهوى والشهوة، وإيماناً لا يعتريه الشك. فأيده الإمام عليه السلام وأثنى عليه. إن موقف أميرالمؤمنين عليه السلام المؤيد لكلام أبي الطفيل يدل على صدق إيمانه وإخلاصه. وقال الإمام عليه السلام لأبي الطفيل في موضع آخر: لو أمرت الشيعة بما أعلم من كتاب الله بصفتي أميراً للمؤمنين لتفرقوا عني ولم يبق منهم إلاّ القليل. فسأله أبوالطفيل: هل يبقى أمثالي على الوفاء أم نتفرق مع من يتفرق عنك؟ فقال عليه السلام: بل تثبتون. كان أبوالطفيل يحب أميرالمؤمنين عليه السلام حباً خاصاً. فقد سأله معاوية بعد استشهاد الإمام عليه السلام: ما تحس نحو صاحبك أبي الحسن؟ فقال أبوالطفيل: إني أحزن لفراق علي عليه السلام كما حزنت أُم موسى عليه السلام عند فراقه. **قاموس الرجال**، ج٥، ص٦٢٧، ترجمة عامر بن واثلة، الرقم ٣٨٧٣.

قادة جيش معاوية

لما رأى معاوية استعداد الإمام عليه السلام وجيشه للقتال، قام هو بتنظيم صفوف جيشه على النحو التالي: على الميمنة جعل ذا الكلاع وحوشب، وعلى الميسرة عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة، وعلى وسط الجيش جعل الضحاك بن قيس وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد. كما جعل بسر بن أرطاة[١] في مؤخرة العسكر، وعلى الجناح وجانب العسكر عبدالله بن مسعدة وهمام بن قبيصة[٢] وأسند قيادة قوات الكمن إلى أبي الأعور السلمي وحابس بن سعد[٣].

---

(١) بسر بن أرطاة كان من أشد النواصب عداوة للإمام علي ولأهل البيت عليهم السلام، ومن أنصار عثمان وقادة جيش معاوية. أصابته دعوة الإمام علي عليه السلام فذهب عقله. **الطبقات الكبرى**، ج٧، ص٤٠٩، ترجمة بسر بن أرطاة. اختلف علماء السنة حول تاريخ ولادته. ففي حين يرى أغلب علماء التراجم والرجال من أهل السنة أنه ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله بسنتين، توجد وثائق تفيد بأنه ولد قبل ذلك بسنوات. يعتبره أبوالحسن الدارقطني من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنه يضعفه ويجرحه، فيقول: لم يستقم بسر بن أرطاة على السبيل الصحيح بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله. هو الذي قتل ابني عبيدالله بن عباس وهما صغيران. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج١، ص٢٤١ و٢٤٢، ترجمة بسر بن أرطاة، الرقم ١٧٥. كما أسلفنا، فإن بسر بن أرطاة كان من ألدّ أعداء الإمام علي عليه السلام. عينه معاوية والياً على البصرة حوالي سنة ٤٢ هجرية فشغل المنصب نحواً من ستة أشهر. صعد المنبر يوماً وشتم الإمام علياً عليه السلام بكلمات نابية ثم قال للحاضرين: أستحلفكم بالله إن كان ما قلته في علي هو الحق. فقال له أبوبكرة: والله إن ما قلته في علي ليس حقاً بل كذب. فأمر بسر بضربه فضرب حتى غاب عن الوعي. **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص٤٥٢، حوادث سنة ٤١، ذكر ولاية بسر على البصرة ؛ **المنتظم في تواريخ الملوك والأمم**، ج٤، ص٨، سنة ٤١ وفي هذه السنة غلب حمران بن أبان على البصرة. ارتكب بسر بن أرطاة جرائم كثيرة في حياته وقتل الكثير من شيعة أميرالمؤمنين عليه السلام ومحبيه في عهد معاوية، وهو ما سنتناوله في الفصل الأخير من الكتاب. يفيد العديد من التقارير التاريخية أن بسر بن أرطاة مات سنة ٨٦ هجرية في عهد عبدالملك بن مروان تاركاً الدنيا حاملاً جبالاً من الجرائم والجنايات. **الثقات**، ج٣، ص٣٦، ترجمة بسر بن أرطاة ؛ **أنساب الأشراف**، ج٣، ص٢١٦، غارة بسر ين أبي أرطاة ؛ **الطبقات الكبرى**، ج٧، ص٤٠٩، ترجمة بسر بن أبي أرطاة ؛ **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، ج١، ص٢١١، ترجمة بسر بن أرطاة، الرقم ٤٩.

(٢) كان همام بن قبيصة من قواد جيش معاوية في صفين. وكان يبغض أميرالمؤمنين عليه السلام بشدة. وكان ممن يكثر من شتمه عليه السلام. **وقعة صفين**، ص٣٩٧، حملة عدي بن حاتم.

(٣) "فجعل على ميمنته الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر ومسلم بن عقيل، وعلى ميسرته محمد بن الحنفية ومحمد بن أبي بكر وهاشم بن عتبة المرقال، وعلى القلب عبد الله بن العباس وعباس بن ربيعة بن الحارث والأشتر والأشعث، وعلى الجناح سعيد بن قيس الهمداني وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ورفاعة بن شداد البجلي وعدي بن حاتم، وعلى الكمين عمار بن ياسر وعمرو بن الحمق وعامر بن واثلة الكناني وقبيصة بن جابر الأسدي. وجعل معاوية على ميمنته ذاالكلاع الحميري وحوشب

أشهر ما امتاز به قادة معاوية الخوف والجبن. فلم يشترك أغلبهم في القتال واتخذوا من الجنود تروساً لهم قدر ما استطاعوا. وكان ذلك من الوضوح بحيث احتج أحد كبراء الشام على معاوية فقال له: **يا معاوية! إنه قتل في هذا اليوم منا سبعمائة رجل من مقاتلة أهل الشام ولم يقتل من أصحاب علي إلاّ أقل من ذلك، وأنت الذي تفعل بنا ذلك، لأنك تولي علينا من لا يقاتل معنا، مثل عمرو بن العاص وبسر بن أبي** (هكذا: م) **أرطاة وعبدالرحمن بن خالد وعتبة بن أبي سفيان. وكل واحد من هؤلاء إنما يقاتل ساعة ثم يخرج من الغبار**[1].

معاوية يرشو معارضي الحرب

كما أسلفنا، فإن قادة جيش معاوية في صفين كانوا يفرون من القتال بمجرد أن يواجهوا أدنى خطر. وإذا كان هذا حال القادة فإن ذلك يؤثر بشدة على المقاتلين ويثبط عزيمتهم. لاحظ معاوية ذلك وأدرك أنه لن ينال النصر بهذه الحالة، فدعا جنده وقال لهم: **يا أهل الشام! دعوا ما مضى. إني أُريد منكم اليوم أن تجدّوا في حربكم وتقدموا عزمكم وتفرغوا مجهودكم، وسلوني حوائجكم** (قال): **فوثب عك والأشعريون فقالوا: يا معاوية! إننا قد قاتلنا معك علي بن أبي طالب، ثم إن قلوبنا لتميل إليه لأننا لا نشك في حقه ولا نشك في باطلك. غير أننا قوم** (أشعريون يمنيون) **من أهل الشام، فلم تحب** (هكذا، ربما نحب: م) **أن تخرج أيدينا من طاعتك وقد علمت أنه ليس لنا ضياع ولا قرى. إنما نحن أصحاب إبل وغنم، فنريد منك الفرض والقطائع والعقارات، وإلاّ قلبنا أعنة الخيل إلى غيرك.** فقال معاوية: **نعم والله، وكرامة لكم، فهاتوا ما الذي تريدون؟** قالت عك: **أما نحن**

ذاالظليم، وعلى الميسرة عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة، وعلى القلب الضحاك بن قيس الفهري وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد، وعلى الساقة بسر بن أرطاة الفهري، وعلى الجناح عبد الله بن مسعدة الفزاري وهمام بن قبيصة النمري، وعلى الكمين أباالأعور السلمي وحابس بن سعد الطائي". **مناقب آل أبي طالب**، ج٣، ص١٦٨، في حرب صفين.

(١) "أقبل إلى معاوية رجل من أجلاء أهل الشام حتى وقف بين يديه، فقال: يا معاوية! .. الغبار". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٣٠، ذكر ما كان بعد ذلك من القتال.

فإننا نريد الفرض والعطاء. وقال الأشعريون: **نريد منك أن تقطعنا حوران**[١] **والتثنية** (هكذا: م) **فيكون لنا ولعقبنا من بعدنا.** فقال معاوية: **فإني قد فعلت ذلك وكرامة لكم**[٢].

---

(١) حوران منطقة واسعة من دمشق تضم الكثير من القرى ذات الأراضي الخصبة. **معجم البلدان**، ج٢، ص٣١٧، حوران.

(٢) "فلما كان من غد، وثب معاوية فعبأ أصحابه ثم قال: يا أهل الشام! ... لكم". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٣١، ذكر ما كان بعد ذلك من القتال.

خيانة بعض أنصار أمير المؤمنين عليه السلام وحبهم للدنيا

سمع أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام بما بذله معاوية لقادة جيشه، فتحركت أطماع من في قلوبهم مرض والمشككين، فترك بعضهم الإمام عليه السلام والتحق بمعاوية، فيما تحيّن بعض آخر الفرصة لذلك. وشاعت هذه القضية في جيش الإمام عليه السلام.

لما رأى المنذر بن حفصة الهمداني، وكان من خلّص أصحاب الإمام عليه السلام وأنفذهم بصيرة، ما جرى، قال للإمام عليه السلام: **يا أمير المؤمنين! إن عكاً والأشعريين قد طلبوا من معاوية الفرض والعطاء والعقارات من حوران والثنية** (هكذا: م) **وغير ذلك. قد باعوا الدين بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى. ونحن قد رضينا بالآخرة من الدنيا وبالعراق من الشام وبك من معاوية. واللهِ إننا لنعلم أن آخرتنا لأشرف من دنياهم وأن عراقنا لخير من شامهم وأن إمامنا لأهدى من إمامهم، فعليك بالصبر واحملنا على الموت. فها نحن بين يديك وتحت ركابك.** فأدناه علي عليه السلام منه وقبل بين عينيه وقال: **أبشروا! فإني أرجو من الله أن تكونوا ممن يجاور محمداً صلى الله عليه وآله وسلم غداً في جنة النعيم**[1].

---

(١) "بلغ أصحاب علي [عليه السلام] ذلك، فلم يبق خلق من أهل العراق ممن كان في قلبه مرض أو شك إلاّ وطمع في معاوية وشخص ببصره نحوه أو همّ أن يصير إليه. حتى فشا ذلك في الناس. قال: فوثب المنذر بن حفصة الهمداني إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين! .. النعيم". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٣١، ذكر ما كان بعد ذلك من القتال.

حادثة راية عمرو بن العاص

كان عمرو بن العاص في حرب صفين قد عقد قطعة قماش سوداء، قالوا إن النبي ﷺ أعطاه إياها، في رأس رمح ليتخذها مؤشراً على مشروعيته ومشروعية جيشه ليدخل الشك في قلب الجيش المواجه له. فلما سمع أمير المؤمنين عليه السلام بذلك قال: **هل تدرون ما أمر هذا اللواء؟ إن عدو الله عمرو بن العاص أخرج له رسول الله ﷺ هذه الشقة فقال: من يأخذها بما فيها؟ فقال عمرو: وما فيها يا رسول الله ﷺ** قال: **فيها أن لا تقاتل به مسلماً ولا تقربه من كافر، فأخذها. فقد والله قرّبه من المشركين وقاتل به اليوم المسلمين. والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر. فلما وجدوا أعواناً رجعوا إلى عدواتهم** (هكذا: م) **منا، إلاّ أنهم لم يدَعوا الصلاة**[١].

دعوة إلى المبارزة

شهد شهر صفر ذروة الاشتباكات بين الفريقين، وفي كل يوم كان يتقاتل فريقان. وفي واحد من تلك الأيام دعا أمير المؤمنين عليه السلام معاوية إلى البراز وقال له: **ويحك! علام يقتتل الناس بيني وبينك ويضرب بعضهم بعضاَ؟ ابرز إليّ، فأينا قتل صاحبه فالأمر له.** فالتفت معاوية إلى عمرو فقال: **ما ترى يا أباعبدالله فيما هاهنا، أُبارزه؟** فقال عمرو: **لقد أنصفك الرجل، واعلم أنه إن نكلت عنه لم تزل سبة عليك وعلى عقبك ما بقي عربي.** فقال معاوية: **يا عمرو بن العاص! ليس مثلي يخدع عن نفسه. والله ما بارز علي بن أبي طالب رجلاً قط إلاّ سقى الأرض من دمه**[٢].

---

(١) "عن شيخ من بكر بن وائل قال: كنا مع علي بصفين، فرفع عمرو بن العاص شقة خميصة سوداء في رأس رمح، فقال ناس: هذا لواء عقده له رسول الله ﷺ. فلم يزالوا كذلك حتى بلغ علياً، فقال: هل تدرون ... الصلاة". **وقعة صفين**، ص٢١٥، القول في إيمان أهل الشام.

(٢) "قام علي بين الصفين ثم نادى: يا معاوية! يكررها. فقال معاوية: اسألوه ما شأنه؟ قال: أُحب أن يظهر لي فأُكلمه كلمة واحدة. فبرز معاوية ومعه عمرو بن العاص. فلما قارباه لم يلتفت إلى عمرو وقال لمعاوية: ويحك! ... دمه". **وقعة صفين**، ص٢٧٤، طلب علي من معاوية أن يبارزه.

بعد حرب صفين، أعرب معاوية عن عتبه على عمرو بن العاص لتلك المشورة، الأمر الذي جعل معاوية يسيء الظن بعمرو بن العاص. وتذكر بعض المصادر أن معاوية، بعد ما سمع رأي عمرو بن العاص، قال له: **طمعت فيها** (يعني الخلافة) **بعدي**[١].

الشيء الوحيد الذي جمع معاوية وعمرو بن العاص هو مواجهة أمير المؤمنين عليه السلام فقد كان أساس صداقتهما وتقاربهما المصالح الشخصية، وكان كل منهما على حذر من مكر صاحبه. لذا، فبعد أن تحقق لعمرو بن العاص ما أراد من حكم مصر، امتنع من إجابة معاوية إلى إرسال خراج مصر إليه، فهو لم يعد بحاجة إليه.

ممانعة أخي معاوية

لما دعا أمير المؤمنين عليه السلام معاوية إلى المبارزة، منع عتبة بن أبي سفيان أخاه معاوية من البراز إليه، لعلمه الكامل بشجاعة علي بن أبي طالب عليه السلام بعد أن شاهدها بعينه في حروب صدر الإسلام، وقال لمعاوية: **الهُ عن كلام علي حتى كأنك لم تسمعه. فإنك تعلم أنه قد قتل غلامك حريثاً وفضح عمرو بن العاص وليس أحد من العرب يقدم على مبارزة علي إلاّ وهو من نفسه آيس. فإياك ومبارزته! فإنه والله لئن برزت إليه لا شممت رائحة الحياة بعدها أبداً**[٢].

---

(١) "نادى معاويةَ فقال: علام يقتتل الناس بيننا؟ هلم أُحاكمك إلى الله، فأينا قتل صاحبه استقامت له الأُمور. فقال له عمرو: أنصفك. فقال له معاوية: ما أنصفت، إنك لتعلم أنه لم يبرز له أحد إلاّ قتله. فقال له عمرو: ما يحسن بك ترك مبارزته. فقال له معاوية: طمعت فيها بعدي". **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص٣٨٢، حوادث سنة ٣٧ هجرية ؛ **الأخبار الطوال**، ص٢٦٢، طلب علي عليه السلام من معاوية أن يبارزه.

(٢) "فسمع معاوية كلام علي عليه السلام فقال: والله لقد دعاني إلى النزال حتى لقد استحييت من قريش. قال: فقال له أخوه عتبة: الهُ .... أبداً". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٠٣، ثم رجعنا إلى الخبر.

شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام

في حرب صفين، تجنّب مبارزةَ أمير المؤمنين عليه السلام أُولئك الذين كانوا على علم بشجاعته، لأنهم كانوا يعلمون أنهم ليسوا أكفاء له وأن احتمال فوزهم عليه صفر. ونقتبس هنا مقاطع من ابن أبي الحديد تبين بشكل جميل شجاعته عليه السلام في الحروب. يقول: **وأما الشجاعة فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله ومحا اسم من يأتي بعده. ومقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة. وهو الشجاع الذي ما فرّ قط ولا ارتاع من كتيبة ولا يبارز أحداً إلاّ قتله ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأُولى إلى ثانية. وفي الحديث "كانت ضرباته وتراً". ولما دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو: لقد أنصفك. فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلاّ اليوم. أتأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق؟ أراك طمعت في إمارة الشام بعدي! وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته ؛ فأما قتلاه، فافتخار رهطهم بأنه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر.** (هكذا: م) **قالت أُخت عمرو بن عبدودّ ترثيه:**

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ... بكيته أبداً مادمت في الأبد

لكن قاتله من لا نظير له ... وكان يدعى أبوه بيضة البلد

وانتبه يوماً معاوية فرأى عبدالله بن الزبير جالساً تحت رجليه على سريره، فقعد، فقال له عبدالله يداعبه: يا أمير المؤمنين! لو شئت أن أفتك بك لفعلت. فقال: لقد شجعت بعدنا يا أبابكر. قال: وما الذي تنكره من شجاعتي وقد وقعت في الصف إزاء علي بن أبي طالب! قال: لا جرم إنه قتلك وأباك بيسرى يديه وبقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها. وجملة الأمر أن كل شجاع في الدنيا إليه ينتهي وباسمه ينادى في مشارق الأرض ومغاربها. وأما القوة والأيد فبه يضرب المثل فيهما. قال ابن قتيبة في المعارف: ما صارع أحداً قط إلاّ صرعه، وهو الذي قلع باب خيبر واجتمع عليه عصبة من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه، وهو الذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة، (يوم فتح مكة) **وكان عظيماً جداً، وألقاه إلى الأرض، وهو الذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته بيده عليه السلام بعد**

عجز الجيش كله عنها وأنبط الماء من[١] وعن شجاعته يقول نصر بن مزاحم أنه عليه السلام قتل في ليلة الهرير أكثر من خمسمائة من شجعان الشام ومعروفيها، وقاتل حتى انحنى سيفه حتى اضطر للخروج من ساحة القتال لصقل سيفه[٢].

(١) **شرح نهج البلاغة**، ج١، ص٢٠، القول في نسب أمير المؤمنين عليه السلام وذكر لمع يسيرة من فضائله.

(٢) "إنه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب، يخرج بسيفه منحنياً". **وقعة صفين**، ص٤٧٧، دعاء علي يوم الهرير.

دور عمار بن ياسر المحوري في صفين

كان عمار بن ياسر من الوجوه البارزة في جيش أمير المؤمنين عليه السلام الذين يعرف العدو والصديق منزلته وفضائله. لقد كان وجوده مع أمير المؤمنين عليه السلام سبباً في اطمئنان الكثير ممن كانوا معه وزوال الشك عن قلوبهم بأحقية أمير المؤمنين عليه السلام، وسبباً، في الوقت نفسه، في دخول الشك والترديد في قلوب أهل الشام. وكان لسوابقه الباهرة في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأحاديث الكثيرة الصادرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حقه التي تفيد بأنه تقتله الفئة الباغية[1]، الأثر البالغ في هداية الكثير من الناس. فقد جاء رجل من جيش أمير المؤمنين عليه السلام، وكان في قلبه شك، إلى عمار في صفين وقال له: **إني خرجت من أهلي مستبصراً في الحق الذي نحن عليه لا أشك في ضلالة هؤلاء القوم وأنهم على الباطل. فلم أزل على ذلك مستبصراً حتى كان ليلتي هذه صباح يومنا هذا، فتقدم منادينا فشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونادى بالصلاة، فنادى مناديهم بمثل ذلك. ثم أُقيمت الصلاة فصلينا صلاة واحدة ودعونا دعوة واحدة وتلونا كتاباً واحداً ورسولنا واحد، فأدركني الشك في ليلتي هذه، فبتّ بليلة لا يعلمها إلاّ الله حتى أصبحت، فأتيت أمير المؤمنين فذكرت ذلك له فقال: هل لقيت عمار بن ياسر؟ قلت: لا. قال: فالقه فانظر ما يقول لك فاتبعه. فجئتك لذلك.** قال له عمار: **هل تعرف صاحب الراية السوداء المقابلتي؟ فإنها راية عمرو بن العاص، قاتلتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مرات وهذه الرابعة، ما هي بخيرهن ولا أبرهن، بل هي شرهن وأفجرهن. أشهدت بدراً وأُحداً وحنيناً أو شهدها لك أب فيخبرك عنها؟** قال: **لا.** قال: **فإن مراكزنا على مراكز رايات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر ويوم أُحد ويوم حنين، وإن هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب. هل ترى هذا العسكر ومن فيه؟ فوالله لوددت أن جميع من أقبل مع معاوية ممن يريد قتالنا مفارقاً**

---

(١) "إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمار حين جعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه ويقول بؤس ابن سمية تقتلك الفئة الباغية". **صحيح مسلم**، ج٨، ص١٨٥، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ؛ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٣، ص٢٣٠، ترجمة عمار بن ياسر، الرقم ١٨٨٣ ؛ **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص١٤٢، ترجمة معاوية بن أبي سفيان، الرقم ٢٥.

للذي نحن عليه كانوا خلقاً واحداً فقطعته وذبحته. والله لدماؤهم جميعاً أحل من دم عصفور. أفترى دم عصفور حراماً؟

قال: **لا، بل حلال.** قال: **فإنهم كذلك حلال دماؤهم. أتراني بينت لك؟ قال: قد بيّنت لي.** قال: **فاختر أي ذلك أحببت.** (قال): فانصرف الرجل ثم دعاه عمار بن ياسر فقال: **أما إنهم سيضربوننا بأسيافهم حتى يرتاب المبطلون منكم فيقولون: لو لم يكونوا على حق ما ظهروا علينا. والله ما هم من الحق على ما يقذي عين ذباب. والله لو ضربونا بأسيافهم حتى يبلغونا سعفات هجر لعرفت أنّا على حق وهم على باطل. وأيم الله لا يكون سلماً سالماً أبداً حتى يبوء أحد الفريقين على أنفسهم بأنهم كانوا كافرين وحتى يشهدوا على الفريق الآخر بأنهم على الحق وأن قتلاهم في الجنة وموتاهم. ولا ينصرم أيام الدنيا حتى يشهدوا بأن موتاهم وقتلاهم في الجنة وأن موتى أعدائهم وقتلاهم في النار وكان أحياؤهم على الباطل**(١).

يقول أحد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام عن دور عمار بن ياسر المحوري: **رأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا وادٍ من أودية صفين إلاّ رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتبعونه كأنه علم لهم**(٢) انتاب أحد الأشخاص، في حرب صفين، شك في حقانية الحرب على أهل الشام فسأل عمار بن ياسر: **يا أبااليقظان! ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاتلوا الناس حتى يسلموا، فإذا أسلموا عصموا مني دماءهم وأموالهم؟** قال: **بلى، ولكن والله ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر حتى وجدوا عليه**

---

(١) "عن أسماء بن الحكم الفزاري قال: كنا بصفين مع علي بن أبي طالب تحت راية عمار بن ياسر ارتفاع الضحى استظللنا ببرد أحمر إذ أقبل رجل يستقرئ الصف حتى انتهى إلينا فقال: أيكم عمار بن ياسر؟ فقال عمار بن ياسر: هذا عمار. قال: أبواليقظان؟ قال: نعم. قال: إن لي حاجة إليك فأنطق بها علانية أو سراً؟ قال: اختر لنفسك أي ذلك شئت. قال: لا، بل علانية. قال: فانطق! قال: إني خرجت .. الباطل". **وقعة صفين**، ص٣٢٢، عمار والمستبصر.

(٢) "روى أعمش عن أبي عبد الله السلمي قال: شهدنا مع علي عليه السلام صفين فرأيت عمار ... علم لهم". **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٣، ص٢٢٩، ترجمة عمار بن ياسر، الرقم ١٨٨٣.

أعواناً[١] إذن، كما يقول عمار، فإن الإمام عليه السلام قاتل في صفين أُناساً كانوا مسلمين في الظاهر وهم يضمرون الكفر ويسعون بكل جهدهم إلى إطفاء نور الإسلام.

ينقل المرحوم الشيخ عباس القمي عن البيهقي ما يدل على أن معاوية تظاهر بالدخول في الإسلام ولكنه لم يؤمن أبداً بالإسلام ونبيه وكتابه. يقول الشيخ عباس القمي: **قيل للبيهقي: إن معاوية خرج من الإيمان بمحاربة علي** عليه السلام، **قال: إن معاوية لم يدخل في الإيمان حتى يخرج منه، بل خرج من الكفر إلى النفاق في زمن الرسول** صلى الله عليه وآله وسلم **ثم رجع إلى كفره الأصلي بعده**[٢].

لقد شهد أبوذر، الذي نفاه عثمان إلى الشام مدةً، تحقق نبوءة عمار. فإن له كلاماً في أهل الشام يبين ضلالتهم وتيههم. قال وهو يرى أوضاعهم الثقافية والعقائدية: **والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها والله ما هو في كتاب الله ولا سنة نبيه. والله إني لأرى حقاً يُطفأ وباطلاً يُحيي**[٣].

---

(١) "عن حبيب بن أبي ثابت قال: لما كان قتال صفين قال رجل لعمار: يا أباليقظان! ... أعواناً". **وقعة صفين**، ص٢١٥، القول في إيمان أهل الشام.

(٢) "إن معاوية ... بعده". **الكنى والألقاب**، ج٢، ص١١٤، ترجمة البيهقي.

(٣) **شرح نهج البلاغة**، ج٨، ص٢٥٦، ذيل الخطبة ١٣٠.

تحليل تردد خزيمة بن ثابت

يدّعي بعض المؤرخين أن خزيمة بن ثابت كان ممن انتابه الشك في قتال أهل الشام وكان هو في جيش الإمام عليه السلام وقيل إنه تعرض للموقف نفسه في حرب الجمل فلم يشارك في قتال أهل الفتنة. كذلك فإنه لم ينزل إلى ميدان القتال في صفين، وكان يقول: **لا أُقاتل أبداً حتى يُقتل عمار فأنظر من يقتله، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: تقتله الفئة الباغية** (قال): فلما قتل عمار قال خزيمة: **قد أبانت الضلالة.** ثم اقترب فقاتل حتى قتل[١].

ولكن يبدو أن شك خزيمة بن ثابت وترديده لا صحة لهما، لأنه كان من الثابتين على مناصرة أمير المؤمنين عليه السلام وهناك روايات كثيرة تتحدث عن معرفته السامية بولاية الإمام عليه السلام وكان من الاثني عشر شخصاً الذين اعترضوا على غصب أبي بكر الخلافة، وكان يرى أنها حق لأمير المؤمنين عليه السلام[٢] ويعده الإمام الرضا عليه السلام، كما هو حال سلمان، من الذين استقاموا على طريق الحق بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم ينحرفوا عنه بل ثبتوا عليه[٣].

---

(١) "عن عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: شهد خزيمة الجمل فلم يسلّ سيفاً، وشهد صفين فقال: لا اُقاتل .. حتى قتل". **أنساب الأشراف**، ج٣، ص٩٢، مقتل عمار بن ياسر.

(٢) "عن الأصبغ بن نباتة قال: نشد علي الناس في الرحبة: من سمع النبي صلى الله عليه وآله يوم غدير خم ما قال إلاّ قام، ولا يقوم إلاّ من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول. فقام بضعة عشر رجلاً فيهم أبوأيوب الأنصاري وأبوعمرة بن عمرو بن محصن وأبوزينب وسهل بن حنيف وخزيمة بن ثابت وعبد الله بن ثابت الأنصاري وحبشي بن جنادة السلولي وعبيد بن عازب الأنصاري وعبدالرحمن بن عبدرب الأنصاري، فقالوا: نشهد أنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ألا إن الله عزّ وجلّ وليي وأنا ولي المؤمنين، ألا فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه وعاد من عاداه وأحبّ من أحبه وأبغض من أبغضه وأعن من أعانه". **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٣، ص٤٦٥، ترجمة عبد الرحمن بن عبدرب الأنصاري، الرقم ٣٣٤٧.

(٣) "الذين مضوا على منهاج نبيهم صلى الله عليه وآله ولم يغيروا ولم يبدلوا مثل سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وحذيفة اليماني وأبي الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وعبادة بن الصامت وأبي أيوب الأنصاري وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين". **عيون أخبار الرضا عليه السلام**، ج٢، ص١٣٤، باب ما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون في محض الإسلام وشرائع الدين وفيه حديثا، (هكذا: م) الرقم ٣٥.

هذا وقد نُقلت عنه أشعار في معركة الجمل تؤكد أنه لم يتعرض لأي شك أو ترديد في أحقية أمير المؤمنين عليه السلام، حيث يقول:

لم يغضبوا لله إلاّ للجمل ... والموت خيرٌ من مقام في جمل

والموت أحرى من فرار وفشل ... والقول لا ينفع إلاّ بالعمل(١)

وفي موضع آخر يخاطب عائشة قائلاً:

أعائش خلي عن علي وعيبه ... بما ليس فيه إنما أنت والدة

وصي رسول الله من دون أهله ... وأنت على ما كان من ذاك شاهدة

وحسبك منه بعض ما تعلمينه ... ويكفيك لو لم تعلمي غير واحدة

إذا قيل ماذا عبت منه رميته ... بخذل ابن عفان وما تلك آبدة

وليس سماء الله قاطرة دماً ... لذاك وما الأرض الفضاء بمائدة (يعني مقتل عثمان)(٢)

فهل من المعقول أن يشك قائل مثل هذه الأشعار في حرب الجمل في حقانية أمير المؤمنين عليه السلام في صفين فلا يسل سيفاً فيها؟ كيف يمكن تصديق أن من يعتبر قادة حرب الجمل مستحقين للغضب الإلهي، يمكن أن يشك في ضلالة معاوية ومن معه؟

هذه الأشعار تدل على أنه كان راسخ القدم مع أمير المؤمنين عليه السلام وأن دوره في الجمل وصفين كان متميزاً. الحقيقة أنه كان من الصعب جداً على خصوم أمير المؤمنين عليه السلام تقبل وجود صحابي بدري جليل كخزيمة بن ثابت الذي اعتبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم شهادته شهادتين فلقب بذي الشهادتين مع علي بن

---

(١) قال خزيمة بن ثابت في يوم الجمل: لم يغضبوا ... بالعمل". **مناقب آل أبي طالب**، ج٢، ص٣٤٥، فصل: فيما ظهر منه عليه السلام في حرب الجمل ؛ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، ج٣٢، ص١٨١، الباب الثالث، باب ورود البصرة ووقعة الجمل.

(٢) "وقال خزيمة أيضاً في يوم الجمل: أعائش ... بمائدة". **شرح نهج البلاغة**، ج١، ص١٤٦، ذيل الخطبة الثانية، ما ورد في الوصاية من الشعر.

أبي طالب عليه السلام لهذا شنوا عليه حملات إعلامية وصلت حدّ الزعم بأنه لم يكن مع الإمام عليه السلام بل مات في زمن عثمان[1].

---

(١) "عن الحكم قيل: أشهد خزيمة بن ثابت ذوالشهادتين الجمل؟ فقال: ليس به ولكنه غيره من الأنصار ؛ مات ذوالشهادتين في زمن عثمان"،، ج١٨، ص٢٦٧، ترجمة خزيمة بن ثابت، الرقم ١٩٤٦.

تنويرات عمار

دأب عمار بن ياسر على نشر الوعي في صفوف جيش أمير المؤمنين عليه السلام فكان يبين للمقاتلين حقيقة العدو ويزيل الشك عن قلوبهم. ففي أحد أيام صفين خطب في الجنود خطبة كشف فيها عن الوجه الحقيقي لأهل الشام، فقال: **امضوا [معي] عباد الله إلى قوم يطلبون، فيما يزعمون، بدم الظالم لنفسه الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله إنما قتله الصالحون المنكرون للعدوان، الآمرون بالإحسان، فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم ولو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا: لإحداثه. فقالوا: إنه ما أحدث شيئاً. وذلك لأنه مكنهم من الدنيا فيهم (هكذا: م) يأكلونها ويرعونها ولا يبالون لو انهدت عليهم الجبال. والله ما أظنهم يطلبون دمه، إنهم ليعلمون أنه لظالم. ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها واستمروها وعلموا لو أن صاحب الحق لزمهم لحال بينهم وبين ما يأكلون ويرعون فيه منها. ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقون بها الطاعة والولاية، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوماً، ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً وتلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون ولولا هي ما بايعهم من الناس رجلان. اللّهُمَّ إن تنصرنا فطالما نصرت، وإن تجعل لهم الأمر فادخر لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب الأليم**[١].

في موضع آخر تحدث عمار إلى القوة التي كانت تحت إمرته مشيراً إلى حادثة قتل عثمان فقال: **... هؤلاء القوم الذين يبغون دم عثمان ويزعمون أنه قتل مظلوماً. والله إن كان إلاّ ظالماً لنفسه، الحاكم بغير ما أنزل الله**[٢].

يتضمن كلام عمار نقاطاً مهمة نشير إلى بعضها مثالاً:

الأُولى: يبين كلام عمار أن أغلب اهل الشام كانوا من العوام، ولم يكونوا يعرفون شيئاً عن مقتل عثمان، وكانوا يظنون أن جماعة قتلته بغير سبب، فظنوا أنه قُتل مظلوماً.

---

(١) **وقعة صفين**، ص٣١٩، خطبة عمار بن ياسر.

(٢) "أن عمار بن ياسر نادى يومئذ: أين من يبغي رضوان ربه ولا يؤوب إلى مال ولا ولد؟ قال: فأتته عصابة من الناس، فقال: أيها الناس! اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم .. الله". **وقعة صفين**، ص٣٢٦، نداء عمار بن ياسر.

الثانية: يقول عمار، وهو من كبار صحابة رسول الله ﷺ، إن عثمان كان مبدعاً وظالماً مخالفاً لأحكام الله وإن الصحابة قتلوه لهذه الأسباب.

الثالثة: إن قتلة عثمان لم يكونوا مجهولين ولا مغمورين، بل كانوا أفراداً معروفين صالحين قتلوا عثمان بسبب انحرافه عن شرع الله وعدم تصحيح انحرافاته.

الرابعة: قتل عثمان، وتبعاً لذلك المطالبة بدمه، كان السبب الوحيد الذي بمقدوره جمع الناس حول معاوية. وإلاّ فإن معاوية فاقد لأي أهلية أو كفاءة أو ميزة لقيادة الناس.

المتاعب التي سببها عمار بن ياسر لجيش معاوية

ذهب جماعة من أنصار معاوية، في أثناء حرب صفين، إلى عمرو بن العاص فقالوا له: **ألست الذي رويت لنا أن النبي ﷺ قال: يدور الحق مع عمار حيثما دار؟** فقال عمرو: **بلى، قد رويت ذلك، ولكنه يصير إلينا ويكون معنا.** فقال له ذوالكلاع: **هذا والله محال من الكلام. والله لقد أفحمك عمار حيث بقيت وأنت لا تقدر على إجابته.** قال عمرو: **صدقت، وربما كان كلام ليس له جواب...** فدعا معاوية عمرو بن العاص فقال: **يا هذا!إنك أفسدت أهل الشام عليّ، أكلّ ما سمعت من رسول الله ﷺ تقوله وترويه؟ ما أكثر ما سمعنا منه فلم نروه.** فقال عمرو: **يا هذا! والله لقد رويت هذا الحديث وأنا لا أظن أن صفين تكون، ولست أعلم الغيب. ولقد رويت أنت أيضاً في عمار مثل الذي رويت، فما ذنبي[(١)]؟**

تكشف هذه القصة التاريخية عن قمة الضلال والعناد اللذين كان عليهما قادة جيش الشام. لأن الدنيا تزينت لهم وملكت عقولهم وقلوبهم لدرجة أنهم تشبثوا بها وباعوا آخرتهم بها رغم يقينهم بأنهم على باطل وخصمهم على حق وأن عاقبتهم الخسران المبين، فحاربوا أهل الحق من أجل أطماعهم وشهواتهم.

يُنقل أن ذا الكلاع قُتل بعد استشهاد عمار بقليل. وفي لقاء جرى بين عمرو بن العاص ومعاوية، قال عمرو: **والله يا معاوية! ما أدري بقتل أيهما أنا أشد فرحاً، والله لو بقي ذوالكلاع حتى يقتل عمار لمال بعامة قومه إلى علي ولأفسد علينا جندنا[(٢)].**

---

(١) **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٧٧، ذكر ما جرى من المناظرة بين أبي نوح وذي الكلاع الحميري.

(٢) "قد كان ذوالكلاع يسمع عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: تقتلك الفئة الباغية وآخر شربة تشربها ضياح من لبن. فقال ذوالكلاع: ويحك ما هذا؟ قال عمرو: إنه سيرجع إلينا [ويفارق أباتراب]، وذلك قبل أن يصاب عمار. فأُصيب عمار مع علي وأُصيب ذوالكلاع مع معاوية، فقال عمرو: والله يا معاوية! .. جندنا". **وقعة صفين**، ص٣٤١، مقتل ذي الكلاع ؛ **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص٣٨١، حوادث سنة ٣٧ هجرية.

وجرى حديث آخر، في حرب صفين، بين عمرو بن العاص ومعاوية يفيد بأنهما كانا يعلمان بسوء عاقبتهما ولكن حبهما للدنيا منعهما من اتباع الحق.

في أثناء الحرب، أمر معاوية عمرو بن العاص بأن ينظم صفوف الجيش للقيام بهجوم. فقال له عمرو: **على أن لي حكمي** (تعطيني كل ما أُريد) **إن قتل الله ابن أبي طالب واستوسقت لك البلاد.** قال: **أليس حكمك في مصر؟** قال: **وهل مصر تكون عوضاً عن الجنة وقتل ابن أبي طالب ثمناً لعذاب النار الذي لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون؟** فقال معاوية: **إن لك حكمك أباعبدالله إن قتل ابن أبي طالب**[١].

نقل عمرو بن العاص الرواية الدالة على أن عمار بن ياسر يدور مع الحق تسبب في وقوع الشك في نفوس جماعة من أهل الشام من حقانية الحرب. وكان من هؤلاء عبدالله بن سويد الحميري الذي ذهب إلى ذي الكلاع وقال له: **ما حديثٌ سمعته من ابن العاص في عمار؟** فأخبره، فلما قتل عمار خرج عبدالله ليلاً يمشي فأصبح في عسكر علي عليه السلام وكان عبدالله من عبّاد أهل زمانه. وكاد أهل الشام أن يضطربوا لولا أن معاوية قال لهم: **إن علياً قتل عماراً لأنه أخرجه إلى الفتنة**[٢].

هناك حادثة أُخرى يرويها أحد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام تبين التضليل الذي كان معاوية يمارسه مع الناس. قال عبدالرحمن السلمي: **لما قتل عمار دخلت عسكر معاوية لأنظر هل بلغ منهم قتل عمار ما بلغ منا، وكنا إذا تركنا القتال تحدثوا إلينا وتحدثوا** (هكذا، ربما تحدثنا: م) **إليهم. فإذا معاوية وعمرو وأبوالأعور وعبدالله بن عمرو يتسايرون. فأدخلت فرسي بينهم لئلا يفوتني ما يقولون. فقال عبدالله لأبيه: يا أبت! هذا الرجل في يومكم هذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما قال قال: وما قال؟ قال: ألم يكن المسلمون ينقلون في بناء مسجد النبي لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فغشي عليه فأتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول: ويحك يا ابن سمية، الناس**

---

(١) "طلب معاوية إلى عمرو بن العاص أن يسوي صفوف أهل الشام، فقال له عمرو: على أن لي .... طالب". **شرح نهج البلاغة،** ج٥، ص١٨٩، ذيل الخطبة ٦٥، من أخبار يوم صفين ؛ **وقعة صفين،** ص٢٣٧، بين معاوية وعمرو بن العاص.

(٢) "قد كان عبد الله بن سويد الحميري من آل ذي الكلاع قال لذي الكلاع: ما حديث ... الفتنة". **شرح نهج البلاغة،** ج٨، ص٢٨، ذيل الخطبة ١٢٤، عود إلى أخبار صفين.

ينقلون لبنة لبنة وأنت تنقل لبنتين لبنتين رغبة في الأجر، وأنت ذلك تقتلك الفئة الباغية؟ فقال عمرو لمعاوية: أما تسمع ما يقول عبدالله؟ قال: وما يقول؟ فأخبره، فقال معاوية: أنحن قتلناه؟ إنما قتله من جاء به. فخرج الناس من فساطيطهم وأخبيتهم يقولون: إنما قتل عماراً من جاء به، فلا أدري من كان أعجب أهو أم هم[١].

ولكن إذا كان أهل الشام الجهلة صدقوا كلام معاوية، فإن عبدالله بن عمرو بن العاص[٢] الذي كان يشك في حقانية الحرب منذ البداية التفت إلى معاوية وقال له: إذا كان الأمر كما تقول وأن عماراً قتله علي، **كذلك حمزة بن عبدالمطلب يوم أُحد إنما قتله النبي ﷺ ولم يقتله وحشي.** فقال معاوية لعمرو (مغضباً وقد أعياه الجواب): **نحّ عنا ابنك هذا الموسوس الذي لا يدري ما يقول**[٣].

إن ما يؤسف له أن عبدالله بن عمرو بن العاص، مع اعترافه بحقانية أمير المؤمنين عليه السلام لدرجة أن يجادل معاوية فيها، تمنعه العصبية القبلية وحب الدنيا من اعتزال حزب معاوية.

---

(١) **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص٣٨٢، حوادث سنة ٣٧ هجرية ؛ **المنتظم في تواريخ الملوك والأُمم**، ج٣، ص٣٦٣، حوادث سنة ٣٧ هجرية.

(٢) كان عبد الله بن عمرو بن العاص، كأبيه، من أعداء الإمام علي وأهل البيت عليهم السلام. وكان على ميمنة جيش معاوية في صفين. **تاريخ خليفة بن الخياط**، ص١١٨، حوادث [سنة] ٣٨ هجرية، تفصيل خبر صفين. من المعروف في مصادر أهل السنة أن الفرق بين عمر عبد الله وعمر أبيه كان ١١ سنة وأنه أسلم قبل أبيه، وحضر صفين عملاً بوصية رسول الله ﷺ له أن: "أطع أباك". ولكنه لم يستل في الحرب سيفاً ولا رمى سهماً. هناك اختلاف في سنة وفاته بين ٥٥ و٦٣ و٦٥ و٦٧ و٧٣ هجرية". **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٣، ص٨٦ ـ ٨٨، ترجمة عبد الله بن عمرو بن العاص، الرقم ١٦٣٦. ولكننا نعتقد أن من يتولى ميمنة جيش معاوية لا يمكنه أن لا يحمل سيفاً. بل إن ابن الأثير الجزري يقول إنه كان يحمل سيفين. **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٣، ص٣٤٧، ترجمة عبد الله بن عمرو، الرقم ٣٠٩٢. أما الذهبي فيعده من الصحابة القليلين الذين شهدوا صفين مع معاوية إلى جانب عمرو بن العاص وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد وبسر بن أرطاة ومعاوية بن حديج وحبيب بن مسلمة وأبي الأعور السلمي وأبي غادية الجهني. **العبر في خبر من غبر**، ج١، ص٣٠، سنة ٣٧ هجرية.

(٣) "فقال عبد الله بن عمرو: وكذلك ... ما يقول". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٥٧، ذكر مقتل عمار بن ياسر.

تنبؤ النبي ﷺ باستشهاد عمار

قال عمار بن ياسر: **كنت مع رسول الله ﷺ في بعض غزواته، وقتل علي عليه السلام أصحاب الألوية وفرّق جمعهم وقتل عمرو بن عبدالله الجمجي وقتل شيبة بن نافع، أتيت رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله إن علياً قد جاهد في الله حق جهاده فقال: لأنه مني وأنا منه وهو وارث علمي وقاضي ديني ومنجز وعدي والخليفة بعدي، ولولاه لم يعرف المؤمن المحض، حربه حربي وحربي حرب الله، وسلمه سلمي وسلمي سلم الله، ألا إنه أبو سبطيّ، والأئمة من صلبه يخرج الله منه الأئمة الراشدين... يا عمار ستكون بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فاتبع علياً وحزبه، فإنه مع الحق والحق معه يا عمار! إنك ستقاتل بعدي مع علي صنفين؛ الناكثين والقاسطين، ثم تقتلك الفئة الباغية. قلت: يا رسول الله ﷺ! أليس ذلك على رضا الله ورضاك؟ قال: نعم، على رضا الله ورضاي ويكون آخر زادك من الدنيا شربة من لبن تشربه**[1].

كان عمار، في حرب صفين، كلما طلب الإذن من أمير المؤمنين عليه السلام بالقتال لم يأذن له، فكرر ذلك ثلاثاً. وفي الثالثة بكى الإمام عليه السلام وقال: **إنه اليوم الذي وصفه لي رسول الله.** فنزل أمير المؤمنين عن بغلته وعانق عماراً وودعه. ثم قال: **يا أبااليقظان! جزاك الله عن نبيك خيراً، فنعم الأخ كنت ونعم الصاحب كنت!** ثم بكى عليه السلام وبكى عمار ثم قال: **والله يا أمير المؤمنين، ما تبعتك إلاّ ببصيرة. فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم خيبر: يا عمار! ستكون بعدي فتنة. فإذا كان ذاك فاتبع علياً وحزبه فإنه مع الحق والحق معه. وستقاتل الناكثين والقاسطين. فجزاك الله يا أمير المؤمنين عن الإسلام أفضل الجزاء، فلقد أديت وأبلغت ونصحت.** ثم ركب وركب أمير المؤمنين عليه السلام ثم برز إلى القتال ثم دعا بشربة من ماء، فقيل له: **ما معنا ماء**، فقام إليه رجل من الأنصار فأسقاه شربة من لبن، فشربه ثم قال: **هكذا عهد إليّ رسول الله ﷺ أن يكون آخر زادي من الدنيا شربة من لبن.** ثم حمل على القوم فقتل ثمانية عشر نفساً، فخرج إليه رجلان من أهل الشام فطعناه

---

(١) "عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار عن أبيه عن جده عمار قال: كنت ... تشربه". **كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر**، ص١٢٠.

وقتل. فلما كان في الليل طاف أمير المؤمنين في القتلى فوجد عماراً ملقى بين القتلى فجعل رأسه على فخذه ثم بكى عليه السلام وأنشأ يقول:

ألا أيها الموت الذي لست تاركي ... أرحني فقد أفنيت كل خليل

أراك بصيراً بالذين أُحبهم ... كأنك تمضي نحوهم بدليل[١]

جاء في موضع آخر أن أمير المؤمنين عليه السلام لما وقف على جثمان عمار المخضب بالدماء قال: **إنا لله وإنا إليه راجعون. إن امرؤاً لم يدخل عليه مصيبة من قتل عمار فما هو من الإسلام في شيء.** ثم قال علي عليه السلام: **رحم الله عماراً يوم يبعث ورحم الله عماراً يوم يُسأل، فوالله لقد رأيت عمار بن ياسر وما يذكر من أصحاب النبي ﷺ ثلاثة إلاّ كان رابعاً، ولا أربعة إلاّ كان خامساً. إن عماراً قد وجبت له الجنة في غير موطن ولا موطنين ولا ثلاث** (هكذا، ربما ثلاثة: م)**. فهنيئاً له الجنة! فقد قتل مع الحق والحق معه، ولقد كان الحق يدور منه حيث ما دار. فقاتل عمار وسالب عمار وشاتم عمار في النار**[٢].

قال: **فكان لايزال رجل يجيء فيقول لمعاوية وعمرو** بن العاص: **أنا قتلت عماراً. فيقول له عمرو: فما سمعته يقول؟ فيخلط** (الرجل فلا يجيب بكلام واضح)**. حتى أقبل ابن جون فقال: أنا قتلت عماراً. فقال له عمرو: فما كان آخر منطقه؟ قال: سمعته يقول: اليوم ألقى الأحبة ... محمداً وحزبه. فقال له عمرو: صدقت، أنت صاحبه، أما والله ما ظفرت يداك ولكن أسخطت ربك**[٣].

---

(١) "فلما كان يوم صفين خرج عمار بن ياسر إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فقال له: يا أخا رسول الله! أتأذن لي في القتال؟ قال: مهلاً رحمك الله. فلما كان بعد ساعة أعاد عليه الكلام فأجابه بمثله فأعاد عليه ثالثاً فبكى أميرالمؤمنين عليه السلام وقال: إنه اليوم ... بدليل". **كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر**، ص١٢٠، ما جاء عن عمار بن ياسر من النصوص.

(٢) "جاء علي بن أبي طالب حتى وقف على عمار وهو مزمل بدمه فقال: إنا لله ... النار". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٥٧، ذكر مقتل عمار بن ياسر.

(٣) **وقعة صفين**، ص٣٤١، مقتل ذي الكلاع ؛ **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص٣٨٢، حوادث سنة ٣٧ هجرية.

كلام عمرو بن العاص هذا مؤشر متكرر على خسة قادة الشام وخبث سرائرهم، وعلى شدة تعلقهم بالدنيا إلى درجة أنهم يعرفون أنهم على ضلال ومع هذا لا يكفون عن السير في الطريق الباطل ويصرون على المضي فيه.

ولابد من القول، إضافة إلى ذلك، بأن قاتل عمار لم ير الخير أبداً، ولم ينتفع في الدنيا، وكان موضع لوم دائم من قبل العدو والصديق.

يروى أن قاتل عمار أباالغادية دخل على الحجاج يوماً فقرّبه وأكرمه ثم قال له: **أنت قتلت ابن سمية؟** يعني عماراً، قال: **نعم.** قال الحجاج: **من سره أن ينظر إلى عظيم الباع يوم القيامة فلينظر إلى هذا الذي قتل ابن سمية.** ثم سأله أبوالغادية حاجته فلم يجبه إليها فقال أبوالغادية: **نوطئ لهم الدنيا ولا يعطونا** (هكذا: م) **منها ويزعم أني عظيم الباع يوم القيامة!** فقال الحجاج: **أجل والله، من كان ضرسه مثل أُحد وفخذه مثل جبل ورقان ومجلسه مثل المدينة والربذة، إنه لعظيم الباع يوم القيامة. ولو أن عماراً قتله أهل الأرض كلهم لدخلوا كلهم النار**[1].

---

(١) "إن أباغادية قتل عماراً وعاش إلى زمن الحجاج ودخل عليه فأكرمه الحجاج وقال له: أنت ... النار". **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص٣٨٢، حوادث سنة ٣٧ هجرية.

نقد ابن تيمية

بعد أن أوردنا روايات عن النبي ﷺ في الأمر بقتال الناكثين والقاسطين إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام، لابد من الرد على الشبهات التي يثيرها ابن تيمية حول مشروعية حروب أمير المؤمنين عليه السلام. يقول ابن تيمية إن حروب أمير المؤمنين عليه السلام في الجمل وصفين لم تكن بأمر من رسول الله ﷺ، بل من اجتهاد شخصي من علي[١].

نقول في الرد عليه: فما معنى أمر الرسول ﷺ الصريح بالتصدي للناكثين والقاسطين؟ أولم يسمع ابن تيمية بقول النبي ﷺ لعمار: **تقتلك الفئة الباغية**؟ فما معنى هذا الكلام؟ أليس أن العدو الذي وقف في الجهة المقابلة لعمار وقتله هو الفئة الباغية الصانعة للفتنة؟ فكيف ينبغي معاملة الفئة الباغية؟

هذه الرواية نقلها عمرو بن العاص وهو ألدّ أعداء أمير المؤمنين عليه السلام وأيده عليها معاوية. ولكي يتخلص من ثقل مسؤوليتها، أشاع بين الناس أن مصداقها هو علي عليه السلام الذي أتى بعمار إلى مقتله. والسؤال المطروح هنا: هل إن عداوة ابن تيمية للإمام عليه السلام أشد من عداوة معاوية وعمرو بن العاص له، بحيث لا ينقاد لمثل هذه الرواية؟ ألم ير ابن تيمية الرواية التي يقول فيها النبي ﷺ لعلي عليه السلام: **يا علي ستقاتلك الفئة الباغية وأنت على الحق، فمن لم ينصرك يومئذٍ فليس مني**[٢]؟

ألم تبلغه رواية أبي أيوب الأنصاري: **إن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة مع علي، بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين**[٣]؟ هل يريد أمراً أكثر صراحة من هذا؟

---

(١) **منهاج السنة النبوية**، ج٢، ص٢٣١.

(٢) "قال رسول الله: يا علي! ... مني". **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، ج١١، ص٦١٣، الحديث ٣٢٩٧٠.

(٣) "حدثنا إبراهيم عن علقمة والأسود قالا: أتينا أباأيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين، فقلنا له: يا أباأيوب! إن الله أكرمك بنزول محمد ﷺ وبمجيء ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك حتى أناخت ببابك دون الناس، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلاّ الله؟ فقال: يا هذا إن الرائد لا يكذب أهله وإن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة مع علي، بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ؛ فأما الناكثون فقد قابلناهم أهل الجمل طلحة والزبير، وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم يعني معاوية وعمرواً، وأما المارقون فهم أهل الطرفاوات وأهل السعيفات وأهل النخيلات وأهل النهروانات. والله ما

ألا يعتبر السلفيون فهم الصحابة للشريعة حجة؟ ألا يدل وجود العدد الكبير من الصحابة في عسكر أمير المؤمنين عليه السلام على حقانيته؟

أدري أين هم ولكن لابد من قتالهم إن شاء الله. قال: وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعمار: يا عمار تقتلك الفئة الباغية وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك. يا عمار بن ياسر! إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي، فإنه لن يدليك في ردى ولن يخرجك من هدى. يا عمار! من تقلد سيفاً أعان به علياً على عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحين من در، ومن تقلد سيفاً أعان به عدو علي عليه قلده الله يوم القيامة وشاحين من نار. قلنا: يا هذا حسبك رحمك الله، حسبك رحمك الله! **تاريخ بغداد**، ج١٣، ص١٨٦، ترجمة معلى بن عبدالرحمن الواسطي، الرقم ٧١٦٥.

عمار معيار الحق أما علي فليس كذلك!

كما أسلفنا، فإن عمار بن ياسر كان من الذين يعرف الناس بهم سبيل الحق، وقد توصل بسببه الكثير من الناس إلى حقانية الإمام علي عليه السلام والسؤال هنا: لماذا يجب أن ينظر الناس إلى موقف عمار ليستدلوا به على حقانية الإمام علي عليه السلام؟ لماذا لا يؤدي سجل أمير المؤمنين عليه السلام اللامع وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم المتواترة بحقه إلى زوال حيرة الناس والتوصل إلى حقانية الإمام عليه السلام؟

يجيب ابن أبي الحديد المعتزلي على هذا السؤال، فيقول عن عدم اهتمام الناس بعلي عليه السلام: **قلت: واعجباه من قوم يعتريهم الشك في أمرهم لمكان عمار ولا يعتريهم الشك لمكان علي عليه السلام! ويستدلون على أن الحق مع أهل العراق بكون عمار بين أظهرهم ولا يعبأون بمكان علي عليه السلام! ويحذرون من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: تقتلك الفئة الباغية، ويرتاعون لذلك ولا يرتاعون لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في علي عليه السلام: اللّهُمَّ وال من والاه وعاد من عاداه، ولا لقوله: لا يحبك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق. وهذا يدلك على أن علياً عليه السلام اجتهدت قريش كلها من مبدأ الأمر في إخمال ذكره وستر فضائله وتغطية خصائصه، حتى محي فضله ومرتبته من صدور الناس كافة إلاّ قليلاً منهم**[1] كتمان الحقائق هذا أدى ببعض الناس إلى أن يشكوا في صلاته، بل ينكرونها حتى. ينقل ابن الأثير الجزري حادثة تشير إلى هذا، يقول: (في صفين) **خرج عليهم شاب وهو يقول:**

أنا ابن أرباب الملوك غسان ... والدائن اليوم بدين عثمان

نبأنا قراؤنا بما كان ... أن علياً قتل ابن عفان

ثم يحمل فلا يرجع حتى يضرب بسيفه ويشتم ويلعن. فقال له هاشم: يا هذا إن هذا الكلام بعده الخصام وإن هذا القتال بعده الحساب، فاتق الله فإنه سائلك عن هذا الموقف وما أردت به. قال: فإني أُقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلي وأنتم لا تصلون، وإن صاحبكم قتل خليفتنا وأنتم ساعدتموه على قتله. فقال له هشام: ما أنت وعثمان؟ قتله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبناء أصحابه

---

(١) شرح نهج البلاغة، ج٨، ص١٧، شرح الخطبة ١٢٤، عود إلى أخبار صفين.

وقراء الناس وهم أهل الدين والعلم وما أهملوا أمر هذا الدين طرفة عين. وأما قولك إن صاحبنا لا يصلي، فإنه أول من صلى وأفقه خلق الله في دين الله وأولى بالرسول ﷺ وأما كل من ترى معي فكلهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجداً. فلا يغوينك هؤلاء الأشقياء. فقال الفتى: فهل لي من توبة؟ قال: نعم، تب إلى الله يتب عليك، فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات فرجع الفتى فقال له أهل الشام: خدعك العراقي. فقال: كلا، ولكن نصح لي[1].

---

(١) الكامل في التاريخ، ج٢، ص٣٨٤، حوادث سنة ٣٧ هجرية.

مقتل شخصيات معروفة في الجيشين

علاوة على عمار بن ياسر، قتل في صفين عدد من الأشخاص المعروفين أمثال هاشم بن عتبة وعبدالله بن بديل من جيش أمير المؤمنين عليه السلام، وذوالكلاع وحوشب ذوالظليم وعبيدالله بن عمر بن الخطاب من جيش الشام. وهذا ما أدخل النياحة والعزاء في أهل الشام. فقال معاوية بن حديج، وكان شديد الحزن، لجيشه: **قبح الله العيش بعد حوشب وذي الكلاع. والله لو ظفرنا بأهل العراق بعد هلاكهما بغير مؤنة لما كان ظفراً.**

ولما سمع معاوية بالحزن الذي عم جنوده، سعى إلى التخفيف عنهم، فأمر بجمع الجيش فقال له: **يا أهل الشام! إنكم لستم أحق بالجزع على قتلاكم من أهل العراق على قتلاهم. والله ما ذوالكلاع فيكم بأجل من عمار بن ياسر فيهم، ولا حوشب ذوالظليم فيكم بأعظم من هاشم بن عتبة، ولا عبيد الله بن عمر بن الخطاب فيكم بأعظم من عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فيهم. وما الرجال إلاّ أشباه، وما التمحيص إلاّ من عند الله. فأبشروا، فإن الله تبارك وتعالى قد قتل من القوم ثلاثة وبقي ثلاثة، قتل عمار بن ياسر وكان فارسهم وقتل هاشم بن عتبة وكان جمرتهم وقتل عبدالله بن بديل وكان فاعل الأفاعيل. وبقي الأشتر والأشعث وعدي بن حاتم، واللهُ قاتلهم غداً إن شاء الله**[1].

---

(١) "جزع أهل الشام على قتلاهم جزعاً شديداً، فقال معاوية بن حديج الكندي: يا أهل الشام! قبّح ... ظفراً... قال: وبلغ ذلك معاوية، فأرسل إلى وجوه أهل الشام فجمعهم ثم قال: يا أهل الشام! ... إن شاء الله". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٥٩، ذكر مقتل عمار بن ياسر.

إرسال وفد من قادة الشام إلى أمير المؤمنين عليه السلام

بعد أن تكبد جيش الشام خسائر ثقيلة، أرسل معاوية وفداً من قادة جيشه إلى أمير المؤمنين عليه السلام لإخماد نار الحرب. ضم الوفد عمرو بن العاص وعتبة بن أبي سفيان وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد(١) وحبيب بن مسلمة والضحاك بن قيس، وكان يرافقهم جماعة من أهل الشام. فدنا الوفد من معسكر الإمام عليه السلام وطلب الإذن بمقابلته. فاستقبل الإمام عليه السلام الوفد وكان عنده الكثير من المهاجرين والأنصار فطلب أمير المؤمنين عليه السلام من الوفد أن يقرأوا رسالة معاوية. فقال عمرو بن العاص للإمام علي عليه السلام: **بل أنت فتكلم يا أباالحسن! فإنك أول من آمن بربنا وبقي حقك العظيم على الناس وأنت أول من صدق بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصلى إلى قبلتنا ووحّد الله قبلنا.** فقال علي عليه السلام: **إن أول كلامي أن أُثني على الله ربي أحسن الثناء طول الحياة وبعد المماة، وأحمده على طول العافية وحسن البلاء وفي كل حال من شدة ورخاء. وأشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله، بعثه الله رحمة للعالمين وخاتماً للنبيين. فأدى عن الله ما أمره وعبد ربه حتى أتاه اليقين، فصلى الله عليه كثيراً. ثم إن الله تبارك وتعالى قد ابتلانا أيتها الأُمة بما ترون، والمستعان بالله ولا قوة إلاّ بالله، وبعد! فالله يعلم أني كنت كارهاً أن أتولى شيئاً من أُمور أُمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكن قوماً أنكروا على عثمان فاجتمعوا على قتله فقتلوه وأنا جالس في منزلي لا آمر ولا ناه. وإنما قتلوه وتذاكروا عني بالبيعة، فكرهت ذلك. ثم إن** (هكذا، ربما إني: م) **توكلت على الله وأحببت أن يكون بقية عمري في صلاح أُمور الأُمة، فبايعت القوم على العمل بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم إن جماعة ممن بايعني غدر بي ونكث بيعتي، فقد حكم الله بيني وبين بعضهم،**

---

(١) ذكر عبدالرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي في الصحابة، ولكنه لم يرو رواية واحدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. كان من فرسان قريش المعروفين. وكان من أعداء أميرالمؤمنين عليه السلام وبني هاشم. ولكن كان له أخ اسمه مهاجر يحب أميرالمؤمنين عليه السلام وقاتل معه في الجمل وصفين. حظي عبدالرحمن باهتمام أهل الشام. وعندما أراد معاوية استخلاف يزيد، خطب في أهل الشام وقال: إني أُريد أن أجعل عليكم خليفة من بعدي وأن أفعل ذلك بما يوافق رأيكم. فقالوا له: نحن نرضى بخلافة عبدالرحمن بن خالد. فلم يرق ذلك لمعاوية. ثم مضت فترة حتى مرض عبدالرحمن فدعا معاوية بطبيب يهودي ليسقيه سماً ويقضي عليه. ففعل الطبيب ذلك فهلك عبدالرحمن". **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٢، ص٣٧٢، ترجمة عبدالرحمن بن خالد المخزومي، الرقم ١٤١٠.

والله للباقين بالمرصاد. ألا وإني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبي الله صلى الله عليه وآله فإن تجيبوا إلى ذلك للرشد أصبتم وللخير وفقتم، وإن تأبوا ذلك لم تروا من الله إلاّ بعداً[١].

يتميز هذا الاجتماع بالأهمية من عدة جهات وينطوي على نقاط هامة نشير فيما يلي إلى بعضها:

الأولى: اعتراف عمرو بن العاص بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام التي لا نظير لها ولا بديل وبأنه أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله واعتنق الإسلام.

الثانية: قول أمير المؤمنين عليه السلام عن قتل عثمان"**أنا جالس في منزلي لا آمرٌ ولا ناهٍ**"، وهذا يؤكد أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن يرى عثمان رجلاً صالحاً ؛ لأن عثمان ارتكب انحرافات كثيرة ولم يحاول إصلاحها.

بعد كلام أمير المؤمنين عليه السلام، تكلم عمرو بن العاص فقال: **أما بعد، فإن عثمان ـ وجعل ما أصابه كفارة لذنوبه ـ قد كان أفضل أصحاب محمد صلى الله عليه وآله حسباً ونسباً وقدماً وصهراً. فالله حسيب قاتله وخاذله. وأيم الله إننا لنعلم أن علياً ومن معه من المهاجرين والأنصار قد كانت لهم سوابق قديمة عظيمة وفضل لا يجهل. وقد رأينا رأياً نسأل الله تعالى فيه التوفيق لما يحب ويرضى. ولعل الله تبارك وتعالى يحقن دماءنا ويصلح ذات البين. وهؤلاء أشرافنا من أهل الشام قد اجتمعوا لذلك، وكذلك أشراف أهل العراق مجتمعون. يا أباالحسن! وأنتم يا معشر من حضر!** فقال علي: **تكلموا بما تريدون حتى ننظر ما الذي تطلبون.** فتكلم شرحبيل بن السمط فقال: **أما بعد، فيا معشر أهل العراق! إن الله تبارك وتعالى قد جعل بيننا حقوقاً عظاماً من الأرحام الماسة والأنساب القريبة والأصهار الشابكة. وقد علمنا، يا أباالحسن، أن لك سابقة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وصهراً وقرابة وفقهاً في الدين**

---

(١) "أصبح الناس عازمين على الحرب، فلم يعب معاوية أصحابه كما كان يعيبهم من قبل، لكنه وجّه إلى علي عليه السلام بجماعة من قريش وغيرهم من أهل الشام يكلمونه منهم عمرو بن العاص وعتبة بن أبي سفيان وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد وحبيب بن مسلمة والضحاك بن قيس وجماعة من عرب الشام، فأقبلوا حتى وقفوا قريباً من عسكر علي عليه السلام. ثم بعثوا إليه يسألونه أن يأذن لهم في كلامه. فقال علي عليه السلام ما أمنعهم من ذلك. قال: فأقبلوا حتى دخلوا العسكر، ثم صاروا إلى علي عليه السلام وهو في خيمته. فسلموا فردّ عليهم السلام ومجلسه يومئذٍ غاص بالمهاجرين والأنصار، فقال: تكلموا بما أحببتم! فقال عمرو بن العاص: بل أنت فتكلم ... إلاّ بعدا". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٦٥، ذكر القوم الذين أنفذهم معاوية إلى علي بن أبي طالب عليه السلام.

وبأساً وتجربة وشرفاً قديماً والله يعلم، وإنك لتعلم، أنا قد اقتتلنا لحمية الجاهلية بالسيوف الهندية، لأنها جارات القرب وحصون الحومات وأنها بيضة الروم. وأما حرماتكم فإنها بيضة فارس وقد رأينا أن تنصرف عنا، يا أباالحسن، أنت ومن معك فنخلي بينكم وبين عراقكم وحجازكم وتخلونا بيننا وبين شامنا، ونحقن دماء المسلمين. والله يعلم أنني قد أتيت بغاية النصيحة، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أُنيب. فقال علي عليه السلام **والله لقد نظرت في هذا الأمر فضربت ظهره وبطنه وأنفه وعينه حتى لقد منعني النوم، فما وجدته يسعني إلاّ قتالكم أو الكفر بما جاء به محمد** صلى الله عليه وآله وسلم **وأيم الله، لوددت أنني فديت حقن دماء المسلمين بمهجتي، ولكن قولوا لصاحبكم هذا حتى يخرج إلى هذه الصحراء ثم إني أدعو الله ويدعو هو أيضاً أن يقتل المحق منا المبطل. ثم إني أُبارزه، فأينا قتل صاحبه ملتم معه بأجمعكم. فوالله لا يقاتل مع معاوية أحد إلاّ أكبّه الله غداً في نار جهنم** قال: فالتفت الشامي إلى أصحابه فقال: **ما يقعدكم؟ انهضوا! فلا والله ما عند هذا الرجل إلاّ السيف**[١].

ما يُفهم من كلام أمير المؤمنين عليه السلام هو أنه اعتبر الاستسلام للشاميين معادلاً للكفر بالإسلام. كان مطلب أهل الشام أن يُبقي الإمام علي عليه السلام على معاوية في منصبه. وكان أمير المؤمنين عليه السلام يعتبر معاوية فاسداً وإبقاءَه على حكم الشام خلافاً للشرع وكان عليه السلام مصراً على موقفه لدرجة أنه رأى القتال هو الحل الوحيد. والنقطة المهمة هي أن الإمام عليه السلام قابل معاوية في غاية الصرامة في حين أن الخلفاء السابقين مكنوه من الشام رغم علمهم بعدم انسجام أفعاله مع الإسلام فلماذا فعلوا ذلك وأصروا على استمراره في منصبه؟ ألم يكونوا يعتبرون حكم معاوية معادلاً للكفر كما اعتبره أمير المؤمنين عليه السلام؟

---

(١) "فلما فرغ علي عليه السلام من كلامه، تكلم عمرو بن العاص، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد ... إلاّ السيف". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٦٥، ذكر القوم الذين أنفذهم معاوية إلى علي بن أبي طالب عليه السلام.

من الواضح أن عمر وعثمان كانا على علم بتصرفات معاوية وكانت تصلهما الانتقادات الموجهة إليه بل إن عمر أصر على إبقائه حاكماً للشام ودافع عنه ضد منتقديه رغم علمه بأن سياسته لا تمت إلى الإسلام بصلة، حتى أنه كان يسميه "كسرى العرب"[(١)(٢)].

---

(١) "قال المدائني: كان عمر إذا نظر إلى معاوية، قال: هذا كسرى العرب". **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص١٣٤، ترجمة معاوية بن أبي سفيان، الرقم ٢٥.

(٢) "ذُم معاوية عند عمر يوماً، فقال: دعونا من ذم فتى قريش، من يضحك في الغضب ولا يُنال ما عنده إلاّ على الرضا ولا يؤخذ ما فوق رأسه إلاّ من تحت قدميه". **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**،ج٣، ص٤٧٢، ترجمة معاوية بن أبي سفيان، الرقم ٢٤٦٤ ؛ **كنز العمال**، ج١٣، ص٥٨٧، الحدسث ٣٧٥٠٧.

عدم حياء قادة الشام في مبارزة الإمام علي عليه السلام

نزل عمرو بن العاص إلى ساحة القتال في أحد أيام صفين وأخذ يرتجز. فضربه أمير المؤمنين عليه السلام ضربة أسقطته من فرسه. فاستغل عمرو بن العاص حياء أمير المؤمنين عليه السلام فكشف عن عورته ليفر من أمامه. فطأطأ الإمام عليه السلام رأسه وانصرف عنه(١).

على أن عمرو بن العاص لم يكن بدعاً في جيش الشام في اتباع هذه الطريقة المشينة للفرار من أمام الإمام علي عليه السلام، فقد سبقه إليها بس بن أرطاة(٢).

يقول ابن أعثم الكوفي: **ثم خرج بسر بن أرطاة إلى علي وهو ساكت لا ينطق بشيء خوفاً من أن عرفه** (هكذا: م) **علي إذ هو تكلم** قال **ونظر إليه علي فحمل عليه فسقط بسر على قفاه ورفع رجليه فانكشفت عورته وصرف علي وجهه عنه**(٣).

---

(١) "فلما أصبحوا بدر عمرو حتى وقف بين الصفين... ثم نادى: يا أباالحسن! اخرج إليّ، أنا عمرو بن العاص. فخرج إليه علي عليه السلام فتطاعنا فلم يصنعا شيئاً فانتضى علي عليه السلام على سيف فحمل عليه. فلما أراد أن يجلله رمى بنفسه عن فرسه ورفع إحدى رجليه فبدرت عورته، فصرف علي عليه السلام وجهه وتركه". **الأخبار الطوال،** ص٢٦٣، حملة عمرو بن العاص.

(٢) "فغدا علي عليه السلام منقطعاً من خيله ومعه الأشتر وهو يريد التل ويقول:

إني علي فاسألوا لتخبروا	**ثم ابرزوا إلى الوغى أو أدبروا**
سيفي حسام وسناني أزهر	**منا النبي الطيب المطهر**
وحمزة الخير ومنا جعفر	**له جناح في الجنان أخضر**
ذا أسد الله وفيه مفخر	**هذا وهذا وابن هند محجر**

فاستقبله بسر قريباً من التل وهو مقنع في الحديد لا يعرف، فناداه: ابرز إليّ أباالحسن! فانحدر إليه على تؤدة غير مكترث. حتى إذا قاربه طعنه وهو دارع فألقاه على الأرض ومنع الدرع السنان أن يصل إليه، فاتقاه بسر [بعورته] وقصد أن يكشفها يستدفع بأسه، فانصرف عنه علي عليه السلام مستدبراً له، فعرفه الأشتر حين سقط فقال: يا أميرالمؤمنين! هذا بسر بن أرطاة عدو الله وعدوك. فقال: دعه عليه لعنة الله". **وقعة صفين،** ص٤٦٠، مبارزة علي لبسر وفراره.

(٣) "قال: ثم خرج ... عنه". **الفتوح،** المجلد الثاني، ص١٠٤، ثم رجعنا إلى الخبر.

يقول ابن أبي الحديد: **فكان بسر بعد ذلك اليوم إذا لقي الخيل التي فيها علي ينتحي ناحية، وتحامى فرسان الشام بعدها علياً** عليه السلام[١].

وقد تحول جبن هذين الشخصين، وشجاعة علي عليه السلام، إلى مادة في أشعار الشعراء الذين قالوا شعراً هزلياً في هجوهما. يقول الحارث بن نصر (نضر كما في الهامش: م) الخثعمي في هذا المجال:

أفي كل يوم فارس لك ينتهي ... وعورته وسط العجاجة بادية

يكف لها عنه علي سنانه ... ويضحك منها في الخلاء معاوية

بدت أمس من عمرو فقنع رأسه ... وعورة بسر مثلها حذو حاذية

فقولا لعمرو ثم بسر ألا انظرا ... لنفسكما، لا تلقيا الليث ثانية[٢].

على أنه لابد من القول بأن هذين الشخصين تعلما كشف العورة أمام أمير المؤمنين عليه السلام، طلباً للنجاة، من أسلافهم. فقد لجأ إلى هذا الفعل القبيح قبل ذلك أبوسعد بن أبي طلحة في معركة أُحد للنجاة من بطش علي بن أبي طالب عليه السلام، بعد أن نزل إلى الميدان، وكان صاحب لواء في جيش المشركين، فدعا إلى البراز. فخرج له الإمام علي عليه السلام وبارزه فضربه ضربه أوقعته على الأرض، ولكنه انصرف عنه ولم يقتله. فسأله الصحابة عن سبب عدم قتله فقال عليه السلام: **إنه استقبلني بعورته، فعطفتني عليه الرحم وعرفت أن الله (قد قتله)** سيقتله[٣].

---

(١) "قال: فكان بسر .. علياً". **شرح نهج البلاغة**، ج٨، ص٩٧، ذيل الخطبة ١٢٤.

(٢) "قال: وللشعراء فيهما أشعار مذكورة في موضعها من ذلك الكتاب، منها فيما ذكر ابن الكلبي والمدائني قول الحارث بن نضر الخثعمي وكان عدواً لعمرو بن العاص وبسر بن أرطاة: (الأبيات) **شرح نهج البلاغة**، ج٦، ص٣١٦، ذيل الخطبة ٨٣، أمر عمرو بن العاص في صفين.

(٣) "لما اشتد القتال يوم أُحد جلس رسول الله صلى الله عليه وآله تحت راية الأنصار وأرسل إلى علي أن قدم الراية! فقدم علي وهو يقول: أنا أبو القصم. فناداه أبوسعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين: هل لك يا أبا القصم في البراز من حاجة؟ قال: نعم. فبرزا بين الصفين، فاختلفا ضربتين، فضربه علي، فصرعه ثم انصرف ولم يجهز عليه. فقال له بعض أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعورته، فعطفتني عليه الرحم وعرفت أن الله قد قتله". **البداية والنهاية**، ج٤، ص٤، حوادث السنة الثالثة الهجرية، غزوة أُحد في شوال سنة ثلاث، مقتل حمزة.

الفرار من أمام علي ليس عاراً!

ما فعله عمرو بن العاص من فعل مشين مقابل أمير المؤمنين عليه السلام أصبح مادة للتندر منه يقول الواقدي: **قال معاوية بعد استقرار الخلافة له لعمرو بن العاص: يا أباعبدالله! لا أراك إلاّ ويغلبني الضحك.** قال: **بماذا؟** قال: **أذكر يوم حمل عليك أبوتراب في صفين، فأزريت نفسك فرقاً من شبا سنانه وكشفت سوأتك له.** فقال عمرو: **أنا منك أشد ضحكاً، إني لأذكر يوم دعاك إلى البراز فانتفخ سحرك وربا لسانك في فمك وغصصت بريقك وارتعدت فرائصك وبدا منك ما أكره ذكره لك.** فقال معاوية: **لم يكن هذا كله. وكيف يكون ودوني عك والأشعريون؟** قال: **إنك لتعلم أن الذي وصفت دون ما أصابك. وقد نزل ذلك بك ودونك عك والأشعريون، فكيف كانت حالك لو جمعكما مأقط الحرب؟** فقال: يا أباعبدالله! **خض بنا الهزل إلى الجد. إن الجبن والفرار من علي لا عار على أحد فيهما**[١].

لم يقتصر الخوف من أمير المؤمنين عليه السلام على هذين الشخصين، بل كان يشمل جميع قادة جيش معاوية ففي أحد أيام صفين دعا عبيدالله بن عمر بن الخطاب محمد بن الحنفية إلى البراز. فهمّ محمد بالخروج إلى الميدان ولكن الإمام علياً عليه السلام أعاده قبل أن يقابل عبيدالله، ونزل بنفسه إلى الساحة وقال لعبيدالله: **أنا أُبارزك، فهلم إلي!** قال عبيدالله: **ليس لي في مبارزتك حاجة** قال: فرجع ابن عمر وأخذ ابن الحنفية يقول لأبيه: **منعتني من مبارزته، فوالله لرجوت أن أقتله.** قال: **يا بني! لو بارزته أنا لقتلته ولو بارزته أنت لرجوت أن تقتله وما كنت آمن أن يقتلك**[٢].

---

(١) **شرح نهج البلاغة**، ج٦، ص٣١٧، ذيل الخطبة ٨٣، أمر عمرو بن العاص في صفين. [ربما كان هناك خطأ في المصدر لأن المؤلف ذكر أنه الواقدي والشرح لابن أبي الحديد: م]

(٢) "لما كان من الغد خرج محمد بن علي بن أبي طالب وخرج إليه عبيدالله بن عمر بن الخطاب في جمعين عظيمين فاقتتلوا كأشد القتال. ثم إن عبيدالله بن عمر أرسل إلى محمد بن الحنفية أن: اخرج إليّ أُبارزك. قال له: نعم. ثم خرج إليه يمشي، فبصر به علي فقال: من هذان المتبارزان؟ فقيل له: ابن الحنفية وابن عمر. فحرك علي دابته ثم دعا محمداً فوقف له فقال: أمسك دابتي! فأمسكها له ثم مشى إليه فقال: أنا أُبارزك ... يقتلك". **شرح نهج البلاغة**، ج٥، ص١٧٩، ذيل الخطبة ٦٥، من أخبار يوم صفين ؛ **وقعة صفين**، ص٢٢١، قتال ابن الحنفية وابن عمر ؛ **الأخبار الطوال**، ص٢٥٩، قتال ابن الحنفية وابن عمر.

اشتباك عنيف في السابع من صفر

في صفر بلغت حرب صفين ذروتها. فبعد تبادل الكتب والسفراء، حدثت بعض الاشتباكات الصغيرة بين الجانبين. ومع حلول شهر صفر اتخذ الجيشان وضع اصطفاف عسكري، وكان في كل يوم يتقدم أحد قادة جيش الإمام عليه السلام لمبارزة جيش الشام. ولم تحقق هذه الاشتباكات الجزئية نتيجة تذكر. حتى جاء يوم السابع من صفر سنة ٣٧ هجرية، فصلى الإمام عليه السلام ودعا بعدد من الأدعية ثم استعد لمقابلة جيش الشام.

كان السابع من صفر من أشد أيام صفين مخاطرة. ففي أوله برز حجر بن عدي الذي عرف بحجر الخير إلى ابن عمه حجر بن يزيد الذي عرف بحجر الشر. ثم اتسعت رقعة المواجهة بمشاركة رجال آخرين من الجيشين. ثم قُتل حجر الشر بسيف رفاعة[١].

ثم برز عبدالله بن بديل الخزاعي فتقدم بشجاعة منقطعة النظير مع ميمنة جيش العراق حتى وصل مقر معاوية وأجبره على الفرار. ولم يكن لعبدالله من غاية إلاّ قتل معاوية، فتقدم حتى اقترب من معاوية. فأحس معاوية بالخطر الداهم فنادى بأصحابه: **ويلكم! الصخر والحجارة إذا عجزتم عن السلاح** فأقبل أصحاب معاوية على عبدالله بن بديل يرضخونه بالصخر حتى أثخنوه وقُتل الرجل[٢].

---

(١) "عن الشعبي: أن أول فارسين التقيا في هذا اليوم وهو اليوم السابع من صفر، وكان من الأيام العظيمة في صفين ذا أهوال شديدة، حجر الخير وحجر الشر ابن عمه. وذلك أن حجر الشر دعا حجر بن عدي إلى المبارزة وكلاهما من كندة، فأجابه فأطعنا (هكذا، ربما فاطعنا: م) برمحيهما. ثم حجز بينهما امرؤ من بني أسد وكان مع معاوية، فضرب حجراً ضربة برمحه، وحمل أصحاب علي فقتلوا الأسدي وأفلتهم حجر بن يزيد [حجر] الشر هارباً. **وقعة صفين**، ص٢٤٣، مبارزة حجر الخير وحجر الشر ؛ **الأخبار الطوال**، ص٢٦٠، مبارزة حجر بن عدي وحجر الشر.

(٢) "فلم يزل يحمل حتى انتهى إلى معاوية [والذين بايعوه على الموت، فأمرهم أن يصمدوا لعبد الله بن بديل. وبعث إلى حبيب بن مسلمة الفهري وهو في الميسرة أن يحمل عليه بجميع من معه. واختلط الناس واضطرم الفيلقان، ميمنة أهل العراق وميسرة أهل الشام. وأقبل عبد الله بن بديل يضرب الناس بسيفه قدماً] حتى أزال معاوية عن موقفه، وجعل ينادي: يا لثارات عثمان! يعني أخاً له قد قتل. وظن معاوية وأصحابه أنه إنما يعني عثمان بن عفان. [وتراجع معاوية عن مكانه القهقرى كثيراً وأشفق على نفسه. وأرسل إلى حبيب بن مسلمة مرة ثانية وثالثة يستنجده ويستصرخه. ويحمل حبيب حملة شديدة بميسرة معاوية على ميمنة العراق، فكشفها حتى لم يبق مع ابن بديل إلاّ نحو مائة إنسان من القرّاء. فاستند بعضهم إلى بعض يحمون أنفسهم. ولجج

عندما رأى معاوية جسد عبدالله بن بديل قال بحقه ما يدل على شجاعته الفائقة والذعر الذي كان أدخله في قلوب أعدائه. قال معاوية في وصفه: **هذا كبش القوم ورب الكعبة. اللّهُمَّ أظفرني بالأشتر النخعي** مالك **والأشعث الكندي** ابن قيس **والله ما مثل هذا إلاّ كما قال الشاعر:**

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها ... وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

ويحمي إذا ما الموت كان لقاؤه ... قدى الشبر، يحمي الأنف أن يتأخرا

كليث هزبر كان يحمي ذماره ... رمته المنايا قصدها فتقطرا

مع أن نساء خزاعة لو قدرت على أن تقاتلني فضلاً عن رجالها فعلت(١)

ابن بديل في الناس وصمم على قتل معاوية، وجعل يطلب موقفه ويصمد نحوه حتى انتهى إليه] عبد الله بن عامر واقفاً [فنادى معاوية بالناس: ويلكم! ... الرجل". **شرح نهج البلاغة**، ج٥، ص١٩٦، شرح الخطبة ٦٥، من أخبار يوم صفين ؛ **الأخبار الطوال**، ص٢٦١، حملة عبد الله بن بديل على أهل الشام.

(١) "فكشف [ابن عامر] عن وجهه فقال معاوية: هذا ... فعلت". **وقعة صفين**، ص٢٤٦، مصرع عبد الله بن بديل.

فرار ميمنة جيش العراق

بعد هروب عدد كبير من جنود ميمنة جيش العراق، استطاع جنود جيش الشام أن يقتلوا عبدالله وأصحابه بمنتهى الخسة. ولما رأى أمير المؤمنين عليه السلام فرار جنوده، نزل إلى الميدان حتى وصل إلى مالك الأشتر فقال له: **يا مالك!** قال: **لبيك يا أمير المؤمنين!** قال: **ائت هؤلاء القوم فقل لهم: أين فراركم من الموت الذي لن تعجزوه إلى الحياة التي لا تبقى لكم**[١]؟

فصاح مالك الأشتر بالمقاتلين محرضاً: **عضضتم بهن أبيكم ما أقبح والله ما قاتلتم اليوم يا أيها الناس! غضوا الأبصار وعضوا على النواجذ واستقبلوا القوم بهامكم، ثم شدوا شدة قوم موتورين بآبائهم وأبنائهم وإخوانهم حنقاً على عدوهم وقد وطنوا على الموت أنفسهم كي لا يسبقوا بثأر. إن هؤلاء القوم والله لن يقارعوكم إلاّ عن دينكم ليطفئوا السنة ويحيوا البدعة ويدخلوكم في أمر قد أخرجكم الله منه بحسن البصيرة. فطيبوا عباد الله نفساً بدمائكم دون دينكم، فإن الفرار فيه سلب العز والغلبة على الفيء وذل المحيا والممات وعار الدنيا والآخرة وسخط الله وأليم عقابه**[٢].

---

(١) "لما انهزمت ميمنة أهل العراق، أقبل علي عليه السلام يركض نحو الميسرة يستثيب الناس ويستوقفهم ويأمرهم بالرجوع نحو الفزع. حتى مر بالأشتر فقال له: يا مالك! ... لكم". **وقعة صفين**، ص٢٥٠، علي وسعيد بن قيس والأشتر.

(٢) "فقال: عضضتم ... عقابه". **وقعة صفين**، ص٢٥٠، علي وسعيد بن قيس والأشتر.

قيادة مالك الأشتر وانتصار جيش العراق

بعد ذلك، دعا مالك الأشتر قبيلة مذحج وعاتبهم وحثهم على الثبات في ميدان القتال. وكان لكلامه بالغ الأثر عليهم، فأعربوا عن استعدادهم لتصحيح أخطائهم. من جانب آخر، انضم نحو ٨٠٠ رجل من قبيلة همدان إلى مالك تمهيداً لشن هجوم شامل، فقاتلوا قتالاً شديداً حتى استشهد (هكذا، وفي الهامش أُصيب: م) من همدان نحو ١٨٠ رجلاً[١] وكان مالك الأشتر يدعو جيش العراق إلى الثبات. فهجم جيش العراق هجمة شديدة هزموا فيها كل من واجههم من الشاميين وأجبروهم على التراجع[٢].

(١) "يستقبله شباب من همدان وكانوا ثماني مائة مقاتل يومئذٍ وقد انهزموا آخر الناس، وكانوا قد صبروا في ميمنة علي عليه السلام حتى أُصيب منهم ثمانون ومائة رجل، وقتل منهم أحد عشر رئيساً". **وقعة صفين**، ص٢٥٢، مصارع الهمدانيين.

(٢) "زحف الأشتر نحو الميمنة وثاب إليه أُناس تراجعوا من أهل البصيرة والحياء والوفاء، فأخذ لا يصمد لكتيبة إلاّ كشفها ولا لجمع إلاّ حازه ورده". **وقعة صفين**، ص٢٥٣، تراجع الناس إلى الأشتر.

شجاعة مالك الأشتر

إن جيشاً يقوده مالك الأشتر الذي ينزل إلى الميدان ويقاتل بنفسه قتالاً بطولياً، لابد أن يكون حليفه النصر. لقد رفع مالك الأشتر، بشجاعته وحسن أدائه، الروح المعنوي لجيشه ومكنّه من تحويل هزيمته إلى نصر. وقيل في شجاعة مالك الأشتر في ذلك اليوم: كان يرتجز ويهز سيفه في الهواء ويخلب الأنظار ببريق سيفه[١] واستطاع وحده، بما أُوتي من بسطة في الجسم، أن يعيد لجيش الإمام عليه السلام معنوياته. وقد قيل في وصفه: **كان الأشتر من أعظم الرجال وأطوله**[٢] وقال منقذ لحمير: **ما في العرب رجل مثل هذا، إن كان ما أرى من قتاله على نيته**[٣].

لقد أدخل الأشتر، بشجاعته، الذعر في قلوب قادة جيش الشام. جاء في أحد المصادر التاريخية أنه في أحد أيام صفين، دعا عبيدالله بن عمر جيش الشام (هكذا، والأرجح العراق: م) إلى المبارزة، فخرج مالك الأشتر إلى الميدان وكان ملثماً. فسأله عبيدالله عمن يكون. فلما علم بأنه مالك الأشتر، تراجع وقال له: **يا مالك! والله لو علمت أنك الداعي إلى البراز لما خرجت إليك. فإن رأيت أن أرجع عنك فعلت منعماً.** فقال الأشتر: **ألا تخاف العار أن ترجع عني وأنا رجل من اليمن وأنت فتى من قريش؟** فقال: **لا والله ما أخاف العار إذا رجعت عن مثلك**[٤].

يقول ابن أبي الحديد عن شجاعة مالك الأشتر: **لله أُم قامت عن الأشتر لو أن إنساناً يقسم أن الله ما خلق في العرب ولا في العجم أشجع منه إلاّ أُستاذه** (يعني علياً عليه السلام) **لما خشيت عليه الإثم ولله در القائل وقد سئل عن الأشتر: ما أقول في رجل هزمت حياتُه أهلَ الشام وهزم موتُه أهلَ العراق**[٥].

---

(١) **وقعة صفين**، ص٢٥٣، تراجع الناس إلى الأشتر.

(٢) **وقعة صفين**، ص٢٥٥، تحريض الأشتر أصحابه.

(٣) **وقعة صفين**، ص٢٥٥، تحريض الأشتر أصحابه.

(٤) "ثم دنا الأشتر وليس يعرفه، فقال له: من أنت أيها الفارس؟ فإني لا أُبارز إلاّ كفؤاً. قال: أنا مالك بن الحارث النخعي. قال: فصمت عبيدالله بن عمر ساعة ثم قال: يا مالك! ... مثلك". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٤١، ذكر الوقعة الثانية بصفين.

(٥) **شرح نهج البلاغة**، ج٢، ص٢١٣، ذيل الخطبة ٣٥، قصة التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج.

مقابلة قبيلة خثعم بعضهم بعضاً

بعد الشجاعة التي أظهرتها قبيلتا مذحج وهمدان وما أفضت إليه من انهزام جيش الشام، وصل الدور إلى قبيلة خثعم. هذه القبيلة كانت موزعة على جيشي العراق والشام، وكان الكثير منهم أقرباء لبعض. لذا اقترح أحد قادة جيش الشام، قبل اندلاع الاشتباكات، أن تعتزل القبيلة القتال وتنتظر حتى يتبين المنتصر فتكون معه. غير أن زعيم جيش خثعم العراقي، وكان مع أمير المؤمنين عليه السلام عن بصيرة ومعرفة به، رفض المقترح. ولم يكن يداخله أي شك في حقانية الإمام عليه السلام، فلم يتردد في مقاتلة أبناء قبيلته، الأمر الذي نتج عنه مصرع عدد كبير من رجال القبيلة من الجانبين[1].

(١) "عن عمر [قال: حدثنا] أبوعلقمة الخثعمي أن عبد الله بن حنش الخثعمي رأس خثعم مع معاوية أرسل إلى أبي كعب رأس خثعم مع علي أن: لو شئت لتواقفنا فلم نقتتل، فإن ظهر صاحبك كنا معكم، وإن ظهر صاحبنا كنتم معنا ولم يقتل بعضنا بعضاً. فأبى أبوكعب ذلك. فلما التقت خثعم وخثعم وزحف الناس بعضهم إلى بعض، قال رأس خثعم الشام لقومه: يا معشر خثعم! قد عرضنا على قومنا من أهل العراق الموادعة صلة لأرحامهم وحفظاً لحقهم فأبوا إلاّ قتالنا. فقد بدأونا بالقطيعة، فكفوا أيديكم عنهم حفظاً لحقهم أبداً ما كفوا عنكم. فإذا قاتلوكم فقاتلوهم. فخرج رجل من أصحابه فقال: [إنهم] قد ردوا عليك رأيك وأقبلوا يقاتلونك. ثم برز فنادى: رجل لرجل يا أهل العراق. فغضب رأس خثعم من أهل الشام، فقال: اللّهُمَّ قيّض له وهب بن مسعود رجلاً من خثعم من أهل الكوفة وقد كانوا يعرفونه في الجاهلية لم يبارزه رجل قط إلاّ قتله. فخرج إليه وهب بن مسعود فحمل على الشامي فقتله. ثم اضطربوا [ساعة] فاقتتلوا أشد القتال، وأخذ أبوكعب يقول لأصحابه: يا معشر خثعم! خدموا. وأخذ صاحب الشام يقول: يا أباكعب! [الكل] قومك فأنصف! فاشتد قتالهم، فحمل شمر بن عبد الله الخثعمي من أهل الشام على أبي كعب رأس خثعم الكوفة فطعنه، فقتله. ثم انصرف يبكي ويقول: رحمك الله يا أباكعب، لقد قتلتك في طاعة قوم أنت أمس بي رحماً منهم وأحب إلى أنفسنا منهم. ولكن والله ما أدري ما أقول ولا أرى الشيطان إلاّ قد فتننا، ولا أرى قريشاً إلاّ قد لعبت بنا. ووثب كعب بن أبي كعب إلى راية أبيه فأخذها ففقئت عينه وصرع ثم أخذها شريح بن مالك فقاتل القوم تحتها حتى صرع منهم حول رايتهم ثمانون رجلاً وأُصيب من خثعم الشام نحو منهم. ثم إن شريح بن مالك ردها بعد ذلك إلى كعب بن أبي كعب". **وقعة صفين**، ص٢٥٧، رأس خثعم الشام ورأس خثعم العراق.

مقابلة قبيلة الأزد بعضها بعضاً

تعرضت قبيلة أزد للموقف نفسه الذي تعرضت له قبيلة خثعم، إذ حدثت مواجهة بين أفرادها. فقبل المواجهة، خطب زعماء الطرفين برجالهم لتحريضهم على القتال. فألقى جندب بن زهير، زعيم أزد العراق، خطبة قلّ نظيرها دلت على عمق يقينه بحقانية أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال للمقاتلين الذين تحت إمرته: **والله لو كنا آباءهم ولدناهم أو كنا أبناءهم ولدونا، ثم خرجوا من جماعتنا وطعنوا على إمامنا وآزروا الظالمين والحاكمين بغير الحق على أهل ملتنا وذمتنا، ما افترقنا بعد أن اجتمعنا حتى يرجعوا عما هم عليه ويدخلوا فيما ندعوهم إليه أو تكثر القتلى بيننا وبينهم**[١].

ولم تكن مثل هذه الحالة قليلة الوقوع في حرب صفين. فقد شهدت المعركة تقابل أخوين كانا مقنّعين، فأمسك العراقي بالشامي وصرعه أرضاً وجلس على صدره وهمّ بجز رأسه. ولكن القناع زال عن وجه أخيه فعرفه فانصرف عنه، وأخذه إلى أمير المؤمنين عليه السلام لينظر في شأنه، فأمر عليه السلام بإخلاء سبيله، فعاد إلى معسكر معاوية[٢].

---

(١) **تاريخ الطبري**، ج٣، ص٩٠، حوادث سنة ٣٧ هجرية، تكتيب الكتاب وتعبئة الناس للقتال.

(٢) "أصبحوا في اليوم الثامن من صفين والفيلقان متقابلان. فخرج رجل من أهل الشام فسأل المبارزة. فخرج إليه رجل من أهل العراق، فاقتتلا بين الصفين قتالاً شديداً. ثم إن العراقي اعتنقه فوقعا جميعاً وغار الفرسان. ثم إن العراقي قهره، فجلس على صدره وكشف المغفر عنه يريد ذبحه، فإذا هو أخوه لأبيه وأُمه. فصاح به أصحاب علي عليه السلام: ويحك! أجهز عليه! قال: إنه أخي. قالوا: فاتركه! قال: لا والله حتى يأذن أميرالمؤمنين. فأُخبر علي عليه السلام بذلك، فأرسل إليه أن دعه، فتركه فقام فعاد إلى صف معاوية". **شرح نهج البلاغة**، ج٥، ص٢١٤، ذيل الخطبة ٦٥، من أخبار يوم صفين.

نشر مظلومية عثمان

استشهد رجل من جيش الإمام عليه السلام اسمه نعيم بن صهيب بن عليّة، فاستأذن ابن عمه نعيم بن الحارث معاوية، وكان معه، في أن يدفنه. فرفض معاوية الإذن له بدفن ابن عمه، وذكر قتل عثمان محاولاً إظهاره بمظهر المظلوم لاستغلاله في تحريض جنده على القتال، فقال: **لا تدفنهم، فليسوا أهلاً لذلك. فوالله ما قدرنا على دفن عثمان معهم إلاّ سراً**[1].

(١) "فأتى ابن عمه وسميه نعيم بن الحارث بن العلية معاوية، وكان معه، فقال: إن هذا القتيل ابن عمي، فهبه لي أدفنه. فقال: لا تدفنهم ... سراً". **وقعة صفين**، ص٢٥٩، صرعى بجيلة، قتال غطفان العراق.

خطبة عتبة بن جويرية الحماسية

في أيام اشتداد القتال وبلوغ حرب صفين الذروة، تكلم أصحاب الإمام علي عليه السلام الخلّص بكلام ينبئ عن يقينهم وإيمانهم من هؤلاء عتبة بن جويرية الذي خطب خطبة تفيض زهداً في الدنيا ورغبة بالشهادة وتقطر موالاة. فقد التفت إلى أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقال: **أيها الناس! إنكم قد ترون ما قتل من أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام وإن مرعى الدنيا قد أصبح هشيماً وأصبح شجرها حصيداً وحلوها مرّ المذاق ألا وإني منبئكم بأمر صادق؛ إني قد سئمت من هذه الدنيا وعزفت نفسي عنها وقد كنت أتمنى الشهادة وأتعرض لها في كل جيش وفي وقتي هذا، وقد طمعت أن لا أُحرمها فما تنتظرون عباد الله في قتال أعداء الله؟ استبدلوا بالدنيا مرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين**[1].

إن خطبة جويرية عتبة بن جويرية، علاوة على دلالتها على إخلاصه في موالاته لأمير المؤمنين عليه السلام، تؤشر إلى حقيقة أُخرى. إنه يعاتب جماعة من جند الإمام عليه السلام ويلومهم على تقاعسهم. وهذا يدل على أن جيش الإمام عليه السلام لم يكن متجانساً، بل كان يندس فيه بعض ضعاف الإيمان والمنافقين الذين يبحثون عن الذرائع للفرار من القتال وهو ما وجدوه عندما رفع أهل الشام المصاحف على رؤوس الرماح، فقلبوا نتيجة الحرب.

---

(١) "فتقدم عتبة بن جويرية فقال: أيها الناس! ... والصالحين". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٤٤، خبر عرار بن الأدهم.

شمر بن ذي الجوشن في جيش الإمام عليه السلام!

من عجائب حرب صفين أن شخصاً مثل شمر بن ذي الجوشن يكون في جيش أمير المؤمنين عليه السلام، يقاتل معاوية والشاميين جنباً إلى جنب الإمام الحسين عليه السلام، بل ويجرح كذلك! وهو الذي سيشهر السيف، بعد سنوات، بوجه الإمام الحسين عليه السلام ويقتله بيده. يقول نصر بن مزاحم عن وجود شمر في جيش أمير المؤمنين عليه السلام: **خرج أدهم بن محرز، من أصحاب معاوية، بصفين إلى شمر بن ذي الجوشن فاختلفا ضربتين، فضربه أدهم على جبينه فأسرع فيه السيف حتى خالط العظم. وضربه شمر فلم يصنع سيفه شيئاً، فرجع إلى عسكره، فشرب من الماء وأخذ رمحاً ثم أقبل يقول:**

إني زعيم لأخي باهلة ... بطعنة إن لم أمت عاجلة

وضربة تحت الوغى فاصلة ... شبيهة بالقتل أو قاتلة

ثم حمل على أدهم وهو يعرف وجهه، وأدهم ثابت له لم ينصرف، فطعنه فوقع عن فرسه. وحال أصحابه دونه، فانصرف فقال [شمر]: هذه بتلك[١].

---

(١) **وقعة صفين**، ص٢٦٨، مبارزة سويد بن قيس وأبي العمر.

مندسون بين قادة جيش الإمام عليه السلام

جاء جماعة إلى أمير المؤمنين عليه السلام في أحد أيام الحرب فقالوا له: **إنا لا نرى خالد بن المعمر السدوسي إلاّ قد كاتب معاوية، وقد خشينا أن يتابعه.** فبعث إليه علي وإلى رجال من أشرافهم، فحمد الله ربه تبارك وتعالى وأثنى عليه ثم قال: **أما بعد يا معاشر ربيعة، فأنتم أنصاري ومجيبو دعوتي ومن أوثق حي في العرب في نفسي. ولقد بلغني أن معاوية قد كاتب صاحبكم خالد بن المعمر، وقد أتيت به وقد جمعتكم له لأُشهدكم عليه وتسمعوا أيضاً مني ومنه.** ثم أقبل عليه فقال: **يا خالد بن المعمر! إن كان ما بلغني عنك حقاً فإني أُشهد الله ومن حضرني من المسلمين أنك آمن حتى تلحق بالعراق أو بالحجاز أو أرض لا سلطان لمعاوية فيها. وإن كنت مكذوباً عليك فأبر صدورنا بأيمان تطمئن إليها.** فحلف له بالله ما فعل. وقال رجال منا كثير (قال جماعة من زعماء القبيلة): **والله لو نعلم أنه فعل لقتلناه**[١].

كان خالد بن المعمر صاحب راية ربيعة الكوفة والبصرة. ففي أثناء القتال، انسحب جماعة من ربيعة، ومنهم خالد، فجأة فأضعفوا ميسرة جيش الإمام عليه السلام ولما عوتب فيما بعد على فعلته قال: **لما رأيت رجالاً منا قد انهزموا، رأيت أن أستقبلهم ثم أردهم إليكم**[٢].

يقول ابن أبي الحديد: **لاريب عند علماء السير أن خالد بن المعمر كان له باطن سوء مع معاوية، وأنه انهزم هذا اليوم ليكسر الميسرة على علي عليه السلام ذكر ذلك الكلبي والواقدي وغيرهما. ويدل على باطنه هذا أنه لما استظهرت ربيعة على معاوية وعلى صفوف أهل الشام في اليوم الثاني من هذا، أرسل معاوية إلى خالد بن المعمر أن: كف عني ولك إمارة خراسان ما بقيتَ** (علموا أن معاوية كان يقبض على نبضه) **فكف عنه، فرجع بربيعة وقد شارفوا أخذه من مضربه**[٣].

---

(١) "إن أُناساً كانوا أتوا علياً قبل الوقعة في هذا اليوم فقالوا: إنا لا نرى ... لقتلناه". **وقعة صفين**، ص٢٨٧، استبراء خالد بن المعمر.

(٢) **وقعة صفين**، ص٢٩١، تضعضع رايات ربيعة بعد الهزيمة.

(٣) "قلت: لاريب ... نبضه". **شرح نهج البلاغة**، ج٥، ص٢٢٨، شرح الخطبة ٦٥، من أخبار يوم صفين.

كيفية تعامل الجيش مع أبناء الخلفاء

سبق أن ذكرنا أن العراقيين، رغم وقوفهم إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام، كانوا يعتقدون بمشروعية خلافة الشيخين. لم يكن العراقيون شيعة للإمام علي عليه السلام الحقيقيين. وهذا ما بينه أحد مشاهد حرب صفين.

فرّ عبيدالله بن عمر[1] ابن الخليفة الثاني إلى الشام في عهد أمير المؤمنين عليه السلام خوفاً من أن يقتص منه نظير الجرائم التي كان ارتكبها. وهذا ما أعطى زخماً لجيش الشام، لكونه ابن الخليفة الثاني، فكان جيش الشام يفتخر بوجوده فيه.

---

(١) هو ابن الخليفة الثاني، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. بعد مقتل أبيه، قام بقتل ابنة أبي لؤلؤة والهرمزان ورجل نصراني لأنه كان صديقاً لأبي لؤلؤة. فعفا عنه عثمان ولم يقتص منه. وبعد وصول الخلافة إلى أميرالمؤمنين عليه السلام، فرّ عبيدالله إلى الشام، خشية أن يجري الإمام عليه السلام القصاص، والتحق بمعاوية. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٣، ص١٣٢، ترجمة عبيدالله بن عمر بن الخطاب، الرقم ١٧٣٧ ؛ **أنساب الأشراف**، ج٣، ص٧٨، أمر صفين. حمل عبيدالله كره الإيرانيين في قلبه بعد مقتل أبيه، فكان يهجم على من كان منهم في المدينة بسيفه كالحيوان المفترس. **أنساب الأشراف**، ج١٠، ص٤٣٤، عبيدالله بن عمر يقتل المتآمرين على قتل والده ؛ **الطبقات الكبرى**، ج٣، ص٣٥٧، ذكر استخلاف عمر. لما رأى رجال الدولة عبيدالله يفعل ذلك، قاموا باعتقاله وحبسه حتى يرى الخليفة الجديد رأيه فيه. إلاّ أن عثمان بن عفان عفا عنه، بعد اختياره من قبل الشورى. **شرح نهج البلاغة**، ج٩، ص٥٤، ذيل الخطبة ١٣٩، من أخبار يوم الشورى وتولية عثمان. ولكن الإمام علياً عليه السلام احتج على عثمان وقال له: اقتل هذا الفاسق الخبيث فقد قتل مسلماً بريئاً. **شرح نهج البلاغة**، ج٣، ص٦١، ذيل الخطبة ٤٣، ذكر المطاعن التي طعن بها على عثمان والرد عليها. جاء في بعض المصادر أن الإمام علياً عليه السلام قال لعثمان: ستُسأل يوم الحساب عن دم الهرمزان. والله لئن رأيت عبيدالله لآخذن حق الله منه وإن رغمت أُنوف. **الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة**، ص١٧٦، ما نقموه من عثمان. بعد هذا التهديد من قبل الإمام عليه السلام، أرسل عثمان في طلب عبيدالله ليلاً فوهبه قرية قرب الكوفة سميت فيما بعد "كويفة ابن عمر". فهرب عبيدالله إليها في تلك الليلة وظل فيها حتى نهاية عهد عثمان.**شرح نهج البلاغة**، ج٣، ص٦١، ذيل الخطبة ٤٣، ذكر المطاعن التي طعن بها على عثمان والرد عليها. ولما آلت الخلافة إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فرّ عبيدالله إلى الشام، خشية من أن ينزل الإمام عليه السلام به القصاص، والتحق بمعاوية. وكانت نهايته أن قتل في صفين. **شرح نهج البلاغة**، ج٣، ص١٠٠، ذيل الخطبة ٤٣، أخبار متفرقة.

بالمقابل، كان العراقيون يفخرون بوجود محمد بن أبي بكر معهم لأنه ابن الخليفة الأول[1].

لو كان العراقيون شيعة حقيقيين لأمير المؤمنين عليه السلام لما افتخروا ببنوة الخليفة الأول. وصحيح أن محمد بن أبي بكر تربى في حجر أمير المؤمنين عليه السلام ولم يكن يؤمن بأبي بكر، ولكن كان ينبغي على أهل العراق التباهي بوجود الحسنين عليهما السلام في جيش أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) "عن تميم قال: نادى منادي أهل الشام: ألا إن معنا الطيب ابن الطيب عبيدالله بن عمر. فقال عمار بن ياسر: بل هو الخبيث [ابن الطيب]. ونادى منادي أهل العراق: ألا إن معنا الطيب ابن الطيب محمد بن أبي بكر. فنادى منادي أهل الشام: بل هو الخبيث بن الطيب". **وقعة صفين**، ص٢٩٣، التفاخر بعبيدالله بن عمر ومحمد بن أبي بكر.

استغلال معاوية وجود عبيد الله بن عمر إعلامياً

عندما ذهب عبيدالله بن عمر بن الخطاب إلى الشام، كتب معاوية إلى عمرو بن العاص أن الله أحيى لك عمر بن الخطاب بمجيء عبيدالله إلى الشام وأُريد أن أُقنعه بأن يخطب في الناس ويشتم علياً ويشهد بأنه هو من قتل عثمان. فقال عمرو: نعم ما تصنع. فأرسل معاوية في طلب عبيدالله وقال له: يا ابن أخي! أُريد منك أن تصعد المنبر وتنال من علي بأشد ما تقدر وتشتمه وتحمله مسؤولية قتل عثمان. فإن لكلامك تأثيراً بالغاً على أهل الشام.

فقال عبيدالله بن عمر: كيف لي أن أشتمه وأبوه أبوطالب وأُمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، فما عساي أن أقول في حسبه ونسبه؟ أما في الشجاعة والبأس فهو شجاع قوي وأنت تعلم ذلك جيداً. أما تحميله دم عثمان، فنعم.

قال عمرو بن العاص: وهذا يكفي وسيؤثر على الناس ويحرضهم على علي ولما خرج عبيدالله، قال معاوية لعمرو بن العاص: والله، لولا أنه قتل الهرمزان ويخشى من قصاص علي لما جاء إلينا ألا ترى كيف يمدح علياً؟ فقال عمرو بن العاص: إن لم تكن قادراً على الانتصار على العدو فلا أقل من خدشه يعني أنه يكفيه أن يخدش عبيدالله صورة علي بين الناس.

سمع عبيدالله بالحوار الذي جرى بين معاوية وعمرو بن العاص. ولما قام ليخطب، تكلم بكلام كثير ولكنه لم يتطرق لعلي عليه السلام وبعد أن أنهى خطبته، أرسل له معاوية رسالة أن: يا ابن أخي! إما أنك فقدت عقلك أو أنك خنت فلماذا لم تفعل ما وعدتنا به؟ فأرسل إليه عبيدالله أنه لا يحب أن يحمِّل مسؤولية قتل عثمان من لم يقتله[١].

---

(١) لما قدم عبيدالله بن عمر بن الخطاب على معاوية بالشام أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص: إن الله قد أحيى لك عمر بن الخطاب بالشام بقدوم عبيدالله بن عمر. وقد رأيت أن أُقيمه خطيباً يشهد على علي بقتل عثمان وينال منه. فقال: الرأي ما رأيت. فبعث إليه، فأتاه، فقال له معاوية: يا ابن أخي! إن لك اسم أبيك، فانظر بملء عينيك وانطق بملء فيك، فأنت المأمون المصدق. فاصعد المنبر واشتم علياً واشهد عليه أنه قتل عثمان. فقال: أيها الأمير! أما شتمه فإن أباه أبوطالب وأُمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، فما عسى أن أقول في حسبه؟ وأما بأسه فهو الشجاع المطرق. وأما أيامه فما قد عرفت. ولكني ملزمه دم عثمان.

فقال عمرو بن العاص: إذن والله قد نكأت القرحة. فلما خرج عبيدالله بن عمر، قال معاوية: أما والله، لولا قتله الهرمزان ومخافته علياً على نفسه ما أتانا أبداً. ألا ترى إلى تقريظه علياً؟ فقال عمرو: يا معاوية! إن لم تغلب فاخلب. قال: وخرج حديثهما إلى عبيدالله، فلما قام خطيباً تكلم بحاجته. فلما انتهى إلى أمر علي أمسك ولم يقل شيئاً. فلما نزل، بعث إليه معاوية: يا ابن أخي! إنك بين عي وخيانة. فبعث إليه: إني كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان وعرفت أن الناس محتملوها عني فتركتها". **شرح نهج البلاغة**، ج٣، ص١٠٠، ذيل الخطبة ٤٣، أخبار متفرقة.

رفض نزول الحسنين عليهما السلام إلى ميدان القتال

من النقاط المهمة في حرب صفين أن الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، رغم مشاركتهما في جميع حروب أمير المؤمنين عليه السلام، إلاّ أنه عليه السلام ما كان يأذن لهما بالنزول إلى الميدان. ويفسر ذلك بقوله: **فعلمت أن هذين** (يعني الحسنين عليهما السلام) **إن هلكا انقطع نسل محمد** صلى الله عليه وآله وسلم **من هذه الأُمة. فكرهت ذلك وأشفقت على هذين أن يهلكا،** (وكنت سأحزن على محمد وعبدالله إن فقدتمها). **وقد علمت أن لولا مكاني لم يستقدما** (يعني محمد بن علي وعبدالله بن جعفر) **وأيم الله لئن لقيتهم بعد يومي لألقينهم وليس هما معي في عسكر ولا دار** هلكا[1].

كان أمير المؤمنين عليه السلام يتقدم للمبارزة، كلما دعا إليها مقاتل من جيش معاوية، ولا يأذن لأحد ممن حوله، خاصة للحسنين عليهما السلام بالنزول إلى الميدان والحال كان على العكس منه في معسكر الشام فكلما كان الإمام عليه السلام يدعو معاوية إلى المبارزة، كان معاوية يدفع بجماعته إليها الأمر الذي أثار اعتراض قادته. فقد قال مروان بن الحكم في جلسة خاصة لمعاوية بنبرة معترضة: **أما البراز فإن علياً لا يأذن لحسن ولا لحسين ولا لمحمد بنيه فيه ولا لابن عباس وإخوته ويصلي بالحرب** (هكذا: م) **دونهم فلأيهم نبارز**[2]؟

على أن أمير المؤمنين عليه السلام، بالرغم من أنه لم يكن يأذن لمحمد بن الحنفية كذلك في كثير من الأحيان، إلاّ أنه كان في بعض الأحيان يشجعه على ذلك حسب الظروف. وهذا ما حاول بعض المغرضين انتهازه في إيقاع الحسد بين محمد بن الحنفية والحسنين عليهما السلام يقول ابن أبي الحديد: **قيل**

---

(١) "ولقد هممت بالإقدام [على القوم] فنظرت إلى هذين قد ابتدراني يعني الحسن والحسين عليهما السلام. ونظرت إلى هذين قد استقدماني، يعني عبد الله بن جعفر ومحمد بن علي، فعلمت أن هذين إن هلكا انقطع ... ولا دار". **وقعة صفين،** ص٥٣٠، مقدم علي [عليه السلام] من صفين إلى الكوفة.

(٢) "فقال مروان: أما البراز .... نبارزز؟". **وقعة صفين،** ص٤٦٢، حض معاوية قريش الشام.

لمحمد بن الحنفية: **لم غرر بك أبوك في الحرب ولم لا يغرر بالحسن والحسين؟ فقال**: **لأنهما عيناه وأنا يمينه. فهو يذب عن عينيه بيمينه**[١].

هذا الرد يكشف عن معرفة محمد بن الحنفية لمنزلة أهل البيت الرفيعة، ويبين أنه لم ينظر للقضية نظرة انفعالية ولم تهتز موالاته لأمير المؤمنين عليه السلام.

(١) **شرح نهج البلاغة**، ج١١، ص٢٨، شرح الخطبة ٢٠٠.

وصف شدة القتال

في خضم حرب صفين، بعث أمير المؤمنين عليه السلام رسالتين إلى معاوية دعاه فيهما إلى طريق الحق منعاً لسفك الدماء، ولكن رد معاوية عليه كان يشي بأنه لايزال يأمل بتحقيق النصر، وأنه لا يتنازل، بأي شكل من الأشكال، عن أمانيه الواهية.

بعد أن تلقى أمير المؤمنين عليه السلام ردود معاوية وتمت الحجة عليه، قام عليه السلام بتهيئة جيشه لشن هجوم شامل، فقال: **انهدوا إليهم وعليكم السكينة وسيما الصالحين ووقار الإسلام والله لأقرب قوم من الجهل بالله عزّ وجلّ قوم قائدهم ومؤدبهم معاوية وابن النابغة وأبوالأعور السلمي وابن أبي معيط، شارب الحرام والمجلود حداً في الإسلام. وهؤلاء يقومون فيقصبونني ويشتمونني وقبل اليوم ما قاتلوني وشتموني** (لم يجرؤوا على ذلك)، **وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام**[1].

بعد هذه الخطبة وما تلاها من كلام لقادة الجيشين من حث وتشجيع للمقاتلين، تصاعدت الاشتباكات واشتد القتال. يصف زياد بن النضر الحارثي،[2] وهو من قادة جيش الإمام عليه السلام، الاشتباكات التي تصاعدت في شهر صفر بقوله: **شهدت مع علي بصفين، فاقتتلنا ثلاثة أيام وثلاث ليال حتى تكسرت الرماح ونفدت السهام. ثم صرنا إلى المسايفة فاجتلدنا بها إلى نصف الليل حتى صرنا نحن وأهل الشام في اليوم الثالث يعانق بعضنا بعضاً. وقد قاتلت يومئذٍ بجميع السلاح، فلم يبق شيء من السلاح إلاّ قاتلت به حتى تحاثينا بالتراب وتكادمنا بالأفواه** (يعض بعضنا بعضاً بأسنانه) **حتى صرنا قياماً ينظر بعضنا إلى بعض ما يستطيع واحد من الفريقين ينهض إلى صاحبه**

---

(١) "عن زيد بن وهب أن علياً مرّ على جماعة من أهل الشام بصفين فيهم الوليد بن عقبة وهم يشتمونه ويقصبونه فأخبروه بذلك، فوقف في ناس من أصحابه فقال: انهدوا ... الأصنام". **وقعة صفين**، ص٣٩١، خطبة علي في حثّ أصحابه.

(٢) يعد الشيخ الطوسي زياد بن النضر من أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام. جعله الإمام عليه السلام على مقدمة جيشه عند مسيره إلى صفين وكان بإمرته اثنا عشر ألف مقاتل. وعندما بدأت حرب صفين جعله الإمام عليه السلام قائداً لمذحج والأشعريين. **وقعة صفين**، ص١١٧، قدوم ابن عباس ؛ **تنقيح المقال في علم الرجال**، ج١، ترجمة زياد بن النضر، الرقم ٤٣٦٣.

ولا يقاتل. فلما كان نصف الليل من الليلة الثالثة انحاز معاوية وخيله من الصف وغلب علي ﵇ **على القتلى في تلك الليلة وأقبل على أصحاب محمد** ﷺ **وأصحابه فدفنهم، وقد قتل كثير منهم وقتل من أصحاب معاوية أكثر وقتل فيهم تلك الليلة شمر بن أبرهة وقتل عامة من أصحاب علي** أغلبهم **يومئذ**(١).

(١) "عن زياد بن النضر الحارثي وكان على مقدمة علي، قال: شهدت .... يومئذ". **وقعة صفين،** ص٣٦٩، صفة معركة صفين.

تقابل الوالد والولد

من ميزات حرب صفين أنها وضعت الأقرباء والأصحاب في مواجهة بعضهم. ولعل أعجب مواجهة حدثت في هذه الحرب تلك التي جمعت بين أب اسمه حجل وابن اسمه أثال بن حجل. فقد كان حجل مع معاوية، فيما كان ابنه أثال من أنصار أمير المؤمنين عليه السلام.

كان مالك الأشتر، في خضم الاشتباكات، يشجع جنوده على القتال فخرج أثال بن حجل إلى الميدان وطلب البراز فدعا معاوية حجلاً وأرسله إلى الميدان فتبادل الرجلان الضربات، ثم سأل أحدهما الآخر عن من يكون فأدرك حجل أنه إنما يصارع ابنه. فتعانقا وبكيا، ثم قال الوالد للولد: **أي أثال! هلم إلى الدنيا**. فرد عليه الغلام: **يا أبه! هلم إلى الآخرة. والله يا أبه، لو كان من رأيي الانصراف إلى أهل الشام لوجب عليك أن يكون من رأيك لي أن تنهاني. واسوأتاه! فماذا أقول لعلي وللمؤمنين الصالحين؟ كن على ما أنت عليه وأنا أكون على ما أنا عليه.** وانصرف حجل إلى أهل الشام وانصرف أثال إلى أهل العراق[١].

(١) "فقال الأشتر: يا أهل العراق! أما من رجل يشري نفسه [لله]؟ فخرج أثال بن حجل فنادى بين العسكرين: هل من مبارز؟ فدعا معاوية حجلاً فقال: دونك الرجل. وكانا مستبصرين في رأيهما، فبرز كل واحد منهما إلى صاحبه فبدره الشيخ بطعنة فطعنه الغلام، وانتمى فإذا هو ابنه. فنزلا فاعتنق كل واحد منهما صاحبه وبكيا. فقال له الأب: أي أثال! ... العراق". **وقعة صفين،** ص٤٤٣، نداء الأشتر مفاجأة أثال بن حجل لأبيه ؛ **شرح نهج البلاغة،** ج٨، ص٨٣، ذيل الخطبة ١٢٤، عود إلى أخبار صفين.

محاولات معاوية لإيقاف القتال

مع الاشتباكات الشاملة، تضاعف عدد قتلى عسكر الشام، وشمل القتل عدداً من قادته. وكان وضع جيش الشام يبعث التفاؤل لدى قادة جيش أمير المؤمنين عليه السلام بالنصر يشير الأصبغ بن نباتة، وكان أحد قادة جيش الإمام عليه السلام، إلى هذا بقوله: **يا أمير المؤمنين! إنك جعلتني على شرطة الخميس وقدمتني في الثقة دون الناس، وإنك اليوم لا تفقد لي صبراً ولا نصراً. وأما أهل الشام فقد هدّهم ما أصبنا منهم ونحن ففينا بعض البقية فاطلب بنا أمرك**[1].

(١) "فقام إليه الأصبغ بن نباتة التميمي فقال: يا أميرالمؤمنين! ... أمرك"، ص٤٠٦، كلام لمعاوية والأصبغ والأحنف.

أ ـ تشاور معاوية مع الأشعث بن قيس

بعد مقتل جماعة من أبرز قادة الجيشين، طلب معاوية من معاوية بن حديج[1] أن يكتب إلى الأشعث بن قيس ويطلب منه أن يسلم معاوية قتلة عثمان لينالوا جزاءهم وتتوقف الحرب. فكتب معاوية بن حديج إلى ابن عمه الأشعث، وكلاهما من كندة، رغم معرفته بعدم جدوى ذلك. جاء في الكتاب: **أما بعد! فإنه لن يدخل في الإسلام من ملوك الجاهلية غيرك وغير ذي الكلاع. فأما أنت فنزلت العراق فكنت سيد أهلها. وأما ذوالكلاع فنزل الشام فساد أهلها. ثم وقع هذا البلاء، وأخذت أنت علياً وأخذ ذوالكلاع معاوية، فكان معه إلى أن وافاه أجله. والله ما أنت بالزاري على عثمان**

---

(١) بالرغم من أن اسم معاوية بن حديج السكوني الكندي المصري ورد في الكتب الخاصة بالصحابة، فإن علماء أهل السنة مختلفون في صحبته. فقد عده ابن سعد الواقدي في الصحابة، وعده ابن حبان وأحمد بن حنبل من التابعين. كان لفترة عاملاً لمعاوية على مصر، وقدم خدماته لمعاوية ولدولة الأُمويين. يقول أكثر المؤرخين إنه مات في زمن معاوية سنة ٥٢ هجرية، قبل عبد الله بن عمرو بن العاص بقليل. أما ابن حجر العسقلاني فيقول إنه عاش إلى زمن يزيد، وعينه حاكماً على مصر مدة. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٣، ص٤٦٨ ـ ٤٦٩، ترجمة معاوية بن حديج. ويعده الذهبي، إلى جانب عمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو بن العاص وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد وبسر بن أرطاة وحبيب بن مسلمة وأبي الأعور السلمي وأبي الغادية الجهني، من الصحابة المعدودين في جيش معاوية. **العبر في خبر من غبر**، ج١، ص٣٠، سنة سبع وثلاثين. كان من المبغضين للإمام علي عليه السلام بشدة وكان يشتمه كثيراً. **المعجم الكبير**، ج٣، ص٩١ ـ ٩٢، الحديث ٢٧٥٨ ؛ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ج٩، ص١٣٠، باب منه جامع فيمن يحبه ومن يبغضه. يروي الطبراني عن أبي كبير حادثة تدل على أن الإمام الحسن عليه السلام كان يعتبر معاوية بن حديج كافراً ومنافقاً. يقول أبوكبير: كنت عند الإمام الحسن عليه السلام، فجاءه رجل وقال له: لقد سبّ معاوية بن حديج الإمام علياً عليه السلام في مجلس معاوية وأقذع في شتمه. فسأله الإمام الحسن عليه السلام: هل تعرف معاوية بن حديج؟ إذا لقيته فجئني به! فاتفق ذات يوم أن رأى ذلك الرجل معاوية بن حديج قرب دار عمرو بن حريث فدلّ عليه الإمام الحسن عليه السلام. فذهب إليه الإمام عليه السلام وسأله ثلاث مرات: هل أنت معاوية بن حديج؟ فسكت معاوية بن حديج ولم يرد عليه. فسأله الإمام الحسن عليه السلام: هل شتمت أبي عند ابن آكلة الأكباد هند (معاوية)؟ والله لئن أتيت أبي على حوض الكوثر ستجده مشمراً عن ساعديه يذود الكفار والمنافقين عن حوض رسول الله صلى الله عليه وآله كما يذود صاحب الماء عنه الإبل الغريبة ويمنعها أن تشرب. **المعجم الكبير**، ج٣، ص٨١ ـ ٨٢، الحديث ٢٧٢٧ ؛ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ج٩، ص١٣٠، باب منه جامع فيمن يحبه ومن يبغضه. هذا وقد قُتل ابن الخليفة الأول، محمد بن أبي بكر الذي كان من أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام المخلصين، سنة ٣٨ هجرية بأمر معاوية وبيد معاوية بن حديج وأبي الأعور السلمي وعمرو بن العاص. **تاريخ خليفة**، ص١١٦، سنة ٣٨ هجرية، مقتل محمد بن أبي بكر.

ولا بالراضي عن علي. وإننا لا نسألك أن تأخذ الشام بالعراق ولا معاوية بعلي، لكن نسألك أن تسأل علياً أن يدفع إلينا قتلة عثمان[1].

على هذا الكتاب، لنا الملاحظات التالية:

الأُولى: أن معاوية لم يدخر وسعاً ولم يفوت وسيلة للتغلغل في صفوف جيش أمير المؤمنين عليه السلام لإضعاف معنويات المقاتلين. فلطالما استغل العلاقات القبلية والعرقية التي كانت بين أفراد جيشه وأفراد جيش العراق، ولكن عبثاً كانت غاية معاوية من مكاتبة الأشعث أن يدخل الترديد في قلبه حيال الحرب. فقد كان الأشعث صهر عثمان وعامله، ولاشك أنه لم يكن راضياً بقتله لذا طلب منه معاوية أن يتوسط لتسليم قتلة عثمان للاقتصاص منهم وإنهاء الحرب. وكان من شأن هذا الطلب أن يزلزل الأشعث إلى حدٍ ما.

الثانية: كان قادة الشام يعلمون بأن الأشعث بن قيس ليس راسخاً في طاعة أمير المؤمنين عليه السلام وأنه لم يكن راضياً عنه، لذا لم تنقطع اتصالات معاوية به لاستمالته إلى جانبه. وهذا ما تحقق له في نهاية الأمر إذ نجح في تغيير نتائج الحرب إلى مصلحته من خلال هذا العنصر المندس.

---

(١) "ثم دعا معاوية بمعاوية بن حديج الكندي فقال: إن الأشعث بن قيس رجل من كندة، وهو ابن عمك. وقد أحببت أن تكتب إليه تسأله فيه أن يدفع إلينا قتلة عثمان حتى نقتلهم به ونقعد في منازلنا. فقد والله أهلكنا هذه الحروب. قال: فكتب معاوية بن حديج إلى الأشعث بن قيس: أما بعد ... عثمان". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٦٠، ذكر مقتل عمار بن ياسر.

جواب الأشعث على كتاب معاوية

بعد أن استلم الأشعث بن قيس كتاب معاوية، ردّ عليه بما يلي: **أما بعد، فقد ذكرتني من نعم الله تعالى علي ما أسأله المزيد. وأنا أُذكرك من نعم الله عليك ما تعرف ذلك، وأسألك أهون ما تسألني. أنت المطاع في أهل الشام، فاركب وصر إلى من تخلف عن صاحبي وصاحبك من المهاجرين والأنصار فاسألهم عن الرجلين، وإن كان علي أحق بهذا الأمر من معاوية اعتزلته وأعنتنا عليه. وإن كان معاوية أحق بهذا الأمر من علي اعتزلتُه وأعنتكم عليه. وأما قولكم أني لست بالزاري على عثمان ولا بالراضي عن علي، فما أغناني عن عثمان وأرضاني عن علي. وإنما أنا قاتلك** (هكذا، ربما أُقاتلك: م) **مع إمام هدىً قد بايعه المهاجرون والأنصار، وأنت تقاتلني مع رجل استخلفه أهل الشام ليس لهم نصيب في الخلافة ولا في الشورى**[١].

بعد وصول كتاب الأشعث بن قيس إلى معاوية، قال له أخوه عتبة بن أبي سفيان: لا يمكنك خداع الأشعث بالكتب. فإن شئت فأذن لي أن أُكلمه وجهاً لوجه، فربما أثر فيه ذلك أكثر. فدنا عتبة من عسكر أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ يمدح الأشعث ويطري عليه، فقال: **أيها الرجل! إن معاوية لو كان لاقياً رجلاً غير علي للقيك. إنك رأس أهل العراق وسيد أهل اليمن. وقد سلف من عثمان إليك ما سلف من الصهر والعمل، ولست كأصحابك. أما الأشتر فقتل عثمان، وأما عدي فحرّض عليه، وأما سعيد (بن قيس) فقلد علياً دينه. وأما شريح وزحر بن قيس فلا يعرفان غير الهوى.**

وإنك حاميت عن أهل العراق تكرماً، ثم حاربت أهل الشام حمية. وقد بلغنا والله منك وبلغت منا ما أردت. وإنا لا ندعوك إلى ترك علي ونصر معاوية، ولكنا ندعوك إلى البقية التي فيها صلاحك وصلاحنا. فتكلم الأشعث فقال: **يا عتبة! أما قولك إن معاوية لا يلقى إلاّ علياً، فإن لقيني والله لما عظم عني ولا صغرت عنه. فإن أحب أن أجمع بينه وبين علي فعلت. وأما قولك إني رأس أهل العراق وسيد أهل اليمن، فإن الرأس المتبع والسيد المطاع هو علي بن أبي طالب** عليه السلام **وأما ما سلف من**

---

(١) "فكتب إليه الأشعث: أما بعد ... الشورى". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٦١، ذكر مقتل عمار بن ياسر.

عثمان إليّ، فوالله ما زادني صهره شرفاً ولا عمله عزاً. وأما عيبك أصحابي، فإن هذا لا يقربك مني ولا يباعدني عنهم. وأما محاماتي عن أهل العراق، فمن نزل بيتاً حماه. وأما البقية (يعني الصلح) **فلستم بأحوج إليها منا. وسنرى رأينا فيها إن شاء الله**(١).

كان الأشعث يعلم أن كل أقواله وأفعاله لا تغيب عن أمير المؤمنين عليه السلام، وأنه عليه السلام كانت تصله كل محادثاته مع زعماء الشام لذا حرص على أن لا يتفوه بكلام بعيد عن الحذر، فصور نفسه بصورة الثابت على عهد أمير المؤمنين عليه السلام ولكنه، في نهاية كلامه، أشار إلى نقطة غرست بذرة الأمل في قلب معاوية، وكشفت له أن الأشعث لم يكن رافضاً للصلح. وهذا ما استغله معاوية لاحقاً.

ب ـ تشاور معاوية مع عبدالله بن عباس

بعد سماع معاوية رأي الأشعث، استشار عمرو بن العاص وقال له: **إن رأس الناس بعد علي هو عبدالله بن عباس. فلو ألقيت إليك كتاباً لعلك ترققه به، فإنه إن قال شيئاً لم يخرج علي منه. وقد أكلتنا الحرب ولا أرانا نصل [إلى] العراق إلاّ بهلاك أهل الشام.** قال له عمرو: **إن ابن عباس لا يخدع. ولو طمعت فيه طمعت في علي.** فقال معاوية: **على ذلك فاكتب إليه.** فكتب إليه عمرو: **أما بعد فإن الذي نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء وساقته العافية. وأنت رأس هذا الجمع بعد علي، فانظر فيما بقي ودع ما مضى. فوالله، ما أبقت هذه الحرب لنا ولكم حياة ولا صبراً. واعلموا أن الشام لا تملك إلاّ بهلاك العراق، وأن العراق لا تملك إلاّ بهلاك الشام. وما خيرنا بعد هلاك أعدائنا منكم، وما خيركم بعد هلاك أعدائكم منا. ولسنا نقول ليت الحرب غارت، ولكنا نقول ليتها لم تكن. وإن فينا من يكره القتال كما أن فيكم من يكرهه** فكتب ابن عباس إلى عمرو: **أما بعد، فإني لا أعلم رجلاً من العرب أقل حياءً منك إنه مال بك معاوية إلى الهوى، وبعته دينك**

---

(١) "إن معاوية دعا أخاه عتبة بن أبي سفيان فقال: الق الأشعث بن قيس، فإنه إن رضي رضيت العامة. وكان عتبة لا يطاق لسانه، فخرج عتبة فنادى الأشعث بن قيس، فقال الناس: يا أبامحمد! هذا الرجل يدعوك. فقال الأشعث: كما يكون الرجل فسلوه من هو؟ فقال: أنا عتبة بن أبي سفيان. فقال الأشعث بن قيس: غلام مترف ولابد من لقائه. [فخرج إليه] فقال: ما عندك يا عتبة؟ فقال: أيها الرجل! ... إن شاء الله". **وقعة صفين**، ص٤٠٨، إيفاد معاوية أخاه عتبة إلى الأشعث بن قيس ؛ **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٦٢، ذكر مقتل عمار بن ياسر.

بالثمن اليسير. ثم خبطت بالناس في عشوة طمعاً في الملك. فلما لم تر شيئاً أعظمت الدنيا إعظام أهل الذنوب وأظهرت فيها نزاهة أهل الورع. فإن كنت ترضى (هكذا، ربما ترضي: م) **الله بذلك فدع مصر وارجع إلى بيتك. وهذه الحرب ليس فيها معاوية كعلي ؛ ابتدأها علي بالحق وانتهى فيها إلى العذر. وبدأها معاوية بالبغي وانتهى فيها إلى السرف. وليس أهل العراق فيها كأهل الشام ؛ بايع أهل العراق علياً وهو خير منهم، وبايع معاوية أهلُ الشام وهم خيرٌ منه. ولست أنا وأنت فيها بسواء ؛ أردت الله وأردت أنت مصر. وقد عرفت الشيء الذي باعدك مني، ولا أرى الشيء الذي قربك من معاوية. فإن ترد شراً لا نسبقك به، وإن ترد خيراً لا تسبقنا إليه**[١].

كان عمرو بن العاص يعلم منذ البداية أنه لا سبيل إلى خداع ابن عباس والتسلل من خلاله. لذا ذهب إلى معاوية مغضباً، بعد أن تلقى جواب ابن عباس شديد اللهجة، وقال: **ما كان أغناني وإياك عن بني عبدالمطلب!** فقال معاوية: **صدقت أباعبدالله، ولكنك قد علمت ما مرّ علينا بالأمس من القتل والهلاك. وأظن علياً سيباكرنا الحرب غداً ويعمل على المناجزة. وقد رأيت أن أُشغله أنا غداً عن الحرب بكتاب أكتبه إلى ابن عباس، فإن هو أجابني إلى ما أُريد فذلك. وإلاّ كتبت إلى علي وتحملت عليه بجميع من في عسكره** (حرضت عليه جيشه). **فإن أجاب، وإلاّ صادمته وجعلتها واحدة لي أم عليّ. فهذا رأيي، وإنما أُريد بذلك أن أجم الحرب أياماً. فقد تعلم ما نزل بنا في هذه الأيام. وإن كان عندك رأي غير هذا فهات**[٢]!

ثم كتب معاوية إلى ابن عباس: **أما بعد، فإنكم ـ معشر بني هاشم ـ لستم إلى أحد أسرع منكم بالمساءة إلى أنصار عثمان. فإن يك ذلك لسلطان بني أُمية فقد ورثها عدي وتيم** (فلماذا لم تقاتلوا بني عدي وبني تيم من أجل الخلافة؟). **وقد وقع من الأمر ما قد ترى، وأدالت هذه الحرب بعضنا من بعض حتى استوينا فيها. فما أطمعكم فينا** (أطمعنا فيكم) **وما أيأسكم منا أيأسنا منكم. وقد رجونا غير الذي كان، وخشينا دون ما وقع. ولستم ملاقينا اليوم بأحدّ من حدكم أمس. وقد**

---

(١) "قال: وإن معاوية لما يئس من جهة الأشعث، قال لعمرو بن العاص: إن رأس ... إليه". **وقعة صفين**، ص٤١٠، معاوية وعمرو، ؛ **أنساب الأشراف**، ج٣، ص٨٧، أمر صفين ؛ **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٤٦، ذكر ما جرى من الكتب بين علي بن أبي طالب عليه السلام وبين معاوية وعمرو بن العاص وابن عباس.

(٢) **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٤٩، ذكر ما جرى من الكتب بين علي بن أبي طالب وبين معاوية وعمرو بن العاص وابن عباس.

منعنا بما كان منا الشام، وقد منعتم بما كان منكم العراق. فاتقوا الله في قريش، فما بقي من رجالها إلاّ ستة: رجلان بالشام ورجلان بالعراق ورجلان بالحجاز. فأما اللذان بالحجاز فسعد وعبدالله بن عمر، وأما اللذان بالشام فأنا وعمرو، وأما اللذان بالعراق فعلي وأنت. ومن الستة رجلان ناصبان لك وآخران واقفان عليك، وأنت رأس هذا الجمع اليوم وغداً. ولو بايع الناس لك بعد عثمان كنا أسرع إليك منا إلى علي[1].

ضحك ابن عباس لما قرأ كتاب معاوية وقال: **حتى متى يخطب إليّ معاوية عقلي؟ وحتى متى أُجمجم له عما في نفسي؟** (إلى متى يحاول ابن هند خداعي؟ وإلى متى أصبر على السكوت؟) فكتب إليه: **أما بعد، فقد جاءني كتابك. فأما ما ذكرت من سرعتنا بالمساءة إلى أنصار عثمان لسلطان بني أُمية، فلعمري لقد أدركت في عثمان حاجتك. لقد استنصرك فلم تنصره، حتى صرت إلى ما صرت إليه. وبيني وبينك في ذلك ابن عمك وأخو عثمان الوليد بن عقبة. وأما قولك إنه لم يبق من رجال قريش غير ستة، فما أكثر رجالها وأحسن بقيتها. وقد قاتلك من خيارها من قاتلك، ولم يخذلنا إلاّ من خذلك. وأما إغراؤك إيانا بعدي وتيم، فأبوبكر وعمر كانا خيراً منك ومن عثمان، كما أن علياً خير منك. وأما قولك إنه لو بايعني الناس استقمت، فقد بايعوا علياً وهو خير مني، فلم تستقم له. وإن الخلافة لا تصلح إلاّ لمن كان في الشورى، فما أنت والخلافة، وأنت طليق الإسلام وابن رأس الأحزاب وابن آكلة الأكباد من قتلى بدر**[2].

---

(١) "ذكروا أن معاوية كتب إلى عبد الله بن عباس: أما بعد ... علي". **الإمامة والسياسة**، ج١، ص١١٣، كتاب معاوية إلى ابن عباس جوابه.

(٢) "قال: وذكروا أنه لما أتى كتاب معاوية إلى ابن عباس ضحك ثم قال: حتى متى ... بدر". **الإمامة والسياسة**، ج١، ص١١٣، كتاب معاوية إلى ابن عباس جوابه.

حيرة قادة الشام

الردود الحادة التي تلقاها معاوية من الأشعث بن قيس وابن عباس جعلته يفكر عميقاً في طريقة أُخرى لتغيير ظروف الحرب لصالحه، بعد أن تيقن أن الأُمور تسير به نحو الهزيمة. لذا، جمع قادة جيشه وعقد معهم اجتماعاً. فاجتمع حوله عتبة بن أبي سفيان[١] والوليد بن عقبة[٢] ومروان بن الحكم وعبدالله بن عامر وعبيدالله بن عمر وابن طلحة الطلحات وأدلى كلٌ بدلوه. وكان عتبة بن أبي سفيان أول المتحدثين، فقال: **إن أمرنا وأمر علي لعجب، ليس منا إلاّ موتور محاج. أما أنا فقتل جدي واشترك في دم عمومتي يوم بدر. وأما أنت يا وليد فقتل أباك يوم الجمل وأيتم إخوتك. وأما أنت يا مروان، فكما قال الأول:**

وأفلتهن علباء جريضاً ... ولو أدركنه صفر الوطاب

(يعني أن علياً ضربك ضربة مختلفة). قال معاوية: **هذا الإقرار فأين الغير؟** (هذا الاعتراف بالهزيمة، فأين الغيرة والحمية؟ لماذا لا تذهبون لحربه وتقاتلونه؟) قال مروان: **أي غير تريد؟** قال (معاوية): **أُريد أن يشجر بالرماح.** فقال (مروان): **والله إنك لهازل، ولقد ثقلنا عليك** (سئمتنا وتريد التخلص منا بأن تدعونا لمقاتلة علي بن أبي طالب. بعد أن انتهى كلام مروان، أنشد الوليد بن عقبة شعراً أشار

---

(١) عتبة بن أبي سفيان أخو معاوية تولى حكم مصر من قبله. دافع عن عثمان يوم قتل، وشهد معركة الجمل مع عائشة ضد أميرالمؤمنين عليه السلام. ذُكر أنه كان من متكلمي بني أُمية المفوهين. مات سنة ٤٤ هجرية. **الأعلام**، ج٤، ص٢٠٠.

(٢) الوليد بن عقبة أخو عثمان لأُمه. عينه الخليفة الثالث والياً على الكوفة. عندما كان والياً للكوفة صلى ذات يوم صلاة الفجر أربع ركعات وهو سكران. فضاق بمخالفاته الشرعية أهل الكوفة ذرعاً فنزعوا منه خاتمه وهو سكران، ثم ذهبوا إلى عثمان وشهدوا عنده أن الوليد صلى وهو سكران، وأن السكر بلغ به أن نزعوا منه خاتمه وهو لا يحس. ولكن عثمان واجههم بشدة وطردهم من دار الخلافة. بعد ذلك تابع أميرالمؤمنين عليه السلام القضية وشهد عليها شهود فتقرر إقامة الحد على الوليد. غير أنه لا أحد انبرى لتنفيذ الحد خشية من عثمان. فنهض الإمام علي عليه السلام فجلده. وهذا ما ضاعف بغض الوليد لأميرالمؤمنين عليه السلام. وكان من أفسق المقربين إلى معاوية. ويشهد على فسقه قول الله تعالى ((...... آيات قرآنية منضدة بأشكال مبهمة: م)). أرسله النبي صلى الله عليه وآله في مهمة إلى بني المصطلق. فلما عاد من مهمته شهد شهادة باطلة عليهم واتهمهم بالارتداد والامتناع عن دفع الزكاة. فنزلت فيه آيات من سورة النبأ. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٤، ص١١٤، ترجمة الوليد بن عقبة، الرقم ٢٧٥٠ ؛ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٢، ص٣٦٩، ذكر خلافة عثمان بن عفان.

فيه إلى شجاعة علي وسخر من ما فعله عمرو بن العاص عندما برز إليه. فقال في شعره ما معناه: أي سبع في قلب الصحراء يملك الشجاعة لأن يواجه الأسد الضرغام؟.. عدا عمرو بن العاص الذي أنقذته عورته ففر مذعوراً من ميدان النزال). فغضب عمرو وقال: **إن كان الوليد صادقاً فليلق علياً، أو ليقف حيث يسمعه**[1].

(١) "وذكروا أنه اجتمع عند معاوية تلك الليلة عتبة بن أبي سفيان والوليد بن عقبة ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر وابن طلحة الطلحات، فقال عتبة: إن أمرنا ... يسمعه". **وقعة صفين،** ص٤١٧، اجتماع بعض الرؤساء عند معاوية.

عمليات قادة الشام

بعد تكبد جيش الشام بالخسائر الجسيمة، دعا معاوية يوماً عمرو بن العاص وبسر بن أرطاة وعبيدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالرحمن بن خالد وهم كبار قادة جيشه فقال لهم: إن جماعة من قادة جيش علي أقضوا مضجعي ولا بد من التخلص منهم، وهم سعيد بن قيس ومالك الأشتر وهاشم المرقال وعدي بن حاتم وقيس بن سعد. وقد عينت لكل واحد منهم رجلاً منكم يقاتله ويخرجه من الميدان. وبعد أن وافق الجميع على الفكرة، ابتدأ معاوية بنفسه ليسد باب الاعتراض عليه فقال: أنا أُقاتل سعيد بن قيس، ويقاتل عمرو بن العاص هاشم المرقال، ويقاتل بسر بن أرطاة قيس بن سعد، ويقاتل عبيدالله بن عمر مالك الأشتر، ويقاتل عبدالرحمن بن خالد عدي بن حاتم. وأكد على أن تنفذ الخطة بشكل متتالي وفي غضون خمسة أيام.

تنفيذ خطة القادة

في اليوم التالي جمع معاوية فرسان جيشه واستعد بهم لمحاربة الهمدانيين وسعيد بن قيس[١]. فاشتبكا وتقاتلا قتالاً شديداً. ثم عاد معاوية إلى مقره دون أن يحقق شيئاً.

في اليوم التالي خرج عمرو بن العاص لمقاتلة هاشم المرقال. وبعد قتال عنيف، لم يستطع أي من الطرفين التغلب على خصمه. فتوقف القتال تلقائياً وعاد عمرو بن العاص صفر اليدين، فانزعج معاوية. وفي اليوم الثالث خرج بسر بن أرطاة بعدد كبير من الفرسان لمواجهة قيس بن سعد. وبعد قتال شديد تفوق فيه قيس بن سعيد، توقف القتال تلقائياً. في اليوم الرابع تم تعبئة كل ما حوى معسكر الشام من فرسان تحت قيادة عبيدالله بن عمر الذي قاد جيشه لمحاربة مالك الأشتر. وبعد معركة طاحنة، قتل عبيدالله فانسحب جنوده بطريقة فاضحة، فزادوا معاوية كمداً.

في اليوم الخامس خرج عبدالرحمن بن خالد بكامل العدة والعدد، وكان معاوية يعول عليه كثيراً، إلى مقابلة عدي بن حاتم. وكان معاوية يحب عبدالرحمن كابنه. وكان مصيره هو الآخر الهزيمة

---

(١) كان سعيد بن قيس من أوفي أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام. شهد معه الجمل وصفين، إذ كان فيهما قائد جيش الهمدانيين. **الجمل**، ص٣١٩، في تأمير الأُمراء وتكتيب الكتائب ؛ **وقعة صفين**، ص٢٠٥، عقد الألوية وتأمير الأُمراء. خطبه الغراء في صفين دليل على نفاذ بصيرته ومعرفته لعدوه وموالاته لأميرالمؤمنين عليه السلام. **وقعة صفين**، ص٢٣٦، زحف عبد الله بن بديل. امتاز هو وقبيلته بالشجاعة والتفاني في ركاب أميرالمؤمنين عليه السلام. لقد أقضت شجاعة الهمدانيين مضجع معاوية وأشعلته غضباً حتى قال: ما لقيت من همدان! **وقعة صفين**، ص٤٣٧، إعجاب علي عليه السلام بهم. كان سعيد بن قيس تام الإطاعة للإمام علي عليه السلام فحين كان أنصار معاوية يغيرون على الأنبار انبرى هو وحجر بن عدي فقالا: يا أميرالمؤمنين! مُرنا نطعك! والله إنا لا نحزن على ذهاب أموالنا وأهلينا في طاعتك. **الغارات**، ج٢، ص٤٨١، غارة سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار. ويقول، في موضع آخر، لأميرالمؤمنين عليه السلام: يا أميرالمؤمنين! لو أمرتني وقومي أن نذهب إلى القسطنطينية والروم مشياً حفاةً بلا زاد ولا راحلة، لما عصيناك. فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام، وقد خبر إخلاصه في الحروب: إني موقن بإخلاصكم، جزاكم الله خيراً. نفسه، ص٦٣٧، غارة بسر وقدوم ابن عباس على علي عليه السلام. بلغت طاعته لأميرالمؤمنين عليه السلام حداً عرفه حتى أعداؤه. فعندما واجه عتبة بن أبي سفيان الأشعث بن قيس في صفين حاول انتقاد أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام. وحين ذكر سعيد بن قيس قال: إنه في تدينه يتبع علياً. **وقعة صفين**، ص٤٠٨، إيفاد معاوية أخاه عتبة إلى الأشعث بن قيس.

كمصير من سبقه. فاستغل شدة الغبرة ففر من ساحة القتال. وهكذا باءت عمليات معاوية بمراحلها الخمس بالهزيمة والانكسار[١].

(١) "ولما تعاظمت الأُمور على معاوية [قبل قتل عبيدالله بن الخطاب] دعا عمرو بن العاص وبسر بن أرطاة وعبيدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد فقال لهم: إنه قد غمني رجال من أصحاب علي، منهم سعيد بن قيس في همدان والأشتر في قومه والمرقال وعدي بن حاتم وقيس بن سعد في الأنصار وقد وقتكم يمانيتكم بأنفسها [أياماً كثيرة] حتى لقد استحييت لكم وأنتم عدتهم من قريش. وقد أردت أن يعلم الناس أنكم أهل غناء. وقد عبأت لكل رجل منهم رجلاً منكم، فاجعلوا ذلك إلي. فقالوا: ذلك إليك. قال: فأنا أكفيكم سعيد بن قيس وقومه غداً، وأنت يا عمرو لأعور بني زهرة المرقال، وأنت يا بسر لقيس بن سعد، وأنت يا عبيدالله للأشتر النخعي، وأنت يا عبدالرحمن بن خالد لأعور طيء، يعني عدي بن حاتم. ثم ليرد كل رجل منكم عن حماة الخيل. فجعلها نوائب في خمسة أيام، لكل رجل منهم يوم. فأصبح معاوية، فلم يدع فارساً إلاّ حشده. ثم قصد لهمدان [بنفسه] وتقدم الخيل، فطعن في أعراض الخيل ملياً. ثم إن همدان تنادت بشعارها، وأقحم سعيد بن قيس فرسه على معاوية واشتد القتال وحجز بينهم الليل، فذكرت همدان أن معاوية فاتها ركضاً. فانصرف معاوية ولم يعمل شيئاً. وإن عمرو بن العاص غدا في اليوم الثاني في حماة الخيل فقصد المرقال، ومع المرقال لواء علي الأعظم في حماة الناس. وكان عمرو من فرسان قريش، فتقدم فطاعن عمرواً حتى رجع. واشتد القتال وانصرف الفريقان [بعد شدة القتال]، ولم يسر معاوية ذلك. وإن بسر بن أرطاة غدا في اليوم الثالث في حماة الخيل فلقي قيس بن سعد في كماة الأنصار. فاشتدت الحرب بينهما، وبرز قيس كأنه فنيق مقرَم. ويطعن بسر قيساً فيضربه قيس بالسيف فرده على عقبه. ورجع القوم جميعاً ولقيس الفضل. إن عبيدالله بن عمر تقدم في اليوم الرابع ولم يترك فارساً مذكوراً، وجمع من استطاع، فقال له معاوية: إنك تلقى أفاعي أهل العراق فارفق واتئد. فلقيه الأشتر أمام الخيل مزبداً. وكان الأشتر إذا أراد القتال أزبد وشدّ على الخيل خيل الشام فردها. فاستحيى عبيدالله فبرز أمام الخيل وكان فارساً [شجاعاً] فحمل عليه الأشتر فطعنه واشتد الأمر وانصرف القوم وللأشتر الفضل، فغمّ ذلك معاوية. وإن عبدالرحمن بن خالد غدا في اليوم الخامس وكان أرجاهم عند معاوية أن ينال حاجته، فقواه معاوية بالخيل والسلاح، وكان معاوية يعده ولداً. فلقيه عدي بن حاتم في حماة مذحج وقضاعة. فبرز عبدالرحمن أمام الخيل ثم حمل فطعن الناس. فلما كاد أن يخالطه بالرمح توارى عبدالرحمن في العجاج واستتر بأسنة أصحابه، واختلط القوم، ورجع عبدالرحمن إلى معاوية مقهوراً، وانكسر معاوية". **وقعة صفين**، ص٤٢٦، تآمر معاوية وصحبه على بعض أصحاب علي عليه السلام.

عصيان مروان بن الحكم[1] أمر معاوية

بعد أن فشل معاوية في قطع ذراع أمير المؤمنين عليه السلام، دعا يوماً مروان بن الحكم وقال له: **يا مروان! إن الأشتر قد غمني وأقلقني. فاخرج بهذه الخيل في كلاع ويحصب فالقه فقاتل بها.** فقال له مروان: **ادع لها عمرواً فإنه شعارك دون دثارك.** قال: **وأنت نفسي دون وريدي.** قال: **لو كنت كذلك ألحقتني به في العطاء أو ألحقته بي في الحرمان، ولكنك أعطيته ما في يديك ومنيته ما في يدي غيرك. فإن غلبت طاب له المقام، وإن غلبت خفّ عليه الهرب.** فقال معاوية: **يغني الله عنك.** قال: **أما اليوم، فلا.** ودعا معاوية عمرواً (بعد أن يئس من مروان) وأمره بالخروج إلى الأشتر، فقال: **إني لا أقول لك**

---

(١) ولد مروان بن الحكم بن أبي العاص الأُموي بالمدينة في أوائل الهجرة. وحين توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان عمر مروان ثماني سنوات تقريباً. يقول الذهبي: لم ير مروان بن الحكم النبي صلى الله عليه وآله لأنه كان قد نُفي إلى الطائف بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أبيه الحكم بن أبي العاص وكان طفلاً. ولما تولى عثمان الخلافة، أعاده وأباه إلى المدينة. عمل مروان على تقوية مركزه في دولة الخلافة بالزواج من ابنة عثمان. وبالرغم من أنه كان كاتب عثمان والمتصرف في كل شؤونه، فقد زوّر باسمه كتاباً ونشره وخلق أرضية للثورة عليه ثم قتله. **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص٤٧٧، ترجمة مروان بن الحكم، الرقم ١٠٢. التحق مروان بطلحة والزبير بحجة المطالبة بدم عثمان، فأوقدوا نار حرب الجمل. قاتل مروان في يوم الجمل بكل ما أُوتي من قوة، ولكن حين أحس بقرب الهزيمة، قام بقتل طلحة. **سير أعلام النبلاء**، ج١، ص٣٥ و٣٦ و٤٠، ترجمة طلحة، الرقم ٢. وفي موقعة الحرة، قام مروان بمرافقة مسلم بن عقبة القائد الذي كان أرسله يزيد على رأس جيش من الشام للهجوم على المدينة المنورة لقتل أهلها ونهب أموالهم، وكان يحرضه على قتال الناس. **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص٤٧٩، ترجمة مروان، الرقم ١٠٢ ؛ **تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام**، ج٥، ص٢٣٤، حوادث ووفيات ٦١ ـ ٨٠ هجرية، ترجمة مروان بن الحكم، الرقم ٩٧. بعد معاوية بن يزيد، ادّعى مروان الخلافة سنة ٦٤ هجرية في الشام، فاجتمع له الأُمويون كافة وساندوه، فقاتل الضحاك الفهري وقتله وسيطر على دمشق ومصر وأعلن نفسه خليفة المسلمين. **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص٤٧٧، ترجمة مروان بن الحكم، الرقم ١٠٢. مات مروان في شهر رمضان من سنة ٦٥ هجرية في دمشق وكان عمره حوالي ٦٢ سنة. **رجال صحيح البخاري**، ج٢، ص٧١٦، ترجمة مروان بن الحكم، الرقم ١١٨٧. كان مروان بن الحكم من النواصب المعادين لأهل البيت. حتى أن الكثير من كتب أهل السنة تورد ما صدر عنه من إهانات وشتائم بحق الإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام، بل بحق النبي صلى الله عليه وآله نفسه. عينه معاوية والياً للمدينة أكثر من مرة. وكان كلما تولى المدينة أسرف في سب أميرالمؤمنين عليه السلام وشتمه. **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص٦٤٧، حوادث سنة ٦٥ هجرية، ذكر صفته ونسبه وأخباره. وهو الذي منع من دفن الإمام الحسن عليه السلام إلى جوار النبي كما أوصى، وذلك إرضاءً لمعاوية، وقال: والله لن أسمح بهذا مادام سيفي بيدي. وكان سبباً في رمي جنازة الإمام عليه السلام بالنبال. **سير أعلام النبلاء**، ج٢، ص٦٠٥، ترجمة أبي هريرة، الرقم ١٢٦ ؛ **مناقب آل أبي طالب**، ج٤، ص٤٤، باب إمامة أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام فصل في وفاته وزيارته ؛ **مقاتل الطالبيين**، ص٤٨ و٤٩، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام.

كما قال لك مروان. قال: **ولم تقوله وقد قدمتك وأخرته، وأدخلتك وأخرجته؟** قال عمرو: **أما والله لئن كنت فعلت، لقد قدمتني كافياً وأدخلتني ناصحاً. وقد أكثر القوم عليك في أمر مصر. وإن كان لا يرضيهم إلاّ أخذها، فخذها.** فخرج عمرو في تلك الخيل فلقيه الأشتر أمام الخيل ـ وقد علم أنه سيلقاه ـ وهو يرتجز ويقول:

يا ليت شعري كيف لي بعمرو ... ذاك الذي أوجبت في نذري

ذاك الذي أطلبه بوتري ... ذاك الذي فيه شفاء صدري

ذاك الذي إن ألقه بعمري ... تغلي به عند اللقاء قدري

فعرف عمرو أنه الأشتر، وفشل حيله وجبن. واستحيي أن يرجع، فأقبل نحو الصوت وهو يقول:

يا ليت شعري كيف لي بمالك ... كم كاهل جبيته وحارك

وفارس قتلته وفاتك ... ونابل فتكته وباتك

ومقدم آب بوجه حالك ... هذا وهذا عرضة المهالك

(قال): فلما غشيه الأشتر بالرمح زاغ عنه عمر فطعنه الأشتر في وجهه فلم يصنع الرمح شيئاً. وثقل عمرو، فأمسك عنان فرسه وجعل يده على وجهه ورجع راكضاً إلى العسكر. ونادى غلام من يحصب: **يا عمرو! عليك العفا ما هبت الصبا. يا أهل حمير! إنما لكم ما كان معكم، أبلغوني اللواء.** فأخذه ثم مضى، وكان غلاماً شاباً، وهو يقول:

إن يك عمرو قد علاه الأشتر ... بأسمر فيه سنان أزهر

فذاك والله لعمري مفخر ... يا عمرو هيهات الجناب الأخضر

يا عمرو يكفيك الطعان حمير ... واليحصبي بالطعان أمهر

فنادى الأشتر إبراهيم ابنه: **خذ اللواء فغلام لغلام.** فتقدم وهو يقول:

يا أيها السائل عني لا ترع ... أقدم فإني من عرانين النخع

كيف ترى طعن العراقي الجذع ... أطير في يوم الوغى ولا أقع

ما ساءكم سر وما ضر نفع ... أعددت ذا اليوم لهول المطلع

ويحمل على الحميري، فالتقاه الحميري بلوائه ورمحه. ولم يبرحا يطعن كل منهما صاحبه حتى سقط الحميري قتيلاً. وشمت مروان بعمرو، وغضب القحطانيون على معاوية فقالوا: **تولي علينا من لا يقاتل معنا؟ ولّ رجلاً منا، وإلاّ فلا حاجة لنا فيك**[1].

(١) "أن معاوية دعا مروان بن الحكم فقال: يا مروان ... فيك". **وقعة صفين،** ص٤٣٩ ـ ٤٤١، معاوية ومروان بن الحكم وعمرو بن العاص.

فزع معاوية من الأنصار وإقذاعه عليهم

دعا معاوية، يوماً، النعمان بن بشير الأنصاري ومسلمة بن مخلد، ولم يكن غيرهما في جيشه من الأنصار، فقال لهما: **يا هذان! لقد غمني ما لقيت من الأوس والخزرج. صاروا واضعي سيوفهم على عواتقهم يدعون إلى النزال، حتى والله جبنوا أصحابي الشجاع والجبان، وحتى والله ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلاّ قالوا:** قتلته الأنصار، **أما والله، لألقينهم بجدي وحديدي، ولأُعبين لكل فارس منهم فارساً ينشب في حلقه، ثم لأرمينهم بأعدادهم من قريش رجال لم يغذهم التمر والطفيشل**[1] **يقولون:** نحن الأنصار. **قد والله آووا ونصروا، ولكن أفسدوا حقهم بباطلهم.** فغضب النعمان فقال: **يا معاوية! لا تلومن الأنصار بسرعتهم في الحرب، فإنهم كذلك كانوا في الجاهلية. فأما دعاؤهم الله فقد رأيتهم مع رسول الله ﷺ [يفعلون ذلك كثيراً]. وأما لقاؤك إياهم في أعدادهم من قريش، فقد علمت ما لقيت قريش منهم [قديماً]. فإن أحببت أن ترى فيهم مثل ذلك آنفاً فافعل. وأما التمر والطفيشل**[2] **فإن التمر كان لنا، فلما أن ذقتموه شاركتمونا فيه. وأما الطفيشل فكان لليهود، فلما أكلناه غلبناهم عليه، كما غلبت قريش على السخينة**[3]. ثم تكلم مسلمة بن مخلد فقال: **يا معاوية! إن الأنصار لا تعاب أحسابها ولا نجداتها. وأما غمهم إياك فقد والله غمونا، ولو رضينا ما فارقونا وما فارقنا جماعتهم، وإن في ذلك لما فيه من مباينة العشيرة ومباعدة الحجاز وحرب العراق. ولكن حملنا ذلك لك ورجونا منك عوضه. وأما التمر والطفيشل فإنهما يجران عليك نسب السخينة والخرنوب.** وانتهى الكلام إلى الأنصار[4].

---

(١) يبدو أنه كان طعاماً متواضعاً حينئذٍ، لم يجد معاوية ما يعيب به الأنصار فأراد أن يعيرهم به، ليرد على ما أصاب قريشاً من بأسهم في الجاهلية وفي الإسلام.

(٢) طعام يصنع من الدقيق والسمن أو من الدقيق والتمر.

(٣) "إن معاوية دعا النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري ومسلمة بن مخلد الأنصاري، ولم يكن معه من الأنصار غيرهما، فقال: يا هذان! ... الأنصار". **وقعة صفين،** ص٤٤٥، دعوة معاوية للنعمان ومسلمة.

(٤) "فجمع قيس بن سعد الأنصاري الأنصار ثم قام خطيباً فيهم فقال: إن معاوية .. في ذلك". **وقعة صفين،** ص٤٤٥، دعوة معاوية للنعمان ومسلمة.

سمع قيس بن سعد الأنصاري بهذا الكلام، فجمع الأنصار فخطب فيهم قائلاً: **إن معاوية قد قال ما بلغكم وأجاب عنكم صاحباكم. فلعمري لئن غظتم معاوية اليوم لقد غظتموه بالأمس، وإن وترتموه في الإسلام فقد وترتموه في الشرك. وما لكم إليه من ذنب [أعظم] من نصر هذا الدين الذي أنتم عليه. فجدوا اليوم جداً تنسونه [به] ما كان أمس، وجدوا غداً [جداً] تنسونه [به] ما كان اليوم. وأنتم مع هذا اللواء الذي كان يقاتل عن يمينه جبرائيل وعن يساره ميكائيل، والقوم مع لواء أبي جهل والأحزاب. وأما التمر فإنا لم نغرسه ولكن غلبنا عليه من غرسه. وأما الطفيشل،** (العدس) **فلو كان طعامنا لسمينا به اسماً كما سميت قريش السخينة.** ثم قال قيس بن سعد في ذلك ... وقال: يا ابن هند! لا تحرض جنودك علينا، فإننا أُولئك الذين أذاقوك ضرب سيوفهم. وإن شئت فجرب حظك واقترب منا في ساحة النزال، جماعات أو فرادى. جئ بأصحابك ونحن نأتيك بالخزرج، وسترانا نقاتل قتالاً يرفع رؤوس آبائنا. اختر ما شئت من هذين القتالين فلم يعد بيننا وشائج صداقة ولا مودة. ليت ما تتوعدنا به غداً يأتي سريعاً عسى أن يرزقنا الله نعمة الشهادة. نحن أُولئك الذين شهدوا فتح مكة وخيبر وحنيناً وبدراً وأُحداً وصنعنا البطولات في حرب بني النضير وشهدنا الأحزاب، والجميع يعلم ما فعلنا بكم[1]. فلما بلغ شعره (شعر قيس بن سعد) معاوية دعا عمرو بن العاص فقال: **ما ترى في شتم الأنصار؟** قال: **أرى أن توعد ولا تشتم، ما عسى أن تقول لهم؟ إذا أردت ذمهم فذم أبدانهم ولا تذم أحسابهم.** قال معاوية: **إن خطيب الأنصار قيس بن سعد يقوم كل يوم خطيباً، وهو والله يريد أن يفنينا غداً إن لم يحبسه عنا حابس الفيل** (يعني الله)**، فما الرأي؟** قال: **الرأي التوكل والصبر.** فأرسل معاوية إلى رجال من الأنصار فعاتبهم، منهم عقبة بن عمرو وأبومسعود والبراء بن عازب وعبدالرحمن بن أبي ليلى وخزيمة بن ثابت وزيد بن أرقم وعمرو بن عمير والحجاج بن غزية، وكان هؤلاء يلقون في تلك الحرب، فبعث معاوية بقوله: **لتأتوا قيس بن سعد.** فمشوا بأجمعهم إلى قيس، فقالوا: **إن معاوية لا يريد شتماً فكف عن شتمه.** فقال: **إن مثلي لا يشتم ولكني لا أكف عن حربه حتى ألقى الله.** وتحركت الخيل غدوة، فظن قيس بن سعد أن فيها

---

(١) **وقعة صفين**، ص٤٤٥، دعوة معاوية للنعمان ومسلمة.

معاوية، فحمل على رجل يشبهه فقنعه بالسيف، فإذا غير معاوية. وحمل الثانية [على آخر يشبهه] أيضاً فضربه، ثم انصرف وهو يقول:

قولوا لهذا الشاتمي معاوية ... إن كل ما وعدت ريح هاوية

خوفتنا أكلب قوم عاوية ... إليّ يا ابن الخاطئين الماضية (يا ابن المرأة الفاحشة)

ترقل إرقال العجوز الجارية ... في أثر الساري ليالي الشاتية[١].

لما أدرك معاوية شدة عداوة قيس بن سعد له، وسمع ما قاله من شعر، استبد به الغضب فشتمه وشتم جميع الأنصار شتماً قبيحاً. فغضب النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد غضباً شديداً بعد أن تكرر شتم معاوية للأنصار، فعزما على ترك جيش معاوية والالتحاق بالأنصار. غير أن معاوية سارع إلى تطييب خاطرهما. ثم طلب معاوية من النعمان بن بشير أن يذهب إلى قيس بن سعد ويحثه على الصلح[٢].

---

(١) "فلما تحاجز الفريقان، شتمه معاوية شتماً قبيحاً وشتم الأنصار. فغضب النعمان ومسلمة، فأرضاهما بعد أن همّا أن ينصرفا إلى قومهما. ثم أن معاوية سأل النعمان أن يخرج إلى قيس فيعاتبه ويسأله السلم". **شرح نهج البلاغة،** ج٨، ص٨٧، ذيل الخطبة ١٢٤، عود إلى أخبار صفين.

(٢) النعمان بن بشير الأنصاري كان أول مولود من الأنصار بعد وصول النبي ﷺ إلى المدينة. ولد في السنة الثانية للهجرة. وهو أبو زوج المختار الثقفي. عند وفاة النبي ﷺ، كان عمره نحو ثماني سنوات. ورغم أن أغلب علماء أهل السنة يعدونه من الصحابة، فإن ابن عبدالبر القرطبي يقول إن بعض علمائهم لا يصححون صحبته ويعتبرون رواياته عن النبي ﷺ مرسلة. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب،** ج٤، ص٦٠، ترجمة النعمان بن بشير، الرقم ٢٦٤٣. أُمه عمرة بنت رواحة أُخت عبد الله بن رواحة. أبوه بشير بن سعد هو أول من بايع أبابكر في حادثة السقيفة. **الأغاني،** ج١٦، ص٣٦، أخبار النعمان بن بشير ونسبه. بعد أن عزل معاوية عبدالرحمن بن أُم حكم (هكذا: م) عن الكوفة، عيّن النعمان بن بشير والياً عليها. كان النعمان بن بشير من أنصار عثمان، وكان يجاهر ببغضه للإمام علي عليه السلام ويذكره بسوء. **أنساب الأشراف،** ج٣، ص٣٦٩، المراسلات بين الحسين وأهل العراق. وكان ممن لم يبايع الإمام علياً عليه السلام. **الكامل في التاريخ،** ج٢، ص٣٠٣، حوادث سنة ٣٥ هجرية، ذكر بيعة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب.

حوار النعمان بن بشير وقيس بن سعد[١]

كان النعمان بن بشير من الأنصار القليلين الذين وقفوا إلى جانب معاوية، فذهب إلى قيس بن سعد على أمل أن يقنعه بالمصالحة والمسالمة، فقال له: **يا قيس! أنا النعمان بن بشير.** فقال قيس: **هيه يا ابن بشير، فما حاجتك؟** فقال النعمان: **يا قيس! إنه قد أنصفكم من دعاكم إلى ما رضي لنفسه، ألستم ـ معشر الأنصار ـ تعلمون أنكم أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار وقتلتم أنصاره يوم الجمل وأقحمتم خيولكم على أهل الشام بصفين؟ فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم علياً، لكانت واحدة بواحدة. ولكنكم خذلتم حقاً ونصرتم باطلاً. ثم لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتى أعلمتم في الحرب ودعوتم إلى البراز. ثم لم ينزل بعلي أمر قط إلاّ وهونتم عليه المصيبة ووعدتموه الظفر. وقد أخذت الحرب منا ومنكم ما قد رأيتم، فاتقوا الله في البقية.** فضحك قيس ثم قال: **ما كنت أراك يا نعمان تجترئ على هذه المقالة. إنه لا ينصح أخاه من غش نفسه. وأنت والله الغاش الضال المضل. أما ذكرك عثمان، فإن كانت الأخبار تكفيك، فخذها مني واحدة. قتل عثمان من لست خيراً منه، وخذله من هو خير منك. وأما أصحاب الجمل، فقد قاتلناهم على النكث. وأما معاوية، فوالله لو اجتمعت عليه العرب [قاطبة] لقاتلته الأنصار. وأما قولك إنا لسنا كالناس، فنحن في هذه الحرب كما كنا مع رسول الله نتقي السيوف ﷺ بوجوهنا والرماح بنحورنا، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون. ولكن انظر يا نعمان، هل ترى مع معاوية إلاّ طليقاً أو أعرابياً أو يمانياً مستدرجاً بغرور؟ انظر، أين المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان الذين رضي الله عنهم؟ ثم انظر، هل ترى مع معاوية غيرك وصويحبك** (مسلمة بن مخلد)**، ولستما والله ببدريين [ولا عقبيين] ولا أُحديين، ولا لكما سابقة في الإسلام ولا آية في القرآن**[٢].

في كلام قيس بن سعد نقاط هامة نشير هنا إلى بعضها مثالاً:

---

(١) "خرج النعمان حتى وقف بين الصفين، فقال: يا قيس! ... القرآن". **وقعة صفين،** ص٤٤٩، رد قيس على النعمان.

(٢) "معاوية واقف على التل يبصر ويشاهد، فقال: تباً ... إلاّ قتله". **وقعة صفين،** ص٤٥٩، تخوف القوم من علي عليه السلام.

الأُولى: أن لا أحد من الأنصار أعان عثمان، الأمر الذي جعل النعمان بن بشير يعترض على قيس. وهذا يدل على أن مخالفات عثمان للشرع بلغت حداً اعتقد الأنصار معه أن عثمان كان يستحق المعاقبة. وهو ما أكد عليه قيس بن سعد بقوله: **قتل عثمان من لست خيراً منه.**

الثانية: أن قيس بن سعد كان على يقين تام بحقانية أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول: **فنحن في هذه الحرب كما كنا** (نقاتل) **مع رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم. فهو يشبه جيش الشام بجيش المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يجعل فرقاً بينهم وبينهم.

الثالثة: أن قيساً يعرّض بأصحاب معاوية فيصفهم بالجهلة المغرر بهم الفاقدين للسابقة في الإسلام، وليس بينهم من المهاجرين والأنصار عدا النعمان ومسلمة اللذين لا يملكان سابقة طيبة.

رعب جيش معاوية من الإمام علي عليه السلام

كان معاوية، عند اشتداد القتال، يقف على تل يشرف على المعركة. ولما رأى الفوضى في صفوف مقاتليه، قال: **تباً لهذه الرجال وقبحاً! أما فيهم من يقتل هذا** (يعني علياً عليه السلام) **مبارزة أو غيلة أو في اختلاط الفيلق وثوران النقع؟**

فقال الوليد بن عقبة (وكان يقف إلى جانبه): **ابرز إليه أنت فإنك أولى الناس بمبارزته!** فقال: **والله لقد دعاني إلى البراز حتى استحييت من قريش. وإني والله لا أبرز إليه، ما جُعل العسكر بين يدي الرئيس إلاّ وقاية له.**

فقال عتبة بن أبي سفيان (وهو يعلم بشجاعة أمير المؤمنين عليه السلام ويخشى أن يتأثر معاوية بكلام الآخرين): **الهوا عن هذا كأنكم لم تسمعوا نداءه! فقد علمتم أنه قتل حريثاً** (غلام معاوية) **وفضح عمرواً. ولا أرى أحداً يتحكك به إلاّ قتله**[1].

(١) "فقال معاوية لبسر بن أرطاة: أتقوم ... وعدوك". **وقعة صفين،** ص٤٦١، مبارزة علي عليه السلام لبسر وفراره.

استعداد بُسر لمبارزة علي عليه السلام

بعد أن يئس معاوية من جميع قادة جيشه في مبارزة أمير المؤمنين عليه السلام، توجه إلى بسر بن أبي أرطاة وكان أحد قادته ومن المقربين إليه وقال له: **أتقوم لمبارزته؟** فقال: **ما أحد أحق بها منك، وإذ أبيتموه فأنا له.** فقال له معاوية: **أما إنك ستلقاه في العجاجة غداً في أول الخيل.** وكان عند بسر بن أرطاة ابن عم له قد قدم من الحجاز يخطب ابنته فأتى بسراً فقال له: **إني سمعت أنك وعدت من نفسك أن تبارز علياً. أما تعلم أن الوالي من بعد معاوية عتبة، ثم بعده محمد أخوه. وكل هؤلاء قرن لعلي، فما يدعوك إلى ما أرى؟** قال: **الحياء. خرج مني كلام فأنا أستحيي أن أرجع عنه.** فضحك الغلام وقال في ذلك:

تنازله يا بسر إن كنت مثله ... وإلاّ فإن الليث للضبع آكل

كأنك يا بسر بن أرطاة جاهل ... بآثاره في الحرب أو متجاهل

معاوية الوالي وصنواه بعده ... وليس سواءً مستعار وثاكل

أُولئك هم أولى به منك إنه ... علي، فلا تقربه، أُمك هابل

متى تلقه فالموت في رأس رمحه ... وفي سيفه شغل لنفسك شاغل

وما بعده في آخر الحرب عاطف ... ولا قبله في أول الخيل حامل

فقال بسر: **هل هو إلاّ الموت. لابد من لقاء الله تعالى.**

فغدا علي عليه السلام منقطعاً من خيله ومعه الأشتر وهو يريد التل وهو يقول:

إني علي فاسألوا لتخبروا ... ثم ابرزوا إلى الوغى أو أدبروا

سيفي حسام وسناني أزهر ... منا النبي الطيب المطهر

وحمزة الخير ومنا جعفر ... له جناح في الجنان أخضر

ذا أسد الله وفيه مفخر ... هذا وهذا وابن هند مجحر

فاستقبله بسر قريباً من التل وهو مقنع في الحديد لا يُعرف، فناداه: **ابرز إليّ أبا حسن!** فانحدر إليه علي تؤدة دون اكتراث. حتى إذا قاربه طعنه وهو دارع، فألقاه على الأرض ومنع الدرع السنان أن يصل إليه. فاتقاه بسر [بعورته] وقصد أن يكشفها يستدفع بأسه. فانصرف عنه علي عليه السلام مستدبراً له. فعرفه الأشتر حين سقط، فقال: **يا أمير المؤمنين! هذا بسر بن أرطاة، عدو الله وعدوك،** (اقتله! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: دعه، لعنه الله. هل أقتله وقد صنع ما صنع من الأمر المخزي!؟)[1].

بعد هذه الفضيحة كان بسر يفر كلما رأى أمير المؤمنين عليه السلام في جيش أمامه[2].

---

(١) "فكان بسر بعد ذلك إذا لقي الخيل التي فيها علي تنحى ناحية". **وقعة صفين،** ص٤٦٢، مبارزة علي عليه السلام لبسر وفراره.

(٢) "ثم إن معاوية جمع كل قرشي بالشام فقال: العجب ... غداً". **وقعة صفين،** ص٤٦٢، حض معاوية قريش الشام.

توبيخ معاوية لقادة جيشه

بعد تكبده الهزائم المتتالية، دعا معاوية جميع القرشيين المشاركين في الحرب فوبخهم وقال لهم: **العجب يا معشر قريش أنه ليس لأحد منكم في هذه الحرب فعال يطول به لسانه غداً، ماعدا عمرواً. فما بالكم وأين حمية قريش؟** فغضب الوليد بن عقبة وقال: **وأي فعال تريد؟ والله ما نعرف في أكفائنا من قريش العراق من يغني غناءنا باللسان ولا باليد.** فقال معاوية: **بل إن أُولئك قد وقوا علياً بأنفسهم.** قال الوليد: **كلا، بل وقاهم علي بنفسه.** قال: **ويحكم! أما منكم من يقوم لقرنه منهم مبارزة أو مفاخرة؟** فقال مروان: **أما البراز، فإن علياً لا يأذن لحسن ولا لحسين ولا لمحمد بنيه فيه ولا لابن عباس وإخوته ويصلي (هكذا) بالحرب دونهم، فلأيهم نبارز؟ وأما المفاخرة، فبماذا نفاخرهم، أبالإسلام أم بالجاهلية؟ فإن كان بالإسلام فالفخر لهم بالنبوة، وإن كان بالجاهلية فالملك فيه لليمن** (بما كان لهم من حضارة قديمة) ... فغضب عتبة بن أبي سفيان فقال: **الهوا عن هذا، فإني لاق بالغداة جعدة بن هبيرة** ... فقال مروان: **أما والله، لولا ما كان مني يوم الدار مع عثمان ومشهدي بالبصرة لكان مني في علي رأي كان يكفي امرأً ذا حسب ودين** (كان موقف عبرت فيه عن رأيي بعلي)، **ولكن ولعل.** ونابذ معاوية الوليد بن عقبة دون القوم، فأغلظ له الوليد. فقال معاوية: **يا وليد! إنك إنما تجترئ عليّ بحق عثمان وقد ضربك حداً وعزلك عن الكوفة.** ثم إنهم ما أمسوا حتى اصطلحوا وأرضاهم معاوية من نفسه ووصلهم بأموال جليلة. وبعث معاوية إلى عتبة فقال: **ما أنت صانع في جعدة؟** فقال: **ألقاه اليوم وأُقاتله غداً**[١].

---

(١) أُم جعدة بن هبيرة أُم هاني بنت أبي طالب أُخت أميرالمؤمنين عليه السلام. أدرك النبي صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة. كان فارساً مغواراً بارعاً وكان فقيهاً. عينه أميرالمؤمنين مدةً والياً على خراسان. على أن الشيخ الطوسي لا يعده من الصحابة. ولكن ابن عبدالبر وأبانعيم الإصبهاني وابن الأثير الجزري يعتبرونه صحابياً. **شرح نهج البلاغة**، ج١٠، ص٧٧، ذيل الخطبة ١٨٣، نسب جعدة بن هبيرة. يقول العلاّمة المامقاني في: من يلاحظ عزمه وسعيه في حرب صفين إلى جانب أميرالمؤمنين عليه السلام، ومناظراته ومواقفه حول معاوية، يدرك عمق إيمانه ونصرته لأهل البيت، ولا أقل من إدراك حسنه وكماله. بل يمكننا تأكيد وثاقته وعدالته من حيث تعيينه من قبل أميرالمؤمنين عليه السلام والياً لخراسان قبل صفين، ومن شدة حب أميرالمؤمنين عليه السلام له. لأنه من غير المعقول أن يأتمن أميرالمؤمنين عليه السلام من هو غير ثقة على أموال الناس وأنفسهم. **تنقيح المقال في علم الرجال**، ج١٤، ص٣٤٥، ترجمة جعدة بن هبيرة، الرقم ١٦٠.

لقاء عتبة بن أبي سفيان وجعدة بن هبيرة

انطلق عتبة بن أبي سفيان نحو معسكر أمير المؤمنين عليه السلام وطلب مقابلة جعدة بن هبيرة[١]، وكان من وجوه قريش وذا بلاغة وفصاحة ومن أحب القادة في جيش الإمام علي عليه السلام. ولم يكن جعدة بن هبيرة ليفعل شيئاً دون إذن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد سمح له الإمام عليه السلام باللقاء. فذهب للقاء عتبة، واجتمع الناس ليسمعوا كلامهما. فقال عتبة: **يا جعدة! إنه والله ما أخرجك علينا إلاّ حب خالك وعمك ابن أبي سلمة عامل البحرين. ولإنا والله ما نزعم أن معاوية أحق بالخلافة من علي لولا أمره في عثمان. ولكن معاوية أحق بالشام لرضا أهلها به. فاعفوا لنا عنها، فوالله ما بالشام رجل به طرق (قوة) إلاّ وهو أجدّ من معاوية في القتال، ولا بالعراق من له مثل جدّ علي في الحرب. ونحن أطوع لصاحبنا منكم لصاحبكم. وما أقبح بعلي أن يكون في قلوب المسلمين أولى الناس بالناس، حتى أذا أصاب سلطاناً أفنى العرب.** فقال جعدة: **أما حبي خالي، فوالله أن لو كان لك خال مثله لنسيت أباك ... وأما فضل علي عليه السلام على معاوية، فهذا لا يختلف فيه اثنان. وأما رضاكم اليوم بالشام، فقد رضيتم بها أمس فلم نقبل. وأما قولك إنه ليس بالشام من رجل إلاّ وهو أجد من معاوية، وليس بالعراق لرجل مثل جد علي، فهكذا ينبغي أن يكون. مضى بعلي عليه السلام يقينه، وقصر بمعاوية شكه. وقصد أهل الحق خير من جهد أهل الباطل. وأما قولك نحن أطوع لمعاوية منكم لعلي، فوالله ما نسأله إن سكت ولا نرد عليه إن قال. وأما قتل العرب، فإن الله كتب القتل والقتال، فمن قتله الحق فإلى الله.**

فغضب عتبة وفحش على جعدة، فلم يجبه وأعرض عنه، وانصرفا جميعاً مغضبين.

من الحوار الذي جرى بين عتبة بن أبي سفيان وجعدة بن هبيرة، يمكن استنتاج بعض النقاط:

---

(١) "وبعث معاوية إلى عتبة فقال: ما أنت صانع في جعدة؟ فقال: ألقاه اليوم وأُقاتله غداً. وكان لجعدة في قريش شرف عظيم، وكان له لسان، وكان من أحب الناس إلى علي عليه السلام. فغدا عليه عتبة فنادى: أبا جعدة أيا جعدة! فاستأذن علياً في الخروج إليه، فأذن له. واجتمع الناس لكلامهما، فقال عتبة: يا جعدة! إنا والله .. مغضبين". **وقعة صفين**، ص٤٦٣، رد القرشيين على معاوية.

الأُولى: أن أفضلية أمير المؤمنين كانت من الوضوح بحيث لم يستطع إنكارها حتى أشد الأُمويين بغضاً، وهو أخو معاوية، ويعترف بها أمام الناس.

الثانية: أنه كان في صفوف الإمام عليه السلام أشخاص ضعاف الإيمان لا يرغبون في الحرب، حسب ما قال عتبة بن أبي سفيان من أن جدية أمير المؤمنين عليه السلام وسعيه في الحرب أكبر من جدية جنوده وسعيهم فيها. وضعاف الإيمان هؤلاء انتهزوا، لاحقاً، أول فرصة فرضوا بالتحكيم لأبسط الذرائع. وكان معاوية ومن حوله يدركون جيداً نقطة الضعف هذه [في صفوف جيش الإمام عليه السلام فاستغلوها لصالحهم فيما بعد أوسع استغلال.

تقابل عتبة بن أبي سفيان وجعدة بن هبيرة

بعد أن فشل عتبة بن أبي سفيان في إقناع جعدة بن هبيرة بالجنوح إلى السلم، تقابل الرجلان في اليوم التالي كلٌّ والرجال الذين تحت إمرته. وبعد قتال شديد، فرّ عتبة بن أبي سفيان من ساحة القتال على نحو فاضح، إثر تكبد قوته الكثير من القتلى، وذهب إلى حيث معاوية. فسخر معاوية منه وقال له: لقد فضحك جعدة فضيحة لن تغسل عارها أبداً. فقال له وهو منكسر خجلاً: والله لن أعود للعب بالنار أبداً[١].

ولكن، هل كانت فضائح جيش معاوية وهزائمه المخزية واحدة أو اثنتين!؟ وهل كان قادة الشام الوقحون يخجلون؟ فإذا كان اثنان من كبار قادتهم يلوذان بعورتيهما للنجاة من الموت، فما بالك بسائر جنود جيش معاوية؟

---

(١) **وقعة صفين**، ص٤٦٤، عتبة ومعاوية.

معاوية يطلب والإمام علي عليه السلام يهدد

في تلك الأثناء أعلن أمير المؤمنين عليه السلام يوماً أنه سيحسم أمر الشاميين في اليوم التالي. فسمع الشاميون بذلك فدب اضطراب شديد بينهم. وحاول معاوية النجاة بنفسه من الخطر، فقال لمن حوله: **قد رأيت أن أكتب إلى علي كتاباً أسأله الشام، وهو الشيء الأول الذي ردني عنه، وأُلقي في نفسه الشك والريبة.**

فضحك عمرو بن العاص ثم قال: **أين أنت يا معاوية من خدعة علي؟** فقال (معاوية): **ألسنا بني عبدمناف؟** قال: **بلى ولكن لهم النبوة دونك. وإن شئت أن تكتب.**

فكتب معاوية إلى علي عليه السلام، مع رجل من السكاسك يقال له عبدالله بن عقبة وكان من ناقلة أهل العراق، يقول: **أما بعد، فإني أظنك أن لو علمت أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا، لم يجنها بعضنا على بعض. وإن كنا غلبنا على عقولنا، فقد بقي لنا ما نندم به على ما مضى، ونصلح به ما بقي. وقد كنت سألتك الشام على ألاّ يلزمني لك طاعة ولا بيعة، فأبيت ذلك عليّ، فأعطاني الله ما منعت. وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس، فإني لا أرجو من البقاء إلاّ ما ترجو، ولا أخاف من الموت إلاّ ما تخاف. وقد، والله، رقت الأجناد وذهبت الرجال، ونحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل إلاّ فضل لا يستذل به عزيز ولا يسترقّ حر به والسلام**[1].

---

[1] **وقعة صفين**، ص٤٧٠، رسالة معاوية إلى علي عليه السلام.

جواب أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية

فلما انتهى كتاب معاوية إلى علي عليه السلام قرأه ثم قال: **العجب لمعاوية وكتابه!** ثم دعا علي عليه السلام عبيدالله بن أبي رافع كاتبه فقال: **اكتب إلى معاوية: أما بعد، فقد جاءني كتابك تذكر أنك لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض. فإنا وإياك منها في غاية لم تبلغها. وإني لو قتلت في ذات الله وحييت ثم قتلت ثم حييت سبعين مرة، لم أرجع عن الشدة في ذات الله والجهاد لأعداء الله. وأما قولك إنه قد بقي من عقولنا ما نندم به على ما مضى، فإني ما نقصت عقلي ولا ندمت على فعلي. فأما طلبك الشام، فإني لم أكن لأُعطيك اليوم ما منعتك منها** (هكذا: م) **أمس. وأما استواؤنا في الخوف والرجاء، فإنك لست أمضى على الشك مني على اليقين، وليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة. وأما قولك إنا بنو عبدمناف ليس لبعضنا على بعض فضل، فلعمري إنا بنو أب واحد، ولكن ليس أُمية كهاشم، ولا حرب كعبدالمطلب، ولا أبوسفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا المحق كالمبطل. وفي أيدينا، بعد، فضل النبوة التي أذللنا بها العزيز وأعززنا بها الذليل، والسلام**[1].

---

(١) ص٤٧٠، رسالة معاوية إلى علي عليه السلام.

هل كان الأُمويون من العرب؟

جاء في نهج البلاغة وفي بعض كتب التاريخ عبارة "**ولا الصريح كاللصيق**" قالها أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية يردّ على ادّعائه بأنه من بني عبدمناف وينكر كون بني أُمية عرباً.

المشهور أن بني أُمية، كبني هاشم، يرجعون إلى عبدمناف. وأن لعبدمناف خمسة أبناء ؛ هاشم وعبدشمس ومطلب ونوفل وأبوعمرو. وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من نسل هاشم بن عبدمناف، وبني أُمية من نسل عبدشمس بن عبدمناف. وكان أحد أبناء عبدشمس يسمى أُمية الأكبر وإليه يعود بنو أُمية[١]. ولكن الصحيح أن بني أُمية لم يكونوا قرشيين ولا عرباً.

يقول العلاّمة المجلسي في شرح عبارة "**ولا الصريح كاللصيق**": **قد ذكر بعض علمائنا في رسالة في الإمامة أن أُمية لم يكن من صلب عبدشمس، وإنما هو عبد من الروم فاستلحقه عبدشمس ونسبه إلى نفسه. وكانت العرب في الجاهلية إذا كان لأحدهم عبد وأراد أن ينسبه إلى نفسه أعتقه وزوجه كريمة من العرب فيلحق بنسبه.** (وهذا ما حصل مع أُمية إذ أُلحق بعبدشمس)[٢] **قال: وبمثل ذلك نسب العوام أبو الزبير إلى خويلد. فبنوا أُمية قاطبة ليسوا من قريش، وإنما الحقوا ولصقوا بهم.** قال: **ويصدق ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام جواباً عن كتابه وادّعائه إنا بنو عبدمناف: ليس المهاجر كالطليق ولا الصريح كاللصيق. ولم يستطع معاوية إنكار ذلك.**

---

(١) **المعارف**، ص٧١، قريش.

(٢) **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، ج٣٣، ص١٠٧، الباب السادس عشر، باب كتبه عليه السلام إلى معاوية.

اشتداد القتال

في يوم الخميس التاسع من صفر لبس الإمام علي عليه السلام قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واعتمر عمامته صلى الله عليه وآله وسلم وتقلد سيفه صلى الله عليه وآله وسلم وركب جواده صلى الله عليه وآله وسلم ثم خطب في الناس قائلاً: **أيها الناس! من يبع نفسه يربح ذا اليوم. فإنه يوم له ما بعده من الأيام. أما والله، أن لولا أن تعطل الحدود وتبطل الحقوق ويظهر الظالمون وتفوز كلمة الشيطان، ما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه. ألا إن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء، والصبر خير عواقب الأُمور. ألا إنها إحن بدرية وضغائن أُحدية وأحقاد جاهلية وثب بها معاوية حين الغفلة ليذكر بها ثارات بني عبدشمس** [أشكال ورموز مبهمة ربما كانت آيات قرآنية ربما هي قوله تعالى: ((وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون)): م] فقالت المهاجرون والأنصار: **يا أمير المؤمنين! إننا كنا نقاتل معك إلى الساعة عن بصيرة ويقين أنك على الحق الواضح. والآن فقد ازددنا بصيرة ويقيناً بعد إذ قتل بين يديك مثل عمار بن ياسر، فتقدم أمامنا وها نحن من ورائك.** (قال): فتقدم علي عليه السلام ومعه نيف على عشرة آلاف من بني مذحج ممن يريد الموت قد وضعوا أسيافهم على عواتقهم ما يبين منهم إلاّ الحدق، وعلي عليه السلام يقدمهم. ثم حمل علي عليه السلام في هؤلاء العشرة آلاف حملة رجل واحد، فما بقي لأهل الشام صف إلاّ انتقض، وهمدت الناس واحمرت حوافر الخيل بالدماء[1].

فجعل مالك الأشتر النخعي يحرض جنود قبيلته على القتال، فقال: **يا آل مذحج! عضضتم بصم الجندل، فما أرضيتم ربكم ولا نكبتم له في عدوكم وأنتم أبناء العرب وأصحاب الغارات وفتيان**

---

(١) "أصبح الناس وطلعت الشمس وذلك يوم الخميس. ودعا علي عليه السلام بدرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلبسه وبسيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتقلده وبعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعتجر بها. ثم دعا بفرس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستوى عليه وجعل يقول: أيها الناس! ... بالدماء". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٧١ ــ ١٧٢، ذكر الواقعة الخميسية وهي وقعة لم يكن بصفين أشد منها.

الصياح وفرسان الطراد وحتوف الأقران ومذحج الطعان. ثم حمل وحملت معه قبائل العرب مع مذحج، فتحيرت أهل الشام من فعالهم[١].

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يصيح: **إن الفرار عن الحرب في مثل هذا اليوم إرداد عن الحق ورغبة عن دين الإسلام. أما سمعتم الله تبارك وتعالى يقول:** [آيات قرآنية مشوهة الطباعة، ربما: ((ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم)): م]؟ **فما انتظاركم إن كنتم تريدون الجنة**[٢]؟

في هذا اليوم، برز للقتال أبوالهيثم مالك بن التيهان[٣] وخزيمة بن ثابت وجندب بن زهير وجماعة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقاتلوا وهم يرتجزون حتى استشهدوا بعد اشتباك طويل[٤].

---

(١) "التفت الأشتر إلى بني عمه فجعل يحرضهم وهو يقول: يا آل مذحج ... فعالهم". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٧٣، ذكر الواقعة الخميسية وهي وقعة لم يكن بصفين أشد منها.

(٢) "قال: وصاح علي عليه السلام بالمهاجرين والأنصار فقال: إن الفرار ... الجنة". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٧٥، ذكر الواقعة الحسينية وهي وقعة لم يكن بصفين أشد منها.

(٣) مالك بن التيهان من قبيلة مراد كان يبيع الكتان. وكان من كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يعبد الأصنام في الجاهلية. بايع النبي صلى الله عليه وآله في العقبتين الأُولى والثانية. وكان من خواص أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام، استشهد في حرب صفين. كان يرافق رسول الله صلى الله عليه وآله بصفته خبيراً في الزراعة. ولم يتعاون مع أبي بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله بل كان ضمن الاثني عشر شخصاً الذين احتجوا على خلافته وشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله عيّن أميرالمؤمنين عليه السلام في يوم الغدير خليفة له. **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، ج٢٢، ص٢٠٠، كتاب الفتن والمحن، الباب الرابع. كان لأبي الهيثم منزلة خاصة عند أميرالمؤمنين عليه السلام، فبعد أن استشهد مع جماعة من أصحابه في صفين حزن الإمام عليه السلام وقال: لم يخسر إخوتنا الذين سالت دماؤهم في صفين. فلو كانوا أحياءً اليوم لذاقوا مرارة الكمد. والله لقد ذهبوا إلى بارئهم ونالوا أجرهم وأسكنهم الله دار الأمن والأمان. أين إخوتنا الذين ركبوا السبيل وساروا مع الحق. أين عمار، أين ابن التيهان؟ أين ذوالشهادتين؟ أين أمثالهم الذين تعاهدوا مع الموت ابتغاء مرضاة الله وحملت رؤوسهم إلى الظالمين الفاجرين؟ ثم أمسك الإمام عليه السلام بلحيته وبكى، ثم قال: آه من فراق إخوتنا الذين قرأوا القرآن واستقاموا عليه، وتفكروا في أوامر الله وتمسكوا بها، أحيوا السنة وأماتوا البدعة. **نهج البلاغة**، الخطبة ١٨١.

(٤) **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٧٥ ـ ١٧٦، ذكر الواقعة الخميسية وهي وقعة لم يكن بصفين أشد منها.

رأى أمير المؤمنين عليه السلام مالك الأشتر يبكي، وقد شاهد مصارع رفاقه: **ما يبكيك؟ لا أبكى الله عيناك!** (هكذا، ربما عينيك: م) فقال: **أبكي يا أمير المؤمنين لأني أرى الناس يقتلون بين يديك وأنا لا أُرزق الشهادة فأفوز بها.** فقال له علي عليه السلام **أبشر بالخير يا مالك**[١]!

بعد هذا الكلام، خرج مالك الأشتر وهو ملثم فقام بتسوية صفوف جيشه برمح كان يحمله. ثم خاطب الجيش قائلاً: **الحمد لله الذي جعل فينا ابن عم نبيه، أقدمهم هجرة وأولهم إسلاماً، سيف من سيوف الله صبّه على أعدائه.** (قال): ثم حمل على أهل الشام وكسر فيهم رمحه ثم رجع[٢].

---

(١) قال: وبكى الأشتر فقال له علي عليه السلام: ما يبكيك؟ .... يا مالك". **الفتوح،** المجلد الثاني، ص١٧٧، ذكر الواقعة الخميسية وهي وقعة لم يكن بصفين أشد منها.

(٢) "فخرج رجل من أهل العراق على فرس كميت ذنوب، عليه السلام، لا يرى منه إلاّ عيناه وبيده الرمح. فجعل يضرب رؤوس أصحاب علي بالقناة ويقول: سووا صفوفكم [رحمكم الله]. حتى إذا عدل الصفوف والرايات، استقبلهم بوجهه وولى أهل الشام ظهره، ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: الحمد لله ... ثم رجع، فإذا هو الأشتر". **وقعة صفين،** ص٤٧٤، زحف علي.

مقتل عبيد الله بن عمر

أبرز من قتل من جيش العدو في هذا اليوم، كان عبيدالله بن عمر. وقصة مقتله ودفنه فيها نقاط هامة يشير المسعودي إلى تفاصيلها بقوله: **كان عبيدالله إذا خرج إلى القتال قام إليه نساؤه فشددن عليه سلاحاً، ما خلا الشيبانية بنت هانئ بن قبيصة. فخرج في هذا اليوم وأقبل على الشيبانية وقال لها: إني قد عبّأت اليوم لقومك. وأيم الله إني لأرجو أن أربط بكل طُنب من أطناب فسطاطي سيداً منهم. فقالت له: ما أُبغض إلاّ أن تقاتلهم. قال: ولم؟ قالت: لأنه لم يتوجه إليهم صنديد في جاهلية ولا إسلام وفي رأسه صعر إلاّ أبادوه، وأخاف أن يقتلوك. وكأني بك قتيلاً وقد أتيتهم أسألهم أن يهبوا لي جيفتك. فرماها بقوس فشجّها وقال لها: ستعلمين بمن آتيك من زعماء قومك. ثم توجه فحمل عليه حريث بن جابر الجعفي فطعنه فقتله. وقيل إن الأشتر النخعي هو الذي قتله. وقيل: إن علياً عليه السلام ضربه ضربة فقطع ما عليه من الحديد حتى خالط سيفه حشوة جوفه، وإن علياً عليه السلام قال حين هرب فطلبه ليقيد منه بالهرمزان: لئن فاتني في هذا اليوم لا يفوتني في غيره. وكلم نساؤه معاوية في جيفته، فأمر أن تأتين ربيعة فتبذلن في جيفته عشرة آلاف، ففعلن ذلك. فاستأمرت ربيعة علياً عليه السلام فقال لهم: إنما جيفته جيفة كلب لا يحل بيعها، ولكن قد أُجبتم إلى ذلك، فاجعلوا جيفته لبنت هانئ بن قبيصة الشيباني زوجته. فقالوا لنسوة عبيدالله: إن شئتن شددناه إلى ذنب بغل ثم ضربناه حتى يدخل إلى عسكر معاوية، فصرخن وقلن: هذا أشد علينا. وأخبرن معاوية بذلك، فقال لهن: ائتوا الشيبانية فسلوها أن تكلمهم في جيفته. ففعلن وأتت القوم وقالت: أنا بنت هانئ بن قبيصة وهذا زوجي القاطع الظالم، وقد حذرته ما صار إليه، فهبوا إليّ جيفته! ففعلوا، وألقت إليهم بمطرف خز فأدرجوه فيه ودفعوه إليها، فمضت به وكان قد شد في رجله إلى طنب فسطاط من فساطيطهم**[1].

---

(١) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٢، ص٤٢٧، مقتل عبيدالله بن عمر.

اشتداد القتال في ليلة الهرير

الاشتباكات المتقطعة التي اندلعت في مطلع شهر صفر، بلغت ذروتها يوم الخميس التاسع منه،[١] فهجم الجيشان على بعضهما وتبادلا الرمي حتى نفدت من الطرفين النبال.

"زحف الناس بعضهم إلى بعض فارتموا بالنبل [والحجارة] حتى فنيت. ثم تطاعنوا بالرماح حتى تكسرت واندقت. ثم مشى القوم بعضهم إلى بعض بالسيف وعمد الحديد، فلم يسمع السامع إلاّ وقع الحديد بعضه على بعض، لهو أشد هولاً في صدور الرجال من الصواعق ومن جبال تهامة يدك بعضها بعضاً. (قال): وانكشفت الشمس [بالنقع] وثار القتام وضلت الألوية والرايات. (قال): و[أخذ] الأشتر يسير فيما بين الميمنة والميسرة فيأمر كل قبيلة أو كتيبة من القرّاء بالإقدام على التي تليها. (قال): فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد من صلاة الغداة إلى نصف الليل، لم يصلوا لله صلاة"[٢]. بل إنهم صلوا صلاة الخوف. ويقول ابن أعثم إن شدة القتال بلغت حداً جعلهم يكتفون من صلاتهم بتكبيرة واحدة أو إيماءة صوب القبلة[٣].

هرير الكلب: صوته دون نباحه من قلة صبره على البرد[٤]. فسميت تلك الليلة ليلة الهرير لشدة القتال فيها وكثرة القتلى وتصاعد صراخ المقاتلين من الفريقين وآهاتهم إلى عنان السماء.

يقول العلاّمة المجلسي في هذا: اشتد صوت وقع السيوف على بعضها فسميت تلك الليلة ليلة الهرير[٥].

---

(١) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٢، ص٤٢١، خروج علي عليه السلام للقتال.

(٢) **وقعة صفين**، ص٤٧٥، ليلة الهرير إذكاء الأشتر لنار القتال.

(٣) "ذهبت المواقيت (هكذا: م) الصلاة حتى ما كان في الفريقين أحد يصلي ذلك اليوم ولا سجد لله سجدة ولا كانت الصلاة إلاّ بالتكبير والإيماء نحو القبلة". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٧٨، ذكر صفة ليلة الهرير.

(٤) **مجمع البحرين**، ج٣، ص٥١٨، هرر.

(٥) **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، ج٨٦، ص١١٦، في كيفية صلاة الخوف.

في تلك الليلة، كان الإمام علي عليه السلام يقاتل في قلب العدو وابن عباس في الميسرة ومالك الأشتر في الميمنة، وكبدوا العدو خسائر جسيمة، وبلغ قتلى الجيشين نحو سبعين ألفاً(١).

تواصلت المعركة في منتهى الشدة حتى منتصف الليلة الثانية، واستمرت حتى قرب الظهر. وكان لمالك الأشتر نصيب كبير منها، فكان الجيش الذي تحت إمرته يتقدم. وكان إذا لاحظ ضعفاً في جيشه، يقول: **ألا من يشري نفسه لله ويقاتل مع الأشتر حتى يظهر أو يلحق بالله.** فالتحق به المقاتلون جماعات جماعات ووجهوا ضربات قاتلة لجيش الشام(٢).

يقول العلاّمة الحلي: **وفي ليلة الهرير باشر** (أمير المؤمنين عليه السلام) **الحرب بنفسه خاصة. وكان كلما قتل قتيلاً كبّر، فعُدّ تكبيره فبلغ خمسمائة وثلاثاً وعشرين تكبيرة. وعُدّ قتلى الفريقين في صبيحة تلك الليلة فبلغت ستة وثلاثين ألف قتيل**(٣).

---

(١) **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٧٨، ذكر صفة ليلة الهرير.

(٢) "قال: وأخذ الأشتر يسير فيما بين الميمنة والميسرة فيأمر كل قبيلة أو كتيبة من القراء بالإقدام على التي تليها. قال: فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد من صلاة الغداة إلى نصف الليل لم يصلوا لله صلاة. فلم يزل يفعل ذلك الأشتر بالناس حتى أصبح والمعركة خلف ظهره، وافترقوا على سبعين ألف قتيل في ذلك اليوم وفي تلك الليلة وهي ليلة الهرير. وكان الأشتر في ميمنة الناس وابن عباس في الميسرة وعلي في القلب والناس يقتتلون. ثم استمر القتال من نصف الليل الثاني إلى ارتفاع الضحى، والأشتر يقول لأصحابه وهو يزحف بهم نحو أهل الشام: ازحفوا قيد رمحي هذا. وإذا فعلوا قال: ازحفوا قاب هذا القوس. فإذا فعلوا سألهم مثل ذلك حتى ملّ أكثر الناس الإقدام. فلما رأى ذلك قال: أُعيذكم بالله أن ترضعوا الغنم سائر اليوم. ثم دعا بفرسه وركز رايته، وكانت مع حيان بن هوذة النخعي، وخرج يسير في الكتائب ويقول: ألا من يشري نفسه لله ويقاتل مع الأشتر حتى يظهر أو يلحق بالله. فلايزال الرجل من الناس يخرج إليه ويقاتل معه. نصر عن عمر بن سعد قال: حدثني أبوضرار عن عمار بن ربيعة قال: مرّ بي والله الأشتر وأقبلت معه حتى رجع إلى المكان الذي كان به، فقام في أصحابه فقال: شدوا، فدىً لكم عمي وخالي شدة ترضون بها الله وتعزون بها الدين، فإذا شددت فشدوا. قال: ثم نزل وضرب وجه دابته ثم قال لصاحب رايته: أقدم! فأقدم بها، ثم اشتد على القوم وشد معه أصحابه يضرب أهل الشام حتى انتهى بهم إلى عسكرهم. ثم إنهم قاتلوا عند العسكر قتالاً شديداً". **وقعة صفين**، ص٤٧٥ و٤٧٦، ليلة الهرير.

(٣) **كشف اليقين**، ص١٥٨.

العدو في أنفاسه الأخيرة

بعد تكبيد جيش العدو الضربات القاصمة في ليلة الهرير، قال أمير المؤمنين عليه السلام لمقاتلي جيشه: **أيها الناس! قد بلغ بكم الأمر وبعدوكم ما قد رأيتم، ولم يبق منه إلاّ آخر نفس. وإن الأُمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها. وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم ما بلغنا. وأنا غاد عليهم بالغداة أُحاكمهم إلى الله عزّ وجلّ**[1].

يصف ابن أبي الحديد حالة جيش الشام بعد ليلة الهرير وصفاً رائعاً بقوله: **لولا فساد أهل العراق برفع المصاحف لاستؤصل أهل الشام وخلص الأشتر إلى معاوية فأخذه بعنقه ولم يكن قد بقي من قوة الشام إلاّ كحركة ذنب الوزغة عند قتلها يضطرب يميناً وشمالاً**[2].

ويقول اليعقوبي: **زحف أصحاب علي وظهروا على أصحاب معاوية ظهوراً شديداً حتى لصقوا به. فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه. فقال عمرو بن العاص: إلى أين؟ قال: قد نزل ما ترى، فما عندك؟ قال: لم يبق إلاّ حيلة واحدة، أن ترفع المصاحف**[3].

---

(١) وإن علياً قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! .. عزّ وجلّ". **وقعة صفين**، ص٤٧٦، خطبة لعلي[عليه السلام].

(٢) **شرح نهج البلاغة**، ج١١، ص٢٩، ذيل الخطبة ٢٠١.

(٣) **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص١٨٨، خلافة أمير المؤمنين عليه السلام.

كلام الأشعث بن قيس المنافق

بعد مقتل عدد كبير من الجيشين، وقف الأشعث بن قيس أمام أفراد قبيلته وقال ما أمّل العدو بالصلح. كان الأشعث مخالفاً لاستمرار الحرب بسبب كثرة الخسائر، لذا التفت إلى جيش أمير المؤمنين عليه السلام وقال: **قد رأيتم، يا معشر المسلمين، ما قد كان في يومكم هذا الماضي وما قد فني فيه من العرب. فوالله، لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ فما رأيت مثل هذا اليوم قط. ألا فليبلغ الشاهد الغائب، نحن تواقفنا غداً. إنه لفناء العرب وضيعة الحرمات. أما والله، ما أقول هذه المقالة جزعاً من الحتف، ولكني رجل مسن أخاف على [النساء و] الذراري غداً إذا فنينا.** قال صعصعة: **فانطلقت عيون معاوية إليه بخطبة الأشعث،** (ففرح فرحاً شديداً وتجدد أمله في المصالحة)[١] **فقال: أصاب ورب الكعبة. لئن نحن التقينا غداً لتميلن الروم على ذرارينا ونسائنا ولتميلن أهل فارس على نساء أهل العراق وذراريهم.**

كان لكلام الأشعث بن قيس من التأثير على أهل الشام بحيث أنهم أصبحوا يعيدونه ويقولون: **يا أهل العراق! من لذرارينا إن قتلتمونا؟ ومن لذراريكم إن قتلناكم**[٢]**؟ الله الله في البقية**[٣]!

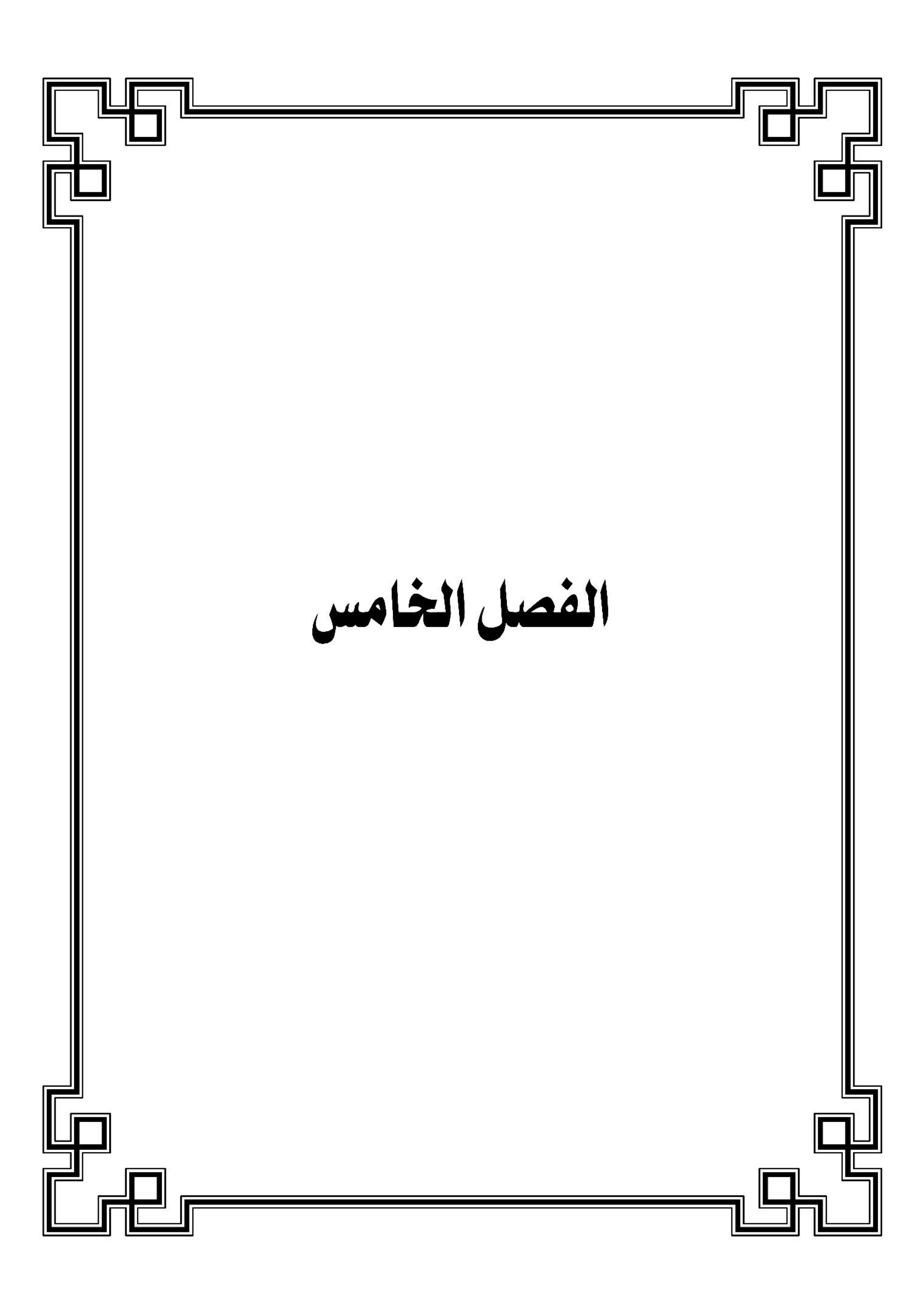
لو لم يكن الأشعث قال ما قال، فربما لم يفكر عمرو بن العاص بحيلة رفع المصاحف على رؤوس الرماح، وربما أخذ التاريخ مساراً مغايراً.

---

(١) **وقعة صفين**، ص٤٨٠، يوم الهرير.

(٢) "ثار أهل الشام فنادوا في سواد الليل: يا أهل العراق .. البقية". **وقعة صفين**، ص٤٨١، إشارة معاوية برفع المصاحف.

(٣) **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٧٩، ذكر رفع المصاحف على رؤوس الرماح ؛ **تاريخ الطبري**، ج٣، ص١٠١، حوادث سنة ٣٧ هجرية، مقتل عمار بن ياسر.



الفصل الخامس

□

بداية المؤامرة

تكبد جيش الشام خسائر جسيمة على أيدي أبطال جيش أمير المؤمنين عليه السلام. وأدرك أنه لم يعد قادراً على الصمود، وأن عليه الاستسلام نظراً لحجم الخسائر التي لحقت به. وفي تلك الظروف اليائسة، أدركهم عمرو بن العاص وأنقذهم من هزيمة نهائية بمقترح شيطاني.

رفع المصاحف على رؤوس الرماح

لما وصلت تقارير الحرب إلى معاوية، أحضر عمرو بن العاص وقال له مغضباً: **الله ويحك أباعبدالله! أين حيلك التي كنت أعرفها منك؟** فقال عمرو: **تريد ماذا؟** قال: **أُريد أن تسكن هذه الحروب، فقد أُبيد أهل الشام، وإني لأعلم إن دام هذا الحرب يومنا هذا لم يبق بأرض الشام أحد يحمل سلاحنا.** فقال عمرو: **إن أحببت ذلك، فأمر بالمصاحف أن ترفع على رؤوس الرماح، ثم ادعهم إليها. فإنك إن فعلت ذلك لم يقاتل أحد أحداً. فهذه حيلتي ومكيدتي التي لم أزل أدخرها لك**[١].

حسب ما ينقله ابن مزاحم فإن عمرو بن العاص أشار إلى طبيعة الجيشين فقال لمعاوية: **إن رجالك لا يقومون لرجاله، ولستَ مثله. هو يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره. أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء. وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون علياً إن ظفر بهم. ولكن ألق إلى القوم أمراً إن قبلوه اختلفوا وإن ردوه اختلفوا. ادعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك وبينهم، فإنك بالغ به حاجتك في القوم. وإني لم أزل أُؤخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه**[٢]. فعرف معاوية ذلك وقال له: **صدق.**

في كلام عمرو بن العاص نقاط غاية في الأهمية، نشير هنا إلى بعضها أمثلةً:

الأُولى: أن عمرواً كان على اطلاع دقيق بطبيعة طرفي الحرب، ويعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن يحارب أهل الشام من أجل الرئاسة بل لإحقاق الحق.

الثانية: أن جيش الشام كان يعرف رأفة أمير المؤمنين عليه السلام ورحمته، ويعلم أنه لو تمكن منهم فسيعفو ويصفح ولا يعاقب. إن اعترافات عمرو بن العاص تبين أن أعداء أمير المؤمنين عليه السلام، أيضاً،

---

(١) ، ص٤٧٧، دعاء علي عليه السلام يوم الهرير.

(٢) يقول ابن أعثم الكوفي إنهم حملوا مصحف عثمان، وكان كبيراً جداً، على أربعة رماح ووضعوه بين الجنود. **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٧٩، ذكر رفع المصاحف على رؤوس الرماح.

لم يكونوا يعتبرونه سفاحاً محباً للحرب، وأنهم كانوا يعتقدون بحقانيته، ولم يمنعهم من الإذعان له إلاّ هوى أنفسهم.

الثالثة: أن مقترح عمرو بن العاص كان شيطانياً لدرجة أن يدخل الفرقة في صفوف جيش العراق في جميع الأحوال ؛ لأنه كان على علم كامل بنسيج جيش أمير المؤمنين عليه السلام، ويعلم أن فيه اتجاهات مختلفة. لقد استطاع أن يستغل نقطة الضعف هذه أكمل استغلال في إنهاء الانسجام الظاهري الذي كان جيش الإمام يبدو عليه.

من أهم مزايا عمرو بن العاص أنه كان على علم جيد بالأشخاص والقبائل، لذا فإن معاوية كان يندم كلما خالفه في رأيه. لقد اعترض عمرو بن العاص على بعض ما قام به معاوية قبل شروع الحرب، ثم ثبتت صحة موقفه النابع من دقة معرفته بالأشخاص. من ذلك، مثلاً، المكاتبات التي أجراها معاوية مع بعض الأشخاص. وكذلك في منع الماء عن جيش أمير المؤمنين عليه السلام، فقد عارضه لمعرفته بشجاعة جيش الإمام. فقد انتهى معاوية إلى الإقرار بخطئه والاعتراف بصحة رأي عمرو. هذه الشواهد تدل على أن عمرو بن العاص كان على معرفة دقيقة بالرجال والقبائل. وعلى أساس هذه المعرفة اقترح رفع المصاحف على رؤوس الرماح لبث الفرقة في صفوف جيش الإمام عليه السلام وتحويل مسار الحرب لصالح معاوية.

تنفيذاً لمقترح عمرو بن العاص، قام جيش معاوية، في صبيحة ليلة الهرير، برفع حوالي خمسمائة مصحف على الرماح والتقدم بها صوب جيش الإسلام. وثمة روايات تفيد بأن الشاميين رفعوا مصحفاً كبيراً على رؤوس ثلاثة رماح[1]. وكان المصحف من الثقل بحيث كان يحمله عشرة أشخاص. وبعد رفع المصاحف، وقف الطفيل بن أدهم مقابل الإمام علي عليه السلام، ووقف أبوشريح الجذامي مقابل ميمنة الجيش، وورقاء بن المعمر مقابل الميسرة، وقالوا: **يا معشر العرب! الله الله في نسائكم وبناتكم، فمن للروم والأتراك وأهل فارس غداً إذا فنيتم؟ الله الله في دينكم، هذا كتاب الله بيننا**

---

(١) "قال أبوجعفر وأبوالطفيل: استقبلوا علياً بمائة مصحف ووضعوا في كل مجنبة مائتي مصحف وكان جميعها خمسمائة مصحف. قال أبوجعفر: ثم قام الطفيل بن أدهم حيال علي وقام أبوشريح الجذامي حيال الميمنة وقام ورقاء بن المعمر حيال الميسرة، ثم نادوا: يا معشر العرب! .. المبين". **وقعة صفين**، ص٤٧٨، رفع المصاحف على أطراف الرماح.

وبينكم. فقال علي عليه السلام: **اللَّهُمَّ إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا وبينهم إنك أنت الحكم الحق المبين**[١].

(١) **وقعة صفين،** ص٤٧٨، رفع المصاحف على أطراف الرماح.

الفرقة في جيش الإمام علي عليه السلام

انطلت حيلة عمرو بن العاص على عدد من ضعاف الصبر والبصيرة من أصحاب الإمام علي عليه السلام، فقال بعضهم: أما وقد أذعن معاوية وأهل الشام إلى حكم القرآن فلابد من إيقاف القتال، وما عاد جائزاً قتال أهل الشام[١].

(١) هو عدي بن حاتم الطائي من صحابة النبي صلى الله عليه وآله. كان سيداً في قومه. جاء النبيَ صلى الله عليه وآله في شعبان من السنة العاشرة للهجرة وأسلم على يديه. كانت له اليد الطولى في الخطابة والقدرة الفذة في المناظرة والجدال. وكان كريماً محسناً. طلب منه الأشعث بن قيس يوماً أن يعيره قدوره فملأها عدي طعاماً وأرسلها إليه. فقال الأشعث: إني أردتها خالية. فقال عدي بن حاتم: ليس من عادتنا أن نعطي أحداً قدوراً خالية. **أُسد الغابة في معرفة الصحابة،** ج٤، ص٩، ترجمة عدي بن حاتم، الرقم ٣٦١٠ ؛ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب،** ج٣، ص١٦٨، ترجمة عدي بن حاتم، الرقم ١٨٠٠. كان عدي، قبل أن يتشرف بالإسلام، نصرانياً فجذبته سيرة النبي صلى الله عليه وآله فدخل في الإسلام. فقد جاء المدينة بتوصية من أُخته وتوجه إلى النبي صلى الله عليه وآله. فدعاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيته. وفي الطريق استوقفت امرأة عجوز النبي صلى الله عليه وآله فكلمته وطال كلامها معه وكان النبي يستمع إليها باهتمام. فقال عدي في نفسه: إن هذا الرجل لا يطلب الحكم والرئاسة، لأن من يطلب الرئاسة لا يضيع هذا الوقت مع امرأة عجوز. يقول عدي بن حاتم: لما وصلنا إلى البيت، فرش لي النبي صلى الله عليه وآله فراشاً لا يتسع إلاّ لرجل واحد، وألح على أن أجلس عليه وجلس هو على الأرض. وكانت تلك علامة ثانية على بساطة النبي صلى الله عليه وآله وعدم طلبه الجاه والسلطان. وبعد كلام قصير تشرفت باعتناق الإسلام. **تاريخ الطبري،** ج٢، ص١٨٨، حوادث السنة التاسعة للهجرة. شهد عدي بن حاتم الجمل وصفين والنهروان وقاتل تحت راية الإمام علي عليه السلام. وكان من المعترضين على المخالفات التي ارتكبها عثمان واشترك في قتله. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب،** ج٣، ص١٦٩، ترجمة عدي بن حاتم، الرقم ١٨٠٠ ؛ **وقعة صفين،** ص٦٥، خفاف بن عبد الله ومعاوية. استشهد أولاده الثلاثة في معركة صفين وهم يقاتلون مع علي عليه السلام، فحاول معاوية استغلال استشهادهم في إثارة مشاعر عدي ضد أميرالمؤمنين عليه السلام. فقد سأله ذات يوم: أين الطرفات؟ ماذا حلّ بأبنائك الثلاثة طريف وطارف وطرفة؟ فقال عدي: استشهدوا في صفين بين يدي علي بن أبي طالب عليه السلام. فقال معاوية: لم ينصفك علي ابن أبي طالب، فقد زجّ بأولادك في الحرب فقتلوا جميعاً، وادّخر أولاده. فردّ عليه عدي بحزم: بل أنا لم أُنصف علياً، فقد قُتل وبقيت أنا حياً. **أمالي السيد المرتضى،** ج١، ص٢١٧، المجلس الحادي والعشرون. كان من أثبت المقاتلين في صفوف أميرالمؤمنين عليه السلام، ومن الذين ضحوا بكل وجودهم في سبيل موالاته. وكان الإمام علي عليه السلام معيارَه الوحيد للحق. وحين انحرف ابنه عن هذا المعيار لم يسامحه بل تولى معاقبته بنفسه. فقد كان له ابن اسمه زيد يميل إلى معاوية. ولما رأى زيد جثة خاله حابس بن سعد الطائي الذي كان من قادة جيش معاوية بين جثث القتلى قام بقتل قاتله وكان مع علي عليه السلام، فهجم عليه أبوه عدي ليقتله ولكنه تمكن من الفرار واللجوء إلى جيش معاوية. فصاح عدي بن حاتم: لست على دين محمد إن لم أُلحقك بحابس بن سعد الطائي. ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللّهُمَّ إن زيداً اعتزل المسلمين والتحق بالملحدين، فاجعله غرضاً لسهام بلائك التي لا تطيش. وبعد أن التحق زيد بمعاوية تكلم =عنه بعض

أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام بسوء.= =فذهب عدي بن حاتم إلى أميرالمؤمنين وقال: والله لو وجدت زيداً لأقتلنه، ولو قُتل ما حزنت عليه. **وقعة صفين،** ص٥٢٢، ثأر زيد بن عدي لحابس بن سعد الطائي لحاقه بمعاوية. استقام عدي بن حاتم على الولاء بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام فكان من أوفى أصحاب الإمام الحسن عليه السلام. توفي في الكوفة سنة ٦٧ أو ٦٨ هجرية وكان عمره ١٢٠ سنة. **الإصابة في تمييز الصحابة،** ج٤، ص٣٨٨، ترجمة عدي بن حاتم، الرقم ٥٤٩١ ؛ **شرح نهج البلاغة،** ج١٦، ص٣٨، شرح الكتاب الحادي والثلاثين، ترجمة الحسن بن علي عليه السلام وذكر بعض أخباره.

أرضية المؤامرة

ما كان لمؤامرة عمرو بن العاص أن تنجح في خلق الانقسام في جيش العراق لولا وجود أرضية لتلقيها بالقبول. ومن العوامل التي ساعدت على نجاح المؤامرة:

١ـ استطالة زمن الحرب وتحولها إلى حرب استنزاف

٢ـ معركة ليلة الهرير الطاحنة

٣ـ خطبة الأشعث بن قيس التحريضية التي زودت المتآمرين بالمبررات اللازمة لمؤامرة رفع المصاحف وفرض الصلح على الإمام علي عليه السلام.

معارضو التحكيم في جيش أمير المؤمنين عليه السلام

بعد أن رُفعت المصاحف على رؤوس الرماح، وقف بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام موقف الرفض للمؤامرة وهم يعلمون بأنها خطة لجأ إليها معاوية واضطر إليها أهل الشام بعد أن لاحت علائم هزيمتهم النهائية. من هؤلاء الرافضين لمؤامرة التحكيم:

١ـ **عدي بن** حاتم[1] الذي نهض، وهو مدرك لظروف الجيشين، من مكانه وقال: **يا أمير المؤمنين! إن كان أهل الباطل لا يقومون بأهل الحق، فإنه لم يصَب عصبة منا إلاّ وقد أُصيب مثلها منهم، وكلٌّ مقروح. ولكنا أمثل بقية منهم، وقد جزع القوم وليس بعد الجزع إلاّ ما تحب، فناجز القوم!**

٢ـ مالك الأشتر وكان من قادة جيش الإمام عليه السلام. وكان يعلم أنه لا يفصلهم عن النصر النهائي إلاّ قليل، وأن اقتراح أهل الشام نابع من عجزهم ويأسهم. فالتفت إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: **يا أمير**

---

(١) "أقبل عدي بن حاتم فقال: يا أميرالمؤمنين! ... القوم!". **وقعة صفين،** ص٤٨٢، كلمة عدي بن حاتم.

المؤمنين! إن معاوية لا خلف له من رجاله، ولك بحمد الله الخلف. ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا بصرك. فاقرع الحديد بالحديد واستعن بالله الحميد[١].

٣ـ **عمرو بن الحمق** الذي سبق له أن أثبت ولاءه المطلق للإمام علي عليه السلام مراراً وتكراراً، خاطب الإمام عليه السلام قائلاً: **يا أمير المؤمنين! إنا والله ما أحببناك ولا نصرناك عصبية على الباطل، ولا أجبنا إلاّ الله عزّ وجلّ، ولا طلبنا إلاّ الحق. ولو دعانا غيرك إلى ما دعوت إليه لاستشرى فيه اللجاج وطالت فيه النجوى. وقد بلغ الحق مقطعه وليس لنا معك رأي**[٢].

---

(١) "فقام الأشتر النخعي فقال: يا أميرالمؤمنين! ... الحميد". **وقعة صفين،** ص٤٨٢، القائلون باستمرار القتال.

(٢) "قام عمرو بن الحمق فقال: يا أميرالمؤمنين! ... رأي". ، ص٤٨٢، كلمة عدي بن حاتم (هكذا، والصحيح: كلمة عمرو بن الحمق: م)

إصرار الأشعث بن قيس على وقف القتال وقبول التحكيم

بعد أن نفخ كلامه المنافق الأمل في النجاة في نفوس أهل الشام بعد ليلة الهرير، واصل الأشعث بن قيس إصراره على المصالحة. فقد تابع بغضب شديد كلمات أنصار أمير المؤمنين عليه السلام الداعية إلى مواصلة القتال، ثم خاطب الإمام عليه السلام قائلاً وهو يتميز غضباً: **يا أمير المؤمنين! إنا لك اليوم على ما كنا عليه أمس، وليس آخر أمرنا كأوله. وما من القوم أحد أحنى على أهل العراق ولا أوتر لأهل الشام مني. فأجب القوم إلى كتاب الله، فإنك أحق به منهم. وقد أحبّ الناس البقاء وكرهوا القتال**[1].

---

(١) "فقام الأشعث بن قيس مغضباً فقال: يا أمير المؤمنين! ... القتال". **وقعة صفين**، ص٤٨٢، الأشعث بن قيس.

خطبة عبدالله بن عمرو بن العاص

كان معسكر الشام في فزع وذعر نظراً إلى أنهم لم يكونوا قد تلقوا بعد جواب أمير المؤمنين في وقف القتال، وأنهم كانوا يخشون عودته إلى الحملة عليهم ثانية. لذا، ذهبوا إلى معاوية وطلبوا منه أن يكرر مقترحه. على هذا دعا معاوية عبدالله بن عمرو بن العاص وكلفه بلقاء أهل العراق والتفاوض معهم. فوقف ابن عمرو بن العاص بين الصفين وقال بصوت عال: **يا أهل العراق! أنا عبدالله بن عمرو بن العاص. إنها قد كانت بيننا وبينكم أُمور للدين والدنيا. فإن تكن للدين، فقد والله أعذرنا وأعذرتم. وإن تكن للدنيا، فقد والله أسرفنا وأسرفتم. وقد دعوناكم إلى أمر لو دعوتمونا إليه لأجبناكم. فإن يجمعنا وإياكم الرضا فذلك من الله. فاغتنموا هذه الفرجة لعله أن يعيش فيها المحترف وينسى فيها القتيل، فإن بقاء المهلك بعد الهالك قليل**[1].

---

(١) "فدعا معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص وأمره أن يكلم أهل العراق. فأقبل حتى إذا كان بين الصفين نادى: يا أهل العراق! .... قليل". **وقعة صفين**، ص٤٨٣، الكلام في التحكيم.

ردّ سعيد بن قيس على كلام عبدالله بن عمرو بن العاص

فقال سعيد بن قيس رداً على كلام عبدالله بن عمرو بن العاص: **يا أهل الشام! إنه قد كان بيننا وبينكم أُمور حامينا فيها على الدين والدنيا سميتموها غدراً وسرفاً. وقد دعوتمونا اليوم إلى ما قاتلناكم عليه بالأمس. ولم يكن ليرجع أهل لعراق إلى عراقهم ولا أهل الشام إلى شامهم بأمر أجمل من أن يحكم بما أنزل الله. فالأمر بأيدينا دونكم**[1].

(١) "فخرج سعيد بن قيس فقال: يا أهل الشام! .. دونكم". **وقعة صفين،** ص٤٨٣، الكلام في التحكيم.

خطبة الإمام علي عليه السلام

فعلت حيلة عمرو بن العاص فعلها فأوقعت الشك في نفوس بعض قادة جيش أمير المؤمنين. ونشب خلاف شديد في معسكر العراق، وكانت الأغلبية فيه تميل إلى وقف القتال والأقلية إلى مواصلته.

عندما أدرك أمير المؤمنين عليه السلام أن أغلب جيش العراق يطالب بالتصالح، ألقى كلمة بينت قمة مظلوميته وضلال أغلب جيشه، فقال: **أيها الناس! إنه لم يزل أمري معكم على ما أُحب حتى نهِكتكم الحرب. وقد والله أخذت منكم وتركت، وهي لعدوكم أنهك. لقد كنت أمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً. وكنت أمس ناهياً فأصبحت اليوم منهياً. وقد أحببتم البقاء، وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون**[١].

---

(١) **نهج البلاغة**، الخطبة ١٩٩.

تحليل عقيدة جيش أمير المؤمنين عليه السلام

لكي تتضح أسباب تفرق جيش الإمام علي عليه السلام بسبب رفع المصاحف على الرماح، لابد من التعرف على الأجواء الفكرية الحاكمة على المحاربين في ذلك الجيش. وينبغي تشخيص اعتقادهم بأمير المؤمنين عليه السلام للتوصل إلى سبب عدم تأثرهم بتحذيراته من خدعة أهل الشام وإصرارهم على كلامهم الباطل، ثم انبثاق تيار الخوارج من بينهم بعد وقوع التحكيم.

للتعرف على الجو الثقافي والعقائدي المهيمن على الناس في تلك الفترة، يكفي أن نستمع إلى إحدى خطب الإمام عليه السلام في أيام خلافته، حيث يشير إلى عقائد أهل الكوفة، فيقول بعد الحمد والثناء وبعض المقدمات: **قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين لخلافه ناقضين لعهده مغيرين لسنته. ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لتفرق عني جندي حتى أبقى وحدي أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عزّ وجلّ وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله. لقد أمرت الناس ألاّ يجتمعوا في شهر رمضان إلاّ في فريضة وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام! غيرت سنة عمر! ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً! ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري[١] ما لقيت من هذه الأُمة من الفرقة وطاعة أئمة الضلالة والدعاة إلى النار.**

ثمة رواية أُخرى عن الإمام الصادق عليه السلام (هكذا، وفي الهامش عن أبي جعفر: م) تفيد بأن عدد الشيعة الحقيقيين لأمير المؤمنين عليه السلام كان ضئيلاً جداً. يقول الإمام الصادق عليه السلام: **كان علي بن أبي طالب عليه السلام عندكم بالعراق يقاتل عدوه وعنده أصحابه وما كان منهم خمسون رجلاً يعرفونه حق معرفته وحق معرفة إمامته**[٢].

---

(١) "عن سليم بن قيس الهلالي قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه... قد عملت ... إلى النار". **الكافي**، ج٨، ص٥٨، الحديث ٢١، خطبة أمير المؤمنين عليه السلام؛ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، ج٣٤، ص١٦٧، الباب ٣٢، علة عدم تغيير أمير المؤمنين عليه السلام بعض البدع في زمانه.

(٢) "ذكر هشام عن أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي ... إمامته". **اختيار معرفة الرجال**، ص٦٦، الحديث ١١.

كما أن هناك وثائق أُخرى، مثل قول أبي جعفر النقيب الذي سبقت الإشارة إليه، تفيد بأن أغلب أهل الكوفة كانوا يعتقدون بإمامة الشيخين ولا يرضون بانتقادهما[١].

بالنظر إلى ما ذكرنا، لا مفر من القول بأن أغلب المقاتلين الذين كانوا يشكلون جيش الإمام عليه السلام لم يكن يعرف منزلة الإمام عليه السلام حق معرفتها. فلم يكونوا يعتبرونه إماماً معصوماً مفترض الطاعة. مثل هذا الجيش الذي لا يأخذ بكلام الإمام عليه السلام في الصلاة المستحبة، لاشك أن سيكون فريسة سهلة عند ظروف الفتن، فيتفرق عن الإمام ويتركه وحيداً.

بعد تبين حقيقة معتقدات جيش أمير المؤمنين عليه السلام، لابد من تسليط الضوء على تحليل ابن أبي الحديد للدوافع الحقيقية لأصحاب الإمام عليه السلام وأنصاره. يقسّم ابن أبي الحديد جنود الإمام عليه السلام إلى ثلاثة أقسام، فيقول: **فمنهم من دخلت عليه الشبهة برفع المصاحف وغلب على ظنه أن أهل الشام لم يفعلوا ذلك خدعة وحيلة بل حقاً ودعاءً إلى الدين وموجب الكتاب، فرأى أن الاستسلام للحجة أولى من الإصرار على الحرب** (وهم القسم الأول). **ومنهم من كان قد ملّ الحرب وآثر السلم، فلما رأى شبهة ما يسوغ التعلق بها في رفض المحاربة وحب العافية أخلد إليهم** (وهم القسم الثاني). **ومنهم من كان يبغض علياً عليه السلام بباطنه ويطيعه بظاهره كما يطيع كثير من الناس السلطان في الظاهر ويبغضه بقلبه، فلما وجدوا طريقاً إلى خذلانه وترك نصرته أسرعوا نحوها**[٢] (وهم القسم الثالث).

---

(١) "لأنهم كانوا يعتقدون إمامة الشيخين إلاّ القليل الشاذ من خواص الشيعة". **شرح نهج البلاغة**، ج١٥، ص١٨٥، ذيل الكتاب الثامن والعشرين، كتاب لمعاوية إلى علي عليه السلام؛ **مناقب آل أبي طالب**، ج٣، ص١٦٥، في حرب صفين.

(٢) "أن أهل العراق، لما رفع عمرو بن العاص ومن معه المصاحف على وجه المكيدة حين أحس بالعطب وعلو كلمة أهل الحق، ألزموا أميرالمؤمنين بوضع أوزار الحرب وكف الأيدي عن القتال. وكانوا في ذلك على أقسام: فمنهم ... نحوها". **شرح نهج البلاغة**، ج١١، ص٣٠، ذيل الخطبة ٢٠١.

مواقف بعض رؤساء القبائل من التحكيم

بعد أن أبدى أمير المؤمنين عليه السلام وعدد من قادة جيشه رأيهم من مواصلة الحرب، وصل الدور إلى رؤساء القبائل ليدلي كلٌّ بدلوه في القضية.

كردوس بن هاني البكري: وهو زعيم قبيلة ربيعة التي كانت تمثل الجزء الأكبر من جيش الإمام عليه السلام. قال في الدفاع عن موقف أمير المؤمنين عليه السلام: **أيها الناس! إنا والله ما تولينا معاوية منذ تبرأنا منه، ولا تبرأنا من علي منذ توليناه. وإن قتلانا لشهداء، وإن أحياءنا لأبرار، وإن علياً لعلى بينة من ربه ما أحدث إلاّ الإنصاف وكل محق منصف. فمن سلم له نجا ومن خالفه هلك**[1].

شقيق بن ثور البكري: نهض بعد كلام كردوس بن هانئ فقال كلاماً ينم عن سذاجة تفكيره عارض فيه رئيس قبيلته، فقال: **يا أهل العراق! إنكم تعلمون أننا كنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله عزّ وجلّ، فإن رددناه عليهم حلّ لهم منا ما حلّ لنا منهم. ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ولا رسوله** صلى الله عليه وآله وسلم. **وأن علياً** عليه السلام **ليس بالراجع ولا بالناكص ولا الشاك الواقف في أمره، وهو اليوم على ما كان عليه أمس. وقد أكلتنا هذه الحروب، ولسنا نرى إلاّ البقاء في الموادعة**[2].

ثم قام **حريث بن جابر البكري** وتكلم بكلام ينم عن تبعية لأمير المؤمنين عليه السلام نابعة من وعي عميق وفهم للعدو واسع، فقال فيما قال: **أيها الناس! إن علياً** عليه السلام **لو كان خلفاً من هذا الأمر لكان المفزع إليه، فكيف وهو قائده وسائقه. وإنه، والله، ما قبل من القوم اليوم إلاّ ما دعاهم إليه**

---

(١) "فأما من ربيعة، وهي الجبهة العظمى، فقام كردوس بن هانئ البكري فقال: أيها الناس! ... هلك". **وقعة صفين**، ص٤٨٤، خطبة لعلي عليه السلام.

(٢) "ثم وثب شقيق بن ثور البكري فقال: يا أهل العراق! ... الموادعة". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٨١، ذكر امتناع القوم من القتال.

أمس. ولو ردّه عليهم كنتم له أعنت. ولا يلحد في هذا الأمر إلاّ راجع على عقبيه أو مستدرج بغرور. فما بيننا وبين من طغى علينا إلاّ السيف(١).

أما **الحضين بن المنذر** وكان أصغر القوم سناً فقال ما دلّ على طاعته لأمير المؤمنين عليه السلام وموافقته لرأيه. قال: **أيها الناس! إنما بني هذا الدين على التسليم، فلا تعملوا فيه بالقياس ولا تهدموه بالشبهة. وأمير المؤمنين فهو المصدق بما قال والمأمون على ما فعل. فإن قال: لا، قلنا: لا. وإن قال: نعم، قلنا: نعم**(٢).

---

(١) "قام حريث بن جابر البكري، فقال: أيها الناس! ... السيف". **وقعة صفين**، ص٤٨٥، كلام رؤساء القبائل ؛ **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٨٦، ثم رجعنا إلى الخبر.

(٢) "ثم وثب الحضين بن المنذر، وكان أصغرهم سناً، فقال: أيها الناس! ... نعم". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٨١، ذكر امتناع القوم من القتال.

موقف أمير المؤمنين عليه السلام النهائي

لما رفع أهل الشام المصاحف ودبّ الخلاف والانقسام في جيش العراق، بذل أمير المؤمنين عليه السلام كل ما في وسعه لتوعية أصحابه وإيقاظ جنوده من رقدة الغفلة. فأشار إلى ماضي معاوية وأنصاره المشين وطعن في دينهم ليُفهم المخدوعين بأن أهل الشام لا دين لهم ولا ينبغي التعامل معهم على أساس القرآن. ولغرض إتمام الحجة على الناس، خطب فيهم فقال فيما قال: **عباد الله! امضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم، فإن معاوية وعمرواً وابن أبي معيط وحبيباً وابن أبي سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن. أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالاً ثم رجالاً فكانوا شر أطفال وشر رجال. ويحكم! والله ما رفعوها إلاّ خديعة ووهناً ومكيدة... فإني إنما أُقاتلهم ليدينوا لحكم الكتاب، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم ونسوا عهده ونبذوا كتابه**[1].

---

(١) "فقال لهم علي عليه السلام: عباد الله! ... كتابه". **شرح نهج البلاغة**، ج١١، ص٣٠، ذيل الخطبة ٢٠١ ؛ **الكامل في التاريخ**، ج٣، ص٣٨٦، حوادث سنة ٣٧ هجرية، ذكر تتمة أمر صفين.

لحظة انبثاق الخوارج

بعد أن ألقى الإمام عليه السلام كلمته وبيّن موقفه النهائي من الدعوة إلى التحكيم، وهو مواصلة القتال، تقدم إليه نحو عشرين ألف مقاتل مدجج بالسلاح الكامل مجرد سيفه وعلى جبهته أثر السجود. وكان في مقدمتهم مسعر بن فدكي وزيد بن الحصين وجماعة من القراء، الذين أصبحوا فيما بعد من قادة الخوارج، وأحاطوا بالإمام وهددوه قائلين: **يا علي! أجب إلى كتاب الله عزّ وجلّ إذ دعيت إليه، وإلاّ دفعناك برمتك إلى القوم، أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان**[١].

هذه الجماعة التي لم تكن تفقه من القرآن إلاّ ظاهره ولا تفهم من باطنه وتفسيره شيئاً، هي محصلة تربية الخلفاء السابقين. ولو أن الحكام الذين تربعوا على مقعد رسول الله صلى الله عليه وآله واكتسبوا الوجاهة من خلافته، لم يمنعوا رواية الأحاديث، فانكشف لهؤلاء الجماعة الأحاديث المفسرة للقرآن حق تفسيره، واطلعوا على منزلة أمير المؤمنين عليه السلام الحقيقية، لما تطاولوا عليه كما فعلوا ولما هددوه كما تجرأوا.

لقد بلغت جرأتهم على مقام الإمام علي عليه السلام الناجمة عن ضحالة عقولهم أنهم أسقطوا عن مخاطبته لقب "أمير المؤمنين" وخاطبوه باسمه في أثناء تهديدهم له. حتى ليبدو أنهم، في تلك اللحظات، حاكموا الإمام عليه السلام في محكمة ضمائرهم وحكموا عليه وجردوه من عنوان الإمارة. كانوا يقولون: نادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين[٢].

---

(١) "فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي في عصابة من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا علي ... عفان". **الكامل في التاريخ**، ج٣، ص٣٨٦، حوادث سنة ٣٧ هجرية، ذكر تتمة أمر صفين.

(٢) "فجاءه زهاء عشرين ألفاً مقنعين في الحديد شاكي السلاح سيوفهم على عواتقهم وقد اسودت جباههم من السجود يتقدمهم مسعر بن فدكي وزيد بن حصين وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين: يا علي! أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه وإلاّ قتلناك كما قتلنا ابن عفان. فوالله لنفعلنها إن لم تجبهم". **وقعة صفين**، ص٤٨٩، معاوية ومصقلة ؛ **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٨٢، ذكر امتناع القوم من القتال.

فلم يجد الإمام عليه السلام بداً من أن يلجأ إلى نصحهم، فقال لهم: **يا هؤلاء! إني أنا أول من دعا إلى كتاب الله وأول من أجاب إليه، ولا يحل لنا إلاّ الإجابة إليه**[١].

غير أن عُميَ البصائر المتحجرين لم يأخذوا بشيء من كلام الإمام عليه السلام وألحوا عليه في أن يعيد مالك الأشتر من ميدان القتال إلى مقر القيادة، في الوقت الذي كان مالك الأشتر وجماعة من المحاربين قد قاموا بهجوم وصلوا فيه إلى مقر معاوية فلم يبق على سقوط المقر وهزيمة جيش الشام النهائية إلاّ قليل.

فاضطر الإمام عليه السلام لأن يبعث، على مضض، يزيد بن هاني إلى مالك الأشتر يأمره بالانسحاب. فقال له مالك: **ليست هذه الساعة بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني [فيها] عن موقفي. إنني قد رجوت أن يفتح الله لي.** فرجع يزيد فأخبره (أخبر الإمام عليه السلام) وارتفعت الأصوات وارتفع الرهج من ناحية الأشتر (تصاعدت صيحات الفتح والنصر من مالك الأشتر وأهل العراق)، فقالوا (يعني الخوارج): **والله ما نراك إلاّ أمرته أن يقاتل!** فقال علي عليه السلام: **هل رأيتموني ساررته؟ أليس كلمته على رؤوسكم وأنتم تسمعون؟** قالوا: **فابعث إليه فليأتك، وإلاّ والله اعتزلناك!** فقال له (قال الإمام عليه السلام ليزيد بن هانئ): **ويلك يا يزيد! قل له: أقبل إليّ فإن الفتنة قد وقعت**[٢].

فأتاه فأخبره فقال له الأشتر: **ألرفع هذه المصاحف؟** قال: **نعم.** قال: **أما والله لقد ظننت أنها حين رفعت ستوقع اختلافاً وفرقة. إنها من مشورة ابن النابغة** (يعني عمرو بن العاص). (قال): ثم قال ليزيد: **[ويحك] ألا ترى إلى ما يلقون؟ ألا ترى إلى الذي يصنع الله لنا؟ أينبغي أن ندع هذا وننصرف عنه؟** فقال له يزيد: **أتحب أنك ظفرت هاهنا وأن أمير المؤمنين بمكانه الذي هو به يفرج عنه ويسلم**

---

(١) "فنظر علي عليه السلام ساعة ثم قال: يا هؤلاء! ... إليه". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٨٣، ذكر امتناع القوم من القتال.

(٢) "قالوا: ابعث إلى الأشتر فليأتك. فبعث علي عليه السلام يزيد بن هانئ إلى الأشتر يستدعيه. فقال الأشتر: ليست هذه الساعة .... وقعت". **الكامل في التاريخ**، ج٣، ص٣٨٦، حوادث سنة ٣٧ هجرية، ذكر تتمة أمر صفين.

إلى عدوه؟ قال: **سبحان الله، [لا] والله ما أُحب ذلك.** قال: **فإنهم قالوا: لترسلن إلى الأشتر فليأتينك أو لنقتلنك [بأسيافنا] كما قتلنا عثمان، أو لنسلمنك إلى عدوك**[١].

---

(١) **وقعة صفين**، ص٤٩٠، حكاية مصعب لما كان من أمر رفع المصاحف ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٢، ص٢١٨، ذيل الخطبة ٣٦، قصة التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج ؛ **الكامل في التاريخ**، ج٣، ص٣٨٦، حوادث سنة ٣٧ هجرية، ذكر تتمة أمر صفين ؛ **تاريخ الطبري**، ج٣، ص١٠١، حوادث سنة ٣٧ هجرية، مقتل عمار بن ياسر.

عودة مالك الأشتر

بعد أن تلقى تلك التقارير المريرة، عاد مالك الأشتر إلى مقر قيادة الجيش فصاح مغضباً: **يا أهل الذل والوهن! أحين علوتم القوم فظنوا أنكم لهم قاهرون ورفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها!؟ وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها وسنة من أُنزلت عليه، فلا تجيبوهم. أمهلوني فواقاً! فإني قد أحسست بالفتح.**

قالوا: **لا.** قال: **فأمهلوني عدوة الفرس، فإني قد طمعت في النصر.** قالوا: **إذن ندخل معك في خطيئتك.** قال: **فحدثوني عنكم وقد قتل أماثلكم وبقي أراذلكم، متى كنتم محقين؟ أحين كنتم تقتلون أهل الشام فأنتم الآن حين أمسكتم عن القتال مبطلون، أم أنتم الآن في إمساككم عن القتال محقون، فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم وكانوا خيراً منكم في النار؟** قالوا: **دعنا منك يا أشتر، قاتلناهم في الله وندع قتالهم في الله. إنا لسنا نطيعك فاجتنبنا.** قال: **خدعتم والله فانخدعتم، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم. يا أصحاب الجباه السود! كنا نظن أن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوق إلى لقاء الله. فلا أرى فراركم إلاّ إلى الدنيا من الموت. فقبحاً يا أشباه النيب الجلالة، ما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون.**

فسبوه وسبهم وضربوا بسياطهم وجه دابته، وضرب بسوطه وجوه دوابهم فصاح بهم علي عليه السلام فكفوا. وقال الأشتر: **يا أمير المؤمنين! احمل الصف على الصف يصرع القوم.** فتصايحوا أن علياً أمير المؤمنين عليه السلام قد قبل الحكومة ورضي بحكم القرآن ولم يسعه إلاّ ذلك.

قال الأشتر: **إن كان أمير المؤمنين عليه السلام قد قبل ورضي بحكم القرآن، فقد رضيت بما رضي أمير المؤمنين عليه السلام.** فأقبل الناس يقولون: **قد رضي أمير المؤمنين** عليه السلام **قد قبل أمير المؤمنين** عليه السلام، وهو ساكت لا يبض بكلمة مطرق إلى الأرض[1].

---

(١) "قال: فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم فصاح فقال: يا أهل الذل ... الأرض". **وقعة صفين،** ص٤٩١، حكاية مصعب لما كان من مر رفع المصاحف ؛ **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٨٤، ذكر امتناع القوم من القتال ؛ **مناقب آل أبي طالب**، ج٢، ص٣٦٤، فصل في الحكمين والخوارج.

كتاب معاوية حول تعيين الحكم

اطمأن معاوية لكلام المنافقين في جيش أمير المؤمنين عليه السلام وموقفهم، وأيقن أنه لن يتعرض لهجوم من أحد بعد ذلك. لذا وجد في نفسه الجرأة لأن يطلب من الإمام عليه السلام تعيين حكم ويوصيه بالتقوى، فكتب إليه يقول: **إن الأمر قد طال بيننا وبينك، وكل واحد منا يرى أنه على الحق في ما يطلب من صاحبه. ولن يعطي واحد منا الطاعة للآخر وقد قتل فيما بيننا بشر كثير. وأنا أتخوف أن يكون ما بقي أشد مما مضى. وإنا سوف نُسأل عن ذلك الموطن ولا يحاسب به غيري وغيرك. فهل لك في أمر لنا ولك فيه حياة وعذر وبراءة وصلاح للأُمة وحقن للدماء وأُلفة للدين وذهاب للضغائن والفتن أن يحكم بيننا وبينك حكمان رضيان، أحدهما من أصحابي والآخر من أصحابك. فيحكمان بما في كتاب الله بيننا، فإنه خير لي ولك وأقطع لهذه الفتن. فاتق الله فيما دعيت له وارض بحكم القرآن إن كنت من أهله. والسلام**[1].

---

(١) **وقعة صفين**، ص٤٩٣، رسالة معاوية إلى علي.

جواب الإمام علي عليه السلام على كتاب معاوية

كتب الإمام عليه السلام إلى معاوية يقول: **أما بعد، فإن أفضل ما يشتغل به المرء المسلم اتباع ما يحسن به ويستوجب فضله ويسلم من غيه. وإن البغي والباطل ليسعان بالموالي موارد الهلكة. واحذر الدنيا، يا معاوية، فإنه لا فرح في شيء وصلت إليه منها وقد علمت أنك غير مدرك ما قضى الله فوته. وقد رام قوم أمراً بغير حق فأكذبهم الله ومتعهم قليلاً ثم يضطرهم إلى عذابٍ غليظ. فاحذر يوماً يغتبط فيه من حمد عاقبة أمله وعمله، ويندم من أمكن الشيطان من قياده. وأراك قد دعوتني إلى حكم القرآن، وقد علمت أنك لست من أهل القرآن، ولا حكمَه أردت، والله المستعان. وقد أجبنا القرآن إلى حكمه ولسنا إياك أجبنا. فبيننا وبينك حكم القرآن. ومن لم يرض بالقرآن فقد ضل ضلالاً مبينا. والسلام على عباد الله الصالحين**[1].

(١) "قال: ثم كتب علي إلى معاوية: أما بعد، ... الصالحين". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٩٠، ذكر ما كان بعد ذلك بينهم من المكاتبة.

تبادل الرسائل من أجل التحكيم

جاء إلى الإمام عليه السلام جماعة من جنوده الرافضين للتحكيم حاملين سيوفهم

فقالوا له: **يا أمير المؤمنين! ما تنتظر بهؤلاء القوم أن نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم بالحق؟**

فقال لهم (الإمام) علي: **قد جعلنا حكم القرآن بيننا وبينهم، ولا يحل قتالهم حتى ننظر بم يحكم القرآن**[١].

كان معاوية يتابع أخبار معسكر الإمام عليه السلام والتحولات الطارئة عليه، ويخشى أن يغيّر أمير المؤمنين عليه السلام موقفه بتأثير معارضي التحكيم، فيتراجع عن وقف القتال. لذا أخذ يبعث الرسائل إلى الإمام عليه السلام بلا انقطاع. وللمرة الثانية كتب إليه يقول: **أما بعد، عافانا الله وإياك، فقد آن لك أن تجيب إلى ما فيه صلاحنا وأُلفة بيننا وقد فعلت وأنا أعرف حقي، ولكن اشتريت بالعفو صلاح الأُمة. ولا أكثر فرحاً بشيء جاء ولا ذهب وإنما أدخلني في هذا الأمر القيام بالحق فيما بين الباغي والمبغي عليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فدعوت إلى كتاب الله فيما بيننا وبينك. فإنه لا يجمعنا وإياك إلاّ هو، نحيي ما أحيى القرآن ونميت ما أمات القرآن والسلام**[٢].

(١) "جاءت عصابة من القراء قد سلوا سيوفهم واضعيها على عواتقهم فقالوا: يا أميرالمؤمنين! ... القرأن". **وقعة صفين**، ص٤٩٧، قصة الحكمين.

(٢) "كتب معاوية إلى علي عليه السلام: أما بعد، ... والسلام". **وقعة صفين**، ص٤٩٧، قصة التحكيم.

كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عمرو بن العاص

نظراً للدور الغادر والأساسي الذي لعبه عمرو بن العاص في وقف القتال، فقد نفذ إليه الإمام عليه السلام من باب النصيحة والإرشاد، فكتب إليه يقول: **أما بعد، فإن الدنيا مشغلة عن غيرها. ولم يصب صاحبها منها شيئاً إلاّ فتحت له حرصاً يزيده فيها رغبة. ولن يستغني صاحبها بما نال عما لم يبلغه، ومن وراء ذلك فراق ما جمع. والسعيد من وعظ بغيره، فلا تحبط أباعبدالله أجرك ولا تجار معاوية في باطله**[1].

(١) "كتب علي عليه السلام إلى عمرو بن العاص يعظه ويرشده: أما بعد، ... باطله". **وقعة صفين،** ص٤٩٨، كتاب علي إلى عمرو.

جواب عمرو بن العاص

كتب عمرو بن العاص إلى الإمام عليه السلام جواباً على كتابه: **أما بعد، فإن ما فيه صلاحنا وأُلفتنا الإنابة إلى الحق. وقد جعلنا القرآن حكماً بيننا فأجبنا إليه وصبر الرجل منا نفسه على ما حكم عليه القرآن وعذره الناس بعد المحاجزة. والسلام**(١).

مفاوضات الأشعث مع معاوية

بعد سلسلة من التطورات السياسية في حرب صفين، جاء الأشعث بن قيس إلى الإمام عليه السلام وقال له: **[يا أمير المؤمنين]! ما أرى الناس إلاّ وقد رضوا وسرهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن. فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد ونظرت ما الذي يسأل.** قال: **ائته إن شئت.** فأتاه فسأله فقال: **يا معاوية! لأي شيء رفعتم هذه المصاحف؟** قال: **لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه، فابعثوا منكم رجلاً ترضون به ونبعث منا رجلاً، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقا عليه.** فقال الأشعث: **هذا هو الحق.** فانصرف إلى علي فأخبره بالذي قال، وقال الناس (المخدوعون والمعترضون تأييداً لكلام معاوية): **قد رضينا وقبلنا**(٢).

---

(١) "فأجابه عمرو بن العاص: أما بعد، .. والسلام". **وقعة صفين،** ص٤٩٨، تراسل علي وعمرو بن العاص.

(٢) "جاء الأشعث بن قيس إلى علي فقال: [يا أميرالمؤمنين] ... وقبلنا". **وقعة صفين،** ص٤٩٩، الأشعث ومعاوية رضا قراء الشام والعراق بحكم القرآن ؛ **الكامل في التاريخ،** ج٣، ص٣٨٧، حوادث سنة ٣٧ هجرية، ذكر تتمة صفين ؛ **مروج الذهب ومعادن الجوهر،** ج٢، ص٤٣٣، خدعة رفع المصاحف.

إصرار المنافقين على تحكيم أبي موسى الأشعري

اختار الإمام علي عليه السلام ومعاوية، كلٌّ من أصحابه، جماعة من قرّاء العراق والشام للاجتماع والتداول لإيجاد حل. وبعد التداول والمناقشات اتفق الوفدان على الالتزام الدقيق بما يحكم به كلام الله. ثم اختار أهل الشام عمرو بن العاص ليكون حكماً عنهم، بينما اختار الأشعث وباقي قرّاء العراق ـ الذين أصبحوا فيما بعد الخوارج ـ أباموسى الأشعري لهذه المهمة.

نظراً إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يعلم بنتيجة اختيار أبي موسى الأشعري، فقد عارض اختياره بشدة منذ البداية وقال: "**إني لا أرضى بأبي موسى ولا أرى أن أُوليه.** ولكنه جوبه بإصرار عنيد من جانب الأشعث بن قيس وزيد بن حصين ومسعر بن فدكي وجماعة من قرّاء القرآن. فقد قالوا: **إنا لا نرضى إلاّ به، فإنه قد حذرنا ما وقعنا فيه**[١].

وقف ابن الكوّاء مقابل الإمام عليه السلام وقال له: **هذا عبدالله بن قيس** (أبوموسى الأشعري) **وافد أهل اليمن إلى رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم (ممثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اليمن) **وصاحب مقاسم أبي بكر** (مقسم غنائمه) **وعامل عمر وقد رضي به القوم**[٢].

---

(١) "فبعث علي قرّاء من أهل العراق وبعث معاوية قرّاء من أهل الشام، فاجتمعوا بين الصفين ومعهم المصحف. فنظروا فيه وتدارسوه وأجمعوا على أن يُحيوا ما أحيى القرآن وأن يميتوا ما أمات القرآن. ثم رجع كل فريق إلى أصحابه وقال الناس: قد رضينا بحكم القرآن. فقال أهل الشام: فإنا قد رضينا واخترنا عمرو بن العاص. وقال الأشعث والقرّاء الذين صاروا خوارج فيما بعد: فإنا قد رضينا واخترنا أباموسى الأشعري. فقال لهم علي: إني لا أرضى بأبي موسى ولا أرى أن أُوليه. فقال الأشعث وزيد بن حصين ومسعر بن فدكي في عصابة من القراء: إنا لا نرضى إلاّ به، فإنه قد حذّرنا ما وقعنا فيه". **وقعة صفين**، ص٤٩٩، الأشعث ومعاوية، رضا قرّاء الشام والعراق بحكم القرآن ؛ **الكامل في التاريخ**، ج٣، ص٣٨٧، حوادث سنة ٣٧ هجرية، ذكر تتمة صفين ؛ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٢، ص٤٣٣، خدعة رفع المصاحف.

(٢) "ذكروا أن ابن الكوّاء قام إلى علي فقال: هذا ... القوم". **وقعة صفين**، ص٥٠٢، الأشعث ومعاوية، رضا قرّاء الشام والعراق بحكم القرآن.

فقال الإمام عليه السلام: **فإنه ليس لي برضا، وقد فارقني وخذّل الناس عني، ثم هرب** (خوفاً من أن أُقيم عليه حكم الشرع) **حتى آمنته بعد أشهر. ولكن هذا ابن عباس أُوليه ذلك.**

فقالوا: والله لا فرق عندنا بينك وبين ابن عباس. إنكما على شاكلة واحدة من الفكر. ونحن نريد رجلاً ينظر إليك وإلى معاوية نظرة واحدة.

فقال الإمام: إذن فأُولي مالك الأشتر.

ولكن الأشعث كان يعلم أن اختيار مالك الأشتر سيحول دونه ودون ما يريد وأنه لن يخلصه من القتال. لذا ردّ على الإمام بشدة قائلاً: وهل أوقد نار الحرب غير مالك الأشتر؟ أليس الجيش تحت قيادته اليوم؟

فسأل الإمام: فلمَ لا ترضون بحكم مالك الأشتر؟

قالوا: إن وليت الأشتر أمر بمواصلة القتال كما تحبان أنت وهو[1].

وفي بعض المصادر التاريخية أن سبب معارضات الأشعث للإمام عليه السلام كان عزله من إمارة آذربايجان[2].

---

(١) "قال علي: فإنه ليس لي برضا وقد فارقني وخذّل الناس عني ثم هرب حتى آمنته بعد أشهر، ولكن هذا ابن عباس أُوليه ذلك. قالوا: والله ما نبالي أكنت أنت أو ابن عباس، ولا نريد إلاّ رجلاً هو منك ومن معاوية سواء وليس إلى واحد منكما بأدنى من الآخر. قال علي: فإني أجعل الأشتر. قال الأشعث: وهل سعر الأرض علينا غير الأشتر؟ وهل نحن إلاّ في حكم الأشتر؟ قال له علي: وما حكمه؟ قال: حكمه أن يضرب بعضنا بعضاً بالسيوف حتى يكون ما أردت وما أراد". **وقعة صفين**، ص٤٩٩، الأشعث ومعاوية، رضا قرّاء الشام والعراق بحكم القرآن ؛ **الكامل في التاريخ**، ج٣، ص٣٨٧، حوادث سنة ٣٧ هجرية، ذكر تتمة صفين ؛ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٢، ص٤٣٣، خدعة رفع المصاحف.

(٢) "فقال له الأشتر: أنت إنما تقول هذا القول لأن أميرالمؤمنين عزلك عن الرئاسة ولم يرك أهلاً لها". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٩٤، ذكر الحكمين.

سبب عدم رضا الإمام عليه السلام بأبي موسى الاشعري

لما سمع أميرالمؤمنين عليه السلام بنقض الناكثين بيعته، بعث محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر إلى الكوفة لتعبئة أهلها. فلما وصلا إلى الكوفة أخذا يحثان الناس على نصرة أميرالمؤمنين عليه السلام. وعلى إثر هذه التعبئة العامة، ذهب بعض أهل الكوفة إلى أبي موسى الأشعري ليلاً وسألوه عما يجب عليهم فعله. فقال لهم: إن كنتم تريدون الآخرة فالزموا بيوتكم، وإن كنتم تريدون الدنيا فاذهبوا معهم. وبكلامه هذا، منع أبوموسى الأشعري الناس من نصرة أميرالمؤمنين عليه السلام. ولما سمع محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بما قاله أبوموسى، غضبا غضباً شديداً. فقال لهما أبوموسى: والله إن بيعة عثمان في عنق علي وفي عنقي وعنقكما. وإذا كان لابد من القتال فقتال قتلة عثمان أولى. فخرجا من عنده وبعثا بخبره إلى الإمام علي عليه السلام. يقول الشيخ المفيد، في سرد طويل، إن هاشم بن عتبة كان هو أول من بعثه الإمام عليه السلام إلى الكوفة، ويقول: بعد أن انطلق الإمام عليه السلام من المدينة، بعث إلى هاشم بن عتبة ثم أعطاه كتاباً وأرسله إلى الكوفة، وأمره أن يسلم الرسالة إلى أبي موسى ليقوم بتعبئة الناس إلى نصرة أميرالمؤمنين عليه السلام. ولكن حين سلّم هاشم بن عتبة رسالة الإمام عليه السلام إلى أبي موسى، قام أبوموسى بتمزيق الرسالة. ثم هدد هاشم بن عتبة بالحبس. فبعث هاشم بن عتبة تقريره إلى الإمام عليه السلام يصف فيه أباموسى بأنه عاص متشدد حاقد هدده بالحبس والقتل. هذا التصرف الذي صدر من أبي موسى تجاه رسول الإمام ورسالته يدل على أنه كان يبغض أمير المؤمنين عليه السلام بغضاً شديداً، وأن جميع المبررات التي ساقها لعدم المشاركة في الحرب كانت مجرد ذرائع كاذبة، وأن مخالفته لأمير المؤمنين كانت ناجمة عن بغضه وعداوته له. يروى في موضع آخر أن الإمام الحسن عليه السلام قال لأبي موسى بلحن اعتراضي: لمَ تُبعد الناس عنا؟ والله ما أردنا إلاّ الإصلاح ولا ينبغي الخوف من مثل أمير المؤمنين عليه السلام فقال أبوموسى: صدقت فداك أُمي وأبي، ولكن المستشار أمين. لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ستكون فتنة القاعد فيها خير من الواقف، والواقف فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الراكب. لقد جعلنا الله إخوة وحرم علينا دماءنا وأموالنا وقال:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ

مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ وقال: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ فغضب عمار من كلام أبي موسى فقام وقال: أيها الناس! إن النبي قال لأبي موسى خاصة: قعودك في وقت الفتنة خير من قيامك. ثم صعد أبوموسى الأشعري المنبر ووصف حرب الجمل بالفتنة ودعا الناس إلى اجتناب الدخول في هذه الحرب التي وصفها بأنها وسيلة لملء جيوب أُناس قدموا من المدينة وأوقدوا نار الحرب. ثم طلب من الناس أن يأخذوا بكلامه من أجل صيانة دينهم ودنياهم[1].

(١) **الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة**، خطبة أبي موسى الأشعري ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج١٤، ص٩، ذيل الرسالة الأُولى.

أخبار علي عند مسيره إلى البصرة ورسله إلى الكوفة

اضطرمت أجواء الكوفة نتيجة للخطب والكلمات التي ألقاها أنصار أمير المؤمنين عليه السلام والتي ألقاها أنصار أبي موسى الأشعري. وبعد العراقيل التي وضعها أبوموسى الأشعري في طريق التعبئة لأمير المؤمنين عليه السلام على يد الإمام الحسن عليه السلام، طلب عمار ومالك الأشتر من الإمام علي عليه السلام أن يأتي بنفسه إلى الكوفة لأن أهل الكوفة يطيعونه وهو قادر على تعبئتهم. وافق أمير المؤمنين على الطلب، فدخل مالك الأشتر الكوفة وأخذ يعبئ الناس وهو في طريقه إلى دار الإمارة. ثم اقتحم دار الإمارة بالقوة وبمساعدة الناس. فذهب أنصار أبي موسى إلى المسجد فوراً. وحين كان أبوموسى يخطب في الناس ويخذلهم عن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام، وصلته أخبار اقتحام مالك الأشتر لدار الإمارة وضربه لأنصاره وطردهم من القصر. فنزل أبوموسى من المنبر ودخل القصر. فلما رآه مالك الأشتر صاح: اخرج من قصرنا لا أُم لك! قتلك الله! والله إنك من المنافقين منذ البداية. فاستمهله أبوموسى ليلة واحدة ليحزم أغراضه وأمتعته، فوافق مالك واشترط عليه أن يبقى خارج القصر. وهكذا تمت لململة الفتنة في الكوفة والقضاء عليها وإنهاء ولاية أبي موسى الأشعري عليها بطريقة مذلة على يد مالك الأشتر. فتدفق الكثير من الناس يعلنون عن استعدادهم لنصرة أمير المؤمنين عليه السلام. وتفيد التقارير التاريخية بأن جيشاً كبيراً تهيأ للتحرك صوب ذي قار لنصرة الإمام عليه السلام[1].

---

(١) **تاريخ الطبري**، ج٣، ص٢٨، حوادث سنة ٣٦ هجرية، ذكر الخبر عن مسير علي بن أبي طالب نحو البصرة.

تحذيرات الإمام عليه السلام وتوجهات الأشعث القَبَلية

عندما ضغط الناس على الإمام عليه السلام من أجل تعيين الحكم، قال عليه السلام: **إن معاوية لم يكن ليضع لهذا الأمر أحداً هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص. وإنه لا يصلح للقرشي إلاّ مثله، فعليكم بعبدالله بن عباس فارموه به. فإن عمرواً لا يعقد عقدة إلاّ حلها عبدالله، ولا يحل عقدة إلاّ عقدها، ولا يبرم أمراً إلاّ نقضه، ولا ينقض أمراً إلاّ أبرمه.** فقال الأشعث: **لا والله، لا يحكم فيها مضريان حتى تقوم الساعة. ولكن اجعله رجلاً من أهل اليمن إذ جعلوا رجلاً من مضر.** فقال علي عليه السلام: **إني أخاف أن يخدع يمنيّيكم. فإن عمرواً ليس من الله في شيء إذا كان له في أمر هوى.** فقال الأشعث: **والله لأن يحكما ببعض ما نكره، وأحدهما من أهل اليمن، أحبّ إلينا من أن يكون بعض ما نحب في حكمهما وهما مضريان**[١].

النقطة اللافتة للنظر في إصرار الأشعث هي روحه القبلي الذي استحوذ على فكره حتى لم يكن له من حجة على رفض اقتراح أمير المؤمنين عليه السلام إلاّ كون عمرو بن العاص وعبدالله بن عباس من قبيلة واحدة، وأن الأفضل أن يكون كلٌ منهما من قبيلة ؛ أما ابن عباس، فلا يليق بالمهمة لأن وجهة نظره مطابقة لوجهة نظر الإمام عليه السلام. يبدو أنه لم يكن للعقل والكفاءة مكان في حسابات هؤلاء الجهلة.

لقد حاول النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكل جهده أن يفك عُقد الجمود الفكري من أذهان الناس، فنجح إلى حد كبير. ولكن ما إن ارتحل عن الدنيا حتى برزت التوجهات القبلية الموروثة من الجاهلية يعززها الأُسلوب التربوي الخاطئ الذي اتبعه الخلفاء السابقون. لذا، عندما حاول أمير المؤمنين عليه السلام العمل وفق الكفاءات، تصدى لإصلاحاته أُولئك الذين كانوا قد تربوا على مدرسة الحكام السابقين وتشربوا

---

(١) "لما أراد الناس علياً [عليه السلام] على أن يضع حكمين، قال لهم علي عليه السلام: إن معاوية ... مضريان". **وقعة صفين**، ص٥٠٠، رضا قرّاء الشام والعراق بحكم القرآن.

بها، فأصروا على إسناد المهمة إلى رجل لم يشم رائحة التدبير والسياسة، معرّضين مستقبل المجتمع الإسلامي إلى الخطر انطلاقاً من توجهاتهم القبلية وتعصباتهم العربية.

لما رأى أمير المؤمنين عليه السلام إصرار المخالفين، لم يجد أمامه إلاّ أن يُشهد الله على ما يفعله وجماعة من جنوده وأن يتبرأ من تعيين أبي موسى حكماً، فقال عليه السلام: أما وقد رفضتم تحكيم عبدالله بن عباس ومالك الأشتر فهل **قد أبيتم إلاّ موسى؟** قالوا: **نعم.** قال: **فاصنعوا ما أردتم.** ثم قال: اللّهُمَّ إنك تشهد أني بريء مما يعمل هؤلاء القوم ولا أرضى به[1].

(١) "قال علي: قد أبيتم ... أردتم". **وقعة صفين،** ص٥٠٠، رضا قرّاء الشام والعراق بحكم القرآن ؛ **الفتوح،** المجلد الثاني، ص١٩٤، ذكر الحكمين.

مظلومية أمير المؤمنين عليه السلام

قمة مظلومية الإمام عليه السلام في أن يكون شخص، كمعاوية، حراً تماماً في اختيار عمرو بن العاص من دون معارضة من أحد. في الوقت الذي يجد خليفة المسلمين بحقٍ نفسَه محروماً من حرية اختيار الحكم الذي يمثله، فضلاً عن رفض دعوته لمواصلة القتال، فيفرض عليه المنافقون والمندسون رجلاً يجاهر بعداوته له ولا يملك ما يؤهله للمهمة.

لقد أصر الإمام عليه السلام على موقفه واختيار ممثليه حتى اللحظة الأخيرة. ولكن إصرار مخالفيه أدى في النهاية إلى اختيار أبي موسى الأشعري ليكون حكماً.

كان أبوموسى، حينئذٍ، قد اعتزل حرب صفين وسكن مدينة بالشام اسمها "عُرض"، فتم استدعاؤه إلى معسكر الإمام عليه السلام حسب رغبة الناس.

معارضة بعض القادة لتحكيم لأبي موسى

في تلك الأثناء جاء مالك الأشتر إلى الإمام عليه السلام ورجاه أن يبعثه حكماً ليتصدى لعمرو بن العاص، ولكن سبق السيف العذل ولم تجدِ توسلات مالك(١).

وكان الأحنف بن قيس، خلافاً لأخيه الأشعث، معارضاً لتحكيم أبي موسى الأشعري. فجاء إلى الإمام عليه السلام وقال له: **يا أمير المؤمنين! إنك قد رميت بحجر الأرض** (ابتليت ببلاء شديد) **ومن حارب الله ورسوله أنف الإسلام. وإني قد عجمت هذا الرجل، يعني أباموسى، وحلبت أشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر. وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلاّ رجل يدنو منهم حتى يكون في أكفهم ويتباعد منهم حتى يكون بمنزلة النجم منهم. فإن تجعلني حكماً فاجعلني، وإن أبيت أن تجعلني حكماً فاجعلني ثانياً أو ثالثاً. فإنه لا يعقد عقدة إلاّ حللتها، ولن يحل عقدة إلاّ عقدتها وعقدت لك أُخرى أشد منها.** فعرض ذلك على الناس (دون أن يقول للأحنف شيئاً) فأبوه (أباه أُولئك المتحجرون أو الطابور الخامس الذين يبدو أنهم صاروا يتصرفون في الجيش كما يشاؤون) وقالوا: **لا يكون إلاّ أباموسى**(٢).

يقول نصر بن مزاحم: (أصرّ الأحنف بن قيس إصراراً شديداً على عدم ترشيح أبي موسى الأشعري وقال للإمام علي عليه السلام): "**فإن قلت إني لست من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فابعث رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير عبدالله بن قيس** (يعني أباموسى الأشعري) **وابعثني معه. فقال علي: إن القوم أتوني بعبدالله بن قيس مبرنساً فقالوا: ابعث هذا فقد رضينا به والله بالغ أمره. وذكروا أن ابن الكوّاء**

---

(١) "فبعثوا إلى أبي موسى وقد اعتزل بأرض من أرض الشام يقال لها عرض واعتزل القتال. فأتاه مولى له فقال: إن الناس قد اصطلحوا. قال: الحمد لله رب العالمين. قال: وقد جعلوك حكماً. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. فجاء أبوموسى حتى دخل عسكر علي وجاء الأشتر حتى أتى علياً عليه السلام فقال له: يا أميرالمؤمنين! ألزّني بعمرو بن العاص، فوالذي لا إله غيره لئن ملأت عيني منه لأقتلنه". **تاريخ الطبري**، ج٢، ص١٠٢، حوادث سنة ٣٧ هجرية، ما روي من رفعهم المصاحف ودعائهم إلى الحكومة ؛ **الكامل في التاريخ**، ج٣، ص٣٨٧، حوادث سنة ٣٧ هجرية، تتمة أمر صفين ؛ **الأخبار الطوال**، ص٢٨٦، تراسل علي وعمرو بن العاص.

(٢) "فجاء الأحنف بن قيس التميمي فقال: يا أميرالمؤمنين! ... أبا موسى". **وقعة صفين**، ص٥٠١، رضا قرّاء الشام والعراق بحكم القرآن ، ص٢٨٦، تراسل علي وعمرو بن العاص.

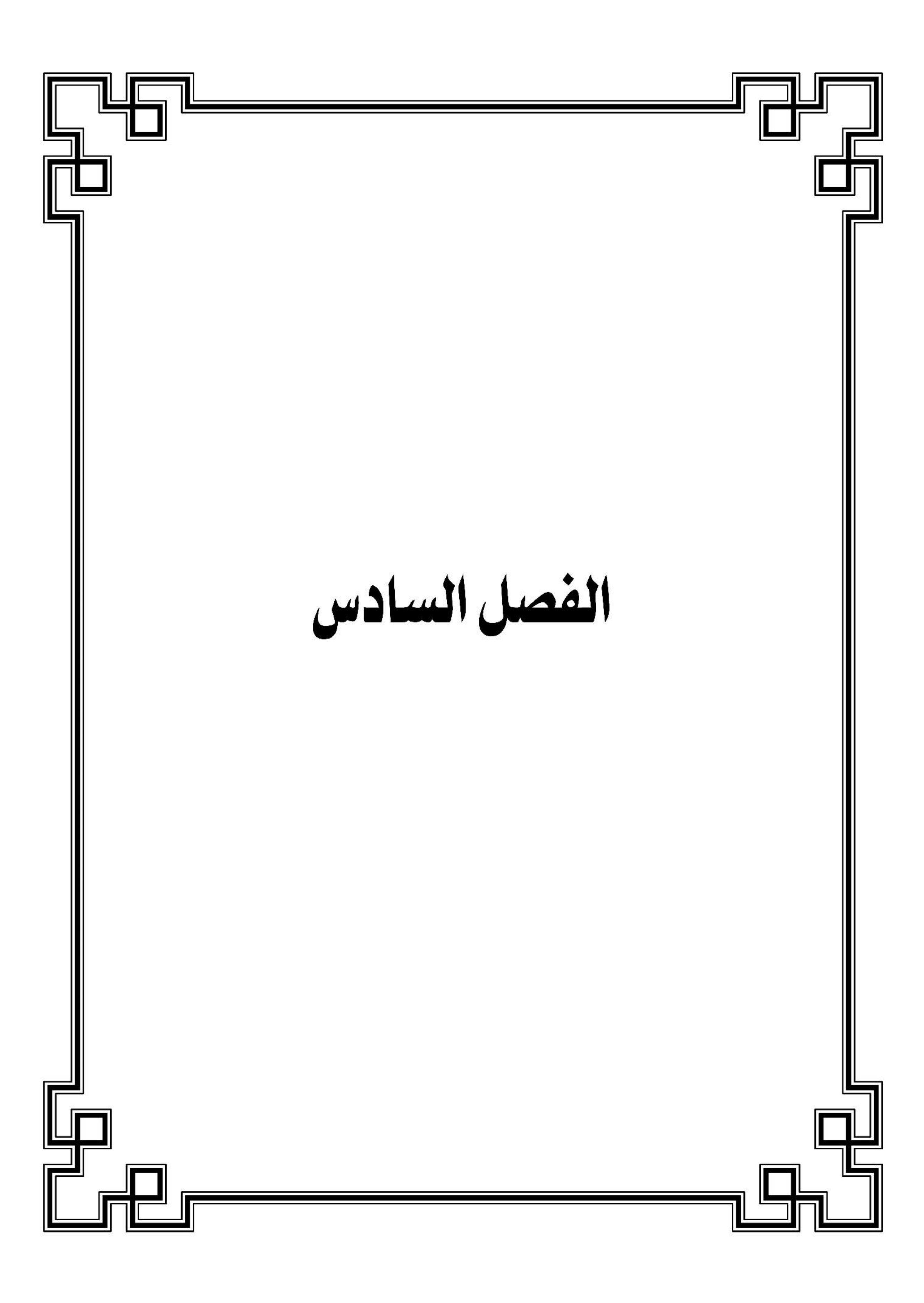
قام إلى علي فقال: هذا عبدالله بن قيس وافد أهل اليمن إلى رسول الله ﷺ وصاحب مقاسم أبي بكر وعامل عمر، وقد رضي به القوم. وعرضنا على القوم عبدالله بن عباس فزعموا أنه قريب القرابة منك ظنون في أمرك"[١].

يمكن التوصل، من مجمل النصوص التاريخية، إلى أن أباموسى الأشعري لم يكن، بأي شكل من الأشكال، ممثلاً لأمير المؤمنين عليه السلام؛ فقد كان معادياً له ولا يؤمن به أبداً. لهذا السبب، كان البصيرون من أصحاب الإمام عليه السلام على يقين من الهزيمة الحتمية لجيش الإمام عليه السلام عبر التحكيم. ويؤكد أمير المؤمنين عليه السلام في بعض كلامه على هذه النقطة حيث يقول: **ألا وإن القوم** (الشاميين) **اختاروا لأنفسهم أقرب القوم مما يحبون، وإنكم اخترتم لأنفسكم أقرب القوم مما تكرهون. وإنما عهدكم بعبدالله بن قيس بالأمس يقول: إنها فتنة فقطعوا أوتاركم وشيموا سيوفكم. فإن كان صادقاً فقد أخطأ بسيره غير مستكره، وإن كان كاذباً فقد لزمته التهمة. فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبدالله بن العباس وخذوا مهل الأيام وحوطوا قواصي الإسلام. ألا ترون إلى بلادكم تُغزى وإلى صفاتكم** (بيوتكم) **ترمى**[٢]؟

---

(١) "فإن قلت: إني ... أمرك". **وقعة صفين**، ص٥٠٢، رضا قراء الشام والعراق بحكم القرآن.

(٢) **نهج البلاغة**، الخطبة ٢٣٨.



الفصل السادس

التحكيم

رأينا في الفصول السابقة كيف تعرض جيش أمير المؤمنين عليه السلام إلى التشتت والفرقة متأثراً بخدعة عمرو بن العاص، وكيف رضي بالتحكيم في الوقت الذي كان قاب قوسين أو أدنى من النصر النهائي على عدوه الذي تدرّع بالقرآن وهو لا يفقه منه شيئاً. وهكذا، فرض جيش العراق على أمير المؤمنين عليه السلام أباموسى الأشعري ليكون حكماً عنهم، بينما رشح جيش الشام عمرو بن العاص حكماً عنهم. فألقى الجنود السلاح واجتمع كبراء القوم من الطرفين في موضع ما.

تكرر التاريخ

بعد أن اجتمع الوفدان، تمت دعوة عبيدالله بن أبي رافع، مولى رسول الله ﷺ وكاتب الإمام علي عليه السلام ليقوم بتدوين مقررات التحكيم[1].

قال أمير المؤمنين عليه السلام لعبيدالله بن أبي رافع: اكتب: **هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان.**

لما رأى معاوية ذلك قال للأشعث بن قيس: **بئس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته.** وقال عمرو (بن العاص): **اكتب اسمه واسم أبيه. إنما هو أميركم، وأما أميرنا فلا.** فلما أُعيد إليه الكتاب أمر بمحوه.

(فلما واجه الإمام عليه السلام رفض أهل الشام، أمر بمحو عبارة "أمير المؤمنين" فاعترض بعض أصحاب الإمام عليه السلام) فقال الأحنف بن قيس (مخاطباً الإمام عليه السلام): **لا تمح اسم إمرة المؤمنين عنك، فإني أتخوف إن محوتها ألاّ ترجع إليك أبداً. لا تمحها وإن قتل الناس بعضهم بعضاً.** فأبى ملياً من النهار أن يمحوها. ثم إن الأشعث بن قيس جاء فقال (بشدة): **امح هذا الاسم!** فقال علي عليه السلام: **لا إله إلاّ الله والله أكبر، سنة بسنة، أما والله لعلى يدي دار هذا يوم الحديبية حين كتبت الكتاب عن رسول الله** ﷺ: **هذا ما تصالح عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو، فقال سهيل: لا أُجيبك إلى كتاب تسمي** (هكذا، ربما تسمى: م) **[فيه] رسول الله. ولو أعلم أنك رسول الله لم أُقاتلك، إني إذن ظلمتك إن منعتك أن تطوف ببيت الله وأنت رسول الله، ولكن اكتب: محمد بن عبدالله أُجبك. فقال محمد** ﷺ: **يا علي إني لرسول الله وإني لمحمد بن عبدالله، ولن يمحو عني الرسالة كتابي إليهم من محمد بن عبدالله، فاكتب: محمد بن عبدالله. فراجعني المشركون في هذا إلى مدة.**

---

(١) **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٩٧، ذكر كتبة كتاب الصلح بينهم وما جرى في ذلك.

فاليوم أكتبها إلى أبنائهم كما كتبها رسول الله ﷺ إلى آبائهم سنة ومثلاً. فقال عمرو بن العاص: **سبحان الله، ومثل هذا شبهتنا بالكفار ونحن مؤمنون**[١].

فقال له الإمام عليه السلام: **يا ابن النابغة! لو لم تكن للمشركين ولياً وللمؤمنين عدواً لم تكن في الضلالة رأساً وفي الإسلام ذنباً. أولست ممن قاتل محمداً ﷺ وفتن أُمته من بعده؟ أولست الأبتر ابن الأبتر عدو الله وعدو رسوله ﷺ وعدو أهل بيت رسوله؟ قم من ههنا يا عدو الله! فليس هذا بموضع يحضره مثلك**[٢].

فقال عمرو بن العاص: والله لا جمعنا مجلس بعد الآن. فقال الإمام عليه السلام: أرجو أن يظهر الله عليك وعلى أصحابك ويغلب.

فخرج جماعة من جند العراق المسلحين فقالوا: يا أمير المؤمنين! ائذن لنا أن نفعل ذلك بهم! وقال ابن حنيف مخاطباً الناس: **أيها الناس! اتهموا رأيكم** (أعيدوا النظر في أفكاركم وآرائكم). **فوالله، لقد كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا وذلك في الصلح الذي صالح عليه النبي ﷺ.** فدعوا الحدة والانفعالات واقبلوا الصلح[٣].

---

(١) "هذا ما تقاضى عليه .... ونحن مؤمنون". **وقعة صفين**، ص٥٠٨، الخلاف عند كتابة الوثيقة ؛ **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص٣٨٨، حوادث سنة ٣٧ هجرية، ذكر تتمة أمر صفين ؛ **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٩٧، ذكر كتبة كتاب الصلح بينهم وما جرى في ذلك.

(٢) "قال: يا ابن النابغة! ... مثلك". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٩٧، ذكر كتبة كتاب الصلح بينهم وما جرى في ذلك.

(٣) "فقال لهم ابن حنيف: .... النبي". **وقعة صفين**، ص٥٠٩، الخلاف عند كتابة الوثيقة.

بعض أصحاب الإمام عليه السلام يعلنون وفاءهم

لطالما صرّح أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه في حرب صفين بكفر زعماء الشام في خطبهم، وبينوا أنهم خارجون من دائرة الإسلام.

نتيجة لكلمات أمير المؤمنين عليه السلام وتصريحه بكفر قادة أهل الشام، دبت حركة جديدة في صفوف بعض أصحابه المخلصين، فأعلنوا استعدادهم لمحاربة الكفار. فقد خرج جماعة منهم وأعربوا للإمام عليه السلام طاعتهم وتبعيتهم له. من هؤلاء:

١ـ **عبدالله بن خباب** وكان من الفرسان الأبطال وكان له فضل في جيش أمير المؤمنين عليه السلام. فقد قال له: **يا أمير المؤمنين! إنك أمرتنا يوم الجمل بأُمور مختلفة كانت عندنا أمراً واحداً، فقبلناها منك بالتسليم منا لأمرك. وهذه من تلك الأُمور، ونحن اليوم أصحابك أمس، وأراك كارهاً لهذه القضية. وأيم الله، ما المكثر المنكر بأعلم من المقتر المقل. وقد كانت الحرب أخذت بأنفاس هؤلاء القوم فلم يبق منهم إلاّ رجاء ضعيف وصبر مستكره. فاستغاثوا بالمصاحف وفزعوا إليها من حر أسنتنا وحدّ سيوفنا، فأجبتهم إلى ما دعوك إليه. فأنت أولنا إيماناً وآخرنا عهداً بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإلاّ فهذه سيوفنا في رقابنا ورماحنا في أكفنا وقلوبنا في أجوافنا، وقد أعطيناك تبعتنا غير مستكرهين، والأمر إليك، والسلام**(١).

٢. **صعصعة بن صوحان**: قام بعد عبدالله بن خباب وأعلن طاعته التامة لأمير المؤمنين عليه السلام، فقال: **يا أمير المؤمنين! إنه قد شرحت الطاعة قلوبنا ونفدت** (هكذا، ربما نفذت: م) **في جهاد عدونا بصائرنا، وأنت الوالي المطاع ونحن الرعية الأتباع. وأنت أعلمنا بربنا وخيرنا في ديننا وأعظمنا حقاً فينا وسيدنا بعد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وأقربنا منه قرابة. فصلى الله عليه ورضي عنك، فانفذ لرأيك نتبعه. وإن أبيت هذه القضية فلا ضيم عليك ولا خذل. ولو عصاك الناس كلهم لأطعناك.**

---

(١) "فقال عبد الله بن خباب .. والسلام". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٩٨، ذكر كتبة الصلح بينهم وما جرى في ذلك.

فإن أجبت إلى ما دعيت إليه فنحن لك على السمع والطاعة إلى ما أمرت. فاستخر الله واعزم على ما عزم عليه رأيك، والسلام.

(قال): فسر علي عليه السلام بقوله وأثنى عليه خيراً[١].

٣. **المنذر بن الجارود العبدي**[٢]: وكان من أصحاب الإمام عليه السلام. قال له: **يا أمير المؤمنين! إننا قد سمعنا مقال معاوية وعمرو بن العاص، غير أنه إذا جاء أمر لا يدفع فامتثل الأمر فيه الرضا** (وقع ما لابد من الرضا به). **وقد كنا نرى أن ما زادنا من هؤلاء القوم نفعهم وما نفعنا ضرهم. وإن في ذلك أمرين ؛ تعجيل هوىً أو تأخير مساءة، إلى** (هكذا: م) **أن ترى غير ذلك. فإن رأيته ففينا من البقية ما تفل له الحد وترد به الكلب، وليس لنا معك إصدار ولا إيراد، والسلام**[٣].

٤. **الحارث بن مرة**: وكان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام. قام فأعلن عن وفائه له فقال: **يا أمير المؤمنين! إن منا من يقول ما لا يفعل ومنا من يهوى ما لا يستطيع، وليس ينفعك إلاّ من فعل واستطاع. وقد والله ذهب الفاعل وضعف المستطيع ولسنا نحرك من شيء إن كنت قاتلت معاوية لله وقاتلك للدنيا، فقد والله بلغ أهل الدين من الدنيا حاجتهم. وإن كانوا بلغوا منا دون ما بلغنا منهم. فإن كنت كرهت هذه القضية وأردت قتالهم، فمن مضى بمن مضى ومن بقي بما بقي** (لا يهم ما مضى ونحن على استعداد للعودة إلى قتالهم)، **والسلام**[٤].

---

(١) "ثم وثب صعصعة بن صوحان العبدي فقال: يا أمير المؤمنين! ... والسلام". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٩٨، ذكر كتبة الصلح بينهم وما جرى في ذلك.

(٢) المنذر بن الجارود العبدي كان من الذين ولاّهم أميرالمؤمنين بعض المناطق، ولكنه خانه للأسف الشديد. بعث الإمام عليه السلام ذمه فيها ومدح أباه الذي كان صالحاً. بسبب خيانته، عاقبه أميرالمؤمنين عليه السلام بغرامة مقدارها ثلاثون ألف درهم أو دينار ثم سجنه. **قاموس الرجال**، ج١٠، ص٢٤٢، ترجمة المنذر بن الجارود، الرقم ٧٧٣٤.

(٣) "ثم تكلم المنذر بن الجارود العبدي فقال: يا أميرالمؤمنين! ... والسلام". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٩٨، ذكر كتبة الصلح بينهم وما جرى في ذلك.

(٤) "ثم وثب الحارث بن مرة فقال: يا أميرالمؤمنين! .. والسلام". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٩٨، ذكر كتبة الصلح بينهم وما جرى في ذلك.

٥. عبدالله بن سوار: خاطب الإمام عليه السلام قائلاً: **يا أمير المؤمنين! والله إننا لنعلم أنك ما أوردت ولا أصدرت إلاّ ومعك من الله عزّ وجلّ برهان وحجة. ونحن ممن يأمر ولا يؤمر عليه، فإن كنت عزمت لم تفل، وإن كنت لم تعزم فالمشورة لله رضا، وليس أول الأمر كآخره لأنه قد نكدر** (هكذا، ربما تكدر: م) **صفونا وقل جدنا وذهب أهل البصيرة والصبر منا وبقي أهل الشك والعلل. وفينا أئمة جور ورجال هدى وهم قليل، والأمر إليك**[١].

٦. مالك الأشتر: أزعجه كلام عبدالله بن سوار. فإنه بالرغم من احتوائه على الإشارة إلى بعض الحقائق الموجودة في جيش أمير المؤمنين عليه السلام، فقد كان ـ في الوقت نفسه ـ يحمل شحنة يأس من الانتصار على جيش الشام. فغضب وحاول إزالة الضعف من جيش العراق في مواجهة جيش الشام، فنهض قائلاً: **يا ابن سوار! ما هذا الكلام الضعيف والرأي السخيف؟ اسكن ودعني أُكلم أمير المؤمنين: إن معاوية لا خلف له من رجاله، ولك عند الله الخلف. ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا نظرك، وقد بلغ الحق مقطعه. وليس لنا معك رأي، فإن أجبت إلى هذه القضية فأنت الإمام الرشيد والبطل المجيد. وإن أبيت ذلك فاقرع الحديد على الحديد واستعن بالله العزيز الحميد**[٢].

من الواضح أن عدد الرافضين للتحكيم والمدركين لخدعة معاوية في جيش أمير المؤمنين عليه السلام كان كبيراً. فأمثال عمرو بن الحمق الخزاعي وعدي بن حاتم ومالك الأشتر النخعي أعلنوا رفضهم من اللحظات الأُولى لرفع المصاحف. بينما أعلن آخرون استعدادهم لمواصلة القتال بعد أن انكشف لهم نفاق قادة جيش الشام. كما أن أشخاصاً آخرين أمثال شريك بن عبدالله الهمداني والأحنف بن قيس وحارثة بن قدامة السعدي[٣] انتقدوا التحكيم. غير أن الأهم في القضية أن

---

(١) "ثم أقبل عبد الله بن سوار على علي عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين! .... والأمر إليك". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٩٨، ذكر كتبة الصلح بينهم وما جرى في ذلك.

(٢) "فوثب الأشتر مغضباً ثم قال: يا ابن سوار! ... الحميد". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص١٩٨، ذكر كتبة الصلح بينهم وما جرى في ذلك.

(٣) "سار علي عليه السلام في خمسين ومائة ألف من أهل العراق وقد خنست طائفة من أصحاب علي عليه السلام ". **وقعة صفين**، ص١٥٦، صفة الجيشين.

جذور النفاق توغلت في أرضية جيش الإمام عليه السلام. وكان أصحاب تلك الجذور المؤيدون للتحكيم أقوياء مؤثرين. ونتيجة لكل هذه الأوضاع وجد الإمام عليه السلام نفسه مضطراً لقبول التحكيم.

إحصائية عامة عن حرب صفين

قبل الدخول في تفاصيل التحكيم، لابد من عرض بعض البيانات الخاصة بحرب صفين.

تراوح عدد جنود جيش الإمام علي عليه السلام بين مائة وخمسين ألفاً[١] وخمسة وتسعين ألفاً[٢] وتسعين ألفاً[٣] وسبعين ألفاً[٤]. بينما تراوح جيش معاوية كذلك بين مائة وخمسين ألفاً[٥] ومائة وعشرين ألفاً[٦] وخمسة وثمانين ألفاً[٧].

أما الخسائر، فعليها اختلاف كبير بين المؤرخين. حيث تتراوح خسائر جيش العراق المقدرة بين عشرين ألفاً[٨] وخمسة وعشرين ألفاً. أما خسائر جيش الشام فتتراوح في تقديرات المؤرخين بين خمسة وأربعين ألفاً[٩] وتسعين ألفاً[١٠]. ويقول خليفة بن خياط إن مجموع قتلى الجيشين بلغ ستين

(١) "خرج علي بن أبي طالب عليه السلام من الكوفة إلى معاوية في خمسة وتسعين ألفاً". **العقد الفريد**، ج٤، ص٣٣٧، يوم صفين.

(٢) **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٦٤، ذكر خروج معاوية من الشام إلى صفين لحرب علي عليه السلام.

(٣) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٢، ص٤١٥، مسيره إلى صفين.

(٤) "نحن نذهب إلى أن عدد من حضر الحرب من أهل الشام بصفين أكثر مما قيل في هذا الباب وهو خمسون ومائة ألف مقاتل، سوى الخدم والأتباع". **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٢، س٤٣٧، عدد قتلى صفين.

(٥) "اجتمعت إليه العساكر من أطراف البلاد فصار في عشرين ومائة ألف". **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٥٧، ذكر خروج معاوية من الشام إلى صفين لحرب علي عليه السلام.

(٦) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٢، ص٤١٥، مسيره إلى صفين ؛ **العقد الفريد**، ج٤، ص٣٣٧، يوم صفين. ويقول ابن أعثم إن عدد مقاتلي جيش معاوية كان ثلاثة وثمانين ألفاً.

(٧) "ذكر أحمد بن الدورقي عن يحيى بن معين أن عدة من قتل بها من الفريقين في مائة يوم وعشرة أيام مائة ألف وعشرة آلاف من الناس ؛ من أهل الشام تسعون ألفاً ومن أهل العراق عشرون ألفاً". **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٢، ص٤٣٦، عدد قتلى صفين.

(٨) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٢، ص٣٨٨، قتلى صفين وأيامها.

(٩) نفسه، ص٤٣٦، عدد قتلى صفين.

(١٠) **تاريخ خليفة بن خياط**، ص١١٧، تفصيل خبر صفين ؛ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ج٣، ص٥٤٥، سنة سبع وثلاثين.

ألفاً، دون تحديد حصة كل جيش[١]. في حين يذكر يحيى بن معين أن مجموع القتلى زاد على مائة وعشرة آلاف[٢].

على أن الكثير من صحابة رسول الله ﷺ شهدوا هذه الحرب مع أمير المؤمنين عليه السلام.

فإذا نظرنا إلى القضية من مبنى عدالة الصحابة، فإن وجود عدد كبير من الصحابة في الجبهة العلوية لابد أن يدل على حقانية الإمام عليه السلام في هذه الحرب، وعلى بطلان الجبهة الأُموية وضلالتها. من أُولئك الصحابة عمار بن ياسر الذي يعرف منزلته حتى معاوية ويتبرأ من عار قتله ويرمي به أمير المؤمنين عليه السلام. كان معاوية يدرك أن عماراً ليس فرداً بل جيش بأكمله، يتبعه الصحابة أينما حلّ[٣]. يقول خليفة بن خياط: شهد صفين مع الإمام علي عليه السلام ثمانمائة ممن بايع النبي ﷺ بيعة الرضوان استشهد منهم ثلاثة وستون[٤].

ويقول سعيد بن جبير: **كان مع علي** عليه السلام **يومئذٍ ثمانمائة رجل من الأنصار وتسعمائة ممن بايع تحت الشجرة.**

---

(١) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٢، ص٤٣٦، عدد قتلى صفين.

(٢) "روى الأعمش عن أبي عبدالرحمن السلمي قال: شهدنا مع علي عليه السلام صفين، فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا وادٍ من أودية صفين إلاّ رأيت أصحاب محمد يتبعونه ﷺ". **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٣، ص٢٢٩، ترجمة عمار بن ياسر، الرقم ١٨٨٣.

(٣) "عبدالرحمن بن أبزي عن أبيه قال: شهدنا مع علي ثمان مائة ممن بايع بيعة الرضوان، قتل منا ثلاثة وستون منهم عمار بن ياسر". **تاريخ خليفة بن خياط**، ص١١٨، تفصيل خبر صفين ؛ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ج٣، ص٥٤٥، سنة سبع وثلاثين.

(٤) "قال سعيد بن جبير .. الشجرة.

قال الحكم بن عتيبة .. الشجرة.

قال سليمان بن مهران الأعمش .... محمد". **الفتوح**، المجلد الأول، ص٥٦٤، ذكر خروج معاوية من الشام إلى صفين لحرب علي [عليه السلام].

ويقول الحكم بن عتيبة: **شهد مع علي ﵇ يومئذٍ ثمانون بدرياً وخمسون ومائتان ممن بايع تحت الشجرة**. وقال سليمان بن مهران الأعمش: **كان مع علي ﵇ يومئذٍ ثمانون بدرياً وثمانمائة من أصحاب محمد ﷺ**[1].

---

(١) خزيمة بن ثابت أحد صحابة رسول الله ﷺ وأميرالمؤمنين ﷺ المخلصين. شهد بدراً والغزوات التي تلتها مع النبي ﷺ. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٢، ص٣١، ترجمة خزيمة بن ثابت، الرقم ٦٦٣. يقال في سبب تسميته بذي الشهادتين إن النبي ﷺ اشترى جواداً من أعرابي. ولما قبض الأعرابي ثمنه من النبي ﷺ، أنكر البيعة وقال: هل لك شاهد؟ ولم يكن قد شهد البيعة أحد. فنهض خزيمة وشهد على البيعة. فاعتبر النبي ﷺ شهادته شهادتين وسماه ذاالشهادتين. قال النبي ﷺ لخزيمة: كيف شهدت على البيعة ولم تشهدها؟ فقال: لقد صدقناك في أُمور السماء فكيف لا نصدقدك في أُمور الأرض؟ كلامه هذا دليل على خالص إيمانه واعتقاده برسول الله ﷺ. **الطبقات الكبرى**، ج٤، ص٣٧٨ ـ ٣٨٠، ترجمة خزيمة بن ثابت. شهد كذلك صفين. نزل إلى الميدان بعد استشهاد عمار بن ياسر فقاتل حتى استشهد. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج٢، ص٣١، ترجمة خزيمة بن ثابت، الرقم ٦٦٣. لما صعد الإمام علي ﷺ المنبر وجاء الناس لمبايعته، وقف خزيمة إلى جوار المنبر وقال شعراً معناه: إنا لا نخشى الفتن. فإن وقعت فإننا نعلم أي طريق نسلك منها. إن الذي على المنبر الآن هو أولى بالناس من أنفسهم وأعلمهم بالكتاب والسنة. وهو أول من صلى. **المستدرك على الصحيحين**، ج٣، ص١٢٤، كتاب معرفة الصحابة، ذكر إسلام أميرالمؤمنين علي ﵇، الحديث ٤٥٩٥ ؛ **الفتوح**، ج٢، ص٤٥١، ذكر وقعة الجمل. يقول اليعقوبي إنه بعد مقتل عثمان، لما جاء الناس يبايعون أميرالمؤمنين، قام خزيمة فقال: إنا لا نرى أحداً أحق بها منك. فلو صدقنا أنفسنا وقلنا الحق فلابد من أن نقول إن أول الناس إيماناً وأعلمهم وأقربهم إلى رسول الله ﷺ هو أنت. كل ما عندي هو أن فيك ما في الناس من فضائل وليس فيهم ما فيك. **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص١٧٩، خلافة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب. كان من بين الاثني عشر رجلاً شهدوا في الرحبة على بيعة الغدير. **أُسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج٣، ص٤٦٥، ترجمة عبدالرحمن بن عبد ربّ الأنصاري، الرقم ٣٣٤٧. يقول نوف البكالي: قال الإمام علي ﵇ في أواخر أيامه سنة ٤٠ للهجرة في الكوفة: أين إخوتنا الذين ساروا في طريق الحق وذهبوا من الدنيا على الحق؟ أين عمار؟ أين ابن التيهان؟ أين ذوالشهادتين؟ **نهج البلاغة**، الخطبة ١٨١.

شهد صفين أشخاص بارزون أمثال عمار بن ياسر وخزيمة بن ثابت[١] وأُويس القرني[٢] وأبوعمرة الأنصاري وعبدالله بن بديل وهاشم المرقال ومالك بن التيهان وجندب بن زهير، واستشهدوا فيها.

يقول المسعودي أنه كان مع أمير المؤمنين ألفان وثمانمائة من صحابة رسول الله ﷺ في حين لم يكن في الجبهة المقابلة، من الأنصار، غير مسلمة بن مخلد والنعمان بن بشير[٣].

وعن فترة بقاء جيش العراق بصفين، يقول ياقوت الحموي إنها بلغت ١١٠ يوماً[٤].

---

(١) روى الأصبغ بن نباتة: كنا في جيش علي عليه السلام في حرب صفين فبايعه تسعة وتسعون رجلاً على الموت. فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: فأين متمم المائة؟ لقد وعدني رسول الله ﷺ أن يبايعني في هذا اليوم مائة رجل. فلم يلبث أن دخل علينا رجل عليه ثياب صوف بسيطة يحمل سيفين فقال لأميرالمؤمنين عليه السلام: امدد يدك أُبايعك! فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: علامَ تبايعني؟ فقال أُويس: أُبايعك على الموت. **اختيار معرفة الرجال**، ج١، ص٣١٥، خزيمة بن ثابت وكيفية تلقبه بذي الشهادتين.

(٢) "كان ممن شهد صفين مع علي عليه السلام من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلاً ؛ منهم سبعة عشر من المهاجرين وسبعون من الأنصار. وشهد معه من الأنصار ممن بايع تحت الشجرة، وهي بيعة الرضوان، من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ تسعمائة. وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة". **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٢، ص٣٨٩، قتلى صفين وأيامها.

(٣) **معجم البلدان**، ج٣، ص٤١٤، باب الصاد والفاء وما يليهما.

(٤) **وقعة صفين**، ص٥٠٥ ـ ٥٠٦، وثيقة التحكيم ؛ **الأخبار الطوال**، ص٢٨٧، وثيقة التحكيم ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٢، ص٢٣٤، ذيل الخطبة ٣٥، قصة التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج.

وثيقة التحكيم

بعد محو عنوان "أمير المؤمنين" من الوثيقة، توافق الفريقان على النص التالي: **هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما فيما تراضيا به من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ قضية علي على أهل العراق ومن كان من شيعته من شاهد أو غائب، وقضية معاوية على أهل الشام ومن كان من شيعته من شاهد أو غائب:**

ـ إنا رضينا أن ننزل عند حكم القرآن فيما حكم وأن نقف عند أمره فيما أمر، وإنه لا يجمع بيننا إلاّ ذلك، وإنا جعلنا كتاب الله فيما بيننا حكماً فيما اختلفنا فيه من فاتحته إلى خاتمته، نحيي ما أحيا ونميت ما أمات. على ذلك تقاضينا وبه تراضينا.

ـ وإن علياً وشيعته رضوا أن يبعثوا عبدالله بن قيس (أباموسى الأشعري) **ناظراً ومحاكماً، ورضي معاوية وشيعته أن يبعثوا عمرو بن العاص ناظراًومحاكماً.**

ـ على أنهما أخذوا عليهما عهد الله وميثاقه وأعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه ليتخذان الكتاب إماماً فيما بُعثا له لا يعدوانه إلى غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطوراً، وما لم يجداه مسمىً في الكتاب ردّاه إلى سنة رسول الله ﷺ الجامعة لا يتعمدان لها خلافاً ولا يتبعان في ذلك لهما هوىً ولا يدخلان في شبهة.

ـ وأخذ عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص على علي ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. وليس لهما أن ينقضا ذلك ولا يخالفاه إلى غيره.

ـ وإنهما (أباموسى وعمرواً) **آمنان في حكومتهما على دمائهما وأموالهما وأهلهما ما لم يعدوا الحق، رضي بذلك راض أو أنكره منكر.**

ـ وإن الأُمة أنصار لهما على ما قضيا به من العدل.

ـ فإن توفي أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة، فأمير شيعته وأصحابه يختارون مكانه رجلاً لا يألون على أهل المعدلة والإقساط على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق والحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وله مثل شرط صاحبه.

ـ وإن مات أحد الأميرين (علي ومعاوية) قبل القضاء، فلشيعته أن يولوا مكانه رجلاً يرضون عدله.

ـ وقد وقعت القضية ومعها الأمن والتفاوض ووضع السلاح والسلام والموادعة.

ـ وعلى الحكمين عهد الله وميثاقه ألاّ يألوا اجتهاداً ولا يتعمدا جوراً ولا يدخلا في شبهة ولا يعدوا حكم الكتاب وسنة رسول الله ﷺ. فإن لم يفعلا برئت الأُمة من حكمهما ولا عهد لهما ولا ذمة.

ـ وقد وجبت القضية على ما قد سمي في هذا الكتاب من مواقع الشروط على الأميرين والحكمين والفريقين، والله أقرب شهيداً وأدنى حفيظاً.

ـ (على علي ومعاوية التقيد بمفاد الوثيقة) والناس آمنون على أنفسهم وأهليهم وأموالهم إلى انقضاء مدة الأجل. والسلاح موضوع والسبل مخلاة (الطرق آمنة) والغائب والشاهد من الفريقين سواء في الأمن.

ـ وللحكمين أن ينزلا منزلاً عدلاً بين أهل العراق وأهل الشام، ولا يحضرهما فيه إلاّ من أحبا عن ملأٍ منهما وتراض.

ـ وإن المسلمين قد أجّلوا القاضيين إلى انسلاخ رمضان. فإن رأى الحكمان تعجيل الحكومة فيما وُجها له، عجّلاها. وإن أرادا تأخيرها بعد رمضان إلى انقضاء الموسم، فإن ذلك إليهما.

ـ فإن هما لم يحكما بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ إلى انقضاء الموسم، فالمسلمون على أمرهم الأول في الحرب، ولا شرط بين واحد من الفريقين.

ـ وعلى الأُمة عهد الله وميثاقه على التمام والوفاء بما في هذا الكتاب، وهم يد على من أراد فيه إلحاداً وظلماً أو حاول له نقضاً. ثم وقّع على الوثيقة نحو سبعة وعشرين رجلاً من أصحاب الإمام علي عليه السلام وثلاثة وثلاثين من أنصار معاوية[(١)].

(١) **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٢٠٢، ذكر أول من يسري من أصحاب علي بن أبي طالب [عليه السلام].

أول معارضة لنص الوثيقة

أول من عارض التحكيم ومحتوى الوثيقة وتبرأ من أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية، كان رجلاً من جيش أمير المؤمنين عليه السلام من قبيلة "ربيعة". فقد قام وارتجز ووصف الجانبين بالضلال وعزل الإمام علياً عليه السلام ومعاوية من الخلافة وتبرأ منهما وأعلن أن التحكيم لله وحده. ثم هاجم جيش العراق ثم جيش الشام حتى انتهى به الأمر قتيلاً[١].

بعد التوقيع على وثيقة التحكيم، أخذها الأشعث بن قيس وقرأها على جنود الإمام علي عليه السلام وعلى جيش الشام، فوافق عليها أنصاره. غير أن رجلين من قبيلة "عنزة" المؤلفة من أربعة آلاف شخص اسم أحدهما معدان واسم الآخر جعد هتفا بشعار "لا حكم إلاّ لله" معربين عن معارضتهما للتحكيم ثم هاجما جيش معاوية فقتلا بعد قتال.

بعد ذلك، قرأ الأشعث بن قيس نص الوثيقة على قبيلة المراديين. فأنشد صالح بن شقيق، وكان أحد رؤساء القبيلة، في معارضة التحكيم شعراً قال فيه:

ما لعلٍي في الدماء قد حكم ... لو قاتل الأحزاب يوماً ما ظلم

(لو أن علياً واصل الحرب يوماً آخر ولم يرضخ للتحكيم لما كان ظالماً). ثم هتف "لا حكم إلاّ لله" معبّراً عن معارضته.

---

(١) "أن الأشعث خرج في الناس بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ويعرضه عليهم ويمر به على صفوف أهل الشام وراياتهم، فرضوا بذلك. ثم مرّ به على صفوف أهل العراق وراياتهم يعرضه عليهم، حتى مرّ برايات عنزة وكان مع علي من عنزة بصفين أربعة آلاف مجفف. فلما مرّ بهم الأشعث فقرأه عليهم، قال فَتَيان منهم: لا حكم إلاّ لله. ثم حملا على أهل الشام بسيوفهما [فقاتلا] حتى قتلا على باب رواق معاوية. وهما أول من حكم واسماهما معدان وجعد أخوان. ثم مرّ بها على مراد، فقال صالح بن شقيق، وكان من رؤسائهم: ما لعلٍي في الدماء قد حكم ... لو قاتل الأحزاب يوماً ما ظلم، لاحكم إلاّ لله ولو كره المشركون. ثم مرّ على رايات بني راسب فقرأها عليهم فقالوا: لا حكم إلاّ لله، لا نرضى ولا نحكّم الرجال في دين الله. ثم مرّ على رايات بني تميم فقرأها عليهم فقال رجل منهم: لا حكم إلاّ لله، يقضي بالحق ...س. فنقتلهم". **وقعة صفين**، ص٥١٢، الخلاف في التحكيم.

وقرأ الأشعث بن قيس الوثيقة على التميميين، فقام رجل وقال: **لا حكم إلاّ لله، يقضي بالحق وهو خير الفاصلين.** ثم قال عروة بن أُديّة: **أتحكّمون الرجال في أمر الله؟ لا حكم إلاّ لله. فأين قتلانا يا أشعث؟** ثم شدّ بسيفه ليضرب به الأشعث فأخطأه وضرب به عجز دابته ضربة خفيفة، فاندفع به الدابة وصاح به الناس أن أمسك يدك! فكفّ، ورجع الأشعث إلى قومه، فأتاه ناس كثير من أهل اليمن. فمشى إليه الأحنف بن قيس ومعقل بن قيس ومسعر بن فدكي ورجال من بني تميم، فتنصلوا إليه واعتذروا. فقبل منهما الأشعث فتركهم، وانطلق إلى علي فقال: يا أمير المؤمنين! قد عرضت الحكومة على صفوف أهل الشام وأهل العراق فقالوا جميعاً: قد رضينا. حتى مررت برايات بني راسب ونبذ من الناس سواهم، فقالوا: لا نرضى، لا حكم إلاّ لله. فلنحمل بأهل العراق وأهل الشام عليهم فنقتلهم.

ادّعى الأشعث، في تقريره، أن عدد معارضي التحكيم قليل لا يتعدى عدد الأصابع. ولكن ما لبث أن انتشر شعار "لا حكم إلاّ لله" الخلاّب في ظاهره، فرفعه عدد كبير من المقاتلين الذين اعتبروا أن الحكم لله وحده ورفضوا التحكيم واعتقدوا أن الله أصدر حكمه في معاوية وأنصاره وأنه لا بد من مقاتلتهم حتى يفيئوا إلى أمر الله.

هذه المجموعة، التي قبلت التحكيم منذ البداية وأجبرت الإمام عليه السلام على القبول به، كانت تعتقد أن الموافقة الأولية على التحكيم كانت نوعاً من الانسحاب من قبلهم وأنها قد خالفت الشرع بذلك ثم ندمت على فعلتها، وأن على الإمام عليه السلام أن يتوب من قبول التحكيم أيضاً.

أُولئك هم الذين كانوا قد سلوا سيوفهم بوجه الإمام عليه السلام وأرغموه على وقف القتال. لقد خدعهم معاوية برفع المصاحف فهددوا بقتل الإمام عليه السلام كما قتل عثمان إن لم يستجب لمطلب أهل الشام. هم أنفسهم عادوا فأحاطوا بالإمام وطلبوا منه أن يتوب وينقض وقف القتال ويعلن الحرب مرة أُخرى.

بالأمس كانوا يقولون للإمام: إن لم تستدع مالك الأشتر ولم تعلن وقف القتال، فسنقتلك. ولم تلق نداءات مالك الأشتر واستمهالهم ساعة واحدة منهم آذاناً صاغية. كما لم يأبهوا لتحذيرات الإمام عليه من مكر عمرو بن العاص وخدعة رفع المصاحف. ولم توقظ قلوبهم الميتة كلمة أمير

المؤمنين عليه السلام حين قال بحرقة: "**لقد كنت أمس أميراً فأصبحت اليوم مأموراً**"، ولم تُعدهم إلى الشعور بالمسؤولية. وهاهم اليوم يعودون إلى صنع الفتنة بطلبهم نقض وقف القتال ومواصلة الحرب على أهل الشام ومعاوية، معتبرين ذلك حكم الله وأمره في أهل الشام.

تحيّر الإمام عليه السلام في مواجهة الكلام المتضارب لعمي القلوب الأشقياء، فقال: هل يليق بنا أن ننقض الميثاق بعد إمضائه؟ أليس الله يوجب الوفاء بالعهد، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[1]؟

إن القواعد الأخلاقية والتعاليم القرآنية القاضية بوجوب الوفاء بالعهد هي التي منعت الإمام عليه السلام من نقض العهد. بالمقابل، طعن هؤلاء بالتحكيم واعتبروه خلافاً للشرع وتبرأوا من الإمام عليه السلام.

---

(١) النحل: ٩١.

ندم سعيد بن قيس على التحكيم

بعد أن خُدع الجيش العراقي بحيلة معاوية وعمرو بن العاص وطالبوا بوقف القتال، قال الإمام عليه السلام: **إنما فعلت ما فعلت لما بدا فيكم الخور والفشل، هما الضعف.** فجمع سعيد بن قيس قومه ثم جاء في رجراجة من همدان كأنها ركن حصير، يعني جبلاً باليمن، فيهم عبدالرحمن غلام له ذؤابة. فقال سعيد (للإمام عليه السلام): **ها أنذا وقومي، لا نرادك ولا نرد عليك، فمرنا بما شئت!**

قال الإمام عليه السلام: **أما لو كان هذا قبل رفع المصاحف لأزلتهم عن عسكرهم أو تنفرد سالفتي قبل ذلك. ولكن انصرفوا راشدين، فلعمري ما كنت لأعرض قبيلة واحدة للناس**[١].

---

(١) "لما تداعى الناس إلى الصلح بعد رفع المصاحف، قال علي: إنما فعلت ... للناس". **وقعة صفين،** ص٥٢٠، رفض علي ما عرضه سعيد بن قيس.

خطبة الإمام بعد وقف القتال

كان موقف الإمام عليه السلام واضحاً وحازماً قبل الصلح وبعده، ولم يغير موقفه من أهل الشام أبداً. وكان يعتقد دائماً بلزوم تخليص الإسلام والمسلمين من تلك الغدة السرطانية. فكان دائم التذكير بها والتحذير منها. ولعل أفضل شاهد على ذلك خطبته بعد وقوع الصلح، إذ قال: (أيها الناس!) **إن هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا إلى الحق ولا ليجيبوا إلى كلمة السواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر، وحتى يُرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب، وحتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس، وحتى يدعوا الخيل في نواحي أرضهم وبأحناء مساربهم ومسارحهم، وحتى تُشن عليهم الغارات من كل فج، وحتى يلقاهم قوم صدق صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم في سبيل الله إلاّ جداً في طاعة الله وحرصاً على لقاء الله. ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً ومضياً على أمضّ الألم، وجداً على جهاد العدو والاستقلال بمبارزة الأقران. ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا. فلما رآنا الله صبراً صدقاً، أنزل الله بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر. ولعمري، لو كنا نأتي مثل الذين** (هكذا، ربما الذي: م) **أتيتم ما قام الدين ولا عزّ الإسلام. وأيم الله، لتحلبنّها دماً فاحفظوا ما أقول لكم** يعني الخوارج[1].

يُفهم من كلام أمير المؤمنين عليه السلام أنه عليه السلام كان يرى أن محاربة العدو هي التي تجلب العزة، وأنه كان يعتبر مصالحة أهل الشام بمثابة الذلة، غير أن المنافقين المندسين في جيشه جرّوا المقاتلين إلى التفرق وفرضوا الصلح على الإمام.

---

(١) "عن الشعبي أن علياً قال يوم صفين حين أقرّ الناس بالصلح: إن هؤلاء ... الخوارج". **وقعة صفين**، ص٥٢٠ ـ ٥٢١، خطبة لعلي [عليه السلام] بعد الصلح.

ثقة أمير المؤمنين عليه السلام بمالك الأشتر

بعد كتابة وثيقة الصلح، تناهى لأمير المؤمنين عليه السلام أن مالك الأشتر يرفض مضمون المعاهدة ولا يرى إلاّ الحرب إنهاءً للفتنة. فقال عليه السلام: **بلى إن الأشتر ليرضى إذا رضيت. وقد رضيت ورضيتم، ولا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الإقرار، إلاّ أن يُعصى الله ويُتعدى ما في كتابه. وأما الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه فليس من أُولئك وليس أتخوفه على ذلك. وليت فيكم مثله اثنين، بل ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوه مثل رأيه، إذن لخفت على مؤونتكم ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم. وأما القضية، فقد استوثقنا لكم فيها. فقد طمعت ألاّ تضلوا إن شاء الله ربُّ العالمين**[١].

(١) "عن فضيل بن خديج قال: قيل لعلي لما كتبت الصحيفة: إن الأشتر لم يرض بما في هذه الصحيفة ولا يرى إلاّ قتال القوم. فقال علي: بلى .... ربّ العالمين". **وقعة صفين**، ص٥٢١، قول علي [عليه السلام] في الأشتر.

العودة من صفين إلى الكوفة

كتبت المعاهدة في شهر صفر من سنة **٣٧** هجرية، وتقرر أن يلتقي أبوموسى الأشعري وعمرو بن العاص بعد ثمانية أشهر ؛ أي في شهر رمضان، للفصل في شؤون الجيشين ومصير الخلاف بين الإمام عليه السلام ومعاوية[١]. لذا، عاد جيش أمير المؤمنين عليه السلام أدراجه إلى الكوفة بعد كتابة الوثيق.

---

(١) "كان الكتاب في صفر والأجل في شهر رمضان لثمانية أشهر يلتقي الحكمان". **وقعة صفين،** ص٥٢١، مقتل حابس بن سعد الطائي.

التحذير الأول لأبي موسى الأشعري

عندما عزم أبوموسى الأشعري على التوجه إلى دومة الجندل لإجراء التحكيم، ذهب إليه ابن عباس، ولم يكن راضياً بترشيحه وكان متيقناً تقريباً من هزيمته، وأوصاه ببعض الوصايا ونبهه إلى بعض النقاط التي يحتاجها في التفاوض مع عمرو بن العاص. قال له: **يا أباموسى! إن الناس لم يرضوا بك ولم يجتمعوا عليك لفضل لا تشارَك فيه. وما أكثر أشباهك من المهاجرين والأنصار والمتقدمين قبلك! ولكن أهل العراق أبوا إلاّ أن يكون الحكم يمانياً ورأوا أن معظم أهل الشام يمان. وأيم الله، إني لأظن ذلك شراً لك ولنا. فإنه قد ضم إليك داهية العرب، وليس في معاوية خلة يستحق بها الخلافة.**

يا أباموسى! إن معاوية طليق الإسلام، وإن أباه رأس الأحزاب، وإنه يدّعي الخلافة من غير مشورة ولا بيعة. فإن زعم لك أن عمر وعثمان استعملاه فلقد صدق. استعمله عمر وهو الوالي عليه بمنزلة الطبيب يحميه ما يشتهي ويوجره ما يكره (يمنعه ما يشتهي ويجبره على ما لا يشتهي)**. ثم استعمله عثمان برأي عمر. وما أكثر من استعملا ممن لم يدّع الخلافة. واعلم أن لعمرو مع كل شيء يسرك خبيئاً يسوؤك. ومهما نسيت فلا تنس أن علياً** عليه السلام **بايعه القوم الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان، وأنها بيعة هدىً، وأنه لم يقاتل إلاّ العاصين والناكثين.**

فقال أبوموسى: **رحمك الله! والله ما لي إمام غير علي. وإني لواقف عند ما رأى، وإن حق الله أحبّ إليّ من رضا معاوية وأهل الشام. وما أنت وأنا إلاّ بالله**[١].

(١) "لما أجمع أهل العراق على طلب أبي موسى وأحضروه للتحكيم على كره من علي، أتاه عبد الله بن العباس وعنده وجوه الناس وأشرافهم، فقال له: يا أباموسى! إن الناس ... بالله". **شرح نهج البلاغة**، ج٢، ص٢٤٦، ذيل الخطبة ٣٥، قصة التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج.

مما يثير الانتباه في كلام ابن عباس أنه كان يدرك أن تحكيم أبي موسى الأشعري ينذر بشرّ وسينتهي إلى ضررهم. إنه يلفت نظر أبي موسى إلى أنه ليس أولى الناس بالتفاوض، وأن الناس اختاروه بدوافع قبلية لكونه يمانياً ولكون أغلب جيش الشام يمانياً.

كذلك فإن الأحنف بن قيس يشير، في كلامه مع أمير المؤمنين، إلى هذه النقطة بقوله: **يا أمير المؤمنين! إن عبدالله بن قيس رجل قد حلبت أشطره فوجدته قريب القعر كليل المدية. وهو رجل يمان وقومه مع معاوية.** وهو ليس كفؤاً لهذه المهمة ولا يمكنه أن يكون حكماً ناجحاً من جانبنا[1].

النقطة الأُخرى في كلام ابن عباس هي أنه أراد أن يذكّر أباموسى بمنزلة الإمام عليه السلام نظرته المنحرفة الخاطئة إليه. لأن أباموسى كان قد اعتزل حرب الجمل بحجة أن طرفيها أصحاب فتنة، وكان يخذّل الناس عن الانخراط في جيش الإمام عليه السلام. فيذكّره ابن عباس بأن الإمام عليه السلام، في معركة الجمل، إنما كان يقاتل الناكثين، وقاتل في صفين القاسطين الذين خرجوا بالسيف على الإمام الذي حاز الخلافة بالبيعة العامة.

في رواية أُخرى، أن ابن عباس وجّه تحذيره الأخير لأبي موسى من مكر عمرو بن العاص وحيلته، وأخبره، بفراسة دقيقة، بما يخطط له عمرو بن العاص. غير أن أباموسى، للأسف الشديد، لُدغ من حيث حذّره ابن عباس بالرغم من تأكيده عليه. فقد قال ابن عباس لأبي موسى: **احذر عمرواً! فإنما يريد أن يقدمك ويقول: أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسنّ مني، فتكلم حتى أتكلم. وإنما يريد أن يقدمك في الكلام لتخلع علياً**، ليحقق أهدافه المشؤومة[2].

---

(١) "قام الأحنف بن قيس إلى علي فقال: يا أميرالمؤمنين! ... معاوية". **وقعة صفين**، ص٥٠٢، الأشعث ومعاوية، رضا قرّاء الشام والعراق بحكم القرآن.

(٢) "قال ابن عباس لأبي موسى الأشعري: احذر ... علياً". **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ج٣، ص٥٤٨، حوادث سنة ٣٧ هجرية، تحكيم الحكمين.

لماذا اختير أبوموسى؟

حسب ما تقدم، فإن هناك عدة وجوه محتملة لاختيار أبي موسى الأشعري من قبل بعض العراقيين ليكون حكماً وفرضه على أمير المؤمنين عليه السلام.

الوجه الأول: أنه لم يشارك في الجمل ولا في صفين. وهذا ما جعل بعض ضعاف العقول وقصار النظر يظنون أنه لم يدخل في الفتنة فهو، لهذا السبب، أجدر من غيره في هذه المهمة. وبهذا المبرر رفض العراقيون ترشيح مالك الأشتر. ويبدو أن هذه الجماعة كانت تعتبر طاعة أمير المؤمنين عليه السلام ومحاربة بقايا المشركين والأحزاب مثلبة، واعتزال الحرب ميزة.

الوجه الثاني: أن جماعة من جيش الإمام عليه السلام كانوا يفضلون شخصاً محايداً لا مشكلة له مع أيٍ من الطرفين المتخاصمين. في حين اختار أهل الشام عمرو بن العاص الذي كرّس نفسه لتحقيق النصر لمعاوية.

ولا يخفى أنه لا يمكن اعتبار أبي موسى الأشعري طرفاً محايداً نظراً لكونه يمانياً وأن ولاء قومه كان لمعاوية، وكذلك لتصرفاته ومواقفه اللاحقة المنحازة لمعاوية.

الوجه الثالث: وفضّل جماعة من جيش الإمام عليه السلام أباموسى لأنه يماني ولأن أغلب جيش معاوية كان يمانيا، فرشحوه ليكون مقبولاً لديهم فتنتهي على يده الحرب. فإن أباموسى كان سيفضل وقف القتال صوناً لقومه على أقل تقدير. وهذه النقطة كانت فرصة لضعاف النفوس من جيش الإمام عليه السلام لإنهاء الحرب والعودة إلى ديارهم.

التحذير الثاني لأبي موسى

في الطريق إلى دومة الجندل، أمسك شريح بن هاني بيد أبي موسى الأشعري وقال له: **أباموسى! إنك قد نصبت لأمر لا يجبر صدعه ولا يستقال عثرته. فاعلم أنك (إن: م) قلت شيئاً لك أم عليك لزمك حقه وزال عنك باطله. فاتق الله وانظر كيف تكون، فإنك قد رميت بعمرو بن العاص**

وهو رجل لا دين له لأنه باع دينه بدنياه. فإياك أن يخدعك! فإنه خدّاع مكّار، والسلام. فقال أبوموسى (رداً على كلام شريح النابع من القلب، وقد انتفخ زهواً وغروراً): **ما ينبغي لقوم اتهموني أن يبعثوني لكي أدفع عنهم باطلاً. والله إني لأرجو أن ينقضي هذا الأمر وأنا على رضا من الفريقين جميعاً إن شاء الله**[١].

لقد كانت النتائج الكارثية لتحكيم أبي موسى ماثلة، قبل حدوثها، أمام ذوي البصائر النافذة أمثال شريح بن هاني وابن عباس والأحنف بن قيس ومالك الأشتر. لذا كانوا ينصحونه باستمرار ويحذرونه من كيفية جريان التحكيم ونتائجه، كأنهم كانوا يعلمون من قبل أية كارثة سيأتي بها أبوموسى.

التحذير الثالث لأبي موسى

آخر من كلّم أباموسى وحذّره نتيجة التحكيم كان الأحنف بن قيس. فقد كان على علم، شأنه شأن جميع ذوي البصائر، بالنتائج المشؤومة للتحكيم. قال لأبي موسى فيما قال: **اعرف خطر هذا المسير فإن له ما بعد. واعلم بأنك إن ضيعت العراق فلا عراق. فاتق الله فإنه يجتمع لك أمر الدنيا والآخرة. وانظر إذا لقيت عمرو بن العاص فلا تبدأه بالسلام حتى يكون هو الذي يبدؤك. وإن سألك أن تقعد معه على فراشه فلا تفعل، فإن ذلك خديعة منه لك. وانظر لا يدخلك إلى بيت له مخدع ويكون قد عبّى لك فيه رجالاً يسمعون كلامك ويشهدون عليك وأنت لا تعلم**[٢]. **وإن لم يستقم لك عمرو على ما تريد فخيِّره من شاء غيرك يكلمه ولا تكلمه أنت.**

ثم قام الأحنف بن قيس باختبار أبي موسى من حيث رؤيته ونظرته للإمام عليه السلام، إذ قال له: **فإن لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلي، فخيِّره أن يختار أهل العراق من قريش الشام من شاؤوا، فإنهم**

(١) "فأقبل عليه شريح فقال له: يا أباموسى! ... إن شاء الله". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٢٠٥، ذكر وصية القوم لأبي موسى بالاحتياط في أمره والحذر من دهاء خصمه ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٢، ص٢٤٥، ذيل الخطبة ٣٥، قصة التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج.

(٢) "فقال له الأحنف: اعرف ... أنت". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٢٠٦، ذكر وصية القوم لأبي موسى بالاحتياط في أمره والحذر من دهاء خصمه.

يولونا الخيار فنختار من نريد. وإن أبوا فليختر أهل الشام من قريش العراق من شاؤوا. فإن فعلوا كان الأمر فينا. قال أبوموسى: **قد سمعت ما قلت.** ولم يتحاش لقول الأحنف (لم يعترض على كلامه، إذ كيف يسمح لنفسه أن يقول في علي ما قال).

(قال): فرجع الأحنف فأتى علياً عليه‌السلام فقال: **يا أمير المؤمنين! أخرجَ، والله، أبوموسى زبدة سقائه في أول مخضة. لا أرانا إلاّ بعثنا رجلاً لا ينكر خلعك** (لم أبخل بكل ما أعلم ونصحت له، فوجدته لا أهلية له ولا دين)**.** فقال علي: **يا أحنف!** (الأمر كما تقول) **إن الله غالب على أمره**[١]. استناداً إلى الوثائق المتوفرة، يتضح أن الكثير من قادة جيش الإمام كانوا يعلمون أن التحكيم ستكون عواقبه وخيمة. كما أن أمير المؤمنين عليه‌السلام أعلن بشكل رسمي رفضه لتحكيم الهرِم الجاهل. ولاحقاً، اتفقت أصوات سياسيي الجيش الإسلامي على معارضة ترشيح أبي موسى الأشعري، لأنهم كانوا يعلمون:

أولاً: أن هذا التحكيم سيحدد مصير الأُمة الإسلامية، وسيتبين إن كان حكم الأُمة الإسلامية سيؤول غداً إلى معاوية وعمرو بن العاص وأمثالهما من الكفار المتهتكين، أم سيبقى على مساره الأصلي وهو مسار الولاية والإمامة الحقة.

ثانياً: أنه لم يكن هناك أي تناسب بين أبي موسى وعمرو بن العاص. لأن عمرو بن العاص كان ماكراً محتالاً، أما أبوموسى فكان يبدو في الظاهر تقياً ورعاً ساذجاً لا قدرة له على مواجهة حيَل عمرو بن العاص.

---

(١) "ثم أراد أن يبور ما في نفسه لعلي فقال له: فإن لم يستقم ... أمره". **وقعة صفين،** ص٥٣٦، توديع الأحنف ونصيحته لأبي موسى ؛ **شرح نهج البلاغة**، ج٢، ص٢٤٩، شرح الخطبة ٣٥، قصة التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج.

معارضة الخوارج للتحكيم

لما أراد أمير المؤمنين عليه السلام إرسال أبي موسى الأشعري إلى دومة الجندل[١] أتى رجلان من الخوارج، هما زرعة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي، إلى الإمام علي عليه السلام فقالا له: **لا حكم إلاّ لله.** فقال علي عليه السلام: **لا حكم إلاّ لله.** فقال له حرقوص: **تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا.** فقال لهم علي: **قد أردتكم على ذلك فعصيتموني. وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وشرطنا شروطاً وأعطينا عليها عهودنا ومواثيقنا. وقد قال الله عزّ وجلّ** ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ فقال له حرقوص: **ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه.** فقال علي عليه السلام: **ما هو ذنبٌ، ولكنه عجز من الرأي وضعف من الفعل. وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ونهيتكم عنه.** فقال له زرعة بن البرج: **أما والله، يا علي، لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عزّ وجلّ، قاتلتك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه**[٢].

(١) دومة الجندل منطقة واقعة في شمال الجزيرة العربية عند الحد الفاصل بين العراق والشام والحجاز، ولا تزال موجودة لليوم. المسافة بينها وبين بغداد، حسب الخرائط الحالية، حوالي ٧٠٠ كيلومتر، وبينها وبين دمشق حوالي ٦٥٩ كيلومتراً، وبينها وبين المدينة نحو ٨٠٠ كيلومتر.

(٢) "أن علياً لما أراد أن يبعث أباموسى للحكومة، أتاه رجلان من الخوارج زرعة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي فدخلا عليه فقالا له: لا حكم ... ورضوانه". **تاريخ الطبري**، ج٣، ص١١٣، حوادث سنة ٣٧ هجرية، ذكر ما كان من خبر الخوارج عند توجيه علي الحكم للحكومة.

انطلاق الوفدين إلى التحكيم

بما أن الإمام علياً عليه السلام لم يكن ليضحيّ بالحق من أجل أي شيء، ولا يرضى بنقض العهد تحت أية ظروف، فقد أرسل، في سنة ٣٨ هجرية، وفداً مؤلفاً من أربعمائة شخص برئاسة شريح بن هاني وعبدالله بن العباس وحكمه أبي موسى الأشعري إلى دومة الجندل. بالمقابل، أرسل معاوية حكمه عمرو بن العاص ومعه أربعمائة شخص إلى الموضع المتفق عليه[١].

طول فترة التفاوض بين الفريقين، كلما كان يصل كتاب من الإمام علي عليه السلام إلى رئاسة الوفد، كان أعضاء الوفد يطالبون فوراً بقراءة مضمونه؛ في حين كانت الكتب التي يبعثها معاوية إلى عمرو بن العاص تبقى طي الكتمان حتى على أعضاء الوفد.فارتاب ابن عباس من تصرف أعضاء وفده فصاح بهم موبّخاً: **إذا جاء رسول قلتم: بأي شيء جاء؟ فإن كتمتكم قلتم: لم تكتمنا؟** (وإن أطلعتكم على مضمونه تناقلتم خبره وقلتم:) **جاء بكذا وكذا،** (فما أبقيتم لنا سراً)[٢].

(١) "وفي سنة ثمان وثلاثين كان التقاء الحكمين بدومة الجندل وقيل: بغيرها، على ما قدمنا من وصف التنازع في ذلك. وبعث علي بعبد الله بن العباس وشريح بن هانئ الهمداني في أربعمائة رجل فيهم أبوموسى الأشعري. وبعث معاوية بعمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن السمط في أربعمائة". **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٢، ص٤٣٨، التقاء الحكمين.

(٢) "قال: فكان إذا كتب علي بشيء، أتاه أهل الكوفة فقالوا: ما الذي كتب به إليك أميرالمؤمنين؟ فيكتمهم، فيقولون له: كتمتنا ما كتب به إليك، إنما كتب في كذا وكذا. ثم يجيء رسول معاوية إلى عمرو بن العاص فلا يدري في أي شيء جاء ولا في أي شيء ذهب ولا يسمعون حول صاحبهم لغطاً. فأنب ابن عباس أهل الكوفة بذاك وقال: إذا جاء ... وكذا". **وقعة صفين**، ص٥٣٤، بعوث علي [عليه السلام] ومعاوية.

نصيحة معاوية لعمرو بن العاص

دعا معاوية عمرو بن العاص قبل ذهابه إلى دومة الجندل وقال له: **يا عمرو! إن أهل الكوفة أكرهوا علياً على أبي موسى وهو لا يريده، ونحن بك راضون، وقد ضم إليك رجل طويل اللسان كليل المدية** (يعني أباموسى)، **وله بعد حظ من دين. فإذا قال فدعه يقل، ثم قل فأوجز واقطع المفصل ولا تلقه بكل رأيك. واعلم أن خبء الرأي زيادة في العقل. فإن خوّفك بأهل العراق فخوّفه بأهل الشام. وإن خوّفك بعلي فخوّفه بمعاوية. وإن خوّفك بمصر فخوّفه باليمن. وإن أتاك بالتفصيل فأته بالجمل.** فقال له عمرو: **يا معاوية! أنت وعلي رجلا قريش، ولم تنل في حربك ما رجوت، ولم تأمن ما خفت. ذكرت أن لعبدالله ديناً، وصاحب الدين منصور. وأيم الله، لأفنين عليه علله ولأستخرجن خبأه. ولكن إذا جاءني بالإيمان والهجرة ومناقب علي، ما عسيت أن أقول!** قال (معاوية): **قل ما ترى!** فقال عمرو: **وهل تدعني وما أرى؟** وخرج مغضباً كأنه كره أن يوصى ثقةً بنفسه، وقال لأصحابه حين خرج: **إنما أراد معاوية أن يصغّر أمر أبي موسى، لأنه علم أني اخادعه غداً، فأحب أن يقول: إن عمرواً لم يخدع أريباً، فقد كدته بالخلاف عليه** (سأُثبت له العكس قريباً)[١].

في الحوار الذي دار بين معاوية وعمرو بن العاص نقاط مهمة نشير إلى اثنتين منها، مثالاً:

الأُولى: أن المواضيع المنقولة تبين بوضوح مدى ما كان عليه معاوية وعمرو من التحايل والمكر، وكم كانا يسعيان لتنفيذ خطتهما بشتى الطرق. يوصي معاوية عمرو بن العاص بقلة الكلام لأنه يعلم أن كثرة الكلام قد تتسبب في تسريب شيء من خطتهما إلى الحاضرين. بالمقابل، يؤكد عمرو لمعاوية أنه لن يترك لأبي موسى طريقاً للهرب وأنه لن يكون قادراً على الكتمان وسيكشف أوراقه.

---

(١) "دعا معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص ليبعثه حكماً، فجاء وهو متحزم عليه ثيابه وسيفه وحوله أخوه وناس من قريش. فقال له معاوية: يا عمرو! .... بالخلاف عليه". **شرح نهج البلاغة**، ج٢، ص٢٤١، ذيل الخطبة ٣٥، قصة التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج ؛ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٢، ص٤٣٩، التقاء الحكمين.

الثانية: بتنويهه بتدين أبي موسى، حاول معاوية التعريض بعمرو بن العاص بوصفه فاقداً للتدين. بالمقابل، عدّد عمرو فضائل الإمام علي عليه السلام ليعيّر معاوية بعدم كونه كفؤاً له. لقد لجأ عمرو بن العاص إلى هذه الطريقة أكثر من مرة حيث عمد إلى الحط من قدر معاوية بتعداد فضائل أمير المؤمنين عليه السلام. ولم يكن في نية عمرو أن يفعل خيراً بحق أمير المؤمنين عليه السلام، بل كانت غايته الانتقاص من معاوية وتذكيره بأنه لا يملك ما يؤهله للحكم وأنه ليس أفضل منه (من عمرو).

المغيرة بن شعبة والحكمين

كان المغيرة بن شعبة على هوى بني أُمية. ويبدو أنه اعتزل الحرب، شأنه في ذلك شأن عبدالله بن عمر وسعد بن أبي وقاص، فأثار حنق معاوية عليه. فذهب[١] إلى معاوية لإرضائه وخطب وده فقال: **يا معاوية! لو وسعني أن أنصرك لنصرتك، ولكن عليّ أن آتيك بأمر الرجلين** (نوايا الحكمين أبي موسى وعمرو بن العاص).

ثم توجه المغيرة إلى دومة الجندل لهذا الغرض وذهب إلى أبي موسى الأشعري فسأله: **يا أباموسى! ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر وكره الدماء؟** قال: **أُولئك خير الناس، خفّت ظهورهم من دمائهم وخمصت بطونهم من أموالهم.**

ثم أتى عمرواً فقال: **يا أباعبدالله! ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر وكره الدماء؟** قال: **أُولئك شرار الناس، لم يعرفوا حقاً ولم ينكروا باطلاً.**

فرجع المغيرة إلى معاوية فقال له: **قد ذقت الرجلين ؛ أما عبدالله بن قيس، فخالع صاحبه وجاعلها لرجل لم يشهد هذا الأمر، وهواه في عبدالله بن عمر. وأما عمرو بن العاص فهو صاحب** (هكذا: م) **الذي تعرف. وقد ظن الناس أنه يرومها لنفسه وأنه لا يرى أنك أحق بهذا الأمر منه**[٢].

دلّ كلام أبي موسى الأشعري على أنه لم يكن، بأي وجه من الوجوه ممثلاً لأهل العراق ؛ لأنه كان يرى أن الذين شاركوا في الحرب ضالون، وأن الذين اجتنبوها خير الناس. فكيف لرجل يفكر على هذا النحو أن يدافع عن حق أهل العراق؟ إنّ من يتهم أمير المؤمنين عليه السلام، لمشاركته في الحرب، بسفك دماء المسلمين وهدر أموالهم، لاشك أنه لا يعتقد بجدارته بالخلافة، وأنه سيخلعه منها. وعلى

---

(١) يقول ابن أعثم إن معاوية لما سمع بأن عمرو بن العاص يريد خيانته في التحكيم ويقدّم نفسه خليفة، طلب من المغيرة بن شعبة أن يذهب إلى عمرو ليرى ما يخطط له. **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٢٠٨، ذكر غرور عمرو بن العاص صاحبه.

(٢) "وأتاه المغيرة بن شعبة، وكان مقيماً بالطائف لم يشهد الحرب، فقال له: يا مغيرة ما ترى؟ قال: يا معاوية! لو وسعني ... منه". **وقعة صفين**، ص٥٣٩، استدعاء معاوية بعض من لم يعنه من قريش.

هذا الأساس، اعتقد المغيرة أن الإمام علي عليه السلام سيُخلع في التحكيم، وسيقوم أبوموسى بترشيح عبدالله بن عمر للخلافة لأنه اعتزل الحرب وهو ابن الخليفة الثاني.

ويدل كلام المغيرة، أيضاً، على أنه لم يكن يثق بعمرو بن العاص، وكان يتوقع أن يتصيد بالماء العكر لحيازة الحكم إلى نفسه. ومع أن المغيرة قال إن بعض الناس يظن أن عمرو بن العاص سيخلع معاوية ليحل محله، إلاّ أنه هو نفسه خرج بالانطباع نفسه بعد لقائه، فكان يحتمل ذلك. لذا حاول تنبيه معاوية إلى ذلك الاحتمال ليكون على حذر من مكر عمرو بن العاص، مع أن معاوية لم يكن غافلاً عن هذا الأمر وكان قد قال لعمرو، في أثناء حرب صفين: إنك تريد التخلص مني والاستحواذ على الحكم.

اللقاء الأول بين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري

عندما وصل أبوموسى إلى دومة الجندل، قام عمرو بن العاص واستقبله استقبالاً حاراً. فسلم عليه أبوموسى وصافحه بحرارة وقال له: **يا أخاه! طال عهدي بك فقبّح الله أمراً فرّق بيننا.** (قال): ثم أقعده عمرو على فراشه وأقبل عليه يحدثه ساعة. ثم دعا عمرو بالطعام فأكلا جميعاً، وانصرف أبوموسى إلى رحله (دون أن يقولا شيئاً عن التحكيم)[١]. ثم لم يزالا يجتمعان في كل يوم فيتحدثان وينصرفان. فأقاما على ذلك أياماً كثيرة.

وجاء في موضع آخر أن عمرو بن العاص، تودد إلى أبي موسى، بأن أمر بأن يُجلب له ما أحب من الطعام[٢].

أما ابن ابي الحديد فيقدم المزيد من التفاصيل على التضليلات التي مارسها عمرو بن العاص، إذ يقول: **أعطاه عمرو صدر المجلس وكان لا يتكلم قبله وأعطاه التقدم في الصلاة وفي الطعام لا يأكل حتى يأكل. وإذا خاطبه فإنما يخاطبه بأجلّ الأسماء ويقول له: يا صاحب رسول الله ﷺ، حتى اطمأن إليه وظن أنه لا يغشه**[٣].

اللافت للنظر في معاملة عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري أن مالك الأشتر والأحنف بن قيس سبق أن نبّها أباموسى الأشعري بدقة بخطط عمرو بن العاص، ولكن أباموسى سقط في فخ عمرو رغم كل التحذيرات، وهذا مؤشر صارخ على سذاجته وغفلته وضلاله.

---

(١) "فلما رآه عمرو استقبله، فسلم عليه أبوموسى ومدّ أبوموسى يده إلى عمرو فصافحه وحيّاه وضمّه إلى صدره، ثم قال: يا أخاه! ... كثيرة". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٢٠٧، ذكر غرور عمرو بن العاص صاحبه.

(٢) "أقبل إليه بأنواع طعام يشهّيه بها". **العقد الفريد**، ج٤، ص٣٤٧، أمر الحكمين.

(٣) **شرح نهج البلاغة**، ج٢، ص٢٥٥، ذيل الخطبة ٣٥، قصة التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج.

مفاوضات عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري

قال أبوموسى الأشعري لعمرو بن العاص في أول اجتماع رسمي عقد بين الفريقين: **يا عمرو! هل لك في أمر هو للأُمة صلاح ولصلحاء الناس رضا؟ نولي هذا الأمر عبدالله بن عمر بن الخطاب الذي لم يدخل في شيء من هذه الفتنة ولا هذه الفرقة**، وعبدالله بن عمرو بن العاص وعبدالله بن الزبير قريبان يسمعان هذا الكلام. فقال عمرو: **فأين أنت عن معاوية؟** فأبى عليه أبوموسى[١].

بعد هذا المقترح من أبي موسى، قال عمرو بن العاص متسللاً من ثغرة الحيلة:

يا أباموسى! ألست تعلم أن عثمان قتل مظلوماً؟ قال (أبوموسى): **أشهد.** قال (عمرو): **ألست تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه؟** قال (أبوموسى): **بلى.** قال (عمرو): **فإن الله عزّ وجلّ قال ((ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً))، فما يمنعك من معاوية ولي عثمان يا أباموسى، وبيته في قريش كما قد علمت؟ فإن تخوفت أن يقول الناس: وليَ معاوية وليست له سابقة، فإن لك بذلك حجة، تقول: إني وليّ عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه الحسن السياسة والحسن التدبير وهو أخو أُم حبيبة زوجة النبي ﷺ وقد صحبه، فهو أحد الصحابة.** (أي: إني أُرشح معاوية لأربعة أسباب:

١ـ أنه ولي دم عثمان

٢ـ أنه صاحب سياسة وتدبير

٣ـ أنه أخو زوجة النبي ﷺ أُم حبيبة.

٤ـ أنه من صحابة رسول الله ﷺ.

---

(١) "أقبل أبوموسى إلى عمرو فقال: يا عمرو! ... أبوموسى". **وقعة صفين**، ص٥٤٠، تداول أبي موسى وعمرو.

ثم عرض له بالسلطان فقال: **إن ولي أكرمك كرامة لم يكرمها خليفة** قال أبوموسى (**محتجاً** على عمرو بن العاص): **يا عمرو اتق الله عزّ وجلّ! فأما ما ذكرت من شرف معاوية فإن هذا ليس على الشرف يولاه أهله. ولو كان على الشرف لكان هذا الأمر لآل إبرهة بن الصباح. إنما هو لأهل الدين والفضل. مع أني لو كنت معطيه أفضل قريش شرفاً أعطيته علي بن أبي طالب. وأما قولك: إن معاوية ولي دم عثمان، فوله هذا الأمر، فإني لم أكن لأُوليه معاوية وأدع المهاجرين الأولين. وأما تعريضك لي بالسلطان، فوالله لو خرج لي من سلطانه كله ما ولّيته، وما كنت لأرتشي في حكم الله عزّ وجلّ. ولكنك إن شئت أحيينا اسم عمر بن الخطاب** (وولينا الأمر ابنه عبدالله وخلعنا علياً ومعاوية **جميعاً**)[1].

فقال عمرو بن العاص **مخالفاً** رأي أبي موسى: **إن هذا الأمر لا يصلح إلاّ رجل له ضرس يأكل ويطعم** (ذو كفاءة)، **وكانت في ابن عمر غفلة**[2].

(١) "فقال عمرو بن العاص: يا أباموسى! .... الخطاب". **تاريخ الطبري**، ج٣، ص١١١، حوادث سنة ٣٨ هجرية، اجتماع الحكمين بدومة الجندل.

(٢) "قال عمرو بن العاص: إن هذا الأمر .... غفلة". **تاريخ الطبري**، ج٣، ص١١٢، حوادث سنة ٣٨ هجرية، اجتماع الحكمين بدومة الجندل.

حوار عبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر

سمع عبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير مفاوضات أبي موسى وعمرو عن كثب، فقال ابن الزبير لابن عمر: **اذهب** (هذه الليلة) **إلى عمرو بن العاص فارشه.** فقال عبدالله بن عمر: **لا والله، ما أرشو عليها أبداً ما عشت.** ولكنه (مع هذا ذهب إلى عمرو بن العاص و) قال له: **ويلك يا ابن العاص، إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعد ما تقارعت بالسيوف وتشاجرت بالرماح، فلا تردّهم إلى فتنة واتق الله**[1].

---

(١) "فقال ابن الزبير لابن عمر: اذهب ... واتق الله". **وقعة صفين،** ص٥٤٢، تداول أبي موسى وعمرو الرأي ؛ **تاريخ الطبري،** ج٣، ص١١٢، حوادث سنة ٣٨ هجرية، اجتماع الحكمين بدومة الجندل.

نصيحة أمير المؤمنين عليه السلام لعمرو بن العاص

كان أمير المؤمنين عليه السلام يتابع مجريات التحكيم ويعلم أن عمرو بن العاص يخطط لخداع أبي موسى. ومع علمه بعدم تأثير الموعظة في عمرو بن العاص، حاول إتمام الحجة عليه بأن بعث إليه رسالة بيد شريح بن هاني قال له فيها: **إن أفضل الخلق عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه وإن نقصه. وإن أبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه وإن زاده. والله يا عمرو! إنك لتعلم أين موضع الحق، فلمَ تتجاهل؟ أبأن أُوتيت طمعاً يسيراً فكنت لله ولأوليائه عدواً؟ فكان، والله، ما أُوتيت قد زال عنك. فلا تكن للخائنين خصيماً ولا للظالمين ظهيراً. أما إني أعلم أن يومك الذي أنت فيه نادم هو يوم وفاتك، وسوف تتمنى أنك لم تظهر لمسلم عداوة ولم تأخذ على حكم رشوة.**

قال شريح: **فأبلغته ذلك فتمعر وجه عمرو وقال: متى كنت أقبل مشورة علي أو أُنيب إلى أمره وأعتد برأيه؟** فقلت: **وما يمنعك يا ابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيد المسلمين بعد نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم مشورته؟ لقد كان من هو خيرٌ منك أبوبكر وعمر يستشيرانه ويعملان برأيه.** فقال: **إن مثلي لا**

يكلم مثلك. فقلت: **بأي أبويك ترغب عن كلامي، بأبيك الوشيظ**[١] (عديم الأصل) **أم بأُمك النابغة**[٢]؟ فقام من مكانه[٣].

رغم أن عمرو بن العاص اعترف أكثر من مرة، قبل صفين وبعدها، بحقانية أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن ابتلاءه بالغرور والاعتداد بالنفس منعه من أن يذعن لموعظة الإمام عليه السلام.

استغل عمرو بن العاص فرصة الاجتماع فقال لأبي موسى بصراحة: (ما دمت ذكرت عبدالله بن عمر) **فما يمنعك من ابني وأنت تعلم فضله وصلاحه؟**

فقال (أبوموسى): **إن ابنك رجل صدق، ولكنك قد غمسته في هذه الفتنة**[٤].

بعد أن انحرفت الخلافة عن مسارها الأصلي سقطت، بالرغم من أهميتها وخطورتها، في قبضة الأهواء النفسية. فطمع فيها حتى من لا حظّ له من الكفاءة. فتارة يرشح لها ابن عمر الذي نعته

---

(١) كان العاص بن وائل، أبو عمرو بن العاص، أحد الذين كانوا يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وآله ويجاهرون بالعداء له ويؤذونه. وقد نزل فيه وفي أصحابه قول الله تعالى ((**إنا كفيناك المستهزئين**)) كان العاص بن وائل يلقب في الإسلام بالأبتر لأنه قال لقريش إن هذا الأبتر (يعني النبي صلى الله عليه وآله) سيموت قريباً وسيمحى ذكره، لأن النبي صلى الله عليه وآله لم يعقب ذكراً يديم نسله فأنزل الله تعالى ((**إن شانئك هو الأبتر**)). **شرح نهج البلاغة**، ج٦، ص٢٨١، ذيل الخطبة ٨٣، نسب عمرو بن العاص وطرف من أخباره.

(٢) كانت النابغة، أُم عمرو بن العاص، معروفة بالفاحشة لدرجة أن كل من أراد أن يعيب عمرو بن العاص كان يذكره بأُمه. وفي موقف من المواقف، قالت أروى بنت الحارث لعمرو بن العاص: يا ابن النابغة! قد كانت أُمك أشهر مغنية في مكة وكانت تأخذ أعلى أجر على البغاء، وقد ادعى بك خمسة رجال من قريش حتى سُئلت أُمك عن ذلك فقال: لقد قاربوني جميعهم، فانظروا أيهم أشبه به فانسبوه له. فكنت أشبه بالعاص بن وائل فانتسبت إليه. **العقد الفريد**، ج٢، ص١٢٠، كتاب الجمانة في الوفود. ويروى أن أروى بنت الحارث قالت لعمرو بن العاص في مواجهة حدثت بينهما: ألستَ من ادعى بك ستة من قريش؟ لقد رأيت أُمك في أيام مِنى تعاشر كل عبد فاجر حقير. **بلاغات النساء**، ص٢٨. يقول الزمخشري عن أُم عمرو بن العاص: عندما ادّعى خمسة رجال أنهم آباء عمرو، وكان العاص بن وائل أكثرهم اهتماماً بها من حيث المال، قالت: العاص هو أبوه. مع أنه كان أشبه بأبي سفيان. **ربيع الأبرار في نصوص الأخبار**، ج٤، ص٢٧٥، باب القرابات والأنساب، الرقم ٩٨.

(٣) **وقعة صفين**، ص٥٤٢، تداول أبي موسى وعمرو الرأي.

(٤) "قال له عمرو: فما يمنعك .. الفتنة". **الكامل في التاريخ**، ج٣، ص١١٢، حوادث سنة ٣٧ هجرية، اجتماع الحكمين بدومة الجندل ؛ **الأخبار الطوال**، ص٢٩٦، مصانعة عمرو لأبي موسى.

عمرو بن العاص بتلك النعوت، وتارة ابن عمرو بن العاص، وتارة معاوية بملفه الأسود الذي راكمه عن نفسه قبل الإسلام وبعد الإسلام.

المؤلم المؤسف أن تنهار الموازين فيقتصر معيار الكفاءة على عدم المشاركة في جبهات القتال. ولأن الإمام علياً عليه السلام كان له حصة الأسد في تلك الحرب، فهو إذن فاقد لكفاءة الخلافة! ولو كان المعيار السابقة اللامعة في الإسلام فإن الإمام عليه السلام، باعتراف أبي موسى الأشعري نفسه، هو الأفضل.

الاجتماع التفاوضي الثالث

امتدت اجتماعات عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري واستطالت. فقد التقيا على مدى أيام كثيرة حتى تململ الناس وظهرت منهم بوادر الاحتجاج[١]. لذا عقدا الاجتماع الأخير، وكان عمرو بن العاص هو المبادر فقال لأبي موسى: **إنك لست بأنصح لأهل العراق مني لأهل الشام، ولا بأنصح لعلي مني لمعاوية، فالحق لا يشبهه شيء** (لا تنتابه الشبهات). **فإن قال قائل بأن معاوية من الطلقاء وكان أبوه من الأحزاب** (من موقدي نارها)، **فقد صدق. وإن قال قائل إن علياً أقرّ قتلة عثمان عنده وقتل أنصاره يوم الجمل، فقد صدق. ولكن هل لك[٢] أن تخلع صاحبك علياً وأخلع أنا صاحبي معاوية ونجعل هذا الأمر في يد عبدالله بن عمر بن الخطاب، فإنه رجل زاهد عابد ولم يبسط في هذه الحروب لساناً ولا يداً؟**

فقال أبوموسى: **أحسنت رحمك الله وجزاك بنصيحتك خيراً! فنعم ما رأيت.** قال عمرو: **فمتى تحب أن يكون ذلك الأمر؟**

فقال أبو موسى: **ذاك إليك، إن شئت الساعة وإن شئت غداً فإنه يوم الاثنين وهذا يوم مبارك.**

(قال): وانصرف عمرو إلى رحله. (وهيّأ شهوداً على كلام أبي موسى في اليوم التالي)[٣].

---

(١) **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٢٠٨، ذكر غرور عمرو بن العاص صاحبه.

(٢) يقول نصر بن مزاحم إن هذا الاقتراح قدّمه أبوموسى. **وقعة صفين**، ص٥٤٤، مصانعة عمرو لأبي موسى.

(٣) "قال عمرو: صدقت أباموسى، ولكن قد علم الناس أنك لست ... رحله". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٢١٠، ذكر غرور عمرو بن العاص صاحبه.

القرار الأخير

كان أبوموسى في تمام الاطمئنان وراحة البال من جانب عمرو بن العاص غافلاً تماماً عن ما يضمره من مكيدة. فقد اختار يوم الاثنين بروح تقديس ساهياً عما ينتظره في ذلك اليوم من مفاجأة ماكرة من عمرو بن العاص. ولم يخطر بباله كيف يقبل عمرو بن العاص بتسليم عبدالله بن عمر أمر الخلافة وهو لا يثق به ويراه ضعيفاً؟!

ولم يفكر كيف يخلع عمرو بن العاص معاوية وهو يعتبره ولي نعمته، بل يفضله على الإمام علي عليه السلام، ويعيد الأمر شورى بين الناس أو يسلّم الحكم لعبدالله بن عمر؟!

المؤلم المؤسف أن أباموسى لم يأخذ تحذيرات عبدالله بن عباس وشريح بن هانئ على محمل الجد ولم يعر كلامهما اهتماماً، فطعن جسد المجتمع الإسلامي طعنة قاتلة.

يوم التحكيم

في اليوم الثاني حضر الناس في المسجد للاطلاع على النتيجة النهائية للمفاوضات. أخذ عمرو بن العاص عصا المبادرة منذ البداية، فاستدرج أباموسى إلى اعترافات من شأنها التمهيد لخلع أمير المؤمنين عليه السلام وتسهيله فنادى بصوت عال: **أباموسى! أنشدك الله، من أحق بهذا الأمر؟ من وفى أو من غدر؟** فقال أبوموسى: **لا، بل من وفى.** قال: **فما تقول في عثمان، أقتل ظالماً أم مظلوماً؟** فقال أبوموسى: **بل مظلوماً.** قال: **فما تقول في قاتله، أيقتل به أم لا؟** فقال أبوموسى: **بل يقتل به.** قال عمرو: **فمن يقتله؟** قال: **يقتله أولياء عثمان لأن الله عزّ وجلّ قال** ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَانًا ﴾**.** قال عمرو: **فهل تعلم أن معاوية من أولياء عثمان؟** فقال أبوموسى: **نعم، هو من أولياء عثمان.** قال عمرو: **أيها الناس! اشهدوا على مقالة أبي موسى!** (تلك كانت أول نقطة

ضعف أظهرها أبوموسى من نفسه أمام الحاضرين وأول نقطة تفوق حصل عليها عمرو بن العاص، لذا طلب من الناس أن يشهدوا على إقرار أبي موسى). قال أبوموسى: **نعم، فاشهدوا ثم اشهدوا على ما أقول إن معاوية من أولياء عثمان، قم يا عمرو فاخلع صاحبك، فإننا على ما كنا عليه أمس.** فقال عمرو: **سبحان الله! أقوم أنا من قبلك وقد قدّمك الله عليّ في الإيمان والهجرة؟ لا بل قم أنت فتكلم بما أحببت وأقوم أنا من بعدك**[١].

تجاهل أبوموسى الأشعري التحذيرات المتكررة التي صدرت له من ابن عباس وشريح بن هانئ والأحنف بن قيس، وأخذه كلام عمرو بن العاص الغادر فلم يتصور أنه في طريقه إلى السقوط في فخ مكيدة. لذا، قام من مكانه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **إن رأيي ورأي** (صديقي) **عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به شأن هذه الأُمة** فصاح عمرو بن العاص مؤيداً كلامه وقال: صدق أبوموسى. أكمل يا أباموسى!

ولما أراد أبوموسى أن يقول آخر ما لديه صاح له ابن عباس: أمسك يا أباموسى! والله لقد خدعك ابن النابغة، حذار أن تسبقه بالكلام[٢]!

كان ابن عباس يتابع تفاصيل ما يجري بدقة متناهية. يقول عبدالرحمن بن خالد بن الوليد وكان من أشد المتحمسين لمعاوية: **حضرت الحكومة، فلما كان يوم الفصل جاء عبدالله بن عباس فقعد إلى جانب لابن** (هكذا: م) **أبي موسى وقد نشر أُذنيه حتى كاد أن ينطق بهما. فعلمت أن الأمر لا يتم لنا مادام هناك، وأنه سيفسد على عمرو حيلته. فأعملت المكيدة في أمره، فجئت حتى قعدت عنده وقد شرع عمرو وأبوموسى في الكلام. فكلمت ابن عباس كلمة استطعمته جوابها، فلم يجب. فكلمته أُخرى فلم يجب، فكلمته ثالثة فقال: إني لفي شغل عن حوارك الآن. فجبهته وقلت: يا بني هاشم، لا تتركون بأوكم وكِبركم أبداً. أما والله، لولا مكان النبوة لكان لي ولك شأن.** قال: **فحمى**

---

(١) "لما كان من الغد أقبل إلى أبي موسى ومعه شهود قد أعدّهم للذي يريد أن يصنع. قال: فدخل على أبي موسى واجتمعت الناس لاستماع الكلام، فقال عمرو: أبا موسى! ... بعدك". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٢١٠، ذكر غرور عمرو بن العاص صاحبه.

(٢) "قدّم عمرو أباموسى إلى المنبر فلما رآه عبد الله بن عباس قام إلى عبد الله بن قيس فدنا منه فقال: إن كان عمرو فارقك على شيء فقدِّمه قبلك، فإنه غدر". **تاريخ اليعقوبي**، ج٢، ص١٩٠، خلافة أميرالمؤمنين ؛ **تاريخ الطبري**، ج٣، ص١١٣، حوادث سنة ٣٨ هجرية، اجتماع الحكمين بدومة الجندل.

وغضب واضطرب فكره ورأيه، وأسمعني كلاماً يسوء سماعه. فأعرضت عنه وقمت فقعدت إلى جانب عمرو بن العاص فقلت: قد كفيتك التقوالة، أني قد شغلت باله بما دار بيني وبينه، فأحكم أنت أمرك!

قال: **فذهل والله ابن عباس عن الكلام الدائر بين الرجلين حتى قام أبوموسى فخلع علياً**[(١)].

لم يعبأ أبوموسى بتحذيرات ابن عباس، نظراً لسذاجته وجهله وسابق عداوته لأمير المؤمنين عليه السلام، وقال: سأقول ما أعلم. ثم قال: **أيها الناس! إنا قد نظرنا في أمر هذه الأُمة فلم نر شيئاً هو أصلح لأمرها ولا ألمّ لشعثها من ألاّ تتباين اُمورها. وقد أجمع رأيي ورأي صاحبي على خلع علي ومعاوية، وأن يستقبل هذا الأمر فيكون شورى بين المسلمين يولون اُمورهم من أحبوا. وإني خلعت علياً ومعاوية، فاستقبلوا اُموركم وولوا من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً**[(٢)].

يقول ابن أعثم الكوفي إن أباموسى الأشعري خلع خاتمه من إصبعه وقال: **إني قد خلعت علياً من الخلافة كما خلعت خاتمي هذا من إصبعي، والسلام.** ثم تنحى إلى ركن ووقف ينتظر كلام عمرو بن العاص. كان يتوقع أن يقول عمرو ما اتفقا عليه. ولكن عمرواً قام فأشار إلى أبي موسى وقال: **أيها الناس! هذا عبدالله بن قيس أبوموسى الأشعري وافد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعامل عمر بن الخطاب وحكم أهل العراق، وقد خلع صاحبه علياً من الخلافة كما زعم أنه خلع خاتمه من إصبعه. ألا وإني قد أثبتُّ معاوية في الخلافة كما أثبت خاتمي هذا في إصبعي**[(٣)].

---

(١) "قال عبدالرحمن بن خالد بن الوليد: حضرت ... علياً". **شرح نهج البلاغة**، ج٢، ص٢٦١، ذيل الخطبة ٣٥، قصة التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج.

(٢) "فتكلم أبوموسى، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن رأيي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به شأن هذه الأُمة.. فتقدم أبوموسى، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! ... أهلاً". **شرح نهج البلاغة**، ج٢، ص٢٥٥، ذيل الخطبة ٣٥، قصة التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج.

(٣) "إني قد خلعت علياً من الخلافة كما خلعت خاتمي هذا من إصبعي، والسلام. وقام عمرو بن العاص، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس! ... إصبعي". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٢١١، ذكر غرور عمرو بن العاص صاحبه.

الاختلاف والاشتباك

لما انتبه أبوموسى إلى خدعة عمرو بن العاص، غضب فصاح: **ما لك لا وفقك الله، قد غدرت وفجرت. وإنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث** إلى آخر الآية. فقال له عمرو: **إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً** إلى آخر الآية.

ثم اشتد العراك بين الرجلين فشتم أحدهما الآخر وأمسك كل منهما بتلابيب الآخر؛ ولكن سبق السيف العذل وانتهى التحكيم بفوز الباطل وانهزام الحق(١).

بعد الاشتباك بين أبي موسى وعمرو بن العاص، قام سعيد بن قيس الهمداني وقال لهما: **والله لو اجتمعتما على الهدى ما زدتمانا على ما نحن الآن عليه وما ضلالكما يلازمنا** (ضلالكما في خلع الإمام علي عليه السلام غير ملزم لنا) **وما رجعتما إلاّ بما بدأتما وإنا اليوم لعلى ما كنا عليه أمس** (من موالاتنا لعلي عليه السلام)(٢).

غير أن المؤسف المؤلم أن الحرب كانت قد فقدت حرارتها ولم يعد ممكناً إعادة تعبئة الجيش للقتال والإجهاز على جيش معاوية، فقد راح جيش العراق ضحية الاضمحلال والتراخي. بالمقابل، استعادت بقايا جيش معاوية الروح وما كان مستبعداً أن تأخذ زمام المبادرة. وهذا ما أثبتته الأحداث اللاحقة التي سنتناولها، المتمثلة بتعرضات الإزعاج والتحرشات التي قام بها جيش معاوية وأُريقت بسببها دماء كثيرة من أُناس عزّل قتلوا غدراً، وأموال ومساكن نهبت وقرى كثيرة هدمت.

---

(١) "فقال له أبوموسى: ما لك ... الآية". **وقعة صفين**، ص٥٤٦، التسليم على معاوية بالخلافة؛ **العقد الفريد**، ج٤، ص٣٤٨، أمر الحكمين.

(٢) "قام سعيد بن قيس الهمداني فقال: والله، .... أمس". **وقعة صفين**، ص٥٤٧، كلام سعيد وكردوس.

واضطربت الأوضاع في المسجد بعد التحكيم، حيث اشتبك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وأهل الشام[١]. وهجم شريح بن هانئ على عمرو بن العاص وضربه بالسوط. فانبرى له ابن عمرو بن العاص فضربه بالسوط. فقام جماعة وحجزوا بين الرجلين. فكان شريح يقول بعد ذلك: **ما ندمت على شيء ندامتي ألاّ أكون ضربت عمرواً بالسيف بدل السوط أتى الدهر بما أتى** (وليكن ما يكون)[٢] وفتش أصحاب الإمام عليه السلام عن أبي موسى الذي كان قد فرّ هارباً إلى مكة على ظهر ناقة.

يقول ابن عباس: **قبّح الله أباموسى! لقد حذرته وهديته إلى الرأي فما عقل.** وكان أبوموسى يقول (معبراً عن ندمه على عدم الاستماع لتحذيرات ابن عباس): **لقد حذّرني ابن عباس غدرة الفاسق، ولكني اطمأننت إليه وظننت أن لا يؤثر شيئاً على نصيحة الأُمة**[٣].

كان الإمام علي عليه السلام، بعد حادثة التحكيم، يلعن، بعد صلاة الفجر وصلاة المغرب معاوية وعمرو بن العاص وأباموسى الأشعري وحبيب بن مسلمة وعبدالرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد بن عقبة. فلما سمع معاوية بذلك أخذ يلعن الإمام علياً والإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام وابن عباس وقيس بن سعد بن عبادة ومالك الأشتر بعد الصلاة.

لما سمع أبوموسى بأن الإمام عليه السلام يلعنه، أرسل من مكة رسالة إليه جاء فيها: **أما بعد، فإني قد بلغني أنك تلعنني في الصلاة ويؤمن خلفك الجاهلون. وإني أقول كما قال موسى** عليه السلام: **ربّ بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين**[٤].

---

(١) "تشاتموا جميعاً وضج الناس وقالوا: هذه خديعة ونحن لا نرضى بها". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٢١٢، ذكر غرور عمرو بن العاص صاحبه.

(٢) "حمل شريح بن هانئ على عمرو فقنعه بالسوط، وحمل ابن عمرو على شريح فقنعه بالسوط وقام الناس فحجزوا بينهما. فكان شريح يقول بعد ذلك: ماندمت .. أتى به". **شرح نهج البلاغة**، ج٢، ص٢٥٦، ذيل الخطبة ٣٥، قصة التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج.

(٣) "التمس أصحاب علي عليه السلام أباموسى فركب ناقته ولحق بمكة. وكان ابن عباس يقول: قبّح الله .... الأُمة". **شرح نهج البلاغة**، ج٢، ص٢٥٦، ذيل الخطبة ٣٥، قصة التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج.

(٤) "فكان علي عليه السلام بعد الحكومة إذا صلى الغداة والمغرب وفرغ من الصلاة وسلّم قال: اللّهُمَّ العن معاوية وعمرواً وأباموسى وحبيب بن مسلمة وعبدالرحمن بن خالد والضحّاك بن قيس والوليد بن عقبة! فبلغ ذلك معاوية، فكان إذا صلّى لعن علياً=

كلام أبي موسى يقطر خسة ونذالة. فرغم معرفته بأنه قد خُدع وأنه أضفى المشروعية على حكم بني أُمية الظالمة بجهله وحماقته وسلطهم على أرواح المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وفتح باب الفتنة والاضطراب بين المسلمين، فإنه ليس فقط لا يعبر عن ندمه على ما صدر عنه بل ينعت أمير المؤمنين عليه السلام بالإجرام، بكل ما اصطبغ به من وقاحة وصلف على أن ذوي البصائر في جيش الإمام عليه السلام كانوا على علم بتوجهات أبي موسى، ولكن المؤسف أن مصير التاريخ لم يكن بيدهم بل بأيدي الجهلة والضالين. حقاً، يجب أن يبكي الغيور دماً لحالة المجتمع الإسلامي في تلك الفترة، إذ كتب تاريخه أمثال أبي موسى.

صمت الأشعث

ولكن الأشعث بن قيس، الذي كان زعيم معارضة مواصلة الحرب وأصرّ بشدة على سحب مالك الأشتر من ساحة القتال وعارض مرشحي الإمام عليه السلام للتحكيم وألحّ على ترشيح أبي موسى، لم يجد مقابل انفعالات الناس ومشاعرهم الملتهبة إلاّ أن يلوذ بالصمت ولا ينبس ببنت شفة[١].

غضب مالك الأشتر من سكوت الأشعث، وكان يعرف حقيقة توجهه ومخالفته لحكم أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: **أما والله يا أشعث، إني لأعلم أنك راضٍ بهذا الحكم**[٢].

خشي شداد بن أسد، وكان مع أهل الشام، أن يتجدد القتال بعد ما رأى من غضب جيش أمير المؤمنين عليه السلام من نتائج التحكيم، فخاطب جيش العراق قائلاً: **يا أهل العراق! اتقوا الله ربكم،**

=وحسناً وحسيناً وابن عباس وقيس بن سعد بن عبادة والأشتر. وزاد ابن ديزيل في أصحاب معاوية أباالأعور السلمي. وروى ابن ديزيل أيضاً أن أباموسى كتب من مكة إلى علي عليه السلام: أما بعد، ... للمجرمين". **شرح نهج البلاغة**، ج٢، ص٢٦٠، ذيل الخطبة ٣٥، قصة التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج.

(١) "أما الأشعث بن قيس فإنه سكت ولم ينطق". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٢١٢، ذكر غرور عمرو بن العاص صاحبه.

(٢) "فقال له الأشتر: ... الحكم". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٢١٢، ذكر غرور عمرو بن العاص صاحبه.

فإني أخاف أن نرجع إلى ما كنا عليه من الحرب. وقد علمتم أننا إن عدنا فهو، والله، الفناء. فاتقوا الله واحقنوا دماءنا ودماءكم[١].

(١) "وثب رجل من أصحاب معاوية يقال له شداد بن أسد البجلي فقال: يا أهل العراق! ... ودماءكم". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٢١٢، ذكر غرور عمرو بن العاص صاحبه.

موقف أمير المؤمنين عليه السلام من التحكيم

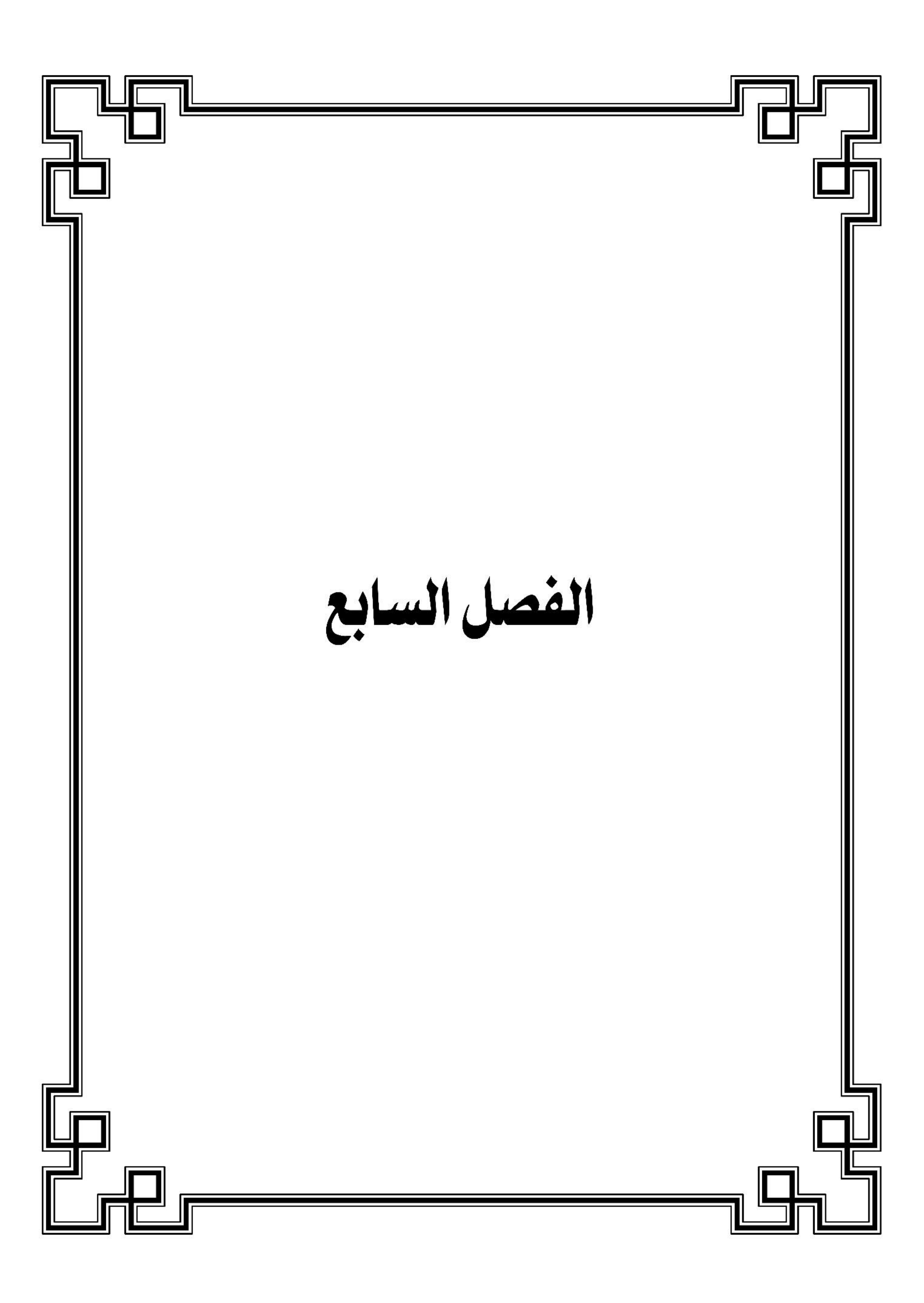
وصلت أخبار التحكيم إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وكان يتوقع ما حدث، فقال لأصحابه: **أما أنا قد أخبرتكم الأمر قبل أن يكون. وقد جهدنا أن يكون الحكم غير أبي موسى فأبيتم عليّ وجئتموني به مبرنساً وقلتم: قد رضينا به، فاتبعت رأيكم. والآن فلا سبيل إلى حرب القوم إلى انقضاء المدة التي كانت بيننا وبينهم**[1] وفي موضع آخر، يوبخ أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه العصاة قائلاً لهم: **فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة. وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري ونخلت لكم مخزون رأيي لو كان يطاع لقصير أمر، فأبيتم عليّ إباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة، حتى ارتاب الناصح بنصحه وضنّ الزند بقدحه. فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن: أمرتكم أمري بمنعرج اللوى ... فلم تستبينوا الرشد إلاّ ضحى الغد**[2].

إن التزام أمير المؤمنين عليه السلام بعهده، حتى لعدو لا دين له خدع جيشه بحمل المصاحف على الرماح وفرّقه وخدع ممثله في التحكيم، أباموسى، فخلعه من الحكم، هذا الالتزام يبين أنه عليه السلام ما كان ليضحي بالأخلاق من أجل الأُمور السياسية في أي حال من الأحوال وتحت أي ظرف وأنه لم يكن يعترف بسياسة "الغاية تبرر الوسيلة". بل احترم عهده حتى مع الغدرة الفجرة أمثال معاوية وعمرو بن العاص.

---

(١) "وبلغ ذلك علياً فقال: ... وبينهم". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٢١٢، ذكر غرور عمرو بن العاص صاحبه.

(٢) **نهج البلاغة**، الخطبة ٣٥.



الفصل السابع

غارات معاوية على المدن

بعد نجاح خدعة عمرو بن العاص في صفين، استعاد جيش الشام حياته بعد أن كان على شفا الانهيار التام في صفين، وبدأ يحول هزيمته الوشيكة إلى نصر. أما العراقيون فكانوا يمرون بظروف مغايرة تماماً؛ إذ دبّت فيهم الفرقة والانقسامات. فقد اتهم جماعة منهم أمير المؤمنين عليه السلام بالكفر لقبوله التحكيم وخرجوا يعارضونه، فأحدثوا ثلمة في جيشه. ومن جانبه، استغل معاوية هذا التحول أقصى استغلال فشن عدة غارات على المناطق التابعة لأمير المؤمنين عليه السلام وارتكبوا أفظع الجرائم فيها لإضعاف حكم الإمام وإسقاطه.

١ـ غارة الضحاك بن قيس

أول غارة شنها جيش الشام قادها رئيس شرطة الشام الضحاك بن قيس الفهري. فقد أرسله معاوية في ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف من جنود الشام صوب العراق وأمره بأن يهجم على الكوفة ويخضعها لسلطانه[1].

عندما بعث معاوية الضحاك صوب الكوفة أمره بما يلي: **سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت. فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي فأغر عليه، وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً**

(١) "لما كان من أمر صفين ما كان وحكم الحكمان ما حكما ورجع أهل الشام إلى الشام وأهل العراق إلى العراق واستقر علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة وجاء معاوية برجل يقال له الضحاك بن قيس الفهري وهو صاحب شرطة معاوية، فضم إليه خيلاً عظيمة من خيل أهل الشام ووجّه به نحو أهل العراق وأمره أن يأخذ على طريق السماوة من بلاد بني كلب بن وبرة حتى ينقض على الكوفة وسوادها فيغير على ما قدر عليه. قال: فأقبل الضحاك في خيل أهل الشام حتى نزل الثعلبية، ثم صار منها إلى القطقطان. وبلغ ذلك علياً فدعا برجل من أصحابه يقال له حجر بن عدي الكندي فضم إليه ألف فارس وأمره بالمسير إلى الضحاك بن قيس". **الفتوح**، المجلد الثاني، ص٢١٥، ابتداء ذكر الغارات بعد صفين.

فأغر عليهما. وإذا أصبحت في بلدة فأمس في أُخرى. ولا تقيمن لخيل بلغك أنها قد سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها (إذا سمعت بفرسان جاؤوا لقتالك فلا تتريث في التصدي لهم)**.**

غادر الضحاك الشام، فكان يقتل كل من يلقاه في الطريق من المخالفين لهم وينهب أموالهم. فلما وصل إلى الثعلبية هاجم قافلة الحج ونهب أموال الحجاج. ثم انطلق فصادف عمرو بن عميس ابن أخي عبدالله بن مسعود فقتله ومن معه[١].

لما سمع أمير المؤمنين عليه السلام بما قام به الضحاك من قتل ونهب، جاء إلى مسجد الكوفة ليضع تدابير مواجهة تحركات العدو وتهيئة أهل الكوفة للجهاد، فخطب في الناس وقال: **يا أهل الكوفة! اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس وإلى جيوش لكم قد أُصيب منها طرف! اخرجوا فقاتلوا عدوكم وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين!**

(قال): فردّوا عليه رداً ضعيفاً ورأى منهم عجزاً وفشلاً، فقال: **والله، لوددت أن لي بكل مائة منكم رجلاً منهم. ويحكم اخرجوا معي ثم فروا عني إن بدا لكم! فوالله ما أكره لقاء ربي على نيتي وبصيرتي وفي ذلك روح لي عظيم وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم ومداراتكم مثل ما تدارى البكار العمدة** (يتجنب ركوب الإبل الصغيرة المفطورة السنام ويتحاشى تحميلها) **والثياب المتهترة كلما خيطت من جانب تهتك على صاحبها من جانب آخر**[٢].

ثم دعا الإمام عليه السلام حجر بن عدي وبعثه في أربعة آلاف إلى الضحاك بن قيس. فخرج حجر بن عدي من الكوفة واتجه صوب "السماوة" والتقى في أرض قبيلة بني كلب بامرئ القيس بن عدي الكلبي. فأطلعه امرؤ القيس على المسالك والطرق، فسار حتى لقي الضحاك بن قيس فوقع قتال

---

(١) "دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري وقال له: سر ... فتقاتلها. فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف جريدة خيل. قال: فأقبل الضحاك يأخذ الأموال ويقتل من لقي من الأعراب حتى مرّ بالثعلبية فأغار خيله على الحاج فأخذ أمتعتهم. ثم أقبل فلقي عمرو بن عميس بن مسعود الذهلي وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فقتله في طريق الحاج عند القطقطانة وقتل معه ناساً من أصحابه". **الغارات**، ج٢، ص٤١٨، غارة الضحاك بن قيس وهزيمته.

(٢) "قال أبوروق: فحدثني أبي أنه سمع علياً عليه السلام وقد خرج إلى الناس وهو يقول على المنبر: يا أهل الكوفة! ... آخر". **الغارات**، ج٢، ص٤١٨، غارة الضحاك بن قيس وهزيمته.

شديد بين الجيشين انتهى بقتل تسعة عشر من رجال الضحاك واثنين من رجال حجر. ففرّ الضحاك من المعركة تحت جنح الليل[١].

---

(١) "دعا حجر بن عدي الكندي من خيله فعقد له ثَم رايةً على أربعة آلاف ثم سرحه. فخرج حتى مر بالسماوة وهي أرض كلب، فلقي بها امرأ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم الكلبي أصهار الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فكانوا أدلاءه على طريقه وعلى المياه. فلم يزل مغذاً في أثر الضحاك حتى لقيه بناحية فواقفه فاقتتلوا ساعة فقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلاً وقتل من أصحاب حجر رجلان ؛ عبدالرحمن وعبد الله الغامدي. وحجز الليل بينهما فمضى الضحاك. فلما أصبحوا لم يجدوا له ولأصحابه أثراً". **الغارات**، ج٢، ص٤٢٥، غارة الضحاك بن قيس وهزيمته.

٢ـ غارة سفيان بن عوف

بعد الضحاك بن قيس، دعا معاوية سفيان بن عوف الغامدي فقال له: **إني باعثك في جيش كثيف [ذي أداة وجلاد] فالزم لي جانب الفرات حتى تمر بهيت فتقطعها. فإن وجدت بها جنداً فأغر عليهم، وإلاّ فامض حتى تغير على الأنبار. فإن لم تجد بها جنداً فامض حتى تغير على المدائن. ثم أقبل إليّ واتق أن تقرب الكوفة. واعلم أنك إن أغرت على [أهل] الأنبار وأهل المدائن فكأنك أغرت على الكوفة. إن هذه الغارات، يا سفيان، على أهل العراق ترهب قلوبهم وتجرئ كل من كان له فينا هوىً [منهم] ويرى فراقهم. وتدعو إلينا كل من كان يخاف الدوائر. وخرِّب كل ما مررت به [من القرى] واقتل كل من لقيت ممن ليس هو على رأيك. واحرب الأموال (انهبها)، فإنه شبيه بالقتل وهو أوجع للقلوب[١].**

بعد أن تلقى التعليمات من معاوية، شرع سفيان بن عوف الغامدي في تجهيز الجيش واستطاع أن يجمع نحو ستة آلاف رجل ويُعدهم للقتال. ثم انطلق بجيشه بمحاذاة الفرات حتى وصل هيت. ثم توجه إلى صفوراء ففرّ أهلها. ووصل أخيراً إلى مدينة الأنبار فقام بمجزرة واسعة ونهب كبير للأموال فانبث الذعر في الناس. وبعد أن نشر الرعب بالغارات الليلية لإضعاف الروح المعنوية في أنصار أمير المؤمنين عليه السلام وحقق الأهداف التي حددها له معاوية، ترك سفيان بن عوف الأنبار وعاد أدراجه إلى الشام. فاستقبله معاوية استقبالاً حافلاً وخيّره في إمارة أية منطقة مدينة يحب، مكافأة له على الجرائم التي ارتكبها وتشجيعاً[٢].

---

(١) "عن سفيان بن عوف الغامدي، قال: دعاني معاوية فقال: إني باعثك ... للقلوب". **الغارات**، ج٢، ص٤٦٤، غارة سفيان بن عوف الغامدي.

(٢) **الغارات**، ج٢، ص٤٦٧، غارة سفيان بن عوف الغامدي.

صدى غارة الأنبار

وصلت أخبار جرائم الأنبار إلى مسامع الإمام عليه السلام. فحزن وأمر الناس بالاستعداد للجهاد والتحرك صوب العدو. ولكن الناس لم يستجيبوا لندائه. فلما رأى الإمام عليه السلام تخاذل أهل الكوفة والعراق سار بنفسه ماشياً إلى النخيلة. فجاءه جماعة من رؤساء القبائل وقالوا له: عد أنت إلى الكوفة وسنتكفل نحن بالمهمة. ولكن الإمام عليه السلام كان يعرف عدم التزامهم بالعهد، فقال لهم: إنكم لا تعينونني ولا تدفعون عن أنفسكم. ولكنه اضطر للعودة إلى داره بإلحاح منهم. وبما أنه لم يكن مسروراً بوعود رؤساء القبائل فقد دعا سعيد بن قيس وبعثه في ثمانية آلاف للتصدي لسفيان بن عوف. ولكن جيش سفيان كان قد فرّ من المنطقة قبل أن يصل إليها جيش سعيد بن قيس[(١)].

(١) "أن سفيان بن عوف لما أغار على الأنبار، قدم علج من أهلها على علي عليه السلام فأخبره الخبر. فصعد المنبر فقال: أيها الناس! إن أخاكم البكري قد أُصيب بالأنبار وهو معتز لا يخاف ما كان، فاختار ما عند الله على الدنيا. فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم. فإن أصبتم منهم طرفاً أنكلتموهم عن العراق أبداً ما بقوا. ثم سكت عنهم رجاء أن يجيبوه أو يتكلموا أو يتكلم متكلم منهم بخير [فلم ينبس أحد منهم بكلمة]. فلما رأى صمتهم على ما في أنفسهم نزل فخرج يمشي راجلاً حتى أتى النخيلة [والناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من أشرافهم] فقالوا: ارجع يا أميرالمؤمنين، نحن نكفيك. فقال: ما تكفونني ولا تكفون أنفسكم. فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله، فرجع وهو واجم كئيب. ودعا سعيد بن قيس الهمداني فبعثه من النخيلة بثمانية آلاف. وذلك أنه أُخبر أن القوم جاؤوا في جمع كثيف، فقال له: إني قد بعثتك في ثمانية آلاف فاتبع هذا الجيش حتى تخرجه من أرض العراق. فخرج على شاطئ الفرات في طلبه حتى إذا بلغ عانات سرح أمامه هانئ بن الخطاب الهمداني فاتبع آثارهم. حتى إذا بلغ أداني أرض قنسرين وقد فاتوه، ثم انصرف". **الغارات**، ج٢، ص٤٧٠، غارة سفيان بن عوف الغامدي.

شكوى أمير المؤمنين عليه السلام من أهل الكوفة

عاد سعيد بن قيس من ساحة الحرب وأخبر أمير المؤمنين عليه السلام بما قام به. وكان الإمام عليه السلام يومئذٍ مريضاً لا يقوى على الحركة. فلما سمع كلام قيس بن سعد (هكذا، والصحيح سعيد بن قيس: م) كتب نصاً وسلمه إلى غلامه سعد ليقرأه على الناس. وذهب بنفسه إلى المسجد بمعية الحسنين عليهما السلام وعبدالله بن جعفر[1]. قرأ سعد الكتاب بصوت قوي وكان أمير المؤمنين عليه السلام يستمع إليه في كتابه، قال الإمام عليه السلام بعد الحمد لله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **بسم الله الرحمن الرحيم. من عبدالله علي إلى من قرئ عليه كتابي من المسلمين. سلام عليكم. أما بعد! فالحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين ولا شريك لله الأحد القيوم وصلوات الله على محمد والسلام عليه في العالمين. أما بعد، فإني قد عاتبتكم في رشدكم حتى سئمت. أرجعتموني بالهزء من قولكم حتى برمت. هزء من القول لا يعاديه، وخطل لا يعز أهله. ولو وجدت بداً من خطابكم والعتاب إليكم ما فعلت. وهذا كتابي يُقرأ عليكم فردوا خيراً وافعلوه، وما أظن أن تفعلوا. فالله المستعان.**

أيها الناس! إن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة [فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرِع الله الحصينة وجنته الوثيقة]. فمن ترك الجهاد في الله ألبسه الله ثوب ذلة وشمله البلاء وضرب على قلبه بالشبهات وديث بالصغار [والقماءة وأُديل الحق منه بتضييع الجهاد] وسيم الخسف ومنع النصف.

---

(١) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأُمه أسماء بنت عميس وهو زوج السيدة زينب الكبرى عليها السلام. وُلد في أيام هجرة المسلمين إلى الحبشة وتوفي بالمدينة سنة ٨٠ للهجرة ودُفن في البقيع. يصفه المرحوم نمازي بأوصاف عظيمة مثل جليل القدر ورفيع الشأن وآية من آيات الصبر والجود والكرم. قيل في صفاته إن أخلاقه كانت شبيهة بأخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم. بلغ من السمو أن اتفق السنة والشيعة على مدحه. يقول فيه المرحوم الخوئي إن منزلته من الرفعة والسمو مما لا يحتاج إلى تعريف أو تمجيد. عبد الله من رواة حديث الغدير وكان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام. نصر الحسين عليه السلام في كربلاء بابنيه عون وجعفر اللذين استشهدا في الواقعة. يقول المرحوم المامقاني إن عبد الله كان معذوراً في عدم المشاركة في واقعة الطف فيبدو أنه كان ضريراً حينها. كان أمير المؤمنين عليه السلام يمنعه مع الحسنين عليهما السلام والعباس بن ربيعة وعبد الله بن عباس من المبارزة الفردية في الحروب ليحفظ أرواحهم. **تنقيح المقال في علم الرجال**، ج٢، ص١٧٣، ترجمة عبد الله بن جعفر، الرقم ٦٧٨٤ ؛ **مستدركات علم رجال الحديث**، ج٤، ص٥٠٠، ترجمة عبد الله بن جعفر، الرقم ٨١٥١ ؛ **معجم رجال الحديث**، ج١٠، ص١٣٧، ترجمة عبد الله بن جعفر، الرقم ٦٧٥١ ؛ **قاموس الرجال**، ج٦، ص٢٨٣، ترجمة عبد الله بن جعفر، الرقم ٤٢٣٨.

ألا وإني قد دعوتكم إلى جهاد عدوكم ليلاًونهاراً وسراً وجهراً، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غُزي قوم قط في عقر دارهم إلاّ ذلوا. فتواكلتم وتخاذلتم [وثقل عليكم قولي فعصيتم واتخذتموه وراءكم ظهرياً] حتى شُنت عليكم الغارات في بلادكم [وملكت عليكم الأوطان].

وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار فقتل بها أشرس بن حسان فأزال مسالحكم عن مواضعها وقتل منكم رجالاً صالحين. وقد بلغني أن الرجل من أعدائكم كان يدخل بيت المرأة المسلمة والمعاهدة فينتزع خلخالها من ساقها ورعثها من أُذنها فلا تمتنع منه. ثم انصرفوا وافرين لم يكلم منهم رجل كلماً. فلو أن امرأً [مسلماً] مات من دون هذا أسفاً ما كان عندي ملوماً، بل كان عندي جديراً.

فيا عجباً عجباً والله يميت القلب ويجلب الهم ويسعر الأحزان من اجتماع هؤلاء على باطلهم وتفرقكم عن حقكم.

فقبحاً لكم وترحاً. لقد صيرتم أنفسكم غرضاً يُرمى ؛ يُغار عليكم ولا تغيرون، وتُغزون ولا تَغزون، ويُعصى الله وترضون، ويقضى إليكم فلا تأنفون.

قد ندبتكم إلى جهاد عدوكم في الصيف فقلتم: هذه حمارة القيظ، أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحر. [وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم: هذه صبارة القر، أمهلنا ينسلخ عنا البرد]. فكل هذا فراراً من الحر والصر [فإذا كنتم من الحر والبرد تفرون] فأنتم، والله، من حرّ السيوف أفرّ. لا، والذي نفس ابن أبي طالب بيده، [عن] السيف تحيدون. فحتى متى؟ وإلى متى؟

يا أشباه الرجال ولا رجال! ويا طغام الأحلام ؛ أحلام الأطفال وعقول ربات الحجال! الله يعلم، لقد سئمت الحياة بين أظهركم. ولوددت أن الله يقبضني إلى رحمته من بينكم. وليتني لم أركم ولم أعرفكم ؛ معرفة، والله، جرّت ندماً وأعقبت سدماً. أوغرتم، يعلم الله، صدري غيظاً وجرعتموني جرع التهمام أنفاساً وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش وغيرها: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب.

لله أبوهم! وهل كان منهم رجل أشدّ مقاساةً وتجربة ولا أطول لها مراساً مني؟ فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، فها أنذا قد زرفت على الستين. ولكن لا رأي لمن لا يطاع[١] في موضع آخر يقول أمير المؤمنين عليه السلام مستشرفاً مستقبل أهل الكوفة: **أما إنكم ستلقون بعدي أثرة يتخذها عليكم الضلال سنة، وفقراً يدخل بيوتكم، وسيفاً قاطعاً. وتتمنون عند ذلك أنكم رأيتموني وقاتلتم معي وقتلتم دوني وكأن قد** (ولكن بعد فوات الأوان)[٢].

استناداً إلى العلم الذي تلقاه من رسول الله صلى الله عليه وآله، كان الإمام عليه السلام يعلم أن بني أُمية سيتسلطون على رقاب المسلمين وسيكون نصيب أهل الكوفة من ظلمهم النصيب الأكبر. يقول عليه السلام في خطبة أُخرى: **إني قد خشيت أن يدال هؤلاء القوم عليكم بطاعتهم إمامهم ومعصيتكم إمامكم، وبأدائهم الأمانة وخيانتكم، وبصلاحهم في أرضهم وفسادكم في أرضكم، وباجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، حتى تطول دولتهم وحتى لا يدَعوا لله محرماً إلاّ استحلّوه، حتى لا يبقى بيت وبر ولا بيت مدر إلاّ دخله جورهم وظلمهم حتى يقوم الباكيان ؛ باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه، وحتى لا يكون منكم إلاّ نافعاً** (هكذا: م) **لهم أو غير ضار بهم، وحتى يكون نصرة أحدكم منهم كنصرة العبد من سيده ؛ إذا شهده أطاعه وإذا غاب عنه سبّه. فإن أتاكم الله بالعافية فاقبلوا وإن ابتلاكم فاصبروا، فإن العاقبة للمتقين**[٣].

بعد كلام الإمام عليه السلام أعلن الحارث بن عبدالله الهمداني الجهاد بأمر الإمام عليه السلام وأبلغ الراغبين بالجهاد بالتجمع في الرحبة. وفي اليوم التالي ذهب أمير المؤمنين عليه السلام الرحبة وانتظر أن يلتحق به الناس. ولكن لم يحضر سوى ثلاثمائة رجل. فتألم الإمام عليه السلام بشدة من تصرف أهل الكوفة واستمر حزنه أياماً وكان بادياً على وجهه وبعد أن تخلف أهل الكوفة أكثر من مرة عن إجابة دعوة الإمام

---

(١) "فلبث علي عليه السلام تُرى فيه الكآبة والحزن حتى قدم عليه سعيد بن قيس. فكتب كتاباً وكان في تلك الأيام عليلاً فلم يطق على القيام في الناس بكل ما أراد من القول. فجلس بباب السدة التي تصل إلى المسجد ومعه الحسن والحسين عليهما السلام وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب. فدعا سعداً مولاه فدفع الكتاب إليه فأمره أن يقرأه على الناس. فقام سعد بحيث يسمع علي قراءته وما يرد عليه الناس، ثم قرأ الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم ... لا يطاع". **الغارات،** ج٢، ص٤٧٢، غارة سفيان بن عوف الغامدي.

(٢) **الغارات،** ج٢، ص٤٨٣، غارة سفيان بن عوف الغامدي.

(٣) "أنه قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: إني ... للمتقين". **الغارات،** ج٢، ص٤٨٣، غارة سفيان بن عوف الغامدي.

عليه السلام إلى جهاد أهل الشام، حضر عليه السلام في مسجد الكوفة مرة أُخرى وقال: **أما بعد أيها الناس! فوالله لأهل مصركم في الأمصار أكثر من الأنصار في العرب، وما كانوا يوم أعطوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يمنعوه ومن معه من المهاجرين حتى يبلغ رسالات ربه إلاّ قبيلتين صغير مولدهما، وما هما بأقدم العرب ميلاداً ولا بأكثرهم عدداً. فلما آووا النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه ونصروا الله ودينه، رمتهم العرب عن قوس واحدة وتحالفت عليهم اليهود وغزتهم اليهود والقبائل قبيلة بعد قبيلة. فتجردوا لنصرة دين الله وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الحبائل وما بينهم وبين اليهود من العهود، ونصبوا لأهل نجد وتهامة وأهل مكة واليمامة وأهل الحزن والسهل. [وأقاموا] قناة الدين وتصبروا تحت أحلاس الجلاد حتى دانت لرسول الله صلى الله عليه وآله العرب ورأى فيهم قرة العين قبل أن يقبضه الله إليه. فأنتم في الناس أكثر من أُولئك في أهل ذلك الزمان من العرب.**

فقام إليه رجل آدم طوال فقال: **ما أنت بمحمد ولا نحن بأُولئك الذين ذكرت، فلا تكلفنا ما لا طاقة لنا به!** فقال له علي عليه السلام: **أحسن سمعاً تحسن إجابة! ثكلتكم الثواكل، ما تزيدونني إلاّ غماً. هل أخبرتكم أني محمد صلى الله عليه وآله وأنكم الأنصار؟ إنما ضربت لكم مثلاً، وإنما أرجو أن تأسوا بهم.**

ثم قام رجل آخر فقال: **ما أحوج أمير المؤمنين [اليوم] ومن معه إلى أصحاب النهروان!** ثم تكلم الناس من كل ناحية ولغطوا. فقام رجل فنادى بأعلى صوته: **استبان فقد الأشتر على أهل العراق. وأشهد أن لو كان حياً لقلّ اللغط ولعلم كل امرئٍ ما يقول.**

فقال عليه السلام لهم: **هبلتكم الهوابل، لأنا أوجب عليكم حقاً من الأشتر. وهل للأشتر عليكم من الحق إلاّ حق المسلم على المسلم؟** فغضب ونزل[1].

---

(١) "ثم أمر الحارث [بن] الأعور الهمداني فنادى في الناس: أين من يشري نفسه لربه ويبيع دنياه بآخرته؟ أصبحوا غداً بالرحبة إن شاء الله ولا يحضرنا إلاّ صادق النية في المسير معنا والجهاد لعدونا. فأصبح بالرحبة نحو من ثلاثمائة. فلما عرضهم قال: لو كانوا ألفاً كان لي فيهم رأي. قال: وأتاه قوم يعتذرون، وتخلف آخرون، فقال: وجاء المعذرون وتخلف المكذبون. قال: ومكث أميرالمؤمنين أياماً بادياً حزنه شديد الكآبة. ثم إنه نادى في الناس فاجتمعوا، فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد .... ونزل". **الغارات**، ج٢، ص٤٧٩، غارة سفيان بن عوف الغامدي.

فقام حجر بن عدي وسعيد بن قيس الهمداني فقالا: **لا يسؤك الله يا أمير المؤمنين. مرنا بأمرك نتبعه. فوالله ما نعظم جزعاً على أموالنا إن نفدت ولا على عشائرنا إن قتلت في طاعتك**[١].

كلام أمير المؤمنين عليه السلام وأجوبة أهل الكوفة عليه يدل على نوعية الناس الذين كان الإمام عليه السلام يتعامل معهم وكم كانوا متمردين عليه. ولا يستبعد ممن تربى على ثقافة الحكام السابقين وشارك في الفتوحات بدوافع دنيوية مادية أن يتمرد على أمير المؤمنين عليه السلام الذي لم يسر بهم على سنة الحكام السابقين بل سار بهم على جادة الحق.

٣ـ هجوم يزيد بن شجرة الرهاوي على مكة

دعا معاوية يزيد بن شجرة الرهاوي فقال له: **إني مسرٌ إليك سراً فلا تطلعن على سري أحداً حتى تخرج من أرض الشام كلها. إني باعثك إلى أهل الله وإلى حرم الله وأهلي وعشيرتي وبيضتي التي انفلقت عني، واليها رجل ممن قتل عثمان وسفك دمه و[في ذلك] شفاء لنا ولك وقربة إلى الله وزلفى. فسر على بركة الله حتى تنزل مكة، فإنك الآن تلاقي الناس هناك بالموسم. فادع الناس إلى طاعتنا واتباعنا، فإن أجابوك فاكفف عنهم واقبل منهم، وإن أدبروا عنك فانبذهم وناجزهم ولا تقاتلهم حتى تبلغهم أني قد أمرتك أن تبلغ عني. فإنهم الأصل والعشيرة وإني لاستبقائهم محب ولاستئصالهم كاره**[٢].

بعد أن تلقى الأوامر من معاوية، غادر يزيد بن شجرة الشام وأرسل الحارث بن نمير التنوخي في مقدمة جيشه. وانطلق هو حتى وصل وادي القرى ثم دخل مكة عن طريق الجحفة في العشرة الأُولى من ذي الحجة.

كان قثم بن العباس والي أمير المؤمنين عليه السلام على مكة، فسمع بتقدم جيش يزيد بن شجرة فخطب بالناس وطلب منهم الاستعداد للجهاد، فلم يستجب له أحد. فقال لهم: علمت من أفعالكم أنكم

---

(١) "فقام .... في طاعتك. فقال لهم: تجهزوا للمسير إلى عدونا". **الغارات**، ج٢، ص٤٨١، غارة سفيان بن عوف الغامدي.

(٢) **الغارات**، ج٢، ص٥٠٤، إرسال معاوية يزيد بن شجرة إلى أهل مكة.

لستم أهل حرب وجهاد. ثم نزل من المنبر ومضى يهيئ أسباب سفره للهرب من مكة. فنصحه أبوسعيد الخدري وحذره من سوء السمعة والخوف من العدو.

وكتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى قثم بن العباس يوصيه بالثبات بوجه جيش الشام. فاقتنع قثم، من كلام أبي سعيد الخدري وكتاب الإمام عليه السلام، بالبقاء في مكة.

في تلك الأثناء وصل يزيد بن شجرة إلى مكة. ونادى مناديه بالناس أنهم آمنون وأنه لا شأن له بهم إلاّ من تعرض له. فذهب جماعة من الحاج إلى قثم بن العباس ويزيد بن شجرة وطلبوا منهما أن يتصالحا. ولكن قثم رفض الفكرة لأنه لم يكن يحسن الظن بأصحابها وكان يعتقد أنها مجرد خدعة وحيلة. ومن جانبه، كان يزيد بن شجرة يتحاشى إراقة دماء المسلمين. فمكث يزيد في مكة زمناً ثم غادرها قبل وصول جيش أمير المؤمنين عليه السلام إليها. فقام قائد جيش الإمام عليه السلام بملاحقتهم وأسر بعضهم. ثم تم تبادل الأسرى. وهكذا انهزم يزيد بن شجرة فعاد أدراجه إلى الشام دون أن يحقق شيئاً[١].

١ـ (ربما ٤ـ: م) هجوم بسر بن أرطاة

علم معاوية من جواسيسه أن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام لا يطيعون إمامهم ولا رغبة لهم في القتال وأن التخاذل بلغ بهم حداً جعلهم يتقاعسون عن القتال حتى في أطراف العراق. فأدرك أن الظروف مواتية لتوجيه الضربة إلى المواضع الخاضعة للإمام عليه السلام. فدعا بسر بن أرطاة وأمره بالزحف صوب المدينة. فذهب بسر بجيشه إلى المدينة ودعا أهلها إلى بيعة معاوية فأجابوه إلى ذلك. ثم قام بإحراق بيوت الشيعة وأنصار أمير المؤمنين عليه السلام. ثم انطلق صوب مكة بعد أن أرعب الناس وحملهم على مبايعة معاوية. ومن مكة انطلق إلى اليمن وكان يقتل كل من وجده في طريقه من شيعة الإمام علي عليه السلام ويستولي على أموالهم[٢].

---

(١) **الغارات**، ج٢، ص٥٠٦، إرسال معاوية يزيد بن شجرة إلى أهل مكة.

(٢) "لما بلغ معاوية تفرق أصحاب علي عليه السلام وتخاذلهم وتركهم إياه وأنه بلغ من أمرهم يندبهم إلى السواد فيأبون، أرسل بسر بن أرطاة إلى المدينة في جيش من أهل الشام. فسار حتى قدمهم فدعا الناس إلى البيعة فأجابوه. وحرق بها دوراً من دور الأنصار=

أما توجهه نحو اليمن فسببه وجود بعض أنصار عثمان في صنعاء كانوا متألمين لمقتله. ورغم أنهم بايعوا علياً عليه السلام، في الظاهر، إلاّ أنهم كانوا يتحينون الفرص لإظهار مخالفتهم له. ولما تمرد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام عليه في العراق واستشهد محمد بن أبي بكر وتصاعدت غارات أهل الشام، امتلك أنصار عثمان في صنعاء الجرأة للمطالبة بدمه. وكان عبيدالله بن عباس والياً على صنعاء من جانب الإمام عليه السلام، فقام بسجن بعض المخالفين. وهذا ما دفع بآخرين إلى الانضمام للمعارضين، فاتسعت رقعة معارضتهم وامتنعوا من دفع الضرائب إلى الدولة[١] بلغت أمير المؤمنين عليه السلام أنباء تمرد أهل اليمن فأرسل رسالة هدد فيها أهل صنعاء وهدد المتمردين بالقمع الشديد وبعث لهم جيشاً بقيادة يزيد بن قيس. فلما سمع أنصار عثمان بزحف جيش أمير المؤمنين عليهم كتبوا إلى معاوية يطلبون منه المساعدة. فدعا بسر بن أرطاة وأمره بالتوجه إلى صنعاء عن طريق المدينة ومكة[٢].

يشير ابن عبدالبر إلى بعض الجرائم التي ارتكبها بسر بن أرطاة في اليمن، فيقول: **أغار بسر بن أرطاة على همدان وقتل وسبى نساءهم، فكنّ أول مسلمات سُبين في الإسلام. وقتل أحياءً من بني سعد**[٣] ويقول أبورباب وأحد أصحابه إن أباذر صلى يوماً صلاة أطال فيها الركوع والسجود ودعا واستجار بالله. وبعد أن فرغ منها، سألته: بم كنت تدعو؟ ومم كنت تستجير بالله؟ فقال: استجرت بالله من "يوم البلاء" و"يوم العورة". فقلت له: وما "يوم البلاء" وما "يوم العورة"؟ فقال أبوذر: **أما يوم**

=وغيرهم من شيعة علي. ثم سار إلى مكة. ثم توجه إلى اليمن لا يمر بقوم يرى أن لهم لعلي رأياً إلاّ قتلهم واستباح أموالهم". **الغارات**، ج٢، ص٥٥٤، خروج عدة من أصحاب علي عليه السلام ولحوقهم بمعاوية.

(١) "كان الذي هاج معاوية على تسريح بسر بن أرطاة إلى الحجاز واليمن أن قوماً بصنعاء كانوا من شيعة عثمان يعظمون قتله لم يكن لهم نظام ولا رأس فبايعوا لعلي على ما في أنفسهم، وعامل علي يومئذٍ على صنعاء عبيدالله بن العباس وعامله على الجند سعيد بن نمران. فلما اختلف الناس على علي بالعراق وقُتل محمد بن أبي بكر بمصر وكثرت غارات أهل الشام تكلموا ودعوا إلى الطلب بدم عثمان [ومنعوا الصدقات وأظهروا الخلاف]. فبلغ ذلك عبيدالله بن العباس فأرسل إلى ناس من وجوههم فقال: ها هذا الذي بلغني عنكم؟ قالوا: إنا لم نزل ننكر قتل عثمان ونرى مجاهدة من سعى عليه. فحبسهم، فكتبوا إلى من بالجند من أصحابهم فثاروا بسعيد بن نمران فأخرجوه من الجند وأظهروا أمرهم. وخرج إليهم من كان بصنعاء وانضم إليهم كل من كان على رأيهم، ولحق بهم قوم لم يكونوا على رأيهم إرادة أن يمنعوا الصدقة". **الغارات**، ج٢، ص٥٩٢، غارة بسر بن أبي أرطاة على المسلمين وعلى أهل الذمة.

(٢) **الغارات**، ج٢، ص٥٩٤، غارة بسر بن أبي (هكذا: م) أرطاة على المسلمين وأهل الذمة.

(٣) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج١، ص٢٤٢، ترجمة بسر بن أرطاة، الرقم ١٧٥.

البلاء فتلتقي فتيان من المسلمين، فيقتل بعضهم بعضاً. وأما يوم العورة فإن نساءً من المسلمين ليُسبين فيكشف عن سوقهن، فأيتهن كانت أعظم ساقاً اشتُريت على عظم ساقها. فدعوت الله ألّا يدركني هذا الزمان، ولعلكما تدركانه. (قال): فقتل عثمان، ثم أرسل معاوية بسر بن أرطاة إلى اليمن، فسبى نساءً مسلمات، فأقمن في السوق[1] ويقول ابن أعثم الكوفي: **وقد قتل** (بسر بن أرطاة) **من الناس بأرض اليمن وغيرها نيفاً عن ثلاثين ألفاً من شيعة علي بن أبي طالب**[2] لما سمع أمير المؤمنين عليه السلام بالجرائم التي ارتكبها بسر بن أرطاة في اليمن وقتله طفلي عبيدالله بن عباس، لعنه وقال: **اللّٰهُمَّ إن بسراً باع دينه بالدنيا، فاسلبه عقله ولا تبق له من دينه ما يستوجب به عليك رحمتك.**

يقول المفسر السني محمد بن أحمد القرطبي: **وكانت له أخبار سوء في جانب علي عليه السلام وأصحابه وهو الذي ذبح طفلين لعبدالله [عبيد الله] بن العباس... فدعا عليه علي عليه السلام أن يطيل الله عمره ويذهب عقله، فكان كذلك**[3].

وبقول الشيخ المفيد والبلاذري والمسعودي وابن الجوزي إن بسر بن أرطاة فقد عقله بعد دعاء الإمام عليه السلام عليه. فكان يؤتى بسيف من خشب صُنع من أجله فما زال يضرب وسادته به حتى يُغمى عليه. وحين يعود إلى وعيه يطلب سيفه مرة أُخرى ويضرب به الوسادة[4].

---

(١) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب،** ج١، ص٢٤٣، ترجمة بسر بن أرطاة، الرقم ١٧٥ ؛ **الوافي بالوفيات،** ج١٠، ص١٣٠، ترجمة بسر بن أرطاة، الرقم ٤٥٩٠.

(٢) ، المجلد الثاني، ص٢٣٦، خبر بسر بن أبي (هكذا: م) أرطاة الفهري وما قتل من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام بأرض اليمن.

(٣) **الجامع لأحكام القرآن،** ج٣، ص٣٩٦، ذيل الآية ٣٨ سورة المائدة.

(٤) "اللّٰهُمَّ إن بسراً باع دينه بالدنيا، فاسلبه عقله ولا تبق له من دينه ما يستوجب به عليك رحمتك. فبقي بسر حتى اختلط، فكان يدعو بالسيف، فاتُخذ له سيفٌ من خشب، فكان يضرب به حتى يُغشى عليه. فإذا أفاق قال: السيف السيف! فيدفع إليه، فيضرب به. فلم يزل ذلك دأبه حتى مات". **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد،** ج١، ص٣٢١، إخباره عليه السلام بالغائبات. "إن بسراً بعد ذلك وسوس وكان يهذي بالسيف، فجُعل له سيف من خشب أو من عيدان. وكانت الوسادة تدنى إليه فيضربها حتى يُغشى عليه. وربما أُدني إليه زقٌّ فيضربه. فلم يزل كذلك حتى مات في خلافة عبدالملك بن مروان". **أنساب الأشراف،** ج٣، ص٢١٦، غارة بسر بن أبي (هكذا: م) أرطاة. "فلما سمع أميرالمؤمنين عليه السلام بقتلهما جزع جزعاً شديداً ودعا على بسر، فقال: اللّٰهُمَّ اسلبه دينه وعقله! فأصابه ذلك وفقد عقله. فكان يهذي بالسيف ويطلبه فيؤتى بسيف من خشب ويُجعل بين يديه زقٌّ منفوخ،

أما المسعودي فيقول، إضافة إلى هذا: **فخرف الشيخ** (بسر بن أرطاة) **حتى ذهل عقله واشتهر فكان لا يفارقه. فجُعل له سيف من خشب وجُعل بين يديه زقٌّ منفوخ يضربه. وكلما تخرّق أُبدل. فلم يزل يضرب ذلك الزق بذلك السيف حتى مات ذاهل العقل يلعب بخرئه** (غائطه)**، وربما كان يتناول منه ثم يقبل على من يراه فيقول: انظروا كيف يطعمني هذان الغلامان ابنا عبيدالله. وكان ربما شُدت يداه إلى وراء منعاً من ذلك. فأنجى ذات يوم في مكانه ثم أهوى بفيه فتناول منه، فبادروا إلى منعه، فقال: أنتم تمنعونني وعبدالرحمن وقثم يطعمانني**[1].

مهما يكن من أمر فإن الإمام عليه السلام، لما سمع بفظائع بسر بن أرطاة، توجه إلى مسجد الكوفة ووبخ الناس فقال: **أما بعد، أيها الناس! فإن أول فرقتكم وبدء نقصكم ذهاب أُولي النهى والرأي منكم الذين كانوا يلقون فيصدقون ويقولون فيعدلون ويدعون فيجيبون. وأنا، والله، قد دعوتكم عوداً وبدءاً وسراً وجهراً وفي الليل والنهار والغدو والآصال، فما يزيدكم دعائي إلاّ فراراً وإدباراً. أما تنفعكم العظة والدعاء إلى الهدى والحكمة؟ وإني لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم. ولكني، والله، لا أُصلحكم بإفساد نفسي. ولكن أمهلوني قليلاً فكأنكم، والله، بامرئ قد جاءكم يحرمكم ويعذبكم فيعذبه الله كما يعذبكم.**

إن من ذل المسلمين وهلاك الدين أن ابن أبي سفيان يدعو الأراذل والأشرار فيجاب، وأدعوكم وأنتم الأفضلون الأخيار فتراوغون وتدافعون. ما هذا بفعل المتقين. إن بسر بن أبي أرطاة وجه إلى الحجاز، وما بسر!؟ لعنه الله لينتدب إليه منكم عصابة حتى تردوه عن شنته. فإنما خرج في ستمائة أو يزيدون.

(قال): فسكت الناس ملياً لا ينطقون. فقال: **ما لكم، أمخرسون أنتم لا تتكلمون؟**

فذكر عن الحارث بن حصيرة عن مسافر بن عفيف قال: قام أبوبردة بن عوف الأزدي فقال: **إن سرت يا أمير المؤمنين سرنا معك.** فقال: **اللّهُمَّ ما لكم؟ لا سددتم لمقال الرشد! أفي مثل هذا ينبغي**

فلايزال يضربه. ولم يزل كذلك حتى مات". **الكامل في التاريخ**، ج٢، ص٤٣٢، حوادث سنة ٤٠، ذكر سرية بسر بن أبي (هكذا: م) أرطاة إلى الحجاز واليمن.

(١) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٣، ص٢٠٠، ذكر أيام الوليد بن عبدالملك بن مروان، عبيدالله بن العباس وبسر بن أرطاة.

لي أن أخرج؟ إنما يخرج في مثل هذا رجل ممن ترضون من فرسانكم وشجعانكم. ولا ينبغي أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق الناس، ثم أخرج في كتيبة أتبع أُخرى في الفلوات وشعف الجبال. هذا، والله، الرأي السوء. والله، لولا رجائي عند لقائهم لو قد حم لي لقاؤهم لقربت ركابي ثم لشخصت عنكم فلا أطلبكم ما اختلف جنوب وشمال. فوالله، إن [في] فراقكم لراحة للنفس والبدن.

فقام إليه جارية بن قدامة السعدي رحمه الله فقال: **يا أمير المؤمنين! لا أعدمنا الله نفسك ولا أرانا الله فراقك. أنا لهؤلاء القوم، فسرحني إليهم!**

قال عليه السلام: **فتجهز! فإنك ما علمت ميمون النقيبة.**

وقام إليه وهب بن مسعود الخثعمي فقال: **أنا أنتدب إليهم يا أمير المؤمنين؟** قال: **فانتدب بارك الله فيك.** ونزل. فدعا جارية بن قدامة فأمره أن يسير إلى البصرة. فخرج منها في ألفين. وندب مع الخثعمي من الكوفة ألفين فقال لهما: **اخرجا في طلب بسر بن أبي أرطاة حتى تلحقاه. فأينما لحقتماه فناجزاه، فإذا التقيتما فجارية بن قدامة على الناس.**

فخرجا في طلب بسر، فخرج وهب بن مسعود من الكوفة ومضى جارية إلى البصرة، فخرج من أرض البصرة فالتقيا بأرض الحجاز فذهبا في طلب بسر[(١)].

بعد انطلاق جارية بن قدامة، أرسل إليه الإمام عليه السلام رساله أوصاه فيها بالتقوى والالتزام بأخلاق الحرب، فقال: **أما بعد، فإني بعثتك في وجهك الذي وجهت له وقد أوصيتك بتقوى الله. وتقوى ربنا جماع كل خير ورأس كل أمر. وتركت أن أُسمي لك الأشياء بأعيانها، وإني أُفسرها حتى تعرفها. سر على بركة الله حتى تلقى عدوك. ولا تحتقرن من خلق الله أحداً. ولا تسخرن بعيراً ولا حماراً، وإن ترجلت وحفيت. ولا تستأثرن أهل المياه بمياههم ولا تشربن من مياههم إلاّ بطيب أنفسهم ولا تسب مسلماً ولا مسلمة ولا تظلم معاهداً ولا معاهدة. وصلّ الصلاة لوقتها، واذكر الله بالليل**

---

(١) **الغارات**، ج٢، ص٦٢٤، قدوم جارية اليمن وإحراقه المرتدين باليمن.

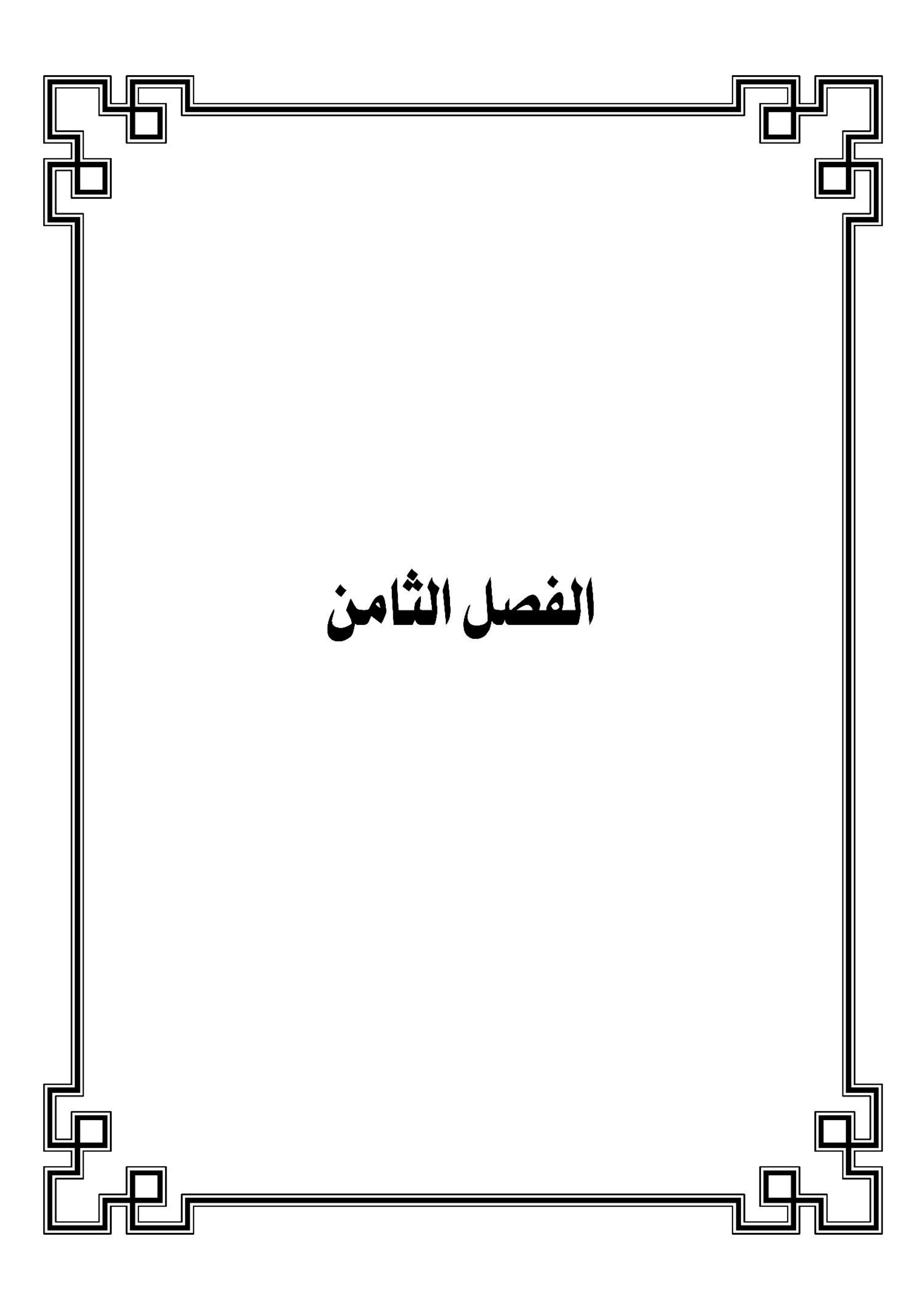
والنهار. واحملوا راجلكم وتآسوا على ذات أيديكم. وأغذ السير حتى تلحق بعدوك فتجليهم عن بلاد اليمن وتردهم صاغرين إن شاء الله[١].

انطلق جارية بن قدامة مسرعاً، عملاً بتوجيهات الإمام عليه السلام، ولم يتعرض لأية مدينة أو حصن، ولم يتوقف إلاّ أحياناً لتوفير المؤونة. وأوصى أصحابه بأن يعتني بعضهم ببعض، فإذا عجزت ناقة أحدهم عن السير فيعطيه رفاقه نوقهم ويتناوبون الركوب. ثم واصل جارية بن قدامة السير حتى وصل اليمن. ولما سمع أنصار عثمان بوصول جيش الإمام عليه السلام، فروا من المدن ولاذوا بالجبال. فقام أصحاب الإمام عليه السلام بمحاصرتهم وقمعهم جميعاً بشدة. ولما سمع بسر بن أرطاة بحملة جارية بن قدامة، هرب من اليمن متوجهاً إلى مكة. وكان لقسوته وحدة مزاجه وإسرافه في سفك الدماء، كلما مرّ ببلدة فرّ أهلها. وقام جارية بن قدامة بمطاردته إلى مكة ولكنه كان قد فرّ من هناك أيضاً. فمكث جارية في مكة حتى استشهد أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

---

(١) **الغارات**، ج٢، ص٦٢٨، كتاب علي [عليه السلام] إلى جارية بن قدامة.

(٢) **الغارات**، ج٢، ص٦٣٢، خروج جارية في أثر بسر وفرار بسر منه.



الفصل الثامن

مصير أهل الكوفة

تغيرت الأوضاع في الكوفة بعد حرب صفين بشدة، فتعرض أهلها إلى فتنة عظيمة، وتنامت الفرقة بينهم. فأصبحوا لا يطيعون أمير المؤمنين عليه السلام كما كانوا يفعلون. وصاروا يختلقون الذرائع للتهرب من محاربة جيش معاوية. وقد حذرهم الإمام عليه السلام مراراً وتكراراً من مغبّة التمرد وعدم القتال. والتاريخ يشهد أنه بعد استيلاء بني أُمية على الحكم، تسلط على أهل العراق والكوفة حكام لا يملكون ذرة من دين أو إنسانية. فصبوا عليهم صنوفاً من البلاء يعجز القلم عن وصفها. ولكي نتعرف قليلاً على أحوال أهل الكوفة في عهد بني أُمية، لابد من تناول خصوصيات بعض من حكموهم.

المغيرة بن شعبة الثقفي

تولى المغيرة بن شعبة حكم الكوفة بعد تصالح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية سنة أربعين للهجرة[١]. وكان يبغض أمير المؤمنين عليه السلام بشدة، لذلك لم يأل جهداً أيام توليه حكم الكوفة في زرع الحقد والبغض للإمام علي عليه السلام في قلوب الناس.

يقول أبوجعفر الإسكافي: **وكان المغيرة بن شعبة يلعن علياً عليه السلام لعناً صريحاً على منبر الكوفة. وكان بلغه عن علي عليه السلام في أيام عمر أنه قال: لئن رأيت المغيرة لأرجمنه بأحجاره، فكان يبغضه لذلك ولغيره من أحوال اجتمعت في نفسه**[٢]. حتى اعترض عليه بعض الصحابة أمثال زيد بن أرقم[٣].

---

(١) "فلما قتل علي وصالح معاوية الحسن ودخل الكوفة ولاّه عليها". **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، ج١٨، ص٣٠٨، ترجمة المغيرة، الرقم ٦٧٢٦.

(٢) **شرح نهج البلاغة**، ج٤، ص٦٩، ذيل الخطبة ٥٤، فصل في ذكر الأحاديث الموضوعة في ذمّ علي عليه السلام.

(٣) "أن المغيرة بن شعبة سبّ علي بن أبي طالب، فقام إليه زيد بن أرقم فقال: يا مغيرة! ألم تعلم أن رسول الله نهى عن سبّ الأموات؟ فلم تسبّ علياً وقد مات؟". **المستدرك على الصحيحين**، ج١، ص٥٤١، كتاب الجنائز، الحديث ١٤١٩ ؛ **المسند**، ج٤، ص٣٦٩، حديث زيد بن أرقم.

وكان يشتم الإمام علياً عليه السلام في خطب صلاة الجمعة وصلاة العيد وفي جميع خطبه ويأمر الخطباء الذين عينهم بأن يسبوا الإمام[١].

زياد بن أبيه

كان زياد بن أبيه من أقسى من حكم الكوفة وأكثرهم إجراماً، حكمها من سنة ٤٩ حتى سنة ٥٣ هجرية. ويكفي لتقريب درجة قسوته إلى ذهن القارئ أن نذكر أن الحجاج بن يوسف الثقفي، المشهور بوحشيته وكثرة سفكه للدماء، كان يتخذه مثلاً أعلى[٢]، وكانت قسوته تجاه شيعة أمير المؤمنين عليه السلام أضعاف قسوة الحجاج. فحال استلامه حكم الكوفة قام بقطع أيدي ثمانين شخصاً من أهلها، وكان ينوي إرغام الناس على سبّ الإمام عليه السلام ولعنه وقتل من يخالفه في ذلك وهدم داره. لذا أمر فجمع الناس في مسجد الكوفة وحوله حتى امتلأ المسجد. ولكنه قبل أن ينفذ مجزرة أُخرى في أهل الكوفة، أصابه الله بالطاعون وأهلكه به[٣].

---

(١) "كان المغيرة ينال في خطبته من علي. وأقام خطباء ينالون منه". **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص٣١، ترجمة المغيرة، الرقم ٧ ؛ **المسند**، ج١، ص١٨٨، مسند سعيد بن زيد وج٤، ص٣٦٩، حديث زيد بن أرقم.

(٢) "كان للحجاج في القتل وسفك الدماء والعقوبات غرائب لم يسمع بمثلها... إلاّ أنه أسرف وتجاوز الحد وأراد الحجاج أن يتشبه بزياد فأهلك ودمر". **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج٢، ص٣١، ترجمة الحجاج بن يوسف، الرقم ١٤٩.

(٣) "روى أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي في كتاب المنتظم أن زياداً لما حصبه أهل الكوفة وهو يخطب على المنبر قطع أيدي ثمانين منهم وهمّ أن يخرب دورهم ويجمر نخلهم فجمعهم حتى ملأ بهم المسجد والرحبة يعرضهم على البراءة من علي عليه السلام وعلم أنهم سيمتنعون فيحتج بذلك على استئصالهم وإخراب بلدهم. قال عبدالرحمن بن السائب الأنصاري: فإني لمع نفر من قومي والناس يومئذٍ في أمر عظيم، إذ هوّمت تهويمة، فرأيت شيئاً أقبل طويل العنق مثل عنق البعير أهدر أهدل، فقلت: ما أنت؟ فقال: أنا النقاد ذو الرقبة، بعثت إلى صاحب هذا القصر. فاستيقظت فزعاً فقلت لأصحابي: هل رأيتم ما رأيت؟ قالوا: لا. فأخبرتهم، وخرج علينا خارج من القصر، فقال: انصرفوا، فإن الأمير يقول لكم: إني عنكم اليوم مشغول. وإذا بالطاعون قد ضربه، فكان يقول: إني لأجد في النصف من جسدي حرّ النار، حتى مات". **شرح نهج البلاغة**، ج٣، ص١٩٩، ذيل الخطبة ٤٧، من كلام له عليه السلام في ذكر الكوفة ؛ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، ج٣٣، ص٢١٤، الباب السابع عشر، باب ما ورد في معاوية وعمرو بن العاص وأوليائهما وقد مضى بعضها في باب مثالب بني أُمية.

روى ابن أبي الحديد عن ابن الجوزي أنه "كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته"(١) فانطلق المنادون في المدن يبلغون الناس بأن السلطة تحرم من حمايتها كل من روى فضيلة لعلي أو أحد من أهل بيته(٢).

وبعد ابلاغ المدن بهذا الأمر، واجه أهل الكوفة أشد المصائب ؛ لأن هذه المدينة كانت تضم أكثر محبي أمير المؤمنين عليه السلام، وكان واليها القاسي السفاح زياد الذي كان يعرف شيعة أمير المؤمنين عليه السلام جيداً لأنه سبق أن كان أحد عمال الإمام عليه السلام. لقد نفذ زياد عملية إبادة في الكوفة. إذ كان يسعى لتغيير الصبغة الثقافية للمنطقة عن طريق القضاء التام على محبي أمير المؤمنين عليه السلام. لذا قام بملاحقة الشيعة تحت كل شجر ومدر والتعامل معهم بأشد ما أُوتي من قسوة ؛ فكان يقطع أطرافهم ويفقأ عيونهم بالحديد المحمي ويصلبهم على جذوع النخل. ونجح في إفراغ العراق من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وتشريدهم بحيث لم يبق في العراق شيعي معروف(٣).

وذاع صيت قسوة زياد ووحشيته بحيث انه لما ضمّ إليه معاوية ولاية المدينة، اجتمع أهل المدينة صغاراً وكباراً عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ولاذوا به ثلاثة أيام يتوسلون إلى الله ضاجين بالبكاء ليدفع عنهم شر زياد ؛ لأنهم كانوا يعرفون جيداً أنه لو تسلط على المدينة فسيقمعهم بأشد ما يكون. فاستجاب الله دعاء أهل المدينة فأصاب زياداً ببثرة في يده حكها فسرت فمات من أثرها(٤).

---

(١) **شرح نهج البلاغة**، ج١١، ص٤٤، ذيل الخطبة ٢٠٣.

(٢) **الاحتجاج على أهل اللجاج**، ج٢، ص٨٣، علل اشتهار الأحاديث الباطلة ومتروكية الأحاديث الحقة.

(٣) "كان أشد الناس بلاءً حينئذٍ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام. فاستعمل عليها زياد بن سمية وضم إليه البصرة. فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام فقتلهم تحت كل شجر ومدر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم". **شرح نهج البلاغة**، ج١١، ص٤٤، ذيل الخطبة ٢٠٣.

(٤) "قد كان كتب إلى معاوية أنه قد ضبط العراق بيمينه وشمالُه فارغة. فجمع له الحجاز مع العراقين، واتصلت ولايته بأهل المدينة. فاجتمع الصغير والكبير بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وضجوا إلى الله ولاذوا بقبر النبي صلى الله عليه وآله ثلاثة أيام لعلمهم بما هو عليه من الظلم والعسف. فخرجت في كفه بثرة ثم حكها ثم سرت واسودّت فصارت آكلة سوداء، فهلك بذلك". **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٣، ص٣٢، موت زياد.

عبيدالله بن زياد

كان عبيدالله بن زياد واحداً من أقسى وأظلم حكام الكوفة. يقول عنه الذهبي إنه كان، قبل أن يستولي، جباناً، وحين استولى ظالماً. وقال الحسن البصري: "قدم علينا عبيدالله، أمره معاوية، غلاماً سفيهاً، سفك الدماء سفكاً شديداً". وقال في موضع آخر: وكان عبيدالله جباناً"[١].

يعتبره الحسن البصري فاسداً فاسقاً ويقول عنه: لم نر أسوأ منه. أُتي بأحد أشراف العرب فأدناه من نفسه وأخذ يضربه بالعصا على وجهه حتى كسر أنفه وشق وجنتيه فتطاير لحم وجهه وكسر العصا على رأسه. كما يروى أن عبيدالله غضب على رجل فأمر بأن يبنى أحد أعمدة القصر عليه. كان يذبح النساء في مجلسه ويتلذذ بتقطيع أوصالهن. لقد عاش والعراقيون ساخطون عليه وأهل الحجاز يرونه ذليلاً[٢].

---

(١) "عن الحسن قال: قدم .... جباناً". **سير أعلام النبلاء**، ج٣، ص٥٤٥، ترجمة عبيدالله بن زياد بن أبيه، الرقم ١٤٥.

(٢) **الإمام الحسين في مكة المكرمة**، ص١٤١.

الحجاج بن يوسف الثقفي

كان الحجاج بن يوسف أحد حكام العراق الذين ذاعت أخبار إجرامهم حتى صارت حديث الناس. يقول الذهبي إنه حكم المنطقة عشرين سنة، وكان من الخسة بحيث قيل في لهوه وما كان يشتهي: "كان الحجاج لا يصبر عن سفك الدماء، وكان يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته إراقته للدماء"[(١)] فبعد أن تولى حكم العراق، دخل مسجد الكوفة فخاطب الناس قائلاً: **والله يا أهل الكوفة والعراق! إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها. وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى**[(٢)]. قتل الحجاج في فترة حكمه نحو ١٢٠٠٠٠ شخصاً[(٣)] وكانت سجونه مصممة بحيث يكون الرجال والنساء معاً، وكانت عارية من السقوف التي تقي السجناء البرد والحر وحرارة الشمس في الصيف والمطر في الشتاء. هذا وقد بلغ نزلاء سجونه في فترة حكمه ١٢٠٠٠ سجيناً[(٤)].

خالد بن عبدالله القسري

كان خالد بن عبدالله القسري أحد عمال بني أُمية وبني مروان، لم يتورع عن فعل أي شيء يقربه منهم ويكسبه رضاهم. عينه الوليد بن عبدالملك والياً على مكة سنة ٨٩ هجرية. وفي سنة ١٠٦ هجرية أسند إليه هشام بن عبدالملك حكم العراق. خدم خالد هشاماً ودولته حتى سنة ١٢٥ هجرية.

---

(١) **حياة الحيوان**، ج١، ص١٩٤، باب تاء المثناة، التيس.

(٢) "قال: والله ... واللحى". **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج٢، ص٣٣، ترجمة الحجاج بن يوسف، الرقم ١٤٩.

(٣) **معجم البلدان**، ج٥، ص٣٤٩، حرف الواو، باب الواو والألف وما يليهما ؛ **حياة الحيوان**، ج١، ص١٩٨، باب التيس.

(٤) "لم يكن لحبسه سقف يستر الناس من الشمس في الصيف ولا من المطر في الشتاء. بل كان حوشاً مبنياً بالرخام". **حياة الحيوان**، ج١، ص١٩٨، باب التيس.

قام خالد بن عبدالله ببناء كنيسة لأُمه[(١)]، فكان ذلك دليلاً على عدم اعتقاده بنبي الإسلام ﷺ والدين الإسلامي المبين وتعاليمه السامية.

"ذكر المبرد في الكامل أن خالد بن عبدالله القسري لما كان أمير العراق في خلافة هشام كان يلعن علياً عليه السلام على المنبر، فيقول: **اللّهُمَّ العن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم صهر رسول الله على ابنته وأبا الحسن والحسين،** ثم يقبل على الناس فيقول: **هل كنيت؟** (هل قلت بالكناية لا بالتصريح؟)"[(٢)].

يقول الطبري وابن الأثير: "خالد الذي يهدم المساجد ويبني البيع والكنائس ويولّي المجوس على المسلمين وينكح أهل الذمة المسلمات"[(٣)].

لم يتورع خالد بن عبدالله عن القيام بأي شيء من أجل إظهار الموالاة للمروانيين وخطب ودهم، حتى أنه كان على استعداد لهدم الكعبة ابتغاء مرضاتهم. فعندما لامه الناس على إلقاء القبض على صاحب رسول الله ﷺ سعيد بن جبير وإرساله إلى الحجاج، لم يُظهر الندم على فعلته بل قال للناس: **كأنكم أنكرتم ما صنعت!؟ والله لو كتب إليّ أمير المؤمنين** (عبدالملك بن مروان) **لنقضتها حجراً حجراً،** يعني الكعبة[(٤)].

---

(١) "كانت أُم خالد رومية نصرانية، فبنى لها كنيسة في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة. فكان إذا أراد المؤذن في المسجد أن يؤذن، ضرب لها بالناقوس. وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم". **الأغاني**، ج٢٢، ص٢٠، أخبار خالد بن عبد الله القسري.

(٢) **شرح نهج البلاغة**، ج٤، ص٥٧، ذيل الخطبة ٥٦، فصل فيما روي من سب معاوية وحزبه لعلي عليه السلام.

(٣) **تاريخ الطبري**، ج٤، ص١٧٦، حوادث سنة ١١٩ هجرية ؛ **الكامل في التاريخ**، ج٣، ص٣٦٠، حوادث سنة ١١٩ هجرية، ذكر خبر الخوارج هذه السنة.

(٤) "لما أخذ خالد بن عبد الله سعيدَ بن جبير وطلق بن حبيب، خطب فقال: كأنكم .... الكعبة". **سير أعلام النبلاء**، ج٥، ص٤٢٩، ترجمة خالد بن عبد الله، الرقم ١٩١. "لو أمرني أمير المؤمنين نقضت الكعبة حجراً حجراً ونقلتها إلى الشام". **الأغاني**، ج٢٢، ص٢٢ و٢٣، خالد بن عبد الله القسري، أخبار عن زندقته. "وخطب بمكة وقد أخذ بعض التابعين فحبسه في دور آل الحضرمي، فأعظم الناسُ ذلك وأنكروه، فقال: قد بلغني ما أنكرتم من أخذي عدو أمير المؤمنين ومن حاربه! والله لو أمرني أمير المؤمنين أن أنقض هذه الكعبة حجراً حجراً لنقضتها. والله، لأمير المؤمنين أكرم على الله من أنبيائه". **الأغاني**، ج٢٢، ص٢٣، خالد بن عبد الله القسري، تطاوله على الخلافة والنبوة.

يوسف بن عمر الثقفي

كان يوسف بن عمر أحد أُمراء بني أُمية، حكم الكوفة من سنة ١٢١ إلى سنة ١٢٧ هجرية(١). ويبدو أنه ورث القسوة والتوحش من قريبه الحجاج بن يوسف الثقفي.

يقول الزركلي أن يوسف بن عمر سار على نهج الحجاج في حكمه من حيث القسوة وسفك الدماء(٢). يقول الذهبي: كان يوسف بن عمر جباراً ظالماً شديد الجور(٣).

وكان ظلمه في حق بني هاشم وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام أكثر من ظلمه لباقي الناس. وفي فترة حكمه للكوفة، كان يلاحق محبي بني هاشم وآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويسجنهم(٤).

بلغ حقد يوسف بن عمر لبني هاشم حداً دفعه إلى أن يحرّض هشام بن عبدالملك على زيد بن علي، فكتب إليه يقول: **إن أهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً حتى كانت همة أحدهم قوت يومه. فلما ولي خالد** (بن عبدالله القسري) **العراق قوّاهم بالأموال حتى تاقت أنفسهم إلى طلب الخلافة**(٥).

بالرغم من أنه يبدو أن غاية يوسف بن عمر من هذه الرسالة التعريض بغريمه القديم في العراق خالد بن عبدالله القسري، بكلام لا تؤيده الشواهد التاريخية عن حسن معاملته لبني هاشم، فإنه مع ذلك كشف عن عداوته لبني هاشم.

هذا وقد وبلغ خبث يوسف بن عمر وقسوته الذروة في استشهاد زيد بن علي. فلما ثار زيد بن علي على الأُمويين في الكوفة، قام يوسف بن عمر بقمع ثورته وقتله، واستخرج جسده من قبره الذي

---

(١) **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج٧، ص١٠١، ترجمة يوسف بن عمر الثقفي، الرقم ٨٤٣.

(٢) **الأعلام**، ج٢، ص٢٤٣، ترجمة يوسف بن عمر الثقفي.

(٣) **سير أعلام النبلاء**، ج٥، ص٤٤٢، ترجمة يوسف بن عمر الثقفي، الرقم ١٩٧.

(٤) "فكان يوسف بن عمر لا يدع أحداً يعرف بموالاة بني هاشم ومودة أهل بيت رسول الله إلاّ بعث إليه فحبسه عنده بواسط". **الأخبار الطوال**، ص٤٩٢، أخبار هشام بن عبدالملك.

(٥) "قال الهيثم بن عدي: وخرج زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب على يوسف بن عمر، فكتب يوسف إلى هشام: إن أهل ... الخلافة". **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج٧، ص١٠٦، الرقم ٨٤٣.

دفن فيه سراً وأرسل رأسه إلى هشام بن عبدالملك وصلب جسده عارياً. وبعد فترة قام بحرق جسده بأمر هشام بن عبدالملك وذرو رماده في الرياح[١].

يبدو أن جذور قسوة يوسف بن عمر تستقي من عقده النفسية وشعوره بالنقص. فنظراً إلى أنه كان بالغ النحافة قصير القامة، فقد كان دائم الشعور بالصغار والدونية. يقال إنه إذا قال له الخياط إن القماش الذي جلبه لا يكفي ولا يتناسب مع طوله، كان يكرمه ويحسن إليه. أما إذا قال الخياط إن القماش أطول من المطلوب ولابد من تقصيره، فإنه كان يغضب عليه[٢].

---

(١) "حاربه يوسف بن عمر الثقفي، فلما قامت الحرب انهزم أصحاب زيد وبقي في جماعة يسيرة، فقاتلهم أشد قتال... حال المساء بين الفريقين فراح زيد مثخناً بالجراح وقد أصابه سهم في جبهته. فطلبوا من ينزع النصل، فأُتي بحجام من بعض القرى، فاستكتموه أمره، فاستخرج النصل فمات من ساعته. فدفنوه في ساقية ماء وجعلوا على قبره التراب والحشيش وأُجري الماء على ذلك. وحضر الحجام مواراته فعرف الموضع. فلما أصبح، مضى إلى يوسف متنصحاً فدله على موضع قبره. فاستخرجه يوسف وبعث برأسه إلى هشام. فكتب إليه هشام أن: اصلبه عرياناً، فصلبه يوسف كذلك... وبنى تحت خشبته عموداً. ثم كتب هشام إلى يوسف يأمره بإحراقه وذروه في الرياح". **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٤، ص٢٥٢، ذكر أيام هشام بن عبدالملك، استشهاد زيد بن علي.

(٢) "كان الخياط إذا أراد أن يفصل ثيابه، فإن قال: يحتاج إلى زيادة ثوب آخر، أكرمه وحباه. وإن فضل شيءٌ أهانه وأقصاه، لأنه يكون قد نبّه على قصره ودمامته". **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج٧، ص١٠٩، ترجمة يوسف بن عمر الثقفي، الرقم ٨٤٣.

الظروف القاسية التي مرّ بها الشيعة في عصر الأُمويين

يقول الإمام الباقر عليه السلام في وصف الظروف الصعبة في عصر بني أُمية: **... لا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا. ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغّضونا إلى الناس. وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام. فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة. وكان من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره. ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيدالله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة وأخذهم بكل ظنة وتهمة، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة علي، وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير ولعله يكون ورعاً صدوقاً يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أنها حق لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب ولا بقلة ورع**[1].

بعد أن يقدم المدائني مقدمة حول أمر معاوية بسب أمير المؤمنين عليه السلام ووضع الروايات عن الخلفاء والتضييق على الشيعة، يقول عن الظروف التي كانت مهيمنة على الكوفة والعراق في عصر بني أُمية: **فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما بالكوفة. حتى أن الرجل من شيعة علي عليه السلام ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه. ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه. فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ... فلم يزل الأمر كذلك حتى مات** (استشهد) **الحسن بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة. فلم يبق أحد من هذا القبيل إلاّ وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض. ثم تفاقم الأمر بعد مقتل الحسين عليه السلام. وولي عبدالملك بن مروان فاشتد على الشيعة. وولّى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي عليه السلام وموالاة أعدائه وموالاة من يدّعي من الناس أنهم أيضاً أعداؤه.**

---

(١) **شرح نهج البلاغة**، ج١١، ص٤٣، ذيل الخطبة ٢٠٣، ذكر بعض ما مني به آل البيت من الأذى.

فأكثروا في الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم. وأكثروا من الغض من علي عليه السلام وعيبه والطعن فيه والشنآن له. حتى أن إنساناً وقف للحجاج، ويقال أنه جد الأصمعي عبدالملك بن قريب، فصاح به: يا أمير! إن أهلي عقّوني فسموني علياً، وإني فقير بائس وأنا إلى صلة الأمير محتاج. فتضاحك له الحجاج وقال: للطف ما توسلت به قد وليتك موضع كذا[1].

---

(١) **شرح نهج البلاغة**، ج١١، ص٤٥، ذيل الخطبة ٢٠٣، ذكر بعض ما مني به آل البيت من الأذى والاضطهاد.

خلاصة واستنتاج

تعتبر حرب صفين من الحوادث المؤسفة التي غيّرت معالم الدولة الإسلامية. فقد أدت إلى استشهاد الكثير من خلّص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الذين كانوا يمثلون أقطاب الجيش العراقي. بينما رفض آخرون التحكيم، رغم أنهم هم الذين كانوا فرضوه على الإمام عليه السلام، واعتبروا القبول به ذنباً يستلزم التوبة. فوقفوا بوجه أمير المؤمنين عليه السلام وتسببوا في وقوع معركة النهروان التي أدت إلى هلاك أغلب الخوارج.

هذان العاملان نتج عنهما ضعف شديد أصاب جيش العراق بعد صفين. ولما رأى أمير المؤمنين عليه السلام أن التحكيم أدى إلى نتائج مخالفة للاتفاق بين الطرفين، دعا العراقيين إلى استئناف قتال أهل الشام. ولكن اللحمة الأساسية لجيشه كانت قد تفككت، فأصبح الإمام عليه السلام أمام أُناس مفتونين متخاذلين يفتقر أغلبهم إلى الدافع إلى القتال. في الجانب الآخر، علم معاوية بتصدع أركان الدولة المركزية وتمرد الناس على إمامهم عليه السلام، فوجد الفرصة مواتية للتعرض لأطراف دولة أمير المؤمنين عليه السلام. فوقعت جرائم كبيرة على هذا الأساس في تلك الفترة من قبل أيادي معاوية. وكانت النتيجة أن أخذت الجبهة الأُموية بالاستقواء يوماً بعد يوم، وتنامى أملها في بسط سلطتها على جميع البلدان الإسلامية. واستمرت التحولات حتى استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام وبدء إمامة الإمام الحسن عليه السلام. حينئذٍ قام معاوية بعملين متزامنين لتقوية جانبه على حساب الجانب الآخر. فمن ناحية، حاول بث الرعب في صفوف المحسوبين على أنصار الإمام الحسن عليه السلام من ضعاف الإرادة المتخاذلين. وحاول، من ناحية أُخرى، أن يوظف المال في استدراج بعض المقربين من الإمام عليه السلام. وكانت النتيجة أن لاحظ الإمام عليه السلام قلة ناصريه، فاضطر إلى الموافقة على كتاب الصلح الذي كان بعثه إليه معاوية. لقد اضطر إلى ذلك صوناً لأرواح ما تبقى من الشيعة. غير أن معاوية لم يلتزم بأي بند من بنود المعاهدة.

لو كان العراقيون على بصيرة من أمرهم حين كان أمير المؤمنين عليه السلام حياً بينهم، ولم يُخدعوا بتلك السهولة بحيلة عمرو بن العاص ولا بالظاهر المخادع لأهل الشام، لما حدث أي من الحوادث

المذكورة. ولكن المؤسف المؤلم أن مصير العالم الإسلامي كان بيد مجموعة من عبيد الدنيا ضعاف النفوس المتمردين ... وهكذا حكمت الشجرة الملعونة المسلمين نحواً من قرن كامل فأراقوا ما استطاعوا من دمائهم وحرّفوا ما أرادوا من الحقائق والعلوم الإسلامية.

نجم الدين الطبسي

١ ذي القعدة ١٤٤٠هـ

قم المقدسة

مؤسسة ولاء الصديقة عليها السلام.

المصادر والمراجع

- القرآن
- نهج البلاغة

ـ الاحتجاج، الطبرسي، أحمد بن علي، (حوالي ٥٢٠هـ ق)، مطابع النعمان، مع تعليقات السيد محمدباقر الخرسان، ١٣٨٦هـ ق، النجف، العراق.

ـ أحكام القرآن، الجصاص، أحمد الرازي، دار الفكر، ١٤٢٨هـ ق، بيروت، لبنان.

ـ الأخبار الطوال، الدينوري، أبوحنيفة أحمد بن داود، (٢٨٢هـ ق)، تحقيق: د. عصام محمد الحاج علي، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠١٢م، بيروت.

ـ الاختصاص، الشيخ المفيد، أبوعبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، (٤١٣هـ ق)، المحقق: علي أكبر غفاري والسيد محمود زرندي، منشورات جامعه مدرسين، بدون تاريخ، قم، إيران.

ـ اختيار معرفة الرجال، المعروف بالكشي، أبوجعفر محمد بن حسن الطوسي، (٤٦٠هـ ق)، المصحح: حسن مصطفوي، مطبعة جامعة مشهد، ١٣٨٤هـ ش، مشهد، إيران.

ـ إرشاد القلوب المنجي من عمل به من أليم العذاب، الديلمي حسن ين أبي الحسن، (من أعلام القرن الثامن الهجري القمري)، تحقيق: السيد هاشم الميلاني، منشورات أُسوة، ط٣، سنة ١٤٢٦هـ ق، طهران، إيران.

ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبوعبدالله محمد بن النعمان، (٤١٦هـ ق)، تحقيق: مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد، ط٢، سنة ١٤١٤هـ ق، بيروت، لبنان.

ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبدالبر، جمال الدين أبوعمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر عاصم النمري القرطبي المالكي، (٤٦٣هـ ق)، تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ ق، بيروت لبنان.

ـ أُسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير الجزري الشافعي، عزالدين أبوالحسن علي بن أبي الكرم، (٦٣٠هـق)، تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٩هـق، بيروت، لبنان.

ـ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني الشافعي، شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن علي، (٨٥٢هـق)، المحقق: أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط٤، ٢٠١٠م، بيروت، لبنان.

ـ الأُصول الستة عشر من الأُصول الأولية، جليلي، نعمت الله، غلامعلي، مهدي، مؤسسة دار الحديث، ١٣٨١ش، قم، إيران.

ـ اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروف برحلة ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير، (٦١٤هـق)، دار الكتب العلمية، المحقق: إبراهيم شمس الدين، ط١، ١٤٢٤هـق، بيروت، لبنان.

ـ إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي، أمين الإسلام، مؤسسة آل البيت، ١٤١٧هـق، قم، إيران.

ـ الأعلام، الزركلي، خيرالدين، (١٤١٠هـق)، دار العلم للملايين، ط١٧، ٢٠٠٧م، بيروت، لبنان.

ـ الأغاني، أبوالفرج الإصبهاني، علي بن حسين بن محمد، (٣٥٦هـق)، المحقق: علي مهنّا وسمير جابر، دار الفكر، بدون تاريخ، بيروت، لبنان.

ـ الأمالي، السيد المرتضى، أبوأحمد الحسين، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٣هـق، قم، إيران.

ـ الأمالي، الشيخ الطوسي، أبوجعفر محمد بن الحسن، (٤٦٠هـق)، دار الثقافة، ط١، ١٤١٤هـق، قم، إيران.

ـ الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، أبومحمد عبدالله بن مسلم، (٢٧٦هـق)، منشورات الشريف الرضي، ١٣٨٨هـق، قم، إيران.

ـ أنساب الأشراف، البلاذري، أبوجعفر أحمد بن يحيي بن جابر، (٢٧٩هـ ق)، المحقق: د. سهيل زكار ود. رياض الزركلي، دار الفكر، ط١، ١٤١٧هـ ق، بيروت، لبنان.

ـ بخارى وناصبى گرى، بلقان آبادي، حسن، منشورات دليل ما، ط١، ١٣٩٧هـ ش، قم، إيران.

ـ البداية والنهاية، ابن كثير، عمادالدين أبوالفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي الشافعي، (٧٧٤هـ ق)، المحقق: أحمد أبوملحم وعلي نجيب عطوي وفؤاد السيد ومهدي ناصرالدين وعلي عبدالستار، دار الكتب العلمية، ط٥، ١٤٠٩هـ ق، بيروت، لبنان.

ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، أبوعبدالله محمد بن أحمد، (٧٤٨هـ ق)، المحقق: د. عمر عبدالسلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٠هـ ق، بيروت، لبنان.

ـ تاريخ الأُمم والملوك، المعروف بتاريخ الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، (٣١٠هـ ق)، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٨هـ ق، بيروت، لبنان.

ـ تاريخ الخلفاء، السيوطي الشافعي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، (٩١١هـ ق)، المحقق: د. محمد كمال الدين عزّالدين علي، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٣هـ ق، بيروت، لبنان.

ـ تاريخ المدينة المنورة، ابن شبّة، أبوزيد عمر بن شبّة النميري البصري، (٢٦٢هـ ق)، المحقق: فهيم محمد شلتوت، دار الفكر، ١٤١٩هـ ق، بيروت، لبنان.

ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، (٢٨٤هـ ق)، دار صادر، بيروت لبنان.

ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام، الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، (٤٦٣هـ ق)، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ، بيروت، لبنان.

ـ تاريخ خليفة بن خياط، (٢٤٠هـ ق)، دار الكتب العلمية، المحقق: مصطفى نجيب فوّاز، ط١، ١٤١٥هـ ق، بيروت، لبنان.

ـ تاريخ دمشق الكبير، ابن عساكر، أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي الشافعي، (٥٧١هـ ق)، المحقق: علي عاشور الجنوبي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢١هـق، بيروت، لبنان.

ـ تحفة الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار، الطبري، عماد الدين، ميراث مكتوب، ١٣٧٦ش، طهران، إيران.

ـ تذكرة الخواص، سبط بن الجوزي، أبومظفر يوسف بن قزعلي البغدادي، (٦٥٤هـق)، مؤسسة أهل البيت، ١٤٠١هـق، بيروت، لبنان.

ـ التعجب من أغلاط العامة في مسألة الإمامة، الكراجكي، أبوالفتح، (٤٤٩هـق)، تحقيق: فارس حسون كريم، [برمجيات soft ware] مكتبة أهل البيت.

ـ تفسير القمي، القمي، علي بن إبراهيم، تصحيح: السيد طيب الموسوي الجزائري، منشورات مكتبة الهدى، ١٣٨٧هـق، النجف، العراق.

ـ تفسير العياشي، أبونصر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي، تحقيق: السيد هاشم رسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، إيران.

ـ التنبيه والإشراف، المسعودي، علي بن الحسين، دار الصاوي، القاهرة، مصر.

ـ تنقيح المقال في علم الرجال، المامقاني، عبدالله، (١٣٥١هـق)، المطبعة المرتضوية، ١٣٥٢هـق، الطبعة الحجرية، النجف الأشرف، العراق.

ـ تنقيح المقال في علم الرجال، المامقاني، عبدالله، (١٣٥١هـق)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط١، ١٤٢٦هـق، قم، طهران.

ـ تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني الشافعي، شهاب الدين أبوالفضل أحمد بن علي، (٨٥٢هـ ق)، دار الفكر، ط١، ١٤٠٤هـق، بيروت، لبنان.

ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزّي، جمال الدين أبوالحجاج يوسف بن عبدالرحمن الدمشقي، (٧٤٢هـق)، المحقق: أحمد علي عبيد وحسن أحمد آغا، دار الفكر، ١٤١٤هـق، بيروت، لبنان.

ـ الثقات، ابن حبان، أبوحاتم محمد بن حبان بن أحمد، (٣٥٤هـق)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٣٩٥هـق، بيروت، لبنان.

ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبوعبدالله محمد بن أحمد، (٦٧١هـق)، المحقق: عبدالحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، ١٤٢٧هـق، بيروت، لبنان.

ـ الجمل والنصرة لسيد العترة في حرب البصرة، الشيخ المفيد، أبوعبدالله محمد بن محمد بن النعمان، (٤١٣هـق)، المحقق: السيد علي ميرشريفي، دفتر تبليغات إسلامي، ط١، ١٤١٣هـق، قم، إيران.

ـ حياة الحيوان، كمال الدين الدميري، محمد بن موسى، (٨٠٨هـق)، دار الفكر، ١٤٢٩هـق، بيروت، لبنان.

ـ الخصال، الشيخ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (٣٨١هـق)، المترجم: مدرس گيلانى، مؤسسة جاويدان للطباعة والنشر،

ـ خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، العلاّمة الحلي، أبومنصور الحسن (ص٦٤٢) بن يوسف بن مطهر، (٧٢٦هـق)، تحقيق: الشيخ جواد قيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، ط١، ١٤١٧هـق،

ـ دانشنامه إمام علي عليه السلام، رشاد، علي أكبر، پژوهشگاه فرهنگ وانديشه، [مركز أبحاث الثقافة والفكر]، ١٣٨٥هـش، طهران، إيران.

ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آغا بزرك الطهراني، محمد محسن، (١٣٨٩هـق)، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، طهران.

ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، الزمخشري، أبوالقاسم محمود بن عمر، (٥٣٨هـق)، المحقق: عبدالأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٤١٢هـق، بيروت، لبنان.

ـ رجال صحيح البخاري، كلاباذي، أحمد بن محمد، (٣٩٨هـق)، دار المعرفة، ط١، ١٤٠٧هـق، بيروت، لبنان.

ـ سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، الشيخ عباس القمي، (١٣٥٩هـق)، دار الأُسوة، ط١، ١٤١٤هـ ق.

ـ سنن أبي داود، أبوداود السجستاني، سليمان بن أشعث، (٢٧٥هـق)، المحقق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار إحياء السنة النبوية، بيروت، لبنان.

ـ السنن الكبرى، البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين، (٤٥٨هـق)، دار الفكر، ط١، ١٤١٩هـق، بيروت، لبنان.

ـ سنن النسائي، النسائي، أبوعبدالرحمن أحمد بن شعيب، (٣٠٣هـق)، المحقق: الشيخ حسن محمد المسعودي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ـ سؤالات الآجري، أبوداود السجستاني، (٢٧٥هـق)، دار الاستقامة، المحقق: عبدالعليم عبدالعظيم البستوي، ط١، ١٤١٨هـق، مكة المكرمة، العربية السعودية. [برمجيات soft ware] مكتبة أهل البيت.

ـ سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد، (٧٤٨ هـق)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١١، ١٤١٧هـق، بيروت، لبنان.

ـ السيرة النبوية، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (٧٧٤هـق)، المحقق: صدقي جميل العطار، دار الفكر، ط١، ١٤٢٥هـق، بيروت، لبنان.

ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن عماد، عبدالحي بن عماد، (١٠٨٩هـق)، دار الفكر، ١٤١٤٨ـ ق، بيروت، لبنان.

ـ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، أبوحامد عبدالحميد بن هبة الله، (٦٥٦هـق)، المحقق: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط٢، ١٣٨٥هـق.(ص٦٤٤)

ـ صحيح البخاري، أبوعبدالله محمد بن إسماعيل، (٢٥٦هـق)، المحقق: أحمد زهوة وأحمد عناية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، (٢٦١هـق)، المحقق: الشيخ خليل بن مأمون شيحا، دار المعرفة، ط٢، ١٤٢٨هـق، بيروت، لبنان.

ـ الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام، السيد جعفر مرتضى العاملي، دار الحديث، ط١، ١٤٢٦هـق، قم، إيران.

ـ الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، أحمد بن حجر الهيثمي المكي، (٩٧٤هـق)، المحقق: عبدالوهاب عبداللطيف، مكتبة القاهرة ، القاهرة، مصر.

ـ الطبقات الكبرى، ابن سعد، أبوعبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، (٢٣٠هـق)، دار صادر، ط١، بيروت، لبنان.

ـ العبر في خبر من غبر، الذهبي، محمد بن أحمد، (٧٤٨هـق)، دار الكتب العلمية، المحقق: أبوهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، لبنان.

ـ العقد الفريد، ابن عبدربه الأندلسي، أبوعمر أحمد بن محمد، (٣٢٨هـق)، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٣٨٤هـق، بيروت، لبنان.

ـ الغارات، الثقفي أبوإسحاق إبراهيم بن محمد، (٢٨٣هـق)، المحقق: السيد عبدالزهراء الحسيني الخطيب، دار الأضواء، ط١، ١٤٠٧هـق، بيروت، لبنان.

ـ الغدير في الكتاب والسنة والأدب، العلاّمة الأميني، عبدالحسين أحمد، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٦هـق، قم، إيران.

ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني الشافعي، أبوالفضل أحمد بن علي، (٨٥٢هـق)، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٧هـق، القاهرة، مصر.

ـ الفتوح، أبومحمد أحمد بن أعثم الكوفي، (٣١٤هـق)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦هـق، بيروت، لبنان.

ـ فروغ ولايت، السبحاني، جعفر، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٣٠٧هـش، قم، إيران.

ـ فهرست كتب الشيعة وأُصولهم وأسماء المصنفين وأصحاب الأُصول، الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن (٤٦٠هـق)، المحقق: السيد عبدالعزيز الطباطبائي، مكتبة المحقق الطباطبائي، ط١، ١٤٢٠هـق، قم، إيران.

ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، محمد عبدالرؤوف المناوي، **(ص٦٤٦)** (١٠٣١هـق)، مكتبة مصر، ط٢، ١٤٢٤هـق، مصر.

ـ قاموس الرجال، العلاّمة التستري، محمدتقي، دفتر انتشارات جامعه مدرسين حوزه علميه قم، ط٢، ١٤١٠هـق، قم، إيران.

ـ الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب، (٣٢٨ أو ٣٢٩هـق)، المحقق: علي أكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، ط٣، ١٣٨٨هـق، طهران، إيران.

ـ الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجزري، علي بن أبي الكرم (٦٣٠هـق)، دار إحياء التراث العربي، المحقق: علي شيري، ١٤٠٨هـق، ط١، بيروت، لبنان.

ـ كتاب سليم بن قيس الهلالي، أبوصادق سليم بن قيس، (٧٦هـق)، المحقق: محمدباقر الأنصاري، انتشارات دليل ما، ط٥، ١٤٢٨هـق، قم، إيران.

ـ كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، العلاّمة الحلي، حسن بن يوسف بن مطهر (٧٢٦هـ ق)، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، إيران.

ـ كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، خزاز القمي أبوالقاسم علي بن محمد بن علي، (من أعلام القرن الرابع)، المحقق: السيد عبداللطيف الحسيني الكوه كمري، انتشارات بيدار، ١٤٠١هـ ق، قم، إيران.

ـ الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، (١٣٥٩هـ ق)، مكتبة الصدر، ط٥، ١٤٠٩هـ ق، طهران، إيران.

ـ مجمع البحرين، الطريحي (١٠٨٥هـ ق)، المكتبة المرتضوية، المحقق: السيد أحمد الحسيني، ط٢، ١٣٦٢هـ ش، طهران، إيران.

ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي الشافعي، أبوالحسن علي بن أبي بكر (٨٠٧هـ ق)، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ ق، بيروت، لبنان.

ـ مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، سبط بن الجوزي، يوسف (٦٥٤هـ ق)، دار الرسالة العاملية، ط١، ١٤٣٤هـ ق، دمشق، سوريا.

ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، أبوالحسن علي بن الحسين (٣٤٦هـ ق)، المحقق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان.

ـ مستدرك سفينة البحار، النمازي الشاهرودي، علي بن محمد (١٤٠٥هـ ق)، مؤسسة بعثت، ط١، ١٤٠٩هـ ق، طهران، إيران.

ـ المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، أبوعبدالله محمد بن عبدالله (٤٠٥هـ ق)، المحقق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٢هـ ق، بيروت، لبنان.

ـ مستدركات علم رجال الحديث، النمازي الشاهرودي، علي بن محمد (١٤٠٥هـ ق)، شفق، ط١، ١٤١٢هـ ق، طهران، إيران.

ـ المسند، أحمد بن محمد بن حنبل (٢٤١هـ ق)، دار صادر، بيروت.

ـ المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد (٢٣٥ هـق)، دار الفكر، المحقق: سعيد محمد اللحام، ط١، ١٤٠٩هـق، بيروت لبنان.

ـ المصنف، عبدالرزاق الصنعاني، أبوبكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـق)، المحقق: حبيب الرحمن أعظمي، منشورات المجلس العلمي، بيروت، لبنان.

ـ مع الركب الحسيني، الإمام الحسين في مكة المكرمة، الطبسي، نجم الدين، مركز الدراسات الإسلامية، ١٤٢١هـق، قم، إيران.

ـ المعارف، ابن قتيبة الدينوري، أبومحمد عبدالله بن مسلم (٢٧٦هـق)، دار المعار....ف، ط٢، ١٩٦٩م، القاهرة، مصر.

ـ معجم الأُدباء، الحموي، ياقوت بن عبدالله (٦٢٦هـق)، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٣٠هـق، بيروت، لبنان.

ـ معجم البلدان، الحموي، أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله (٦٢٦هـق)، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩هـق، بيروت، لبنان.

ـ المعجم الكبير، الطبراني، أبوالقاسم سليمان بن أحمد (٣٦٠هـق)، المحقق: حمدي عبدالمجيد، دار إحياء التراث العربي، ط٢.

ـ معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، الخوئي، السيد أبوالقاسم (١٤١٣هـق)، منشورات مدينة العلم، قم، إيران.

ـ معجم ما استجم، الأندلسي، عبدالعزيز البكري، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـق، بيروت، لبنان.

ـ مقاتل الطالبيين، أبوالفرج الإصبهاني، علي بن الحسين بن محمد (٣٥٦هـق)، المحقق: كاظم المظفر، منشورات الرضي، ط٢، ١٤٠٥هـق، قم، إيران.

ـ المنار، رشيد رضا، محمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر.

ـ مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب المازندراني، أبوجعفر رشيدالدين محمد بن علي بن شهرآشوب (٥٨٨هـق)، مؤسسة انتشارات علاّمة، قم، طهران.

ـ المناقب، الخوارزمي، موفق بن أحمد (٥٦٨هـق)، المحقق: الشيخ مالك محمودي، انتشارات جامعه مدرسين حوزه علميه قم، ط٥، ١٤٢٥هـق، قم، إيران.

ـ المنتظم في تواريخ الملوك والأُمم، ابن الجوزي، أبوالفرج عبدالرحمن بن علي (٥٩٧هـق)، المحقق: د. سهيل زكار، دار الفكر، ١٤١٥هـق، بيروت، لبنان.

ـ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، أبوالعباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم (٧٢٨هـق)، المحقق: د. محمد رشاد سالم، دار الفضيلة، الرياض، السعودية.

ـ موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الري شهري، دار الحديث، ط١، ١٤٢١هـق، قم، إيران.

ـ موسوعة التاريخ الإسلامي، محمدهادي يوسفي الغروي، مجمع الفكر الإسلامي، ط١، ١٤١٧هـق، قم، إيران.

ـ موسوعة سيرة أهل البيت، القرشي، باقر، دار المعروف، ١٤٣٠هـق، قم، إيران.

ـ الموطأ، مالك بن أنس (١٧٩هـق)، دار إحياء التراث العربي، المحقق: محمد فؤاد عبدالباقي، بدون تاريخ، بيروت، لبنان.

ـ ناگفته هايى از سقيفه، الطبسي، نجم الدين، انتشارات دليل ما، ط١، ١٣٩٥هـش، قم، إيران.

ـ نهج الحق وكشف الصدق، العلاّمة الحلي، الحسن بن يوسف بن مطهر (٧٢٦هـق)، انتشارات دار الهجرة، ١٤٢١هـق، قم، إيران.

ـ الوافي بالوفيات، الصفدي، خليل بن أيبك (٧٦٤هـق)، ط٢، ١٤١١هـق.

ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، أحمد بن محمد (٦٨١هـق)، دار صادر، المحقق: إحسان عباس، ١٣٩٨هـق.

ـ وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري (٢١٢هـق)، المحقق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ط٢، ١٣٨٢هـش، قم، إيران.

الفهرس

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن